بسم الله الرحمن الرحيم

(فصل) ومما يمنع منه السؤال بأين (قيل) لصوفي أين الله (فقال) أتطلب مع العين أين وقد سئل علي بن أبي طالب أين كان ربنا قبل أن يخلق السموات والارض فقال أين توجب المكان وكان الله ولا مكان وقال لآخر وقد سأله أين الله (فقال) الذي أين الأين لا يقال فيه أين فبين للسائل فساد سؤاله بأن الأينية مخلوقة وكان قبلها سبحانه وتعالى قال الاستاذ رحمه الله مثال هذا السائل كمن سأل عن نور العلم أيظلم الشك يريد في فساده * وقيل ليحيى بن معاذ أخبرنا عن الله فقال اله واحد فقيل كيف هو فقال هو ملك قادر فقيل له أين هو فقال بالمرصاد فقال السائل لم أسألك عن هذا فقال ما كان غير هذا كان من صفة المخلوقين فأما صفته فما أخبرنا عنه (وقال بعض العلماء) وجائز أن نسأل عن الله بأين ونجيب عنه بما يليق بالله مثل أن تقول أين الله من قلبك أو من ذكرك محله كما قال الشاعر (فأين الله والقدر) وكما قالت الأمة للنبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أين الله قالت في السماء لم ترد المكان انما أرادت الرفعة والعلو كما يقال فلان في السماء اذا أرادوا مكانته ورفعته في جاه أو علم وحسن قولها في السماء انها كانت في زمان المشركين وكانوا يعبدون آلهة كثيرة في الارض من الاصنام والاوثان فنفت ذلك وأشارت الى المعبود في السماء كما قال تعالى وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله وقال تعالى أأمنتم من في السماء والله تعالى أعلم وكذلك تقول في المكان مكان الله من قلبي معظم أي أعرف قدره وأحبه بقلبي ويستشهد على هذا المعنى بقول عباس بن مرداس للنبي صلى الله عليه وسلم

فمن مبلغ عني النبي محمدا * وكل امرئ يجزى بما قد تكلما
تعالى علوا فوق عرش الهنا * وكان مكان الله أعلى وأعظما

فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم لعلمه بمراده وقال الشاعر

قلت له والرحيل يحثه * وقد بدا في الفراق أين أنا
فذكا الى ترائبه * وقال سر آمنا فأنت هنا

وفي الترمذي عن ابي رزين العقيلي قال قلت يارسول الله اين كان ربنا قبل

يخلق خلقه قال كان فى عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء وخلق عرشه على الماء وفسره قال يزيد بن هرون أى ليس معه شئ وجاء فى البخارى الذى هو أصح من هذا كان الله عز وجل ولم يكن شئ غيره وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شئ زاد النسائى ثم خلق سبع سموات وفسره أبو عبيد فقال العماء السحاب وقال غيره الرقيق من السحاب وقال بعض أهل العلم قوله اين كان ربنا يريد أين كان عرش ربنا فحذف اتساعا كما قال تعالى واسأل القرية وقال تعالى وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم أى حب العجل ويدل على صحة هذا قوله تعالى وكان عرشه على الماء وذلك ان السحاب محل الماء فكنى عنه وقال الاستاذ رحمه الله نحوا من هذا قال انما سأل عن مستقر الملائكة وغير ذلك من خلقه ألا تراه قال أين كان ربنا ولم يقل أين هو وقال قبل أن يخلق خلقه وقد علم انه ليس هو فى خلقه ثم لما أجابه بذكر العماء سكت ولم يقل وأين كان قبل ان يخلق العماء فدل على انه سأله عن مخلوق ولم يسأل عن الخالق والله أعلم ذكر ذلك فى تفسير حديث الامة السوداء الذى فيه أين الله وساق فيه حديثا بعيدا نحوا من خمسة أوراق رحمه الله * وسأل ابن شاهين الجنيد عن معنى مع فقال مع على معنيين مع الانبياء بالنصر والكلاءة قال الله تعالى اننى معكما أسمع وأرى ومع العامة بالعلم والاحاطة قال الله تعالى ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله وهو معهم وسئل ذو النون المصرى رحمه الله عن قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قال أثبت ذاته ونفى مكانه فهو موجود بذاته والاشياء موجودة بحكمه كما شاء * وسئل الشبلى عن ذلك فقال الرحمن لم يزل والعرش محدث والعرش بالرحمن استوى (وقال بعضهم) فعل بالعرش فعلا سماه استواء فكان هو به مستويا كما خلق فى غيره رزقا فكان هو به رازقا وخلق نعمة فى غيره كان بها منعما وقيل الاستواء هو العلو والعلو راجع الى استحقاق صفات المدح ويتضمن القهر والغلبة كما يقال استوى فلان على العراق بمعنى استولى وغلب والله أعلم (وسئل جعفر بن نصير) عن ذلك فقال استوى علمه بكل شئ وليس شئ أقرب اليه من شئ وقال جعفر الصادق من زعم ان الله تعالى فى شئ أو من شئ أو على شئ فقد أشرك لو كان على شئ لكان محمولا ولو كان فى شئ لكان محصورا ولو كان من شئ لكان محدثا (وسئل مالك رضى الله عنه) عن ذلك فقال الاستواء منه غير مجهول والكيف منه غير معقول والايمان به واجب والسؤال

عنه

عنه بدعة وقال للسائل وانى أخاف أن تكون ضالا وجاء فى العرش أنه أعلى المخلوقات كلها فانه أكبر خلق الله تعالى وهو فوق الجنان كالسقف لها والكرسى دون العرش فى المنزلة والقدر يقال ما السموات السبع والارضون السبع والكرسى فى العرش الا كحلقة ملقاة فى فلاة من الارض واستعظم قدرة الله وخلقه ويخلق مالا تعلمون ولا يؤده حفظهما وهو العلىّ العظيم ويروى عن عكرمة رضى الله عنه أنه قال ما أعطى الله عبده من النور فى عينيه ان لو جعل نور جميع أعين خلق الله من الجنّ والانس والدواب وكل شئ مما خلق الله فجعل نور أعينهم فى عين عبد من عباده ثم كشف عن الشمس سترا واحدا ودونها سبعون سترا ماقدر على أن ينظر الى الشمس والشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسى والكرسى جزء من سبعين جزءا من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءا من السترة قال عكرمة فانظر ماذا أعطى الله عبده من النور ينظر الى وجه ربه الكريم عيانا يعنى بالسترة فى هذا الخبر والله أعلم الحجاب وقد جاء فى الحديث حجابه النور (وعن مجاهد قال) بين الملائكة و بين العرش سبعون حجابا حجاب من نور وحجاب من ظلمة وحجاب من نور وحجاب من ظلمة وجاء فى حديث آخر مابين كل حجابين كما بين السماء والارض وسيأتى الكلام فى الحجاب وانه فى أبصارنا ما يخلق الله فيها من الموانع وان لم تعتقد هذا والاسبق الى الوهم ان الحجاب أكبر من الله سبحانه وتعالى اذ يستره على تخيلك وهذا محال والله أكبر من كل شئ وأعظم وأجل سبحانه وتعالى فنحن اذا المحجوبون كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون انظره فى باب الذال عند ذكر الاذان من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقال ابن مسعود مابين السماء والارض مسيرة خمسمائة سنة ثم مابين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام و بصر كل سماء يعنى غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام ثم مابين السماء السابعة الى الكرسى مسيرة خمسمائة عام ثم مابين الكرسى الى العرش مسيرة خمسمائة عام والعرش فوق الماء والله فوق العرش ولا يخفى عليه شئ من أعمالكم وفى حديث آخر عن النبى صلى الله عليه وسلم وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض وفوق ذلك العرش و بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والارض والله فوق ذلك ولا يخفى عليه من أعمال بنى آدم شئ * وعن الحسن عن كعب الاحبار قال أقرب الخلق الى الله

البصر بضم الباء السمك

عز وجل جبريل وميكائيل واسرافيل وهم تحت زوايا العرش وبينهم وبين رب العالمين مسيرة خمسين ألف سنة (وعن وهب بن منبه قال) أربعة أملاك يحملون العرش على أكتافهم لكل واحد منهم أربعة وجوه وجه وجه ثور ووجه وجه أسد ووجه وجه نسر ووجه وجه انسان ولكل واحد منهم أربعة أجنحة أما جناحان فعلى وجهه من أن ينظر الى العرش فيصعق وأما جناحان فهفو بهما ليس لهم كلام سوى أن يقولوا قدسوا الملك القوى الذى ملأت عظمته السموات والارض وعن كعب قال حملة العرش ما بين اخمص أحدهم الى كعبه مسيرة خمسمائة عام وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة أقدامهم على تخوم الارض السفلى والسموات الى حجزهم والعرش الى مناكبهم (وجاء فى تفسير الكرسى) أقوال منها ما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال كرسيه علمه وقاله ابن جبير أيضا ذكره البخارى وكان الطبرى يقوى هذا القول بأن العرب تسمى العلماء كراسى ومنه سميت الكراسة لما تضمنته وجمعته من العلم وأنشد

يحفهم بيض الوجوه وعصبة * كراسى بالاحداث حين تنوب

أى عالمون بالاحداث وقيل كرسيه ملكه (وقال الحسن) الكرسى العرش وكان الاستاذ رحمه الله يقوى هذا القول لانه لم يرد أن العلم وسع الكرسى فما دونه دون ما فوقه فجائز أن يريد به العرش وما تحته والله أعلم ويستشهد بما ذكره ثابت ابن قيس خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خطبته اذ يقول فيها ووسع كرسيه علمه فليس الكرسى على هذا علمه والله أعلم *(فصل)* قد تقدم ان العرش أكبر المخلوقات وانه لا يعلم قدره الا الذى خلقه وأنه مختص بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق وقد جاء فى القرآن العزيز ذكره وأنه تحمله الملائكة وجاء فى الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة حملة العرش ما بين شحمة أذنه وعاتقه بخفق الطير سبعمائة عام والعرش فى اللغة السرير وكذلك فسر ابن عباس قوله تعالى ولها عرش عظيم أى سرير كريم فى حسن الصنعة وغلاء الثمن ذكره البخارى يريد بذلك بلقيس والكرسى فى عرف اللغة ما يقعد عليه أو يرقى به الى السرير وقال ابن ابى زمنين فى كتابه فى أصول السنة ومن قول أهل السنة أن الكرسى بين يدى العرش وأنه موضع

القدمين والله تعالى يتعالى عن التحديد والتشبيه والتكييف وهذه المخلوقات التى أظهرها لا شك أن بعضها أكبر من بعض وأعلى من بعض والعرش أعلى خلقه وأكبر وهو غنى عن جميع ما خلق غير محتاج اليه وانما هو ملك أظهره وليس ما أظهره لنا وعلمناه كنه خلقه بل هو بعض خلقه اذ يقول سبحانه ويخلق مالا تعلمون وقد جاء فى الخبر أن السموات والارض والدنيا والآخرة والجنة والنار فى جوف الكرسى والكرسى نور يتلألأ وقد تقدم أن العرش أكبر المخلوقات وأكبر من الكرسى وليس العرش والكرسى الا التشبيه فى الرفعة كما أضاف الكعبة التى فى الارض عندنا اليه وسماها بيته فيقال بيت الله كما أضاف المساجد أيضا اليه فيقال بيوت الله والبيت عندنا انما هو معدّ للسكنى والله تعالى يتعالى عن صفات البشرية كلها فى جميع صفاته وقد ذكر أبو طالب المكى أيضا بسنده الى مجاهد فى قوله تعالى عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا يقعده على العرش وهبه لحبيبه فى الآخرة فجعله مكانه تفضيلا له وتشريفا ليكون هنالك فوق المرسلين فى الجلالة كما كان آخرهم فى الرسالة فيحتمل والله أعلم أن يكون خلقه من أجله صلى الله عليه وسلم فلا أرفع منه ويكفيه قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وجاء فى الخبر عن الله تعالى وخلقت ما خلقت لاجل محمد فهذه غاية الشرف والحمد لله (وقال أبو طالب المكى أيضا) وقد ذكر ما يعتقده المؤمن الموقن قال وان تعتقد ان الله تعالى رفيع الدرجات من العرش وان قربه من الثرى ومن كل شئ كقربه من العرش وان العرش غير ملابس له بحس ولا مفكر فيه بوجس ولا ناظر اليه بعين ولا محيط به بدرك لانه تعالى محتجب بقدرته عن جميع بريته ولا نصيب للعرش منه الا كنصيب عالم موقن به واجد جبا أوجده منه وان الله تعالى محيط بعرشه فوق كل شئ وفوق تحت كل شئ فهو فوق الفوق وفوق التحت ولا يوصف بتحت فيكون له فوق لانه العلى الاعلى أين كان لا يخلو من علمه وقدرته مكان ولا يحدّ بمكان ولا يفقد من مكان ولا يوجد بمكان فالتحت الاسفل والفوق الاعلى وهو سبحانه فوق كل فوق وفوق كل تحت فى السمو هو فوق ملائكة الثرى كهو فوق ملائكة العرش والاماكن الممكنات ومما يقوى هذا ما قاله بعض العلماء وقد سئل عن معنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى فقال ان الله تعالى أسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم الى سدرة المنتهى والتقم الحوت يونس

عليه السلام فهبط به الى قعر البحار فى أسفل الارض فلا تقولوا انى كنت أقرب
الى ربى من يونس بل كنا فى القرب سواء أو كما قال وجاء فى الخبر أربعة أملاك اجتمعوا
فى الهواء أحدهم هبط من العلو والآخر ارتفع من السفل والآخر من المشرق
والآخر من المغرب وكل واحد منهم يقول أقبلت من عند ربى أو كما قالوا فسبحان
الموجود فى الكل مكانه مشيئته ووجوده قدرته والعرش والثرى وما بينهما هو وحد
الخلق الاسفل والاعلى بمنزلة خردلة فى قبضته هو أعلى من ذلك محيط بجميع ذلك
بما لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم ولا نهاية لعلوه ولا فوق لسموه ولا بعد فى دنوه
ولا حس فى وجوده ولا مس فى شهوده ولا ادراك لحضوره ولا حيطة لحيطته وقد
قال الله تعالى للكل يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال تعالى
سبح اسم ربك الاعلى وقال تعالى ألا انه بكل شئ محيط * رفع ذاته عن القلوب
والافكار فلم يخيله عقل ولم يصوره وهم لئلا يملكه الوهم فيكون مربوبا وهو رب
ولا ينظر اليه بفكر فيكون مقهورا وهو قهار ولا يعقل بعقل لانه عاقل العقل ولا
يدرك بحيطة وهو محيط بكل حيطة يشهد الكون من أوله الى آخره من حيث علمه
بعلم هو وصفه ومشاهدة هى نعته لان كلامه بذلك يخبر بأنه قد كان دليل على شهوده
المآل لانه شهد ما علم كما علم ما به تكلم فلم يتفاوت كلامه وعلمه ولم يختلف علمه
وشهادته قوته كنه قدرته وقدرته دوام بقائه نظره سعة علمه وعلمه مد بصره يدرك
الاشياء كلها على اختلاف أوصافها بصفة من صفاته ثم يدرك بجميع أوصافه
ما أدركه بهذه الصفة فثبتت بذلك مشيئته أنه علم ونظر وتكلم لا يدخل الترتيب
فى صفاته أعنى بقبل ولا بعد ولا بوقت بحد ولا يوصف بالتعقيب بقدرته وأحكامه
أعنى بم ولم ولزم بذلك أنه يعلم بنظره وينظر بعلمه وصارت الاوائل والاواخر لديه
كشئ واحد وصارت صفاته كلها آحادا كاملات تامات غير محدودة للمعدودات
ولا موقتة مرتبة للموقتات المرتبات اذ الترتيب فى النعوت من وصف الخلق
والادوات رأى خلقه قبل أن يخلقهم كما رآهم بعد أن خلقهم أدخلهم الجنان قبل
أن يطيعوه وأدخلهم النار قبل أن يعصوه هو أعز من أن تغضبه أعمال خلقه
لكنه نظر الى قوم بعين الغضب قبل أن يخلقهم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال
الغضب فأسكنهم دار الغضب وهو أكبر من أن ترضيه أفعال خلقه ولكنه نظر
الى قوم بعين الرضى قبل أن يخلقهم فلما أظهرهم استعملهم بأعمال الرضى

فأسكنهم

فأسكنهم دار الرضى وكان من هجيرى الشيخ أبى الحسن الكازنى رحمه الله
هانوا عليك فعصوك ولو احببتهم لحميتهم عن المعاصى روى عن ابن عباس رضى
الله عنهما فى قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
يعنى كان فى علم الله أن يكون فكأنه علق قوله لم يكن شيئا بقوله مذكورا والله تعالى
يخبر بما يكون فى الدنيا وبما يكون فى القيامة ومابعدها بلفظ انه كان لاستواء
ذلك فى علمه آخرا كالاول اذ لا ترتيب فى العلم ولا حد ولا مسافة ولا بعد فى القدرة
وقال تعالى الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين يعنى تقلبك فى أصلاب
الانبياء فى صلب نبى بعد نبى حتى أخرجك من ذرية اسماعيل والله سبحانه عالم
بالكون قبل الكون ثم أظهر الخلق عالما بعد عالم وقتا بعد وقت فجاؤا على نظره
وسمعه وكلامه كما كانوا فى علمه ومشيئته بغير زيادة ذرة ولا نقصان خردلة سبحانه
وتعالى علوا كبيرا والكلام كثير اختصرته من كتب العلماء وحكم الحكماء وسئل أبو
عثمان المقرى رضى الله عنه عن الخلق فقال قوالب وأشباح تجرى عليهم أحكام
القدرة وقال الواسطى لما كانت الارواح والاجساد قامتا بالله وظهرتا به لا بذواتها
كذلك قامت الحركات والخطرات بالله لا بذواتها اذ الحركات والخطرات فروع
للاجساد والارواح صريح هذا الكلام ان اكتسابات العباد مخلوقة لله وكما انه
لا خالق للجواهر الا الله تعالى فكذلك لا خالق للاعراض الا الله تعالى صدق الذى
يقول هذا وشاهده قول الله تعالى والله خلقكم وماتعملون وقالوا أنطقنا الله الذى
أنطق كل شئ وفى الخبر الله صانع كل صانع وصنعته وهذا الخبر أطول من هذا
رويته عن الحافظ رحمه الله بسنده الى حذيفة رضى الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم المعروف كله صدقة وان الله عز وجل صانع كل صانع وصنعته
وان آخر ماتعلق به أهل الجاهلية من كلام النبوة اذا لم تستح فاصنع ماشئت وسئل
بعض العلماء عن التوحيد فقال هو اليقين فقال السائل بين لى ماهو فقال
هو معرفتك ان حركات الخلق وسكونهم فعل الله عز وجل فاذا عرفت ذلك فقد وحدته
وسئل الواسطى عن الكفر بالله أو لله فقال الكفر والايمان والدنيا
والآخرة من الله والى الله وبالله ولله من الله ابتداء وانشاء والى الله مرجعا
وانتهاء وبالله بقاء وفناء ولله ملكا وخلقا * وقال بعضهم ذكر الله اياك ومحبته
ورحمته لك باق ببقائه والجنة باقية بابقائه فشتان مابين باق ببقائه وباق بابقائه

(قلت) ينظر هذا الى قوله تعالى ولذكر الله أكبر على تأويل من فسره ذكر الله اياكم أكبر من ذكركم اياه لان الله تعالى ذاكر من ذكره قال تعالى فاذكرونى أذكركم وسئل بعضهم عن المعرفة فقال المعرفة اسم ومعناه وجود تعظيم فى القلب يمنعك من التعطيل والتشبيه وقال غيره التوحيد أن تعلم أنه غير مشبه بالذوات ولا بمنفى الصفات * وقال بعض المشايخ ماتوهمتموه بأوهامكم أو أدركتموه بعقولكم فهو محدث مثلكم وقال أبو المعالى من اطمأن الى موجود انتهى فكره اليه فهو مشبه ومن انقطع الى موجود اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد ومن اطمأن الى النفى المحض فهو معطل والقول أيضا فى هذا الباب يطول وقد أحكمه أهل الاصول فى أبواب وفصول فمن طلبه أصابه فاقتنع منه بهذه الصبابه وان كانت لك بها صبابه وسيأتى طرف منه فى هذا الكتاب فى مواضع فاسترحم الرحمن للواضع وقد نسيت نفسى بقال فلان وفلان قال حتى طال المقال ولما خرجت من ثقاف اللغات الثقال صرت كالمنشط من العقال والحديث ذوشجون وذوشعوب وفنون (وقلت)

خرجت من اللغات فطاب عيشى * وجاء الفكر بالدر النفيس
وأفرح حين آخذ فى سواها * كما فرح المؤدب بالخميس
ولكن بذ يحضر يوم سبت * فيعبس فيه أكثر من عبوس
اذا ماقلت لى فسر حروفا * فتلجئنى الى حرب البسوس
ولو صحفته قشر خروفا * لكان علىّ أسهل من جلوسى
ولكنى سأرجع للذى قد * أردت كرامة لك ياجليسى

ولكن بعد أن أفسر لكم أيها البنون الشجون والفنون أمّا الشجون فصدر شجن وهو الحزن يقال أشجننى الامر فشجنت شجونا والجمع أشجان ويقال رجل شج بكذا وقد أجازوا فى الشعر شجى بالتشديد وأنشدوا * أيا ويح الشجىّ من الخلىّ ولهم فى ذلك كلام والشجنة قرابة مشتبكة (ومنه الحديث) الرحم شجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله (يروى) بضم الشين وكسرها يعنى قريبة أى قريب ثوابها من الواصل قريب عقابها من القاطع وأصله الاختلاط يقال شجر متشجن أى ملتف ومنه (قالوا الحديث) ذوشجون كما تقدم * وقال البكرى وذكر الحديث ذوشجون مأخوذ من الشواجن وهى أودية كثيرة

قد ذكر في التعقيب الشيخ
وصوابه الشجر كما هنا

الشجر غامضة يقال أشجنت الارض اذا كثرت فيها الشجون وهي الاودية واحدها شجن قالوا والشجون أيضا الحاجات (قال الشاعر) * والنفس شتى شجونها * وقد يستعمل في معنى الحب قال الراجز

انى سأبدى لك فيما أبدى * لى شجنان شجن بنجد * وشجن لى ببلاد الهند

(والفنون) جمع فن وهو الحال والضرب من الكلام يقال رجل معن مفن وهو الذى لا يعرض له شئ الا تكلم فيه وهو محمود اذا أصاب الصواب ومذموم اذا تعرض فى الامور وتكلم بغير علم ولا دعته اليه ضرورة * قال ابن السيد وهو الذى تسميه الناس الفضولى وأما المعن بضم الميم فهو الفرس الذى جعل له عنان وهو من أعننت والفن غصن الشجرة وجمعه أفنان قال الله تعالى ذواتا أفنان ومنه يقال فلان متفنن فى الكلام كأنه يمضى من غصن الى غصن وفسر ابن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون قال فى كل فن يذهبون وقال مجاهد فى كل فن من القول يفتنون وقال الحسن قد رأيت أوديتهم التى يهيمون فيها فى مديح هذا مرة وفى هجاء هذا مرة يعنى ما هو على وزن هذا شؤون وسيأتى ان شاء الله تعالى فى فوائد باب الراء وتقدم معن مفن وكما تقول ذلك للرجل فكذلك تقول للمرأة معنة مفنة (قال الراجز)

ان لنا لكنه * معنة مفنه * سمعنة نظرنه * كالريح حول القنه

ويروى * كالذئب وسط العنة * الا تره تظنه * كان الاحمر يكسر سمعنة نظرنه وقال أبو زيد امرأة سمعنة نظرنة بالضم وهى التى اذا تسمعت أو تبصرت فلم تر شيئا تظنته تظنيا وأما قولهم الحديث ذو شجون فأول من قاله ضبة بن أد وهو والد سعد وسعيد الذى تقدم ذكرهما وكان قد أرسلهما فى طلب ابل له فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ضبة اذا رأى شخصا يقول أسعد أم سعيد فذهبت مثلا ثم ان ضبة خرج فى سفر فى الشهر الحرام ومعه الحارث بن كعب فمرا بمكان فقال الحارث لضبة انى لقيت فى هذا الموضع فتى من صفته كذا وكذا فعرف ضبة صفة ابنه سعيد فقال له وما فعلت به قال قتلته وأخذت منه هذا السيف فقال ضبة أرنى اياه فسله ودفعه اليه فرأى أنه سيف ابنه فقال الحديث ذو شجون ثم ضرب الحارث فقتله فلامه الناس على ذلك فقالوا أقتلت فى الشهر الحرام فقال سبق السيف العذل فقال الفرزدق فى ذلك من شعر له آخره

ولا تأمن الحرب انا استعارها * كضنبة اذقال الحديث شجون

وسيأتي سبق السيف العذل وان أول من قاله خزيم بن نوفل انظره في فصل الاجواد من باب الجيم ان شاء الله وأنا أقول أيضا الحديث يجر بعضه بعضا تقدم في هذا الفصل *أيا ويح الشجي من الخلي* ولي من لفظ الشجي قطعة مطولة أولها ليت شعري أيستريح الشجي * فيرى بعد ذا الذ وهو خلي انظرها في التكميل ومن أملح ما رأيت في هذه اللفظة ما خرج البكري قال أوقف عبد الملك بن مروان جارية للشعراء فقال أيكم يجيز هذا البيت وهذه الجارية له ثم أنشد

بكى كل ذي شوق يمان فشاقه * شآم فأنى يلتقي الشجنان

فجثا جرير على ركبتيه وقال هلمي يا جارية الي ثم قال

يغور الذي بالشرق أو ينجد الذي * بنجد تهامات فيلتقيان

فأخذ الجارية وانصرف *(فصل)* الحروف في اللغة تأتي على وجوه منها القراءة تقول قرأت بحرف فلان ومنها المذهب والجهة على غير يقين بمعنى الشك والتجربة وفي القرآن ومن الناس من يعبد الله على حرف جاء في تفسيره عن مجاهد أي على شك وحقيقته أنه على ضعف في عبادته كضعف القيام على حرف جرف قاله المهدوي وسيأتي طرف من هذا المعنى داخل الكتاب ان شاء الله فهذا وجه (وجاء في الحديث) أنزل القرآن على سبعة أحرف فسره ابن شهاب رحمه الله قال بلغني أن السبعة الاحرف انما هي في الامر الذي يكون واحدا لا يختلف في حلال ولا حرام ذكره مسلم رحمه الله وفسره أبو عبيد فقال يعني سبع لغات من لغات العرب وليس معناه أن يكون في الحرف الواحد سبعة أوجه هذا لم نسمع به قط ولكن هذه اللغات السبع متفرقة في القرآن فبعضه نزل بلغة قريش و بعضه بلغة هوازن و بعضه بلغة هذيل و بعضه بلغة أهل اليمن ثم فسر عن ابن سيرين هو كقولك هلم وتعال وأقبل *وقال أيضا في حديث يرفعه على سبعة أحرف حلال وحرام وأمر ونهي وخبر من كان قبلكم وخبر ما هو كائن بعدكم وضرب الامثال ثم قال أبو عبيد ولسنا ندري ما وجه هذا الحديث لانه شاذ غير مسند وصحح ما قاله أولا في القرآن حسبما ذكره في الغريب وهذه نخبة قوله رحمه الله (قلت) ولعمري ان النفس تميل الى ما ذكره أبو عبيد رحمه الله من أنها لغات متفرقة في ألسنة العرب ألا ترى أن من لغة عمر بن الخطاب رضي الله عنه نعم بكسر العين على ما حدث به

معنى الحرف في اللغة

الكسائى عن سليمان التيمى عن أبى عثمان النهدى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سألهم عن شئ فقالوا نعم فقال انما النعم الابل قولوا نعم وكان مذهب على بن أبى طالب رضى الله عنه نعم بالفتح يدلك على ذلك حين أخذ البيعة على أصحابه فجعلوا يقولون نعام يريدون نعم فقال على رضى الله عنه ان النعام والباقر فى الصحراء الكثير ولم ينكر عليهم الازيادة الالف فى نعم والله أعلم (وأما ابن قتيبة رحمه الله فقال) تدبرت الاختلاف فى وجوه القراآت فوجدتها سبعة (أولها) فى اعراب الكلمة أو فى حركات بنائها بما لا يزيلها عن صورتها ولا يغير معناها نحو قوله تعالى هؤلاء بناتى هن أطهر لكم وأطهر وهل يجازى الا الكفور وهل نجازى الا الكفور والبخل والبخل وميسرة وميسرة (والوجه الثانى) أن يكون الاختلاف فى اعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها فى الكتاب نحو قوله تعالى ربنا بعد بين أسفارنا وربنا باعد واذ تلقونه وتلقونه وادكر بعد أمة وبعد أمه وهو النسيان (والوجه الثالث) أن يكون الاختلاف فى حروف الكلمة دون اعرابها بما يغير معناها ولا يزيل صورتها نحو قوله تعالى وانظر الى العظام كيف ننشزها وننشرها وقوله حتى اذا فزع عن قلوبهم وفزع (والوجه الرابع) أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يغير صورتها فى الكتابة ولا يغير معناها نحو قوله ان كانت الازيعة واحدة وصيحة وكالعهن المنفوش وكالصوف (والوجه الخامس) أن يكون الاختلاف فى الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قوله تعالى وطلح منضود وطلع (والوجه السادس) أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير نحو قوله وجاءت سكرة الموت بالحق وجاءت سكرة الحق بالموت فى موضع (والوجه السابع) أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان نحو قوله تعالى وما عملته أيديهم وما عملت أيديهم وان الله هو الغنى الحميد وان الله هو فى سورة الحديد وقراءة بعض السلف ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة أنثى وان الساعة آتية أكاد أخفيها من نفسى فكيف أظهركم عليها وقد تكلم ثابت رحمه الله فى الدلائل على هذا الحديث وذهب فى ذلك مذهب أبى عبيد رحمه الله وقال ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم والعرب متباينون فى كثير من الالفاظ واللغات ولكل عمارة لغة دلت بها ألسنتهم وفحوى قد جرت عليها عاداتهم وفيهم الكبير العاسى والاعرابى القح ومن لا زم نفى عادته وحمل لسانه على غير دربته تكلف منه حملا ثقيلا وعالج منه عناء

شديدا ثم لم يكسر غربه ولم يملك استمراره الا بعد التمرين الشديد فأسقط الله عنهم هذه المحنة وأباح لهم القراءة على لغاتهم وحمل حروفهم على عاداتهم فكان الرسول عليه الصلاة والسلام يقرئهم بما يفقهون ويخاطبهم بالذي يستعملون بما طوقه الله من ذلك وشرح له صدره وفتق به لسانه وفضله على جميع خلقه صلى الله عليه وسلم وهذا معنى الحديث والله أعلم وأيضا فلم يكن لهم يومئذ كتاب يعتبرونه ولا رسم يتعارفونه ولا يقف أحدهم فى الحروف على كتبة ولا يرجعون منها الى صورة وانما كانوا يعرفون الالفاظ بجرسها او يحدونها بمخارجها وكان أكثرهم لا يعلم بين الراء والزاى سببا ولا بين الصاد والضاد سببا فلهؤلاء جاءت الرخصة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القراءة على سبعة أحرف أى على سبع لغات والله أعلم والدليل على أنه كان أكثرهم لا يكتب ولكنهم يفقهون ما روى بعض الاخباريين ان هشام بن عبد الملك مر على ميل فقال لاعرابى انظر ما الذى عليه مكتوب فنظر ثم أقبل فقال محجن وحلقة وثلاث كأنها أطباء الكلبة وهامة كأنها منقار طائر فقال هشام هذه خمسة وقال ثابت أيضا فى قول أبى عبيد حين أنكر أبو عبيد أن يكون فى الحرف الواحد سبع لغات وقال هذا لم نسمع به قط قال ثابت قد جاء فى كتاب الله عز وجل ماله وجوه من القرآن سبعة أو تزيد على السبعة من غير أن نقول هذا مراد النبى صلى الله عليه وسلم بقوله أنزل القرآن على سبعة أحرف ثم ذكر قوله تعالى وعبد الطاغوت بضمها وعبد الطاغوت مضافة وعبد الطاغوت بالاضافة وضم العين والباء وعبد الطاغوت بضم العين وتشديد الباء وعابد الطاغوت وعباد الطاغوت وعبدوا الطاغوت فهذه سبعة أوجه محفوظة عن أبى حاتم السجستانى وسمى من قرأ بكل حرف منها ثم قال وذكروا عن الخليل رحمه الله أنه قال ويقرأ وعبد الطاغوت كما تقول ضرب عبد الله وعبد الطاغوت معناه صار الطاغوت معبودا كما تقول فقه زيد وعبد الطاغوت أراد عبدة الطاغوت وطرح الهاء فى اللفظ والمعنى فى اثباتها وعابد والطاغوت وفسر ذلك كله فقال أما من قرأ وعبد فعلى لفظ من أى ومن عبد الطاغوت ومن قرأ وعابدوا الطاغوت فعلى معنى من لان لفظها لفظ الافراد ومعناها الجمع كما قال تعالى ومنهم من يستمع اليك ومنهم من يستمعون اليك ومن قرأ وعبد فله وجه مثل رهن ورهن وسقف وسقف ويجوز اسكان الثانى فى هذا فتقول سقف وسقف وأما عبد فجمع عابد مثل شهد وشاهد وغيب وغائب وأما

عباد لجمع مثل كافر وكفار وغائب وغياب وأما وعبد الطاغوت بالاضافة فردود ولا يوجد ذلك الا في ضرورة الشعر مثل قوله * أنا ابن ماوية اذجد النقر * على أن سليمان التيمي قرأ يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم والله أعلم (قلت) وكثيرا ما يجيء في الكلمة الواحدة لغات كثيرة مثل عضد من قوله تعالى وما كنت متخذ المضلين عضدا فسره مكي في الهداية أي عونا ثم قال وفيه ست لغات عضدا وعضدا وعضدا وعضدا وعضدا وعضدا وستري في هيهات كذلك لغات كثيرة وفي آزر كذلك وفي غيره هذا كثير فاطلب تصب والله الموفق (وقال المازني) رحمه الله في هذا الحديث ان هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف وزيف قول من قال انها معان مختلفة كالاحكام والامثال والقصص وغير ذلك وقال ذلك خطأ لانه لا يجوز ابدال آية أمثال بآية أحكام قال الله تعالى قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي وكذلك زيف قول من قال ان المراد به ابدال خواتم الآي فيجعل مكان غفور رحيم سميع بصير مالم يناقض المعنى فيبدل آية رحمة بآية عذاب قال وهذا أيضا فاسد لانه قد استقر الاجماع على منع تغيير القرآن ولو زاد أحد من المسلمين حرفا أو كلمة أو نقص أخرى أو خفف مشددا أو شدد مخففا لبادر الناس الى انكاره فكيف بابدال كثير من كلماته واذا فسد هذا فينبغي أن تعلم أن الحرف في اللغة هو الطرف والناحية ومنه حرف الوادي أي طرفه وناحيته ومنه تسميتهم الشكل المنقطع من حروف المعجم حرفا لانه ناحية من الكلام وطرف ولا بد من حمل الحديث على وجه يجوز ابدال بعضه من بعض فلم نجد الا أنه نحو الترقيق والتفخيم والاظهار والادغام والهمز والتسهيل والفتح والامالة فهذا لا يغير المعنى والله أعلم والحرف في اللغة أيضا حرف الشيء مثل الجبل وغيره تقول انحرف الرجل وتحرف واحرورف اذا مال عن الشيء وأما الحرف بالضم فحب الرشاد والحرف أيضا الحرمان والمحارف المحروم وهو خلاف قولهم مبارك وقد حورف كسب فلان اذا شدد عليه في معاشه كأنه ميل برزقه عنه (وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه) موت المؤمن بعرق الجبين تبقى عليه البقية من الذنوب فيحارف بها عند الموت أي يشدد عليه لتمحص عليه ذنوبه والحرفة الصناعة والمحترف الصانع وفلان حريفي أي معاملي قال الاصمعي هو يحرف لعياله أي يكتسب من ههنا وههنا مثل يقرف وتحريف الكلام عن مواضعه تغييره وتحريف القلم قطه محرفا وانحرف عنه وتحرف واحرورف مال

وعدل والحرف بالفتح أيضا الناقة الصلبة ويقال الهزيلة ولبعض أصحابنا يلغز في الحروف التي هي جمع حرف يعني النوق المتعبة في السفر

وقائلة ولم تلفظ بحرف * وكم لفظت حروفا أضمرتها
عوامل دائبا رفعا ونصبا * وخفضا في معاني أضمرتها

يعني بالقائلة الهاجرة وبالحروف الابل التي أضعفها العمل حتى أضمرت جسومها لكثرة السير في المرتفع من الارض والمطمئن والمنخفض حتى لفظتها يعني طرحتها وألقتها منها مهزولات مضمرات والمعاني التي أضمرتها هي مانوتها في سيرها من صنوف المآرب وضروب المنافع واعلم أنه يقال لفظ بالكلام اذا نطق به بكسر الفاء وبفتحها ولفظ الشيء رمى به يلفظ فيهما جميعا ولفظ بالفتح وفلظ مات والحروف التي بنى عليها جميع الكلام هي حروف الهجاء (قال ابن عطاء) ان الله تعالى لما خلق الاحرف جعلها سرا له فلما خلق آدم عليه السلام بث فيه ذلك السر ولم يبث ذلك في أحد من الملائكة فجرت الاحرف على لسان آدم عليه السلام بفنون الجزئيات في فنون اللغات فجعلها الله تعالى صورا لها وهي الثمانية والعشرون حرفا المذكورة وجعلها أبو القاسم الزجاجي تسعة وعشرين وعد منها الهمزة وقال ابن دريد الحروف التي استعملتها العرب في كلامها في الاسماء والافعال والحركات والاصوات تسعة وعشرون حرفا مرجعهن الى ثمانية وعشرين حرفا وأما الحرف التاسع والعشرون فحرس بلا صوت أي تصويت وهي الالف الساكنة وذلك أنه لا يكون الا ساكنا أبدا فمن أجل ذلك لم يبدؤا به فاذا احتجت الى أن تحركه تحول الى لفظ أحد الحروف المعتلات الياء والواو والهمزة فمن ثم لم يعدوه في حروف المعجم لان اللسان لا يبتدئ بساكن ولا يقف على متحرك فاذا كانت الكلمة أولها ألف صارت همزة فمن الحروف حرفان تختص بهما العرب دون الخلق وهما الحاء والظاء وزعم آخرون أن الحاء في السريانية والعبرانية والحبشية كثير وأن الظاء وحدها مقصورة على العرب ومنها ستة أحرف للعرب ولقليل من العجم وهي العين والصاد والضاد والقاف والظاء والثاء وما سواها فللخلق كلهم من العرب والعجم الا الهمزة فانها ليست في كلام العجم الا في الابتداء وهذه الحروف تزيد على هذا العدد اذا استعملت فيها حروفا لا تتكلم بها العرب الا ضرورة فاذا اضطروا اليها حولوها عند التكلم بها الى أقرب الحروف من مخارجها فمن تلك الحروف الحرف الذي بين الباء

والفاء

والفاء مثل بوراذا اضطروا اليها قالوا فور ومثل الحرف الذى بين القاف والكاف وبين الجيم والكاف وهى لغة سائرة فى اليمن مثل جمل اذا اضطروا قالوا كمل وأما بنو تميم فانهم يلحقون القاف بالكاف فتغلظ جدا فيقولون الكوم فى موضع القوم فتكون القاف بين الكاف والقاف انتهى كلامه وسترى فى هذا الكتاب ماجاء من ذلك فى أبوابه ان شاء الله واذا تباعدت مخارج الحروف حسن وجه التأليف واذا تقاربت صعب النطق بها لاسيما حروف الحلق لايجىء منها ثلاثة فى كلمة واحدة وسيأتى طرف من هذا ان شاء الله تعالى (وأما أبو القاسم) فقال انها تبلغ خمسة وثلاثين حرفا بحروف مستحسنة نحو النون الخفيفة والالف الممالة وهمزة بين بين وألف التفخيم والصاد التى كالزاى والشين التى كالجيم قال ثم تصير اثنين وأربعين حرفا بحروف غير مستحسنة (قال ابن دريد) وهذه الحروف تسعة أجناس يجمعهن لقبان المصمتة والمذلقة ثم فسر ذلك مع مخارجها على ماسأذكر لك ذلك مفرقا فى باب كل حرف ان شاء الله تعالى ويجمع الحروف المصمتة قولك حثه شخص فسكت وهى عشرة وقيل لها مصمتة أى صمت عنها أن يبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من الحروف المذلقة فى الاكثر والمذلقة مشتقة من ذولق اللسان وهو طرفه ولا تكاد تجد خماسيا ولا رباعيا يخلو من أحدها ولذلك استغربوا لفظة العسجد والزهزقة والعسطوس اذ ليس فيها حرف منها وهى ستة الراء واللام والنون والباء والفاء والميم يجمعها مل بفرن وهذه الحروف ثلاثة منها شفهية وهى الفاء والباء والميم سميت بذلك لحركة الشفتين عند ذكرها وثلاثة ذولقية وهى الراء واللام والنون سميت بذلك لخروجها من طرف أسلة اللسان كما تقدم يقال لسان ذلق طلق وذليق طليق وذلق طلق وذلق طلق أربع لغات وذلق كل شئ حده وكذلك ذولقه تقول ذلق اللسان بالكسر يذلق ذلقا أى ذرب وكذلك السنان تقول ذلق يذلق فهو ذلق وأذلق وهذه الحروف منها عوامل ومنها حروف علة ومنها صحاح وجميعها يذكر و يؤنث مالم تسم حروفا تقول هذه ألف وهذا ألف قال الشاعر فى التذكير

كافا وميمين وسينا طاسما

وقال آخر فى التأنيث

* كما بنيت كاف تلوح وميمها *

وقد ذكرت من ذلك فى هذا الكتاب ماقدر الله لى أن أذكره وعسى الله أن ينفع بالنية فيه *(فصل قد تقدم فضل حروف المعجم)* وأخبرتك ان الله تعالى قد فضل الاشياء بعضها على بعض ورأيت أن الالف أفضل

الحروف ويتلوها فى الفضل الباء لوجوه منها اجماعهم على تقديم الالف فى أبجد وبعدها الباء على مذهب من استعمله وفى ألف با تا ثا ولان أول ما نزل من القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأ باسم ربك فأول اللفظة الالف وان كانت همزة فالالف تحملها وأول كلمة بعد هذه اللفظة باسم ربك فالباء أول هذه الكلمة الاخرى فهى تالية للالف وان أزلت الباء وقلت انها زائدة بقى اسم وأوله الالف والباء هنا لها معنى عظيم أى انك لا تقرؤه بحولك وقوتك ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك مستعينا فهو يعلمك ويحفظك لانه قال قبل ذلك ما أنا بقارئ أى انى أمى ولا أقرأ الكتاب فقيل اقرأ باسم ربك الذى خلقك فينبغى على هذا أن لا يتحرك متحرك الابذكر اسم الله تعالى ألم تسمع قوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام وقال اركبوا فيها باسم الله مجراها ومرساها وينبغى أن يتحفظ فى لفظه فيقول باسم الله ولا يقل على اسم الله فانه قد جاء عن ابن عمر رضى الله عنه أنه كره أن يقول الرجل للقوم قوموا على اسم الله وسمع قائلا يقول فى جنازة ارفعوا على اسم الله فقال ابن عمر ان اسم الله على كل شئ ولكن قولوا ارفعوا باسم الله وروى أن رجلا قال لصاحبه اجلس على اسم الله وذلك بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل اجلس على استك وقع هذا الخبر فى كتاب آداب الاسلام لابن أبى زمنين (قلت) لا أدرى كيف هذا وقد خرج مسلم رحمه الله عن جندب بن سفيان قال شهدت الاضحى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته بالناس نظر الى غنم قد ذبحت فقال من ذبح قبل الصلاة فليذبح شاة مكانها ومن لم يكن ذبح فليذبح على اسم الله فرغ الحديث اللهم الا أن يكون كره للرجل الذى قال لصاحبه اجلس على اسم الله سوء الادب فى لفظه هذا والله أعلم وعند العامة من هذا كثير يرسلون أقوالهم ويسيئون كلامهم الا ترى قول الناس الحمد لله الذى جئت يقولونه لمن قدم عليهم قال بعض العلماء لا ينبغى أن يقال هذا ولكن يقال الحمد لله الذى جاء بك أو الحمد لله اذ جئت (رجع الكلام الى فضل الالف) خرج أبو عمرو المقرى رحمه الله فى المحكم بسنده الى عبد الله بن سعيد قال بلغنا أنه لما عرضت حروف المعجم على الرحمن تبارك اسمه وتعالى جده وهى تسعة وعشرون حرفا تواضع الالف من بينها فشكر الله له تواضعه فجعله قائما أمام كل اسم من أسمائه قال أبو عمرو وقال بعض العلماء انما تقدمت الالف على سائر الحروف لانها صورة الهمزة

المتقدمة فى أوّل الكلام (ويروى عن بكر) بن خنيس ان الله تعالى لما خلق الالف انتصب قائما فلما خلق الباء اضطجعت فقيل للالف لم انتصبت قائما قال أنتظر ما أومر وقيل للباء لما اضطجعت قالت سجدت لربى قال بكر فأيهما أجل الذى فعل ما يؤمر أو الذى انتظر ما يؤمر كأنه فضل الالف على الباء ثم هى مع اللام فى اسم الله وفى أوّل كل اسم من أسمائه التسعة والتسعين اسما ولذلك جاءت فى القرآن فى قوله تعالى هو الاوّل والآخر والظاهر والباطن وفى الحشر هو الرحمن الرحيم هو الله الذى لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الى آخر السورة (وحيثما ذكرت هذه الاسماء)* تذكر بالالف واللام وان لم يكونا من نفس الكلمة وسمعت بعض أشياخى ينكر على من يكتب أو يذكر اسم الله تعالى منكرا وأنكر على من قال أن الا من قوله تعالى لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة هو الله وقال حذار حذار من أن تقول هو اسم الله فتسمى الله باسم لم يسم به نفسه ألا ترى أن جميع أسماء الله تعالى سبحانه معرفة وأن الا نكرة وحاش لله أن يكون اسمه نكرة انما الال ماله حرمة وحق مثل القرابة والرحم والجوار وهو من أللت اذا اجتهدت فى الشئ وحافظت عليه فاذا كان المصدر آلا بالفتح فالال بالكسر الاسم كالذبح من الذبح (قلت) وهذا الذى أنكره هذا الشيخ قد قاله ابن عزيز رحمه الله وذكر أن الال يجىء على خمسة أوجه ذكرها وأوّل ما قال الال الله عز وجل وكذلك فسر أبو عبيد الال انه الله فى قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه حين سمع سجع مسيلمة ان هذا شئ ما جاء عن ال وسيأتى هذا كله فى بابه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وجاءت الالف فى أوّل آمين فمن جعله اسما من أسماء الله تعالى وفى أوّل سورة فى المصحف الحمد لله رب العالمين وجاء فى معنى الحمد لله لا نفسره بغيره لان لفظة الحمد أعم من كل لفظة ترجمت عن الحمد وهو أعم من الشكر فبدأ بالالف فى الحمد لله فى أوائل السور وحيثما وقع فى أوّل آية الكرسى التى هى أعظم آية الله لا اله الا هو الحى القيوم وفى أوّل الصلاة الله اكبر وفى آخرها السلام عليكم وهذا كله راجع الى اسم الله تعالى *(فصل)* تقدم ان الحمد أعم من الشكر وقد قال فى ذلك الامام الحافظ أبو بكر بن العربى رضى الله عنه

مالى بوصف الاله الحق من قبل * جلت معاليه عن قولى وعن عملى

لا حمد الا الذى قد جاء عنه له * فرد عن المثل معلوم على المثل

يا أيها المتعاطى وصفه صلفا * مهلا فقد خلق الانسان من عجل
سلى عن الدين والدنيا أجبك وعن * محامد الله رب الناس لا تسل
هذا النبى وقد أوتى جوامعه * من الكلام بلا عى ولا خطل
قد قال ما أحسن الاخبار عنه ولا * أحصى ثناء عليه آخر الأجل
وأنت ان كنت تبغى وصفه فلقد * ركبت فى الامر ظهر الحادث الجلل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة * فان وجدت لسانا قائلا فقل
ما كلف الله نفسا فوق طاقتها * ولا يقابل حول الله بالحيل

قال الفقيه الاستاذ أبو الحجاج رضى الله عنه قد تقدم ان الحمد أعم من الشكر ولذلك قلته

الحمد أبلغ فى الثنا * من لفظ شكر فاعتبر
بمقالة العلماء فيه * أولى البصائر والبصر
وأنا أقول بقولهم * وأزيد معنى لى حضر
فى لفظ حمد أحرف * مدح والا فاختبر
حمد الذى لك قلته * ليس المعاين كالخبر

قد تقدم الالف فى الدوالر والمر والمص كما تقدم ان الباء تتلو الالف فى الفضل لكونها كما تقدم فى باسم ربك وفى بسم الله الرحمن الرحيم على مذهب من جعلها آية من كل سورة من القرآن فبدأ بها فى المصحف قبل الحمد لله وكونها فى أول كل سورة للفصل وللفضل وقد خرج الدارقطنى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قرأتم الحمد فاقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم انها أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثانى وبسم الله الرحمن الرحيم أحد آياتها وخرج أبو داود عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه بسم الله الرحمن الرحيم وقد جاء فى فضلها ما لا ينبغى لاحد اذا سمعه أن يترك قول ذلك وأذكر منه هنا بعض ذلك لعل أحدا يستعمله فأكون دالا على خير والكريم ذو الجلال لا يضيع الدلال * ذكر النقاش فى كتابه بسنده الى ابن جريج عن عكرمة قال ان الله كان ولا شئ غيره فخلق نورا وخلق من النور القلم واللوح أول كل شئ ثم أمر القلم فجرى على اللوح بما هو كائن الى يوم القيامة فأول ما كتب على اللوح بسم الله الرحمن الرحيم وجعل الله هذه الآية أمانا لخلقه ما داموا على قراءتها وهى قراءة أهل سبع سموات وأهل سرادقات المجد والكروبين والصافين والمسبحين

وأول ما أنزلت على آدم فقال قد أمن ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها ثم
رفعت بعده فأنزلت على ابراهيم الخليل في سورة الحمد فتلاها وهو في كفة المنجنيق
فجعل الله عليه النار برداً وسلاماً ثم رفعت بعده فأنزلت على موسى في الصحف فقهر بها
فرعون وسحرته وهامان وجنوده وقارون وأشياعه ثم رفعت بعده فأنزلت على
سليمان بن داود فعندها قالت الملائكة اليوم والله تم ملكك يا ابن داود فلم يقرأها
سليمان على شيء الا خضع له وأمره الله تعالى يوم أنزلت عليه أن ينادي في أسباط
بني اسرائيل أن من أحب منكم ان يستمع أمان الله فليحضر الى سليمان في محراب داود
فانه يريد أن يقوم خطيباً فلم يبق محبوس حبس نفسه في العبادة ولا سائح الا هرول
اليه حتى اجتمعت الاحبار والعباد والزهاد والاسباط كلها عنده فقام فرقي منبر
الخليل عليه السلام وتلا عليهم آية الأمان بسم الله الرحمن الرحيم فلم يسمعها أحد الا
امتلأ فرحاً وقالوا نشهد انك لرسول الله حقاً فقهر بها سليمان الملوك وبها فتح الله
عز وجل لنبيه عليه السلام مكة ثم رفعت بعد سليمان وأنزلت على المسيح عيسى ابن
مريم ففرح بها واستبشر بها الحواريون فأوحى الله اليه يا ابن العذراء أتدري
أي آية أنزلت عليك آية الامان بسم الله الرحمن الرحيم فأكثر من تلاوتها
في قيامك وقعودك ومضجعك ومجيئك وذهابك وصعودك وهبوطك فانه من وافى يوم
القيامة وفي صحيفته بسم الله الرحمن الرحيم ثمانمائة مرة وكان مؤمناً بي وبرسولي
عتقته من النار وأدخلته الجنة فلتكن في افتتاح قراءتك وصلاتك فانه من جعلها
في افتتاح قراءته وصلاته ومات على ذلك لم يروعه منكر ونكير وأهون عليه
سكرات الموت وضغطة القبر وكانت رحمتي عليه وأفسح له في قبره وأنور له مد بصره
وأخرجه من قبره أبيض الجسم وأنور الوجه يتلألأ نوراً وأحاسبه حساباً يسيراً
وأثقل ميزانه وأعطيه النور التام على الصراط حتى يدخل به الجنة وآمر المنادي
ان ينادي له في عرصات القيامة بالسعادة والمغفرة قال عيسى عليه السلام اللهم يا رب
فهذا لي خاصة قال لك خاصة ولمن اتبعك وأخذ بأخذك وقال بقولك عامة وهو لأحمد
وأمته من بعدك فأخبر عيسى عليه السلام أتباعه بذلك فقال ومبشراً برسول يأتي
من بعدي اسمه أحمد ونعته وفضله كيت وكيت وأخذ ميثاقهم بالايمان به وجدد
ميثاقه حين رفعه الله الى السماء لاصحابه فلما انقرض الحواريون ومن اتبعهم وجاء
الآخرون فضلوا وأضلوا وبدلوا واستبدلوا بالدين دنيا رفعت عندها آية الأمان من

صدور النصارى وبقيت فى صدور مؤمنى أهل الانجيل مثل بحيرا وأمثاله حتى بعث الله النبى محمدا صلى الله عليه وسلم فأنزلت عليه فى سورة النمل بمكة فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تكتب على رأس السور وصدور الدفاتر والرسائل فكان نزول هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم فتحا عظيما وحلف رب العزة بعزته أن لا يسمى بها مؤمن على شئ الا باركت عليه ولا يقرؤها مؤمن الا قالت الجنة لبيك وسعديك اللهم أدخل عبدك هذا فى "بسم الله الرحمن الرحيم فاذا دعت الجنة لعبد فقد استوجب له دخولها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعاء أوله بسم الله الرحمن الرحيم قال وان أمتى يأتون يوم القيامة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم فيثقل حسناتهم فى الميزان فتقول الانبياء لم فيقال لان مبتدأ كلامهم ثلاثة اسماء من أسماء الله الكرام لو وضعت فى كفة الميزان ثم وضعت سيئات الخلق كلهم فى كفة الاخرى لرجحت حسناتهم قال وقد جعل الله هذه الآية شفاء من كل داء وعونا لكل دواء وغنى لكل فقير وسترا من النار وأمنا لهذه الامة من الخسف والمسخ والقذف ما داموا على قراءتها وفى هذا الكتاب من فضائلها اكثر مما ذكرته لكنى اختصرته وفضلها لا شك فيه لكن أين الداعى والمتكلم بها كما يجب لها من حرمة ورعاية كما حدثنى بعض أشياخى عن من كان يكتب بسم الله الرحمن الرحيم فى الصحفة فتنشق ثم يأتى بأخرى فيكتب فتنشق مرارا كان هذا من الذين يتلونه حق تلاوته كما فسره بعضهم ليس بحفظ حروفه بل بحفظ حدوده (وجاء عن عثمان رضى الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بسم الله الرحمن الرحيم فقال هو اسم من أسماء الله وما بينه وبين اسم الله الاكبر الا كما بين سواد العين وبياضها من القرب جعلنا الله ممن وفقه لطاعته وحماه عن معاصيه انه منعم رحيم كريم وهذا الفضل المذكور فى بسم الله الرحمن الرحيم يذكر لمن لا يرى أنها آية من كل سورة من القرآن وقد أجمع العلماء أنها آية منه فى سورة النمل وانما اختلفوا فى كونها آية فى كل سورة أو فى الحمد خاصة فمالك والاوزاعى لا يريانها من القرآن الا فى سورة النمل ولا يقرآن بها فى الفريضة سرا ولا جهرا وهى عند الشافعى وابن حنبل وغيرهم آية من أم القرآن يقرؤنها فى الفريضة جهرا فى صلاة الجهر وسرا فى الاسرار (وذلك يروى عن عمر وعلى وزيد بن ثابت رضى الله عنهم) وكذلك اختلفوا فى التعوذ مع اجماعهم أنه ليس من القرآن ومالك لا يراه فى الصلاة المفروضة والشافعى وأبو

حنيفة

حسنة وغيرهما يتعوذون فى أول ركعة منها ومحمد بن سيرين يتعوذ فى كل ركعة
وكانوا يكتبون أولا باسمك اللهم حتى نزلت بسم الله مجراها ومرساها فكتبوا
بسم الله فلما نزلت قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن كتبوا بسم الله الرحمن فلما أنزلت
فى النمل وانه بسم الله الرحمن الرحيم كتبوها كذلك وكان بعد ذلك جبريل عليه
السلام ينزل ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة ومن بركة هذه الكلمة وفضلها
ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عثرت بك الدابة فلا تقل تعس الشيطان
فانه يتعاظم حتى يصير مثل البيت ويقول بقوتى صنعته ولكن قل بسم الله فانه
يتصاغر حتى يصير مثل الذباب قيل هذا الكلام لا ينبغى أن يترك مع اثباتها فى سواد
المصحف فى أول كل سورة باجماع من الصحابة وحاشاهم أن يثبتوا فى المصحف ما ليس
بقرآن مع ما تقدم فى ذلك من الفضل العظيم والله الموفق (ووقع فى مصنف عبد
الرزاق) السبب الذى منع من الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة وصله — سبب الاسرار بالبسملة
بسنده الى البراء بن عازب رضى الله عنه قال لما ظهر مسيلمة الكذاب باليمامة
ادعى النبوة فقيل له من أنت من الانبياء فقال بسم الله الرحمن الرحيم قيل له فمن يعلم
ذلك قال محمد وأصحابه فانه لا تجوز لهم صلاة حتى يذكروا اسمى فأرسلوا معبد بن
مالك الاشجعى وأمية بن أبى الصلت الثقفى الى المدينة ليقفوا على تحقيق قوله فهبط
جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم فأمره أن يخافت ببسم الله
الرحمن الرحيم فأقام بها ثلاثة أيام فرجعا بتكذيب مسيلمة فأتت الانصار الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله نعود الى ما كنا عليه فهبط جبريل عليه
السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد دم على ما أنت عليه فقد جرت
سنة الله بذلك فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يقرؤها فى نفوسهم ولا
يتركوها نقلته على المعنى من كتاب غير المصنف والحمد لله * وتقدم ذكر أمية بن أبى
الصلت ووقع فى المسعودى أنه أول من أدخل مكة لفظة باسمك اللهم جاء بها من
الشأم فى خبر عجيب علمه اياها شيخ أبيض الرأس واللحية وجده فى كنيسة فى فلاة
من الارض نجا بها وأصحابه من الهلكة وقد كتبت الحكاية بكمالها فى باب الهاء
من هذا الكتاب عند ذكر الهاتفات فانظرها هنالك وهذا الفضل العظيم قد أورده
النقاش رحمه الله فى هذه الكلمة وأورد فى فضل الحمد لله رب العالمين المذكور
فى أم القرآن وفى علمها عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال لى على رضى الله

عنه يا ابن عباس اذا صليت العشاء الآخرة فالحق الى الجبانة قال فصليت ولحقته وكانت ليلة مقمرة قال فقال لى ما تفسير الالف من الحمد قلت لا أعلم فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة قال ثم قال ما تفسير اللام من الحمد قلت لا أعلم فتكلم فيها ساعة تامة ثم قال ما تفسير الحاء من الحمد قال قلت لا أعلم قال فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة ثم قال ما تفسير الميم من الحمد قال قلت لا أعلم قال فتكلم فى تفسيرها ساعة تامة قال فما تفسير الدال من الحمد قال قلت لا أدرى فتكلم فيها الى أن برق عمود الفجر قال وقال لى قم يا ابن عباس الى منزلك فتأهب لفرضك فقمت وقد وعيت ما قال ثم تفكرت فاذا علمى بالقرآن فى علم على كالقرارة فى المثعنجر قال القرارة الغدير الصغير والمثعنجر البحر (وقال ابن عباس) رضى الله عنهما علم رسول الله صلى الله عليه وسلم من علم الله وعلم على رضى الله عنه من علم النبى صلى الله عليه وسلم وعلمى من علم على وما علمى وعلم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فى علم على رضى الله عنه الا كقطرة فى سبعة أبحر فانظر كيف تفاوت الخلق فى العلوم والفهوم ويقال ان عبد الله بن عباس أكثر البكاء على على بن أبى طالب رضى الله عنه حتى ذهب بصره واذ قد وقع ذكر على وابن عباس رضى الله عنهما فلنذكر بعض فضائلهما وانشد أبو الفاخر على الزكى العلى ابن عم النبى ولنثن بالثناء على ابن عباس العدل الرضى ابن عم النبى أيضا (قال أبو الطفيل شهدت عليا يخطب) وهو يقول سلونى فوالله لا تسألونى عن شئ الا خبرتكم به وسلونى عن كتاب الله فوالله ما من آية الا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار أم فى سهل أم فى جبل ولو شئت أوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وسيأتى قول النبى صلى الله عليه وسلم فيه أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه وقول ابن عباس فيه لقد أعطى على تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شاركهم فى العشر العاشر وكان معاوية رحمه الله يكتب فيما ينزل به فيسأل على بن أبى طالب عن ذلك فلما بلغه قتله قال لقد ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبى طالب وكان عمر ابن الخطاب يتعوذ من معضلة ليس لها أبو حسن وسئل عطاء أكان فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أحد أعلم من على قال لا والله ما أعلمه (وفضائله) كثيرة قد جمعها الناس ودونوها وأجمعها لنعته ما وصفه به ضرار الصدائى اذ قال له معاوية صف لى عليا قال اعفنى يا أمير المؤمنين قال لتصفنه قال أما اذ لا بد من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة

ذكر فضل على رضى الله عنه

من

من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها و يأنس بالليل و وحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن كان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبأناه ونحن والله مع تقريبه ايانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له يعظم الدين و يقرب المساكين لا يطمع القوي في باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد بالله لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله قابضا على لحيته يتململ تململ السليم و يبكي بكاء الحزين و يقول يادنيا غري غيري الي تعرضت أم الي تشوقت هيهات قد باينتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك قليل آه من قلة الزاد و بعد السفر و وحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزن من ذبح ولدها في حجرها (وسئل الحسن) بن أبي الحسن عن علي بن أبي طالب فقال كان علي والله سهما صائبا من مرامي الله عز وجل ورباني هذه الأمة وذا فضلها وسابقتها وذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن بالنومة عن أمر الله ولا بالملومة في دين الله ولا بالسروقة لمال الله أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض مونقة ذاك علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأعز من مدحه وأخزى من قدحه تقدم في هذا الخبر قوله يادنيا غري غيري كذلك كان رضي الله عنه لا يستأثر من الفيء بشيء قسم ما في بيت المال بين المسلمين ثم أمر به فكنس ثم صلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة وكان يلبس القميص اذا مد كمه بلغ الى الظفر واذا أرسله بلغ الى نصف الساعد وازاره الى نصف الساق و يكفيه فضلا قول النبي صلى الله عليه وسلم فيه من كنت مولاه فعلي مولاه وقوله عليه الصلاة والسلام لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق وهو أول من صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد خديجة وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل خمس عشرة سنة وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة رضي الله عنه وأرضاه * وأما ابن عباس رضي الله عنه فان طاوسا قال ما رأيت أحدا كان أشد تعظيما للحرمات الله من ابن عباس والله لو أشاء اذا ذكرته أن ابكي لبكيت وعن أبي رجاء قال كان هذا الموضع من ابن عباس مجرى الدموع كأنه الشراك البالي وعن ميمون بن مهران قال شهدت جنازة ابن عباس بالطائف فلما وضع ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى دخل في أكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سوي عليه سمعنا صوتا نسمع صوته ولا نرى شخصه يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية

فضل ابن عباس رضي الله عنه

فادخلي في عبادي وادخلي جنتي (ومن فضائله رضي الله عنه) أنه كان أعلم الصحابة بالتأويل وحق ذلك له فان رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح رأسه ودعا له بالحكمة وقال اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل واجعله اماما تقيا وفي رواية ضمه الى صدره وكل ميسر لما خلق له وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدني مجلسه ويقدمه على من كان أسن منه لاد سنه كان يوم توفي النبي صلى الله عليه وسلم ابن ثلاث عشرة سنة وقيل ابن عشر سنين وكان عمر رضي الله عنه يقول من كان سائلا عن شيء من القرآن فليسأل عبد الله بن عباس وكان اذا أعضل به الامر قال له غص يا غواص أي أثمر رأيك وكان يقول فيه علي بن أبي طالب كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق ومع هذا فلم يغفل نفسه عن الطلب قال والله لربما مررت بالآية من كتاب الله تعالى في جوف الليل فلا أعرف فيمن أنزلت فآخذ ثوبي ثم آتي المسجد وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فأوقظ الرجل منهم فأسأله فيمن نزلت آية كذا وكذا قال لم أجد عند واحد منهم وجدت عند آخر حتى أمر علمهم جميعا وربما غدوت فأبدأ بالمهاجرين فأسألهم فان لم أجد عند واحد منهم أتيت قرى الانصار فتتبعتهم رجلا رجلا حتى أجد حاجتي وكان يقول ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقال سعيد بن جبير كنت عند ابن عباس جالسا اذ أتاه أهل التفسير فسألوه وأتاه أهل القرآن فقرأوا عليه وأخذوا عنه ما يهم بامرابه ثم جاء أهل الحلال والحرام فسألوه ثم جاء أهل العربية والشعر فسألوه فأخبرهم حتى جاء قوم من فارس فسألوه عن رستم واسفنديار فحدثهم بحديثهم فقمت اليه فقبلت رأسه وقلت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما على الارض أعلم منك فتبسم وقال مجاهد كان ابن عباس يسمى البحر لكثرة علمه وقال عطاء ما رأيت بيتا أكثر علما وعملا وخيرا من بيت عبد الله بن عباس رضي الله عنه وفيه يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

اذا قال لم يترك مقالا لقائل * بملتقطات لا ترى بينها فصلا
كفى وشفى ما في الصدور فلم يدع * لذي حجة في القول جدا ولا هزلا

ووجدت شبه هذين البيتين وقبلهما مكتوب لمعاوية

اذا قال لم يترك مقالا ولم يقف * لعي ولم يثن اللسان على هجر
يصرف بالقول اللسان اذا انتحى * وينظر في أعطافه نظر الصقر

كذا وجدته لمعاوية فلا أدري أقيلت في معاوية أو قالها معاوية في ابن عباس وكذا

الحلية

أظنه والله أعلم رضى الله عنهما * وسئل عنه الحسن بن أبى الحسن رضى الله عنهما فقال كان والله سحابا يسيل عذبا بحر بيان يتدفق على لسانه أعذب فى الاسماع من الشهد فى الاحناك وأحسن فى الابصار من الدر فى الاسلاك * سأله رجل ما تقول فيمن طلق امرأته عدد نجوم السماء فقال يكفيه منها كواكب الجوزاء وكان من سجيته أنه ينشد الشعر فيحفظه من سمعة واحدة فيقال له أكنت ترويه فيقول لا وهل أحد يسمع شيئا ولا يحفظه يتعجب ممن سمع ولا يحفظ ما سمع (ومن فضائله رضى الله عنه) ما خرج البخارى رحمه الله بسنده عن ابن عباس قال كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر فكان بعضهم وجد فى نفسه فقال لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله فقال عمر انه من قد علمتم فدعاه ذات يوم فأدخله معهم قال فما رأيت أنه دعانى يومئذ الا ليريهم فقال ما تقولون فى قول الله عز وجل اذا جاء نصر الله والفتح فقال بعضهم أمرنا أن نحمد الله ونستغفره اذا نصرنا وفتح علينا وسكت بعضهم فلم يقل شيئا فقال لى أكذلك تقول يا ابن عباس فقلت لا قال فما تقول قلت هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلمه به فقال اذا جاء نصر الله والفتح وذلك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال عمر ما أعلم منها الا ما تعلم ومن غير البخارى قال يوما وقد سأل ابن عباس عن شئ فأجابه فالتفت الى المهاجرين فقال أعيتمونى ان تأتوا بمثل ما جاء به هذا الغلام الذى لم تجتمع شؤون رأسه وسيأتى تفسير الشؤون ان شاء الله وفى البخارى أيضا عن عبيد بن عمير قال عمر يوما لاصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيم ترون هذه الآية نزلت أيود أحدكم أن تكون له جنة قالوا الله ورسوله أعلم فغضب عمر فقال قولوا نعلم أولا نعلم فقال ابن عباس فى نفسى منها شئ يا أمير المؤمنين قال عمر يا ابن أخى قل ولا تحقرن نفسك وذكر باقى الحديث وفضائله كثيرة رضى الله عنه وكان له ابن اسمه على كان له خمسمائة أصل زيتونة يصلى كل يوم الى كل أصل ركعتين وكان يقال له ذو الثفنات لما كان بوجهه وركبتيه من أثر السجود والثفنات من البعير ما بركبتيه وذراعيه من الاثر من كثرة بروكه على الارض هذا شكر مولاه على ما أولاه وبذلك كان أهل الدين والصون يتواصون ألم تسمع قول الشاعر وقد دخل على بعض الاجواد فى حديقة له فقال له صف هذه الحديقة ولا تعدوا الحقيقة فقال

ترفعت عن ندى الاعماق وانحدرت * عن المعاطش فاستغنت بسقاها

فاهتز بالبقل والريحان أسفلها * واعتم بالنخل والرمان أعلاها
أبا معاوية اشكر فضل واهبها * وكلما جئتها فاعمر مصلاها

وكان أيضا يقال لعبد الله بن وهب الراسبي رئيس الخوارج ذو الثفنات لان طول السجود كان قد أثر في ثفناته كذلك * تقدم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يدني مجلس ابن عباس وهو حديث السن وقد كان يفعل ذلك بغيره وروي عن يوسف بن الماجشون أنه قال لابن شهاب ولابن عمر ولآخر معنا لا تستحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم فان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا أعياه الامر المعضل دعا الاحداث فاستشارهم لحدة عقولهم ذكره القاضي أبو محمد الحسن ابن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي في كتابه المسمى بالفاصل بين الراوي والواعي وهو رواية شيخي أبي الطاهر السلفي رحمه الله عن أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار عن أبي الحسن علي بن أحمد بن علي القالي عن أبي عبد الله محمد بن اسحاق ابن حمدان النهاوندي عن المؤلف وفي هذا الكتاب تفضيل كثير من الصغار وقال أنشدنا أصحابنا البغداديون

ان الحداثة لا تقصر بالفتى المرزوق ذهنا
لكن تذكي قلبه * فيفوق أكبر منه سنا

وذكر عن بعض البصريين قال مر رجل بحماد بن سلمة وحوله صبيان فقال يا أبا سلمة ماهذا قال هؤلاء الذين يحفظون عليك دينك وقيل لابن المبارك وكان يدني الاحداث على الاشياخ قد غلبنا عليك هؤلاء الصبيان فقال هؤلاء أرضى عندي منكم انكم كنتم تعبثون وهؤلاء عسى الله أن يبلغ بهم وكان هشام بن عروة يقول كان أبي يقول أي بني كنا صغار قوم فأصبحنا كبارهم وأنتم اليوم صغار قوم ويوشك أن تكونوا كبارهم ولا خير في كبير لا علم عنده فعليكم بالسنة وقال اسماعيل ابن عياش كان ابن أبي حسين يدنيني منه فقال له أصحاب الحديث نراك تقدم هذا الغلام السلمي وتؤثره علينا فقال اني أؤمله فسألوه يوما عن حديث حدث به عن شهر ابن حوشب اذا جمع الطعام أربعا فقد كمل فذكر الثلاثة ونسي الرابعة فسألني عن ذلك فقال لي كيف حدثتكم فقلت حدثتنا عن شهر أنه قال اذا جمع الطعام أربعا فقد كمل اذا كان أوله حلالا وسمي الله عليه حين يوضع وكثرت عليه الايدي وحمد الله حين يرفع فأقبل على القوم فقال كيف تروني وذكر في الكتاب المذكور بسنده

قال

قال سمعت سفيان بن عيينة يقول كان أبي صيرفيا بالكوفة فركبه الدين فحملنا الى مكة فلما ذهبنا الى المسجد لصلاة الظهر وصرت الى باب المسجد اذا بشيخ على حمار فقال لي ياغلام أمسك على هذا الحمار حتى أدخل المسجد فأركع فقلت ما أنا بفاعل أو تحدثني قال وما تصنع بالحديث واستصغرني فقلت حدثني فقال حدثني جابر بن عبد الله وحدثنا ابن عباس فحدثني بثمانية أحاديث فأمسكت حماره وجعلت أتحفظ ما حدثني به فلما صلى وخرج قال ما نفعك ما حدثتك فحدثني فقلت حدثتني بكذا وحدثتني بكذا فرددت عليه جميع ما حدثني به فقال بارك الله فيك وذلك الشيخ هو عمرو بن دينار * تقدم في أول السند الماجشون وهو لقب لجده وكان من أصبهان انتقل مع طائفة منهم الى المدينة فكان أحدهم اذا لقي صاحبه قال له شون شون ير يديذلك كيف أنت فلقبوا بالماجشون ذكر ذلك الرامهرمزي المذكور وقد زدت على التطويل بهذا القيل لكنه من الخفيف ليس الثقيل وقد آن أن أعود الى الذي وعدت بعد أن بدأت وأعدت وأقول

رجعت الى الذي منه خرجت * ولكن بعد ما نفسي أرحت
وقد أنفقت ما في الكيس حتى * لآخر حبة ثم استرحت
وآخذ بعد في شرح الذي قد * ذكرت كما سواه قد شرحت

الماجشون

(فصل) واسم الله تعالى الذي هو الله مخالف لغيره من الاسماء ألا ترى أنك تقول يا ألله فتهمز الالف ولا تقول يا ألعباس وتدخل عليه حرف النداء فتقول يا ألله ولا تفعل ذلك بغيره وتقول يا أيها الرجل ولا تقول يا أيها الله فمن أجل هذه المخالفة قال جابر بن زيد اسم الله الاعظم هو الله ألا ترى أنه يبتدأ به (ويروى) عن أبي بن كعب أنه قال جميع الاسماء تفيد معنى ربوبية الرب جل وعز قال واسمه الذي هو اسمه الله وقال غيره هو اسم علم وليس بمشتق انما هو اسم خص به نفسه فتركه اسما بكماله لانه يكون نعتا ولا ينزع منه الالف واللام لانه وضع للرب جل جلاله مفرد الاشر يك له فيه فيكون متى سمعه سامع علم أن الله هو المراد به فلذلك لا يكون منه صفة يوصف بها غيره وهو معنى قوله هل تعلم له سميا وقال الخليل لا تطرح الالف واللام من الاسم انما هو على التمام وليس من الاسماء التي يجوز منها اشتقاق فعل كما تقول رحم يرحم (قلت) ومع ذلك فقد تجاسر قوم وطرحوا منه الالف واللام وجعلوه مشتقا من كذا وقالوا فيه كذا وكذا

ما اختصت به الجلالة عن الاسماء

كسائر الاسماء وهم أهل علم وسداد ولكل نية واجتهاد *(فصل)* تقدم ذكر التسعة والتسعين اسما التى لله تعالى ولذلك جاء فى الحديث ان لله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة خرجه الترمذى رحمه الله (قلت) لا تظن أن ليس لله تعالى أسماء غير هذه بل أسماؤه تعالى كثيرة لا نهاية لها كما لا نهاية لذاته ولا لصفاته ولا لافعاله والدليل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام فى دعائه أسألك بكل اسم سميت به نفسك أو أنزلته فى كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك و وقع فى جامع ابن وهب سبحانك لا أحصى أسماءك وخص العدة المذكورة فى الحديث لكونها فى القرآن أو لفضلها على غيرها بمعنى أن الله تعالى يعطى السائل اذا دعاه بهذه الاسماء ما لا يعطيه اذا دعاه بغيرها فتكون الزيادة فى الثواب والنقصان منه راجعا الى الاسماء لان المدعو بها كلها واحد كما قال تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا فله الاسماء الحسنى فله على هذا سبحانه أسماء استأثر بها لم يعلمها غيره * قال بعض العلماء أسماء الله تعالى المعدودة فى الحديث فى قوله عليه السلام ان الله تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة هذا الكلام كله قضية واحدة لا قضيتان وخبران فقوله من أحصاها دخل الجنة بمنزلة قولك ان لزيد ألف درهم أعدها للصدقة لا يقتضى هذا الكلام أنه ليس له دراهم الا هذه الالف بل له دراهم سواها هى لغير الصدقة والله ورسوله أعلم بما أراد من ذلك كله *(فصل)* وقع فى هذا الحديث ذكر الاحصاء قال بعض العلماء يكون الاحصاء بمعنى العد أى يعدها حفظا فيدعو بها ربه كقوله تعالى وأحصى كل شئ عددا و يكون الاحصاء بمعنى الطاقة كقوله تعالى علم أن لن تحصوه أى لن تطيقوه وكما قال النبى صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا و يكون الاحصاء بمعنى حسن المراعاة لاسماء الله تعالى والمحافظة على حدودها فى معاملة الرب سبحانه بها مثل أن يقول الرحمن الرحيم فيخطر على قلبه الرحمة على خلق الله تعالى واذا قال السميع البصير علم أنه لا تخفى على الله تعالى خافية وأنه بمرأى من الله ومسمع فيخافه فى سره واعلانه و يراقبه فى كافة أحواله وجميع أزمانه واذا قال الرزاق اعتقد أنه المتكفل برزقه واذا قال المنتقم استشعر الخوف من نقمته واستجار به من سخطه واذا قال الضار النافع اعتقد أن الضر والنفع من قبل الله سبحانه وكذلك فى سائر الاسماء (و ينبغى أيضا) اذا ذكر

ما اختص الله به من الكبرياء والعظمة والجلال من مثل قوله الجبار المتكبر ذوالجلال والاكرام أن يستشعر فى نفسه الذلة والقلة والخضوع والاحتقار والمسكنة والافتقار فاذا كان بهذه الصفة فقد أحصاها قولا وعملا ان شاء الله تعالى ولا حول ولا قوة الا بالله وكان الداعى ربه باسم من أسمائه على هذه الحالة حبيبه وخليقا أن يجيبه وهذا الغرض قد ورد به الخبر * روى فى بعض الآثار أن الله أوحى الى داود عليه السلام أن تخلق بأخلاقى وان من أخلاقى انى أنا الصبور وفى رواية أخرى ياداود عليك بالصبر تأتك المعونة ان من أسمائى انى أنا الصبور والى هذا المعنى أشار أبو حامد رحمه الله حيث قال اعلم أن من لم يكن له حظ من معانى أسماء الله تعالى الا بأن يسمع لفظا و يفهم فى اللغة تفسيره ووضعه و يعتقد بالقلب وجود معناه لله تعالى فهو مبخوس الحظ نازل الدرجة فان سماع اللفظ لا يستدعى الا سلامة حاسة السمع التى بها تدرك الاصوات وهذه رتبة تشارك البهيمة فيها الاديب وأما فهم وضعه فى اللغة فلا يستدعى الا معرفة العربية وهذه رتبة يشارك فيها الاديب اللغوى بل الغبى البدوى وأما اعتقاد ثبوت معناه لله تعالى من غير كشف فلا يستدعى الا فهم معانى هذه الالفاظ والتصديق بها وهذه رتبة يشارك فيها العامى بل الصبى وحظوظ المقربين فى معانى أسماء الله ثلاثة * الاول معرفة هذه المعانى على سبيل المكاشفة والمشاهدة حتى يتضح لهم حقائقها بالبرهان الذى لا يجوز فيها الخطأ معه وتنكشف لهم أوصاف الله تعالى انكشافا يجرى فى الوضوح والبيان مجرى اليقين الحاصل للانسان بصفاته الباطنة التى يدركها بمشاهدة باطنه لا باحساس ظاهره * الثانى استعظامهم ما ينكشف لهم من صفات الجلال على وجه يبعث من الاستعظام شوقهم الى الاتصاف بما يمكنهم من تلك الصفات ليقربوا بها من الحق قربا بالصفة لا بالمكان * الثالث اكتساب الممكن من تلك الصفات والتخلق بها والتحلى بمحاسنها وذكر ما تقدم والله أعلم بما أراد رسوله من ذلك (تقدم قبل فى الكلام) وهو فى أسماء الله تعالى الضار النافع أعتقد أن الضر والنفع من قبل الله سبحانه فأذكر فى ذلك حديثا عجيبا حدثنيه الفقيه أبو محمد عبد الحق قال حدثنى عبد الرحمن بن محمد الامام حدثنا أبو الحسن محمد بن مرزوق الزعفرانى حدثنا أبو بكر بن ثابت الخطيب باسناده الى ابن عباس رضى الله عنهما قال كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لى ياغلام أو يابنى ألا أعلمك

كلمات ينفعك الله بهن فقلت بلى قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده أمامك تعرف اليه فى الرخاء يعرفك فى الشدة اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله فقد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعا أرادوا أن ينفعوك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه وان أرادوا أن يضروك بشئ لم يقضه الله لك لم يقدروا عليه واعمل لله بالشكر واليقين واعلم أن فى الصبر على ماتكره خيرا كثيرا وان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب وان مع العسر يسرا قرأته عليه ببجاية وقال خرجه ابن ثابت فى كتاب الفصل للوصل وهو حديث صحيح وقد خرجه الترمذى وهذا أتم وقد ذكر أبو حامد رحمه الله فى معنى تسمية الله تعالى نفسه الضار النافع كلاما بديعا قال الضار النافع هو الذى يصدر منه الخير والشر والضر والنفع وكل ذلك منسوب الى الله عز وجل اما بواسطة الملائكة والانس والجمادات أو بغير واسطة فلا تظن أن السم يقتل و يضر بنفسه وان الطعام يشبع و ينفع بنفسه وأن الملك أو الانسان أو الشيطان أو شيئا من المخلوقات من فلك أو كوكب أو غيرها يقدر على خير أو شر أو نفع أو ضر بنفسه بل كل ذلك أسباب مسخرة لا يصدر منها الا ما سخرت له وجملة ذلك بالاضافة الى القدرة الازلية كالقلم بيد الكاتب كما أن السلطان اذا وقع بكرامة أو عقوبة لم ير ضرر ذلك ولا نفعه من القلم بل من الذى القلم مسخر له فكذلك سائر الوسائط والاسباب على أن الجاهل يرى أن القلم مسخر للكاتب والعارف يعرف أنه مسخر فى يد الله تعالى وأنه مهما خلق الكاتب وخلق له القلم وسلط عليه الداعية صدرت حركة الاصابع والقلم لا محالة شاء أو أبى

(فصل) وقد ورد فى اسم الله الاعظم أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال هو فى هاتين الآيتين والهكم اله واحد الآية والله لا اله الا هو الحى القيوم وسمع رجلا يدعو يقول اللهم انى أسألك بأن لك الحمد لا اله الا أنت أنت المنان بديع السموات والارض ذوالجلال والاكرام فقال لقد دعا الله باسمه الاعظم وقال فى حديث الترمذى وقولك الله لا اله الا هو هو الاسم الاعظم لانه لا سمى له وقال بعض العلماء فى التسعة والتسعين اسما انها كلها تابعة للاسم الذى هو الله فهو اسمه الاعظم لانك تقول العزيز اسم من أسماء الله ولا تقول الله اسم من أسماء العزيز وكذلك سائرها وتفخم اللام من هذا الاسم وليس ذلك فى كلام العرب الا مع حروف الاطباق نحو الطلاق فهذا فضل الاسم بقى شرط الداعى به

اسم الله الاعظم

من

من الخشوع وخضوع القلب وأكل الحلال وعمل الصالحات وفي أي شيء يدعو وله أوقات تفضل غيرها منها الدعاء اثر الصلوات المكتوبات وثلث الليل الاخير وعند الاذان وعند الصف في سبيل الله وفي الساعة التي في يوم الجمعة وقد جاء في ذلك كله الحديث من ذلك ماذكره عبد الرزاق ان أبا امامة سأل النبي صلى الله عليه وسلم أي الدعاء أسمع قال شطر الليل الآخر وأدبار الصلوات المكتوبات ويقوى ذلك رجاء الداعي ان الله يستجيب له بكرمه الى غير ذلك ومن شروطه خوف الداعي وهيبة المدعو عنده والتزام حرمته كما روى عن بعض الشيوخ أنه كره أن يقول الداعي يا الله فيناديه باسمه تعالى مفردا ولكن ليقل يا مولاي يا الله أو يارب يا الله أو اللهم ربنا لان الله تعالى قال ادعوا ربكم تضرعا وخفية فيخضع ويتضرع وبناديه من نعوته بما أحب نحو يا أرحم الراحمين ويا أكرم الاكرمين ونحو هذا *(فصل)* وقد اختلف في تسمية الله تعالى بالسيد فكره أكثر العلماء أن يقال في الدعاء ياسيدي وأجازه بعضهم واحتج بحديث ليس اسناده بالقوي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له رجل ياسيدي فقال السيد الله وأما مذهب القاضي في مثل هذا من الاسماء التي يراد بها المدح والتعظيم فذكر الله به جائز مالم يرد نهي عنه أو تجمع الامة على ترك الدعاء به كما أجمعوا على أنه لا يسمى بفقيه ولا عاقل ولا سخي وان كان في ذلك مدح نقلت هذا الفصل من كلام الاستاذ رحمه الله ثم قال متصلا به والذي أقول في السيد أنه اسم يعتبر بالاضافة لانه في أصل الوضع بعض ما أضيف اليه تقول فلان سيد قيس اذا كان واحدا منهم ولا يقال في قيسي انه سيد تميم لانه ليس واحدا منهم فكذلك لا يقال في الله عز وجل هو سيد الناس وسيد الملائكة وانما يقال ربهم فاذا قلت سيد الارباب كما قال كعب ابن زهير في شعره * من نصر ربك سيد الارباب * جاز وقد سمعه النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكره وكذلك اذا قلت سيد الكرماء جاز لان معناه أكرم الكرماء وكذلك سيد الارباب معناه أعظم الارباب ثم يشتق له من اسم الرب فيوصف بالربوبية ولا يوصف بالسودد لانه ليس باسم له على الاطلاق وقد جاء في شعر حسان الذي رثى به النبي صلى الله عليه وسلم * ياذا العلا والسودد * يصف به الرب ولكن لا تقوم به الحجة في اطلاق هذه الاسماء الا أن يسمعها الرسول عليه السلام كما سمع شعر كعب فلم ينكره وانما يوصف الرب على الوجه الذي قدمناه وعلى المعنى الذي

مبحث اطلاق السيد على الله

بناء انتهى كلامه رحمه الله (قلت) قد جاء فى أشعار العرب ماذهب اليه القاضى
رحمه الله من أنه اذا ذكر الله باسم فيه مدح وتعظيم فذلك جائز كما قال أبو النجم
الحمد لله الوهوب المجزل * وقال غيره * ثم الكتاب وربنا المحمود * وان لم يكن
قديما ففى سكوت أهل العلم عنه دليل على جوازه وكيف ما دارت الحال فتعظيم
ذى الجلال من أفضل الخلال ودعاء العبد مولاه القريب المجيب بكرم الله
وفضله لا يخيب لانه لا يخلو من احدى ثلاث كما قال النبى صلى الله عليه وسلم اما
أن يستجاب له واما أن يدخر له واما أن يكفر عنه ولما قال النبى صلى الله عليه وسلم
هذا لاصحابه قالوا اذا نكثر يا رسول الله قال الله أكبر فالحمد لله على ما به أنعم
وقد جاء فى الحض على الدعاء مع البر ما لا ينبغى للعاقل أن يتركه خرج الترمذى عن
أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ليس شئ أكرم على الله من الدعاء
وفى حديث آخر من لم يسأل الله يغضب عليه وفى حديث آخر لا يرد القضاء
الا الدعاء والاصل العمل كما قال أبو ذر رضى الله عنه يكفى من الدعاء مع البر ما يكفى
الطعام من الملح وقال وهب بن منبه مثل الذى يدعو بغير عمل كمثل الذى يرمى
بغير وتر وقيل لانس بن مالك رضى الله عنه يا أبا حمزة ادع الله عز وجل لنا فقال
الدعاء يرفعه العمل الصالح وصدق قال الله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والعمل
الصالح يرفعه ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال ادعوا الله بأعمالكم
وصدق رضى الله عنه انظر الى الثلاثة الذين أووا الى الغار فانحطت على فم غارهم
الصخرة كيف دعوا الله فاستجيب لهم وفى هذا الحديث المقطوع بصحته ما ثبت
كرامة الاولياء واذا كان فى غير هذه الامة فأمة محمد عليه السلام أولى بهذه
الفضيلة مع قوله تعالى كنتم خير أمة أخرجت للناس مع قوله تعالى أمن يجيب
المضطر اذا دعاه جاء فى التفسير المضطر هو الذى يقف بين يدى مولاه فيرفع اليه
يديه بالمسألة فلا يرى بينه وبين الله حسنة يستحق بها شيئا فيقول هب لى يا مولاى بلا
شئ هذا وان كان أصحاب الغار قد كانت لهم أعمال رفيعة أدلوا بها فهذا المضطر
قد أحدث عملا جديدا وهو الافتقار الى الله تعالى وهو من أنفع شئ مع الذلة للعزيز
الجبار وما التوفيق الا من عند الله ولكن لا تغفل عن العمل فترى الامل وكما
روى من استطاع منكم أن تكون له خبيئة من عمل صالح فليفعل ويقال
لا يستجاب دعاء داع حتى يرضى عمله ولا يرضى عمله حتى يطيب مطعمه ولا قوة الا بالله

(وفى الصحيح) فى الرجل يرفع يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام وملبسه حرام فأنى يستجاب له (وقد خرج على) بن معبد فى كتاب الطاعة والمعصية له عن عبدالله بن عمر قال من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفى ثمنه درهم من حرام لم تقبل منه صلاة ما كان عليه قال ثم أدخل اصبعيه فى أذنيه ثم قال صمتا صمتا ان لم أكن سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة أو مرتين أو ثلاثا وخرج أيضا عن خالد بن الحسن قال اذا وضع الرجل مائدته من حرام فقال بسم الله قال الله للملائكة العنوه لعنه الله قالت الملائكة لعنه الله فاذا فرغ قال الحمد لله قال الله للملائكة العنوه لعنه الله قالت الملائكة لعنه الله ويروى عن يوسف بن أسباط رحمه الله قال بلغنا أن دعاء العبد يحبس من السماء بسوء الطعمة وقال عليه السلام ان الرجل ليتناول اللقمة الحرام فيقذفها فى فيه فما تستجاب له دعوة أربعين يوما ومن العون على استجابة الدعاء ترك المعاصى والذنوب أنشدنى الحافظ رحمه الله لبعضهم

نحن نخشى الاله فى كل كرب * ثم ننساه عند كشف الكروب

كيف نرجو استجابة لدعاء * قد سددنا طريقه بالذنوب

مبحث تعظيم أسماء الله تعالى

(فصل) وأسماء الله تعالى كلها عظيمة وان كانت تابعة لهذا الاسم الذى هو الله كما تقدم فحذار حذار أن تحط اسما منها الا بعين التعظيم والوقار والاجلال والاكبار فانها ترجع الى القديم المسمى بها قبل أن يوجد خلقه فى الازل وان اختلفت ألفاظنا بها مع ألفاظ العبرانى والسريانى والعجمى والبربرى وغير ذلك من الالسنة فانها كلها ترجع الى مسمى واحد وهو الله الواحد الاحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (قال بعض العلماء) لا ينبغى أن يدعو الله أحد الا بأسمائه العربية المعلومة ولا يسعه الا أن يعرفها بالعربية ويتلفظ بها كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم فيدعو الله بأسمائه ويسأله حوائجه بلغته وان كان ذلك كله فى الصلاة لم تفسد صلاته بعد أن يأتى بكل مالا تتم الصلاة الا به بالالفاظ العربية وكذلك لا ينبغى أن ينظر الى حرف من جميع الحروف بعين الاحتقار وان كان مفردا بل يرفع من الارض ويعظم كل ما يعطى من معنى أسماء الله تعالى كما تقدم من قول ابن عباس رضى الله عنه فى كهيعص ان الصاد من صادق والعين من عليم وغير ذلك* ولقد شاهدت رجلا من المؤدبين الفضلاء كان له رحمه الله اناء الى جنبه اذا أراد أن يمحو حرفا من حروف ألواح الصبيان أدخل اصبعه فى الماء ومحاه به لئلا

يمحوه بالبزاق وان لم يذكره أهل الصحاح فالأخذ بهذا الأدب حسن وكان هذا المؤدب يجمع ما تناثر من براية الأقلام وكسر القصب فيؤلفها ثم يطرحها اذا اجتمعت في موضع طاهر وربما ألقاها في الماء بحيث لا تداس ولا تمتهن ويقول ان لهذه الاقلام حرمة بما قد كتبت من أسماء الله وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من كتاب فيه اسم الله ملقى في الارض الا بعث الله اليه ملائكة يحفونه بأجنحتهم حتى يبعث الله له وليا من أوليائه يرفعه فاذا رفعه أدخله الله الجنة وخفف عن والديه العذاب وان كانا مشركين (ورأيت في طرة كتاب) وقع من عبد الله بن مروان فلس في بئر قذرة فاكترى عليه بثلاثة عشر دينارا حتى أخرجه فقيل له في ذلك (فقال كان عليه اسم الله تعالى قلت هذا) كان يعرف حرمة اسم الله فينبغي على هذا ان يرفع كل كتاب كائنا ما كان لانه حروف يجتمع منها اسم الله ولكل امرئ ما نوى (وقد تقدم عن ابن عباس رضي الله عنه) انه قال الر وحم ونون فواتح ثلاث سور اذا اجتمعت كانت الرحمن وحروف القرآن من مثل هذه اجتمعت وائتلفت منها الكلمات ومن الكلمات الآي ومن الآي السور فعدد السور مائة سورة وأربع عشرة سورة وعدد آياته ستة آلاف ومائتان وستة وثلاثون وعدد كلماته سبعة وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وأربع وعشرون كلمة وعدد حروفه ثلثمائة ألف حرف وأحد وعشرون ألف حرف ومائتان وخمسون حرفا فيما يذكر يعطى لكل قارئ بكل حرف منه حسنة كما خرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ حرفا من كتاب الله تعالى فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف وعلى هذا الترتيب عند أحمد بن حنبل من حلف بالقرآن فحنث وجبت عليه كفارة بكل حرف فيه وخالفه في ذلك مالك وغيره فأوجبوا عليه كفارة واحدة في جميعه وأهل هذه المقالة يقولون ان حلف بحرف واحد منه فحنث فعليه كفارة كما لو حلف بجميعه (ووقع في كتاب الاعراب) ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من حلف بسورة من القرآن فعليه بكل آية منها يمين صبر ان شاء بر وان شاء فجر وبه يقول الحسن وأحمد وزاد في موضع آخر وابن مسعود نقلته من الاحكام الشرعية وحيث وقع لفظ جميعه أو بعضه أو جزء منه انما يرجع الى مادونه من عملنا وكسبنا من نسخه أو قراءته أو كتابتنا اياه بأيدينا في الصحف بالمداد وبالحروف وهو الذي يباع ويشترى

وأما كلام الله تعالى وحقيقته فصفة من صفاته القديمة كقدرته وإرادته وعلمه لا يقبل التبعيض ولا التفريق ولا الانتقال الا من جهة الذكر منا والانزال علينا وعلمنا بذلك مع الاعتقاد أنه متلو بألسنتنا مذكور بأفواهنا محفوظ في قلوبنا مكتوب في مصاحفنا كما أنا نذكر الله بذلك وهو مع ذلك غير حال في شيء من ذلك ولا منتقل اليه وكما يكتب الموثق في الوثيقة الدار ويحددها ويذكر قبضها وحلول المشترى فيها محل البائع ونزوله فيها منزلته وهو لم يحل فيها ولا انتقلت الدار الى الوثيقة ولا زالت عن موضعها ولله المثل الأعلى ومعنى أنزله بعثه أي أفهم جبريل عليه السلام كلامه وجبريل في علو وعلمه قراءته ثم أداه جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو في سفل فكان ذلك معنى نزول الكلام لا أن الكلام يزول أو ينتقل أو يتحول لأنه صفة من صفاته تعالى كقدرته وعلمه وإرادته كما تقدم سبحانه وما جاء من ذكر التفضيل في السور والآي بعضها على بعض على مذهب من رآه فان ذلك راجع الى التلاوة المخلوقة في ألسنتنا والحروف المؤلفة الخارجة من مخارجها في أفواهنا المحدثة الكائن من جملتها كلامنا الذي هو عمل من أعمالنا يعطي الله العبد اذا وفقه لذكر من الاذكار ثوابا لا يعطيه مثله الا على ذلك الذكر بعينه الذي ربما يخلق في العبد عنده ما لم يخلقه عند ذكر غيره من خشوع أو رقة أو حدث ما لم يكن قبل ذلك فيه وقد تعرف ذلك بالذوق من نفسك اذا تلوت مثل أول الحديد أو آخر الحشر أو مثل آية الكرسي أو آخر البقرة أو آخر آل عمران وقل هو الله أحد وربما وجدت من نفسك ما لا تجده اذا قرأت تبت يدي أبي لهب وقصة امرأة العزيز وحديث ذي القرنين وقصة أصحاب الكهف وان كان كل كلام الله صفة واحدة من صفاته القديمة لا يقبل التفضيل والاختلاف الا من جهتنا المخلوقة وكلامنا المحدث كما تقدم وكما أنك اذا خفت أسرعت الى قراءة مثل يس وفيها وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا واذا وجع منك عضو قرأت وله ما سكن في الليل والنهار ومثل الرقى بقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس ومثل ما قرأ السائب على اللديغ بفاتحة الكتاب مع قول النبي صلى الله عليه وسلم له وما يدريك انها رقية مع قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين مع اعتقادك أنه كله شفاء وبركة ونافع من كل ضر ولكن النفس تسرع الى ذكر هذه الآيات التي فيها معنى من الغرض الذي قصدت اليه واستشعرته فيه حتى لو قرأ عليك قارئ

و نت مريض كل نفس ذائقة الموت وكل من عليها فان لوجدت من نفسك فرقا بين ذلك وبين من يقرأ عليك فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وسيكفيكهم الله وهو السميع العليم وكذلك لو فتحت المصحف فنظرت فيه على جهة الفأل فخرج لك من الآيات ما فيه استبشار لسر لذلك وضده بضده وكذلك اذا أخذت في عمل من أعمال البر مثل التلبس بالوضوء أو الطهارة للصلاة مثلا وجدت في نفسك نشاطا أحدثه الله فيك لا تجده قبل ذلك نعم و بعد الفراغ من العمل تستشعر نفسك الثواب عليه بفضل الله فتفرح عند ذلك فرحا لم يكن قبل وترجو ممن أعانك على تلك الطاعة وقواك عليها وألهمك اياها مالم تكن ترجو قبل ذلك كما يروى أن رجلا قام من الليل للصلاة فلما توضأ أصابه البرد فتألم لذلك فطفق يبكي فسمع هاتفا يقول لما أقمناك لخدمتنا وأنمنا غيرك كان جزاؤنا منك أن تبكي علينا ففرح عند ذلك و زاد في نشاطه وحق له فهذه درجة رفيعة وكذلك فضل الله تعالى الصلاة بعضها على بعض وفضل فرائضها على النوافل منها وكل طاعة له يراد بها القربة من رحمته وكذلك جميع العبادات والقرب وجعل أم القرآن لا تجزئ صلاة بدونها وهو مع ذلك غنى عن جميع أعمال خلقه غير محتاج الى شئ من ذلك سبحانه هو الغنى الحميد ألا ترى قوله صلى الله عليه وسلم لأبي أى آية معك في كتاب الله أعظم (فقال) الله لا اله الا هو الحى القيوم فقال ليهنك العلم يا أبا المنذر فانظر قوله أولا معك بمعنى عندك وفي نفسك وفيما خلق الله فيك من العلم بموقعها من قلبك و رفقتك عند قراءتك اياها و بما أحدثه لك من الفهم بثواب ما يعطيك على تعظيم المذكور فيها لا أنها عند الله أعظم من غيرها وكله كلام الله والله أعلم بما أراد رسوله من ذلك وقال المازرى في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن كلاما قريبا من هذا المعنى (قال) رحمه الله يقال معنى ذلك ان الله تعالى يتفضل بتضعيف الثواب لقارئها و يكون منتهى التضعيف الى مقدار ثلث ما يستحق من الاجر على قراءة القرآن من غير تضعيف أجر (وقال) معنى ذلك ان القرآن على ثلاثة أنحاء قصص وأحكام وأوصاف الله تعالى وقل هو الله أحد تشتمل على ذكر الصفات فقط فكانت ثلثا من هذه الجهة وربما أسعد هذا التأويل الحديث الذى ذكر ان الله جزأ القرآن على ثلاثة أجزاء فجعل قل هو الله أحد جزأ منها أو كما قال وقال الربيع بن خيثم سورة يراها الناس قصيرة وأنا

أراها طويلة عظيمة لله تعالى بحتا ليس لها خلط فأيكم قرأها فلا يجمعن الهها شيئا استقلالا لها وليعلم أنها تجزئه يعني سورة الاخلاص ولما كانت قل هو الله أحد صفة الرب تبارك وتعالى جعل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يلهج بقراءتها وكان امام قومه فكان يقرأ بها في كل ركعة مع السورة وذلك في مسجد قباء فقال له أصحابه انك لتفتتح بهذه السورة ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بأخرى فاما أن تقرأ بها واما أن تدعها وتقرأ بأخرى فقال ما أنا بتاركها ان أحببتم أن أؤمكم بذلك فعلت وان كرهتم تركتكم فأخبروا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اني أحبها فقال حبك اياها أدخلك الجنة خرجه البخاري أطول من هذا وانظر حديث الرجل الآخر الذي كان يرددها فقال النبي صلى الله عليه وسلم وجبت يعني الجنة وبلال رضي الله عنه سمعه النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من سورة وأخرى من أخرى فسأله فقال أخلط الطيب بالطيب والكل عنده طيب لا محالة ولكن يخلق الله في العبد عندذكر شيء مالا يخلقه عند غيره ألا ترى أنه يخلق فيك من السرور به اذا أعطاك وأنعم عليك مالا يخلقه اذا منعك وأصابك بمصيبة مع اعتقادك أنه نظر منه لك اذ لا يمنع من بخل ولا عدم بل يأخذ ليعطي ويبلي ليجزي كما ورد في الحديث ولكن النفس أمارة بالسوء تحب المسار وتكره المضار وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ولكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم (قال الاستاذ) رحمه الله عندذكر حديث أبي رضي الله عنه ومحال أن يريد بقوله أعظم معنى عظيم لان القرآن كله عظيم فكيف يقول له أي آية في القرآن عظيمة وكل آية فيه عظيمة كذلك وانما سأله عن الاعظم منه والافضل في ثواب التلاوة وقرب الاجابة وفي الحديث دليل أيضا على ثبوت الاسم الاعظم وان لله اسما هو أعظم أسمائه ومحال أن يخلوا القرآن عن ذلك الاسم والله تعالى يقول ما فرطنا في الكتاب من شيء فهو في القرآن لا محالة وما كان الله ليحرمه محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته وقد فضله على الانبياء وفضلهم على الامم (فان قلت) فأين هو في القرآن فقد قيل انه أخفي فيه كما أخفيت الساعة في يوم الجمعة وليلة القدر في رمضان ليجتهد الناس ولا يتكلوا وفي قوله عليه السلام لأبي أي آية معك في كتاب الله أعظم ولم يقل أفضل اشارة الى الاسم الاعظم أنه فيها اذلا يتصور

أن تكون هي أعظم آية و يكون الاسم الاعظم في أخرى بل انما صارت أعظم
الآيات لان الاسم الاعظم فيها ألا ترى كيف هنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا
بما أعطاه الله من العلم وما هناه الا بعظيم بأن عرف الاسم الاعظم والآية العظمى
التى كانت الامم قبلنا لا يعلمه منهم الا الافراد مثل عبد الله بن التامر وآصف بن
برخيا صاحب سليمان عليه السلام و بلعوم قبل أن يتبعه الشيطان فكان من
الغاوين وكان هذا الاسم عندهم مصونا غير مبتذل معظما لا يمسه الا المطهرون
ولا يلفظ به الا الطاهر و يكون الذى يعرفه عاملا بمقتضاه متولها بحبه قد امتلأ قلبه
بعظمة المسمى به لا يلتفت الى غيره ولا يخاف سواه فلما ابتذل وتكلم به في معرض
البطالات والهزل ولم يعمل بمقتضاه ذهبت من القلوب هيبته فلم يكن فيه من
سرعة الاجابة وتعجيل قضاء الحاجة للداعى ما كان قبل ألا ترى الى قول أيوب
عليه السلام في بلائه قد كنت أمر بالرجلين يتراعمان فيذكران الله يعنى
في تراعمهما أى تخاصمهما فأرجع الى بيتى فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله
الا في حق (وفي الحديث) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كرهت أن أذكر الله
الا على طهر فقد لاح تعظيم الانبياء له وقد ذهبت طائفة الى ترك التفضيل بين
أسماء الله تعالى وقالوا لا يجوز أن يكون اسم من أسماء الله أعظم من الاسم الآخر
وقالوا اذا مر في خبر أو أثر ذكر الاسم الاعظم فمعناه العظيم كما قالوا في أكبر من
قولك الله أكبر انه بمعنى كبير وان لم يكن قول سيبويه وفي أهون من قوله تعالى
وهو أهون عليه انه بمعنى هين واستشهدوا على ذلك بقولهم انى لاوجل أى وجل
ونسب أبو الحسن بن بطال هذا القول الى جماعة منهم ابن أبى زيد والقابسى
وغيرهما * ومما احتجوا به أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ليحرم العلم
بهذا الاسم وقد علمه من هو دونه ومن ليس بنبى ولم يكن ليدعو حين اجتهد
في الدعاء لامته أن لا يجعل بأسهم بينهم وهو رؤف بهم عزيز عليه عنتهم الا بالاسم
الاعظم ليستجاب لهم فلما منع ذلك علمنا أنه ليس اسم من أسماء الله تعالى الا وهو
كسائر الاسماء في الحكم والفضيلة يستجيب الله له اذا دعى ببعضها اذا شاء ويمنع
اذا شاء وكذلك ذهبوا الى أنه ليس شئ من كلام الله تعالى أفضل من شئ لانه كلام
واحد من رب واحد (قال الاستاذ) رحمه الله ولا يستحيل أن يفضل الله سبحانه
عملا من البر على عمل وكلمة من الذكر على كلمة فان التفضيل راجع الى زيادة الثواب

ونقصانه

ونقصانه وقد فضلت الفرائض على النوافل باجماع وقد فضلت الصلاة والجهاد على كثير من الاعمال والدعاء والذكر عمل من الاعمال فلا يبعد أن يكون بعضه أقرب الى الاجابة من بعض وأجزل ثوابا فى الآخرة من بعض والاسماء عبارات عن المسمى وهى من كلام الله سبحانه القديم ولا نقول فى كلام الله تعالى هو هو ولا غيره كذلك لا نقول فى أسمائه التى تضمنها كلامه انها هو ولا هى غيره فان تكلمنا نحن بألسنتنا المخلوقة وألفاظنا المحدثة فكلامنا عمل من أعمالنا والله تعالى يقول والله خلقكم وما تعملون وقبحا للمعتزلة فانهم زعموا ان كلامه سبحانه مخلوق فأسماؤه على أصلهم الفاسد محدثة غير المسمى بها وسووا بين كلام الخالق تعالى وكلام المخلوق فى الغيرية والحدوث واذا ثبت هذا وصح جواز التفضيل بين الاسماء اذا دعونا بها فكذلك القول فى تفضيل السور والآى بعضها على بعض فان ذلك راجع الى التلاوة التى هى عملنا لا الى المتلو الذى هو كلام ربنا وصفة من صفاته القديمة سبحانه (وأما استشهادهم) فى أكبر أنه بمعنى كبير وفى أهون بمعنى هين فليس بمذهب سيبويه ولا عليه حذاق النحاة (وأما دعاؤه عليه الصلاة والسلام) فى أمته ان لا يجعل بأسهم بينهم فنعها فقد أعطى عوضا من ذلك وهى الشفاعة لهم فى الآخرة وقد قال أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها فى الآخرة عذاب عذابها فى الدنيا الزلازل والفتن خرجه أبو داود فاذا كانت الفتن سببا لصرف عذاب الآخرة عن الامة فما خاب دعاؤه لهم على انى تأملت هذا الحديث وتأملت حديثه الآخر حين نزلت قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم فقال أعوذ بوجهك فلما سمع أو من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك فلما سمع و يذيق بعضكم بأس بعض قال هذه أهون فمن ههنا والله أعلم أعيذت أمته من الاولى والثانية ومنع الثالثة حين سألها بعد ونزول هذه الآية كان قبل دعائه لان سورة الانعام مكية بلا خلاف ودعاؤه عليه السلام كان بالمدينة فى مسجد بنى معاوية والحمد لله انتهى كلامه رضى الله عنه *(فصل)* فى ذكر سور من القرآن سمى فضلها وكما فاضل جاء فى الحديث أفضل عبادة أمتى قراءة القرآن تقدم طرف من القول فى بسم الله الرحمن الرحيم وجاء فى الحمد لله رب العالمين انها السبع المثانى والقرآن العظيم وما أنزل فى التوراة ولا فى الانجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها وجاء أيضا عنه عليه السلام من قرأ فاتحة الكتاب فكأنما قرأ

التوراة والانجيل والزبور والفرقان وقال للرجل الذى رقى بها اللديغ فبرأ وما يدريك انها رقية كما تقدم وجاء عن ابن عباس رضى الله عنه أم الكتاب تعدل ثلثى القرآن ذكره القضاعى فى كتاب الاعداد وجاء فى السبع الطوال وهى البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والانعام والاعراف ويونس ان النبى عليه الصلاة والسلام قال أعطيت السبع مكان التوراة وأعطيت المبين مكان الانجيل وأعطيت المثانى مكان الزبور وفضلت بالمفصل وأول المفصل من الاحقاف وقيل من قاف وكان الصحابة رضوان الله عليهم قد حزبوا القرآن سبعة أحزاب عدد أيام الجمعة الحزب الاول ثلاث سور والثانى خمس سور والثالث سبع سور والرابع تسع والخامس احدى عشرة والسادس ثلاث عشرة والسابع المفصل من قاف والمفصل يقال له المحكم ووقع فى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنه جمعت المحكم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له وما المحكم قال المفصل كذا كان قيل ان تحدث فيهم هذه الاخماس والاعشار والاجزاء يقال ان الحجاج جمع قراء البصرة والكوفة على ذلك منهم عاصم الجحدرى ومطر الوراق وغيرهم وكان الحسن وابن سيرين ينكران ذلك وقد تقدم طرف من هذا وكان بعضهم لا يقف على الاحزاب التى أحدثها الحجاج بل يتعداها ويخالفها بزيادة أو نقصان أو بتمام السورة وتقدم الكلام فى آية الكرسى (وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه) ما أرى رجلا ولد فى الاسلام أو أدرك عقله الاسلام يبيت أبدا حتى يقرأ هذه الآية الله لا اله الا هو الحى القيوم الآية ولو تعلمون ماهى انما أعطيها نبيكم صلى الله عليه وسلم من كنز تحت العرش ولم يعطها أحد قبل نبيكم عليه الصلاة والسلام وما بت ليلة قط حتى قرأتها ثلاث مرات أقرؤها فى الركعتين بعد العشاء الآخرة وفى الوتر وحين آخذ مضجعى من فراشى وكذلك جاء فى الآيات من آخر سورة البقرة انهن لمن كنز تحت العرش وقال عليه السلام ان الله ختم البقرة بآيتين أعطانيهما من كنزه الذى تحت العرش فتعلموهما وعلموهما نساءكم وابناءكم فانهما صلاة وقرآن ودعاء ولقن جبريل عليه السلام النبى صلى الله عليه وسلم عند خاتمة القرآن أو قال خاتمة البقرة آمين وقد جاء عن جماعة من الصحابة والتابعين انهم كانوا يقولون عند خاتمة البقرة آمين وقال فيهما النبى عليه السلام من قرأهما فى ليلة كفتاه وجاء فى البقرة وآل عمران ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اقرؤا الزهراوين

الغيابة كل شئ أظل الانسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها كذا فى النهاية

سورة البقرة وسورة آل عمران فانهما يأتيان يوم القيامة كانهما غيايتان أوقال غمامتان أوقال كانهما فرقان من طير صواف يحاجان عن صاحبهما (وجاء فى المائدة) انها نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حجة الوداع فيما بين مكة والمدينة وهو على ناقته فانصدعت كتفها فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى من آخر ما نزل وليس فيها ناسخ ولا منسوخ هذا من ثقل الوحى كيف لا والله تعالى يقول انا سنلقى عليك قولا ثقيلا وكذلك قال زيد بن ثابت رضى الله عنه نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وركبته على فخذى فثقلت على حتى خشيت أن ترض فخذى أو كما قال وأبو بكر رضى الله عنه يقول ان الحق ثقيل وهو على ثقله مرىء ومن اسماء القرآن الحق (وقال قتادة) فى قوله تعالى قولا ثقيلا يعنى فرائضه وحدوده والعمل به وجاء فى الانعام عن ابن عباس انها نزلت بمكة ليلا جملة ونزل معها سبعون ألف ملك لهم زجل حولها بالتسبيح وجاء فى براءة عن أبى عطية قال كتب الينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن تعلموا سورة التوبة وعلموا نساءكم سورة النور (وجاء فى هود) من قوله عليه السلام شيبتنى هود واخواتها أو فى آخر واذا الشمس كورت وانشدنى شيخى أبو محمد عبد الحق رحمه الله من قطعة مطولة لنفسه

بالذى فى النجم ظاهرة * وبما فى هود والزمر

وقبله بين نظم الآى والسور * خبر أربى على الخبر

(فقلت له) وما فى النجم قال وان ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى (قلت وما فى هود) قال فنهم شقى وسعيد (قلت وما فى الزمر) قال وسيق الذين الآية انظر القطعة بكمالها فى التكميل بحول الله تعالى (وجاء فى سورة الكهف) عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين البيت العتيق وعن النبى صلى الله عليه وسلم من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره ومن حفظ خواتم سورة الكهف كانت له نورا يوم القيامة (وجاء فى طه ويس عن شهر بن حوشب) قال يرفع القرآن عن أهل الجنة الا طه ويس وجاء فى الشهاب وفى البزار أيضا قلب القرآن يس (وخرج أبو نعيم) الحافظ فى كتاب الحلية عن الحسن عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ يس فى ليلة التماس وجه الله

غفرله وفى النسائى يس قلب القرآن لا يقرؤها رجل يريد الله واليوم الآخر الا غفرله فاقرؤها على موتاكم (وخرج الترمذى عن أنس بن مالك قال قال النبى) صلى الله عليه وسلم ان لكل شئ قلبا وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات (وجاء فى سورة الحج) عن النبى عليه الصلاة والسلام فضلت سورة الحج على غيرها بسجدتين (وجاء فى سورة النور) من قول عمر علموها نساءكم وقد تقدم وقرأها ابن عباس رضى الله عنه وجعل يفسرها فقال رجل لو سمعت الديلم هذا لأسلمت (وجاء فى السجدة وتبارك الذى بيده الملك عن ابن عمر رضى الله عنه قال) فيهما فضل ستين درجة على غيرهما وجاء هذا عن النبى عليه السلام قال فضلهما على كل سورة فى القرآن بستين درجة وجاء عنه عليه السلام تجىء ألم تنزيل السجدة يوم القيامة لها جناحان تظل صاحبها تقول لا سبيل عليك لا سبيل عليك وجاء فى ص كان ابن المسيب رضى الله عنه لا يدع قراءة ص كل ليلة فسئل عن ذلك فقال مامن عبد قرأها الا اهتزلها العرش وزاد فى رواية انه سئل عن ذلك فقال أخبرت ان رجلا من الانصار صلى الى شجرة فقرأ بص فلما مر بالسجدة سجد وسجدت الشجرة معه فسمعها تقول اللهم أعطنى بهذه السجدة أجرا وضع عنى بها وزرا وارزقنى بها شكرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود وجاء فى آل حم عن ابن عباس رضى الله عنهما) ان لكل شئ لبابا وان لباب القرآن آل حم أو قال الحواميم (وقال عبد الله) آل حاميم ديباج القرآن وجاء فى الواقعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة (فائدة) وهذا الحديث قرأته على الحافظ رحمه الله بالاسكندرية بسنده قال مرض عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فعاده عثمان بن عفان رضى الله عنهما فقال له ما تشتكى قال ذنوبى قال فما تشتهى قال رحمة ربى قال ألا آمرلك بطبيب قال الطبيب أمرضنى قال ألا آمرلك بعطاء قال لا حاجة لى فيه قال يكون لبناتك قال لا تخش على بناتى الفقر انى أمرت بناتى يقرأن كل ليلة سورة الواقعة وانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة لم تصبه فاقة أبدا (وقال مسروق) من سره ان يعلم علم الاولين والآخرين وعلم الدنيا والآخرة فليقرأ سورة الواقعة وجاء فى المسبحات كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ المسبحات ويقول ان فيها آية كألف آية وكان يحب سبح اسم ربك الاعلى وجاء فى فضل تبارك

ماتقدم (وجاء عن النبي) صلى الله عليه وسلم ان سورة من القرآن ثلاثين آية شفعت لرجل حتى غفر له وهي تبارك الذي بيده الملك (وجاء في اذا زلزلت انها تعدل نصف القرآن) وقل يا أيها الكافرون ربع القرآن واذا جاء نصر الله ربع القرآن وقد تقدم قل هو الله أحد ثلث القرآن وجاء في المعوذتين عن النبي عليه السلام نزلت على آيات لم ينزل على مثلهن قط المعوذتان وفي لفظ آخر وقرأته على شيخي الحافظ بالاسكندرية بالسند الصحيح المتصل الى عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزل على آيات لم ير مثلهن قل أعوذ برب الفلق الى آخر السورة وقل أعوذ برب الناس الى آخر السورة (وعنه قال قلت) يا رسول الله أقرأ من سورة يس أو من سورة هود فقال يا عقبة اقرأ قل أعوذ برب الفلق فانك لن تقرأ سورة أحب الى الله عز وجل وأبلغ عنده منها فان استطعت ان لا تفوتك فافعل وخرج أبو داود عن عقبة بن عامر بينا أنا أسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الجحفة والابواء اذ غشيتنا ريح شديدة وظلمة شديدة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ بقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس و يقول ياعقبة تعوذ بهما فما تعوذ متعوذ بمثلهما قال وسمعته يؤمنا بهما في الصلاة (وجاء عن ابن شهاب) من قرأ قل هو الله أحد والمعوذتين بعد صلاة الجمعة حين يسلم الامام قبل ان يتكلم سبعا سبعا كان ضامنا قال أبو عبيد أراه قال على الله هو وماله و ولده من الجمعة الى الجمعة (وجاء من شهد فتح القرآن) فكأنما شهد فتحا في سبيل الله ومن شهد ختمة القرآن فكأنما شهد غنيمة تقسم في سبيل الله ويكفي حامل القرآن انه من أهل الله وخاصته وخرج البزار عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله أهلين من الناس قيل يا رسول الله من هم قال هم أهل القرآن هم أهل الله وخاصته وقد تقدم انه يعطى لقارئه بكل حرف فيه عشر حسنات ورأيت في بعض الكتب الصحاح ان ذلك في غير الصلاة وأما في الصلاة فان كان قاعدا فخمسون حسنة وان كان قائما فمائة حسنة ومن قرأ ختمه كانت له دعوة عند الله مستجابة معجلة أو مؤخرة وختمة كل أحد من حيث علمه (ومما قرأته على الحافظ بسنده الى ابن عمر رضي الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاعمال أفضل عند الله قال قراءة القرآن في الصلاة ثم قراءة القرآن في غير صلاة فان الصلاة أفضل عند الله وأحبها اليه وتمام الحديث والدعاء والاستغفار فان الدعاء

هو العبادة وان الله يحب الملح فى الدعاء ثم الصدقة فانها تطفئ غضب الرب ثم الصيام فان الله تعالى يقول الصوم لى وأنا أجزى به والصيام جنة للعبد من النار (وأما صفة القارئ فقد) قال ابن مسعود رضى الله عنه ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله اذ الناس نائمون و بنهاره اذ الناس مفطرون وبحزنه اذا الناس يفرحون وبخشوعه اذ الناس يختالون ولا ينبغى لحامل القرآن أن يكون جافيا ولا غافلا ولا صخابا ولا صياحا ولا حديدا ويكون باكيا محزونا حليما مسكينا نقلت أكثر هذا الذى تقدم من كتاب فضائل القرآن لابى عبيد رحمه الله الا يسيرا من غيره هذا كله لتعلم ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ومن أراد الله أن يوفقه ألهمه للاعمال الصالحة فى الاوقات الفاضلة فذلك يزكى عمله فيرى أمله وماجاء فى هذه السور من انها تجئ يوم القيامة كذا وتجادل عن كذا انما هو ثواب ذلك المتلو وجزاء ذلك العمل كذا أوّله العلماء رضى الله عنهم والحمد لله على نعمه وقد طال الكلام فى هذا الفصل ولكنه نعم الاصل يؤدى الى منال من الله وفضل ونوال وبذل

خرجت من خبر لا مثله خبر * افرط حتى لم أقدر لاتركه
لاشئ أوسع من باب العلوم فما * شبهته مثلا الا كما الشبكه
تجرّ منا تجرّ العين أربعة * كذاك حتى تعم الكل بالحركه
وبالشباك يصاد الوحش فى جبل * والطير فى الجوّ والحيتان فى البركه
كذاك بالعلم يدرى من أحاط به * من سدرة المنتهى حتى الى السمكه
وفوق ذلك ما ان ينتهى أحد * له و يعلمه المولى بلا شركه
لكن لذا العلم شرط أن تكون بما * علمته عاملا فاعمل على البركه
فى سنة مع اخلاص يتم به * ان لم يكن هكذا أدى الى الهلكه

تقدم فى هذه الابيات سدرة المنتهى وقع فى مسند الحارث لوغطيت بورقة من ورقها هذه الامة لغطتهم (وقال) ابن عباس سألت كعبا عن سدرة المنتهى فقال ينتهى اليها بأرواح المؤمنين اذا ماتوا الاحياء وزهار وح مؤمن فاذا قبض المؤمن تبعه مقربو أهل السموات حتى ينتهى به الى السدرة فيوضع ثم تصف الملائكة المقربون فيصلون عليه كما تصلون على موتاكم أنتم ههنا (وفى حديث الاسراء) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رفعت لنا سدرة المنتهى فاذا ورقها مثل آذان الفيلة واذا نبقها مثل قلال هجر واذا أربعة أنهار تخرج من أصلها نهران باطنان

ونهران ظاهران (قلت) ياجبريل ماهذه الانهار قال أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات وقوله تعالى اذ يغشى السدرة مايغشى قال غشيها فراش من ذهب ذكره هذا ابن سلام ووقع في مسلم فلما غشيها من أمر الله ماغشى تغيرت فما أحد من خلق الله تعالى يستطيع أن ينعتها من حسنها (وسيأتى في باب النون ذكر الأنهار وانها خمسة وذكر في حديث آخر أنها في السماء السابعة وقال في حديث آخر انها في السماء السادسة اليها ينتهى مايعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهى مايهبط به من فوقها فيقبض منها وذكر أنه رأى في السماء السابعة ابراهيم صلى الله عليه وسلم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لايعودون اليه وفي آخر ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الاقلام وذكر أنه رأى آدم عليه السلام في سماء الدنيا قال بعض العلماء حكمة ذلك لانه أبو البشر واذا مات أحد من ولده لابد أن يعرج بروحه حتى يراهم أبوهم وروح الكافر لا تفتح له أبواب السماء كما في القرآن فكان في السماء الدنيا لذلك حتى يرى الكافر والمؤمن فيعرج بالمؤمن الى عليين ويهبط بالكافر الى أسفل السافلين وشاهد ذلك في الحديث أن النبي عليه السلام رآه في السماء الدنيا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة قال فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى فسأل عن ذلك جبريل عليه السلام فقال هذا آدم صلى الله عليه وسلم وهذه الأسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين أهل الجنة والأسودة التى عن شماله أهل النار فاذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى ذكره هذا أيضا مسلم والأسودة الشخوص وسيأتى تفسير ذلك في باب الدال وهذا من الذى قلنا ان الحديث يتسلسل وأنه يجرى كالماء السلسل وأرجع الى ذكر الابيات والاعمال بالنيات

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد في تفسير شعرى

أوطئه فيرجع بعد عسر * الى يسر وسهلا بعد وعر

قد وقفت أعزك الله على بداءة الشعر ومارأيته قبله من الابيات ذوات الكلمات المزدوجات فان أعجبتك فحسن والافاسلك هذا السنن واجعل ابتداء الابيات جمعت لغات واستعن بالله الكريم وقل بسم الله الرحمن الرحيم

(جمعت لغات وضمنتها * حروف الهجاء كال وآل)

باب الالف مع الباء

(وآب وآب وأب وأب * وأت وأث وبل وبل)

قد تقدم تفسير الحروف ووجوهها وأفسر لك هنا معنى الهجاء تقول هجوت الحروف هجوا وهجاء وهجيتها تهجية كله بمعنى وأنشدوا

يا دار أسماء قد أقوت بانشاج * كالوحي أو كامام الكاتب الهاجي

والهجو خلاف المدح وقد هجوته هجوا وهجاء وتهجوا فهو مهجو واسم الفاعل هاج كما قال * فهل لمناجي من هاجي * بدأت في أول لفظة من القافية بالالف لفضلها وجعلتها بين الواو التي لا بد منها للعطف واللام التي هي القافية فقلت وال وسترى تفسير ذلك في باب الالف واللام ان شاء الله مستوفى وكان ينبغي أن أبدأ بالالف مع الالف فأقول (وآء وأأ) ولكنني اسميت الكتاب بالف باء بدأت بهما وأيضا فلم يجتمع لى من الالفين بيت كامل لانه لا ينعكس فأخرت ذلك الى باب الالف مع الباء في آخر بيت اذ لا يجتمع أيضا من الالف والياء بيت فبالحرى أن يكمل من جميع ذلك كله بيت وايت فأما (آب) فمعناه رجع قال الشاعر

آب

فآب مضلوه بعين جلية * وغودر بالجولان حزم ونائل

وهذا البيت سيأتي تفسيره ان شاء الله في باب الضاد يقال منه آب يئوب أوبا وايابا قال الله تعالى ان الينا ايابهم وآبت الشمس غابت والمآب المرجع وائتاب مثل آب فعل وافتعل بمعنى قال الشاعر

ومن يتق فان الله معه * ورزق الله مؤتاب وغادي

ومآبة البئر حيث يجتمع الماء واسم الفاعل منه آيب ومنه الحديث آيبون تائبون وتوبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا والحوب الاثم وقد جاء في الحديث روايته حوبا بضم الحاء * وقع في المعاني للنحاس ان أبا أيوب طلق امرأته أو عزم على أن يطلقها فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان طلاق أم أيوب لحوب * قال المهدوى في قوله تعالى انه كان حوبا كبيرا الحوب الاثم وأصله الزجر للجمل فسمى الاثم حوبا لانه يزجر عنه والتحوب التأثم وهو أيضا التحزن وهو أيضا الصياح الشديد كالزجر وقرأ الكل حوبا بالضم وقراءة الحسن حوبا بالفتح كما وقع في الحديث والحاب مثل الحوب تقول حبت بكذا أي أثمت تحوب حوبا وحوبة وحيابة وفلان أحوب وأعق والحوبة أيضا القرابة من ذوى الارحام يخاف عليها الضيعة تقول ان لى حوبة أصلها ويقال ألحق الله به الحوبة أي المسكنة والحاجة وفلان يتحوب

من كذا أي يتأثم والتحوب أيضا التوجع والتحزن قال الشاعر
من الغيظ في أكبادنا والتحوب وأما الاوب فيقال جاء القوم من كل أوب أي من
كل وجه والتأويب في السير تباري الركاب (وفي القرآن العزيز) ياجبال أوبي
معه قيل المعنى سيري معه حيث شاء من التأويب الذي هو سير النهار وقيل من
التأويب الذي هو الرجوع ومبيت الرجل في منزله فعلى هذا يكون التأويب سير
الليل والنهار وأصله من سرعة رجع أيدي الابل وأرجلها في السير الحثيث وقيل
معناه سبحي ويكون معناه ترجيع التسبيح ومن الأوب الذي هو سرعة تقليب
اليدين والرجلين في السير قال الشاعر
كأن أوب مائح ذي اوب * مدارك الهرس ريع التعب * أوب يديها برقاق سهب
ويقال فلان سريع الاوبة أي الرجوع قال أبو عبيد وقوم يحولون الواو ياء
آبي فيقولون سريع الايبة ويقال ناقة أؤوب على وزن فعول (وأما آب) فاسم فاعل
من أبي يأبي اباءة واباء فهو آب وأبي وأبيان بالتحريك (قال الشاعر)
وقبلك ما هاب الرجال ظلامتي * وفقأت عين الاشوس الابيان
قالوا أبي يأبي بالفتح فيهما مع خلوه من حروف الحلق وهو شاذ ومعنى آب كاره وأبى
فلان كذا اذا كرهه وفي أسماء رجال الحديث مولى آبي اللحم وأنشد الفراء
لقد غدوت خلق الاثواب * أحمل عدلين من التراب
لعوزم وصبية سغاب * فآكل ولاحس وآبي
قال والعوزم العجوز وهي الناقة المسنة أيضا وفيها بقية من شباب ومنه قولهم
رجل أبي من قوم أباة قال الزبير بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعلم من حوالي البيت أنا * أباة الضيم نمنع كل عار
أبّ (وأما أب) من قوله تعالى وفاكهة وأبا فقال ابن عباس رضي الله عنه
الفاكهة الثمار التي يأكلها الناس والأب ما ترعاه البهائم وعنه أيضا الأب الثمار
الرطبة ذكره المهدوي وقال صاحب كتاب العين الاب الكلأ وهو مارعته الانعام
مثل الاول (وقال الشاعر)
جذمنا قيس ونجد دارنا * ولنا الاب بها والمكرع
يقال كرعت الماشية اذا شربت الماء وهي فيه واقفة ثم كثر ذلك حتى سمي
كل شارب كارعا (وأما أب) فعلى وجوه شتى يقال أب الرجل يؤب أبابة اذا تهيأ

للسير وهو فى أبابه أى جهازه وأبت أبابة الشئ اذا استقامت طريقته وأب للشئ
اذا تهيأ له قال الأعشى

صرمت ولم أصرمكم وكصارم * أخ قد طوى كشحا وأب ليذهبا

أى تهيأ وشمر للذهاب وأب الرجل أبا اذا حن لوطنه قال هشام بن عقبة أخو ذى
الرمة وأب ذو المحضر البادى ابابه * وقوضت نيه أطناب تخييم

ويقال أب يؤب وأوب يؤوب وأب الرجل يده الى سيفه اذا ردها اليه ليستله (واما
أت) فيقال أته يؤته أتا اذا غلبه بالكلام أو كبته بالحجة قاله ابن دريد فى الجمهرة (وأما أت
أث) فن قولهم أث النبت يأث و يئث أكثر من يأث أثا اذا كثر ونبت أثيث أث
وكذلك الشعر أثيث أيضا وكل شئ وطأته ووثرته من فراش أو بساط فقد أثثته
تأثيثا وأثاث البيت من هذا قال الراجز

يخبطن منه نبته الأثيثا * حتى ترى قائمه جثيثا

أى مجثوثا مقلوعا وفى القرآن العزيز من هذا اجتثت من فوق الارض والاثاث
متاع البيت قال الله عز وجل أثاثا ورئيا يقال أث الرجل يأث أثا اذا صار ذا أثاث قال
الاعمش الاثاث المال يستمتع به الى حين الموت وقال المهدوى واحد الاثاث أثاثة
كحمام وحمامة قاله الاحمر وقال الفراء لا واحد له من لفظه و يجمع على أثثة وأثث
وما قبل هذا من الجمهرة وأنشد ابن دريد قول الفرى وهو محمد بن نمير بن أبى نمير

أهاجتك الظعائن يوم بانوا * بذى الزى الجميل من الاثاث

قال وأحسب ان اشتقاق اسم الرجل أثاثة من هذا ويقال أثاثة بالضم والفتح وأنشد
لرؤبة ومن هواى الرجح الاثائث * تميلها أعجازها الاواعث

الوعثة العظيمة العجز والوعث من الرمل ماغابت فيه الارجل وفى الحديث ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من وعثاء السفر أى مشقته والاثائث الوثيرات
الكثيرات اللحم وقد جمعوا أثيثة أثاثا ووثيرة وثارا وقال صاحب العين أث
الشعر يؤث أثاثة وهو أثيث وكذلك النبات وتأثث فلان أصاب خيرا وقال
امرؤ القيس يصف الشعر

وفرع يغشى المتن أسود فاحم * أثيث كقنو النخلة المتعثكل

فرغ البيت وبقيت قافيته وقد أخرتها الى آخر بيت من هذا الباب ومما ضاق
عنه ولو احتجته لاخذته مثل آت اسم فاعل من أتى يأتى وسيأتى الكلام عليه فى باب

أبا وآب اسم شهر من شهور العجم وهو أغشت وقد تقدّم وهو كله يتزن وانما ذكرته لك هنا تقدمة لأنى أدخل مثل هذا فى البيت اذ لم أجد غيره لاقامة الشكل واكمال البيت كما صنعت فى البيت الثالث الذى يأتى بعد هذا سقت فيه مصادر أفعال هذا البيت اذ لم أجد ما أقيم به بيتا الا بها حسبما تراه بعد ان شاء الله ومما لم يتزن وهو من هذا الشكل وأب على ان تكون الواو أصلية مصدر وأب الحافر يئب انضمت سنابكه وحافر وأب خفيف قاله ع (ومما لم يتزن) أيضا وهو من هذا الشكل أب مخفف وهو معلوم والابوّة الآباء مثل العمومة والخؤولة (وكان الاصمعى يروى قول أبى ذؤيب وأب

أب

لو كان مدحة حى أنشرت أحدا * أحيا أبوّتك الشم الاماديح

وغيره يرويه * أباكن يا ليلى الاماديح * وقوله يا أبة افعل كذا يجعلون علامة التأنيث عوضا من ياء الاضافة كقولهم فى الأم يا أمة وتقف عليها بالهاء الا فى القرآن فانك تقف عليها بالتاء لاجل الكتاب وقد يقف بعض العرب على هاء التأنيث بالتاء فيقولون يا طلحت وستراه فى باب الهاء من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وانما لم تسقط التاء من يا أبت اقبل فى الوصل كما سقطت فى قولك يا أم أقبلى لان الأب لما كان على حرفين كان كأنه قد أخل به فصارت الهاء لازمة وصارت الياء كأنها بعدها وقول الشاعر

تقول ابنتى لما رأتنى شاحبا * كأنك فينا يا أبات غريب

أراد يا أبتاه فقدم الالف وأخر التاء ويقال يا أبت ويا أبت وقرئ بهما فمن نصب أراد الندبة فحذف ويقال لا أب لك ولا أبا لك وهو مدح وربما قالوا لا أباك لان اللام كالمقحمة قال أبو حية النميرى

أبالموت الذى لابد أنى * ملاق لا أباك تخوّفينى

أراد تخوّفيننى فحذف النون الآخرة والابوّة أيضا فعل الاب وتأبيت فلانا اتخذته أبا وهو يأبو اليتيم اباوة أى يغذيه ويربيه والنسبة اليه أبوى وأصل أب أبو بالتحريك لان جمعه آباء مثل قفا وأقفاء ورحا وأرحاء فالذاهب منه واو لانك تقول فى التثنية أبوان وتقول أبوت خمسة أو ستة اذا كان لك من الولد ذلك العدد وكذلك أخوت فى الاخوة (وقال اعرابى) أبوت عشرة وأخوت عشرة وسيأتى خبره وبعض العرب يثنى أبا مرفوعا أبان ويجمعه أبون وكذلك أخون وحمون

وهنون قال الشاعر وهو الكميت

فلما تعرّفن أصواتنا * بكين وفدّيننا بالأبينا

وعلى هذا قرأ بعضهم نعبد الهك واله أبيك ابراهيم واسماعيل واسحاق يريد أبينك فحذف النون للاضافة وعلى هذه اللغة تقول في الاضافة أبيك اذا ثنيت والعرب تسمي الجد أبا أيضا وكذلك العم وسيأتي الشاهد على ذلك في فصل الفوائد ان شاء الله تعالى *(فصل من الفوائد الزوائد)* تقدم آيبون تائبون وأوبا وحوبا وذلك في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف ثلاث تكبيرات ثم يقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده وأما أوبا فروى ابن عباس رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الرجوع يعني من سفره قال آيبون تائبون الحديث واذا دخل على أهله قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا وتقدم قول بعض العرب أبوت عشرة وأخوت عشرة وهذا الخبر ذكره الخطابي رحمه الله عن الاصمعي رحمه الله قال كنت يوما في منزلي فأتاني رجل فقال تركت في سوق الصيارفة أعرابيا يسأل لم أر أفصح منه فقمت وأنا أجر ثوبي حتى أتيت السوق فاذا أنا به قائما يسأل فوجأت في صدره فقلت من أنت فقال أنا عكاف بن رويبة أبوت عشرة وأخوت عشرة كنت مقنعا للهمة ومفزعا للملمة فانباق على الدهر بكلكله متخيفا اخوتي واحدا فواحدا حتى أساف رجاليه وأباد ماليه فقرع مراحي وفنيت أوضاحي وملكتني السنون وحدقتني بالمذلة العيون فرحم الله من أعان أخا جهد وشصاصاء وحاجة ولأواء نعشكم الله باسباغ الرزق واصطناع المعروف واذا هو أبو عون الاعرابي وفسره الخطابي قال قوله انباق على الدهر بكلكله أي وطئني بثقله وأصابني بمكروهه وأصله من البوق ويقال باقته بائقة اذا نزلت به نازلة شديدة ويقال ان أصل البوق كثرة المطر وقوله متخيفا اخوتي أي متتبعا لهم يأتيهم من نواحيهم فيهلكهم وأصله من الخافة وهي الناحية يقال خافة الوادي أي ناحيته وقد يكون التخوف من الحيف أيضا وقوله قرع مراحي أي صفر وخلا من الغنم قلت وسيأتي تفسير هذا الحرف ان شاء الله والأوضاح جمع الوضح وهي الدراهم الصحاح والوضح حلى من فضة يجمع على الاوضاح

بيان الفوائد

خبر اعرابي

وقوله ملكتني السنون أي جهدتني * قلت وسيأتي هذا في باب الكاف ان شاء الله
وقوله حذفتني بالمذلة العيون أي رمتني أبصار الناظرين بالذل وتقدم كرعت
الماشية وجاء منه في الحديث من طريق ابن عمر قال مررنا مع النبي صلى الله عليه
وسلم على بركة فجعلنا نكرع فقال لا تكرعوا ولكن اغسلوا أيديكم فاشربوا منها
فانه ليس من اناء أطيب من اليد خرجه ابن أبي شيبة والحديث معتل من قبل
الاسناد والصحيح ما خرجه البخاري عن جابر بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم
دخل على رجل من الانصار ومعه صاحب له فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
ان كان عندك ماء بات هذه الليلة في شنه والا كرعنا قال والرجل يحول الماء
في حائطه الحديث وقد سألت بعض أشياخي عن الكرع فقال هو مشتق من
الأكارع التي للدواب كأنه يدخل الرجل في الماء برجليه ويشرب بفيه كما تفعل الدابة
ذات الأكارع والله أعلم وقد جاء في الحديث الاول النهي عن ذلك وان كان الحديث
معلولا فترك ذلك أسلم والله أعلم

وقد يلام الفتى في الشيء يصنعه * وليس يلحقه لوم اذا تركه

وهذا البيت لي من شعر مطول ان أردته انظره في التكميل وتقدم ان العرب
تسمي الجد أبا وكذلك العم شاهد ذلك قوله تعالى نعبد الهك واله آبائك ابراهيم
واسماعيل واسحاق فبدأ بابراهيم وهو الجد وثنى باسماعيل وهو العم لانه كان
أسن من اسحاق وكذلك قال يوسف عليه السلام واتبعت ملة آبائي ابراهيم
واسحاق ويعقوب وكذلك تسمي العرب الخالة أما كما قال الله تعالى ورفع أبويه على
العرش يعني أباه وخالته وسيأتي فيها حديث بعد هذا ان شاء الله وكما سموا أبا الاب
وان علا أبا كذلك سموا ابن الابن ابنا وان سفل وجعلوهما في الميراث عند عدم نكتة
من فوقهما سواء واحتج يحيى بن يعمر على الحجاج بأغرب من هذا روى ابن عبد ربه
ان الحجاج بعث الى يحيى هذا فقال له أنت الذي تقول ان الحسين بن علي ابن رسول
الله صلى الله عليه وسلم والله لتأتين بالمخرج من ذلك أو لأضربن عنقك فقال له ابن
يعمر وان جئت بالمخرج فأنا آمن قال نعم قال له اقرأ وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على
قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم الى قوله ومن ذريته داود وسليمان
وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى فمن
أبعد أعيسى من ابراهيم أو الحسين من محمد صلى الله عليه وسلم وانما هو ابن بنته

فقال له الحجاج والله كأنى ماقرأت هذه الآية قط وولاه قضاء بلده فلم يزل بها قاضيا حتى مات (فائدة فى اسم ابراهيم عليه السلام) يقال ابراهيم وابراهام وقرئ بهما وابراهم وابراهم وابرهام واختلف العلماء فى ميراث الجد وكذلك الصحابة رضى الله عنهم والذى ورد فى البخارى قال أبو بكر وابن عباس وابن الزبير الجد أب وقرأ ابن عباس يابنى آدم واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحاق ويعقوب ولم يذكر أن أحدا خالف أبا بكر فى زمانه وأصحاب النبى صلى الله عليه وسلم متوافرون وقال ابن عباس يرثنى ابن ابنى دون اخوتى ولا أرث أنا ابن ابنى قال هذا على جهة الانكار على من لا يقول بقوله وكان يمثله بابن الابن ويقول ألا يتقى الله زيد بن ثابت ويجعل ابن الابن ابنا ولا يجعل أبا الاب أبا وأما على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال من سره ان يتقحم فى جراثيم جهنم فليقض بين الجد والاخوة ذكره ثابت رحمه الله وقال الجرثومة ما اجتمع وكثر من رمل أو تراب حول أصول الشجر وأنشد

* وجرثومة لا يبلغ السيل أصلها * ثم يستعار فى غير ذلك فيقال فى جرثوم العرب قبائلها قلت وهذا من على بن أبى طالب رضى الله عنه على جهة التغليظ لمن لم يتثبت وذلك لاختلاف الصحابة رضى الله عنهم فى ذلك والله أعلم والا فقد حكم رضى الله عنه فى ذلك وقضى بمبلغ علمه واجتهاده كما فعل غيره من الصحابة رضوان الله عليهم وذكر ثابت فى الدلائل أيضا عن الشعبى قال احتاج الحجاج الىّ فى فريضة فقال ماتقول فى أم وأخت وجد فقلت اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان وعلى وابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت رضى الله عنهم قال ماقال فيها ابن عباس ان كان لمتقنا قلت جعل الجد أبا ولم يعط الأخت شيئا وأعطى الام الثلث قال فما قال فيها أمير المؤمنين يعنى عثمان قلت جعلها أثلاثا قال فما قال فيها زيد بن ثابت قلت جعلها من تسعة فأعطى الام ثلاثة وأعطى الجد أربعة وأعطى الاخت سهمين قال فما قال فيها ابن مسعود قلت جعلها من ستة فأعطى الاخت ثلاثة وأعطى الام سهما وأعطى الجد سهمين قال فما قال فيها أبو تراب يعنى عليا رضوان الله عليه قلت جعلها من ستة فأعطى الاخت ثلاثة وأعطى الام سهمين وأعطى الجد سهما ذكر هذه الحكاية محمد بن يزيد فى الكامل وجعل عوض ابن عباس أبا بكر رضى الله عنه فلما انتهى الى آخر قول على بن أبى طالب رضى الله عنه قال فأطرق ساعة يعنى الحجاج ثم رفع رأسه فقال فانه المرء يرغب عن

قوله

قوله * قلت ولما رأيت هذه الحكاية فى الكامل وقول الحجاج فى على رضى الله عنه هذا الجفا لم أملك نفسى وحملتنى الغيرة على حبيبى على رضى الله عنه أن كتبت فى طرة الكتاب

حجاج فيما قلته تكذب * فى قول من فيه الورى يرغب
ذاك على بن أبى طالب * من مثله أو منه من يقرب
يكفيه أن كان ابن عم الذى * فى جاهه تطمع يا مذنب
صلى عليه الله من سيد * ما تطلع الشمس وما تغرب

وقلت أيضا انظر الى الحجاج وقلة جده مع سطاحة خده يقول فى مولانا على هذه المقاله ويرغب عما قاله تالله ما حمله على هذا القول الردى الا الحسد المردى والافقد علم الغوى أن مكان على فى العلم المكان العلى كيف لا والنبى صلى الله عليه وسلم يقول فيه أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه وابن عباس رضى الله عنه يقول والله لقد أعطى على بن أبى طالب رضى الله عنه تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شاركهم فى العشر العاشر وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه أقضانا على وقال ابن مسعود أعلم أهل المدينة بالفرائض ابن أبى طالب وصدقوا رضى الله عنهم كم له من تشقيق فى العلوم وترقيق وبصر بالحساب وتدقيق حتى كأنه ينظر الى الغيب من ستر رقيق وكم من قضية قضاها لما بلغت الى النبى صلى الله عليه وسلم أمضاها وربما تبسم عليه السلام اذا سمعها استصوابا ثم أنفذها اذ رآها صوابا وكم مسألة بديعة دقق فيها النظر فأتى بالعبر روى عن زر بن حبيش رضى الله عنه قال جلس رجلان يتغذيان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة أرغفة فلما وضعا الغذاء بين أيديهما مر بهما رجل فسلم فقالا له اجلس للغذاء فجلس وأكل معهما واستوفوا فى أكلهم الأرغفة الثمانية فقام الرجل وطرح اليهما ثمانية دراهم وقال خذا هذا عوضا مما أكلت لكما ونلته من طعامكما فتنازعا فقال صاحب الخمسة الارغفة لى خمسة دراهم ولك ثلاثة فقال صاحب الارغفة الثلاثة لا أرضى الا ان تكون الدراهم بيننا نصفين فارتفعا الى أمير المؤمنين على بن أبى طالب فقصا عليه قصتهما فقال لصاحب الثلاثة قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة فقال والله لا رضيت منه الا بمر الحق فقال على رضى الله عنه ليس لك فى مر الحق الا درهم واحد وله سبعة فقال الرجل سبحان الله هو

مسئلة حسابية

يعرض على ثلاثة فلم أرض وأشرت على بأخذه فلم أرض وتقول لى الآن انه لا يجب لى فى مرالحق الا درهم واحد فعرفنى بالوجه فى مر الحق حتى أقبله فقال على رضى الله عنه أليس الثمانية الارغفة أربعة وعشرين ثلثا أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس ولا يعلم الاكثر منكم أكلا ولا الأقل فتحملون فى أكلكم على السواء قال بلى قال فأكلت أنت ثمانية أثلاث وانما لك تسعة أثلاث وأكل صاحبك ثمانية أثلاث وله خمسة عشر ثلثا أكل منها ثمانية وتبقى له سبعة وأكل لك واحدا من تسعة فلك واحد بواحد لك وله سبعة فقال الرجل رضيت الآن انتهت الحكاية وشبيه بهذه المسألة رجل استأجر أجيرا يحفر له صهريجا فى الارض طوله ثمانية أذرع وعرضه كذلك وعمقه كذلك بثمانية دراهم فحفر له أربعة فى أربعة ثم جاء يطلبه بما شرط له فحاسبه على مقدار حفره فلم يبرز له الحساب الا درهما واحدا وهذه اذا نظرتها وجدتها مثل الاولى والحمد لله وحده وتقدم من فضائل على رضى الله عنه فى هذا الكتاب ويأتى أيضا بعضها وهى أكثر من ذلك (ومن أغرب مسألة) وقع فيها الاختلاف ما خرج ثابت رحمه الله أيضا فى الدلائل حدث بسنده الى عبد الصمد بن عبد الوارث قال وجدت فى كتاب جدى أتيت مكة فأصبت بها أبا حنيفة وابن أبى ليلى وابن شبرمة فأتيت أبا حنيفة فقلت له ما تقول فى رجل باع بيعا واشترط شرطا قال البيع باطل والشرط باطل وأتيت ابن أبى ليلى فقال البيع جائز والشرط باطل وأتيت ابن شبرمة فقال البيع جائز والشرط جائز فقلت سبحان الله ثلاثة من فقهاء الكوفة يختلفون علينا فى مسألة فأتيت أبا حنيفة فأخبرته بقولهما فقال لا أدرى ما قالا حدثنى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن بيع وشرط فأتيت ابن أبى ليلى فأخبرته بقولهما فقال لا أدرى ما قالا حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اشترى بريرة واشترطى لهم الولاء فان الولاء لمن أعتق فأجاز البيع وأبطل الشرط فأتيت ابن شبرمة فأخبرته بقولهما فقال ما أدرى ما قالا حدثنى مسعر بن حكيم عن محارب ابن دثار عن جابر بن عبد الله قال اشترى منى رسول الله صلى الله عليه وسلم ناقة فشرطت حملانى فأجاز البيع والشرط وانما ساغ للصحابة الاختلاف فيما لم يأت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نص فحينئذ رجعوا الى القياس واجتهاد الرأى والحجة فيه لهم من السنة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل حين

لطيفة

أنفذه الى اليمن بم تحكم قال بكتاب الله قال فان لم تجد قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فان لم تجد قال أجتهد رأيي فقال له النبي عليه السلام الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يحب رسول الله وقد أجمع كثير من الصحابة رضوان الله عليهم على الرأي والقياس في عدة مسائل مع عدم النص ولم ينكر عليهم ذلك سائر الصحابة بل صار أمرا معمولا به الى اليوم على اختلافهم فيها واتباع الفقهاء اياهم عليها على مذاهبهم من ذلك مسألة العول والحرام والجد وغير ذلك قال أبو بكر رضي الله عنه أقضي فيها برأيي وقوله كدنا نقضي فيها برأينا وقول عثمان لعمر رضي الله عنهما ان نتبع رأيك فرأي سديد وان نتبع فيها رأي من قبلك فنعم ذو الرأي كان وقول علي رضي الله عنه أجمع رأيي ورأي عمر أن لا يبعن يعني أمهات الاولاد ثم رأيت بيعهن وقال ابن مسعود ثم أقول فيها برأيي * ورد بعضهم الحرام الى اليمين وبعضهم الى الطلاق الثلاث وبعضهم الى الظهار وبعضهم الى الايلاء وبعضهم الى أخف من هذا هذا كله انظره في التحصيل ومما قرأته على الحافظ رحمه الله بالاسناد المتصل الى علقمة ان ابن مسعود رضي الله عنه أتي في رجل هلك وترك امرأته ولم يكن دخل بها قال فترددوا اليه فيها شهرا لا يقول له فيها شيئا فقال أقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله عز وجل وان كان خطأ فمن نفسي قال أقول لها مثل مهر نسائها وعليها العدة ولها الميراث فقام معقل بن سنان الأشجعي فقال قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بروع بنت واشق بمثل ذلك ففرح ابن مسعود قلت وهذا كله فيما لم يجئ فيه نص جلي كما تقدم وأما مع الاثر فلا يصح لاحد من الناس معه رأي ولا قياس ألم تر ما أخرجه البخاري رحمه الله من طريق أبي الزناد رضي الله عنه قال ان السنن ووجوه الحق لتأتي كثيرا على خلاف الرأي فما يجد المسلمون بدا من اتباعها من ذلك الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة انتهى كلامه قلت وهذا الذي تقدم كان في زمن الصحابة رضي الله عنهم وأما اليوم فليس لنا الا اتباعهم فيما أمضوا وحكموا به وقضوا واستمر عليه عملهم حتى جاء أجلهم ولا نبتدع ولا نخترع بل نستمع ونتبع ولا نتخير الرخص في المذاهب بل نسلك الجادة وندع البسابس والسباسب وسيأتي تفسير البسابس والسباسب ولو ألقيت بالك أيها السائب لرأيت احدى اللفظتين عكس الاخرى فتخيرت بالادب نحرا فاجتهدت كنت به تعنى أن تتفقه في اللفظ والمعنى والله المعين على الرشاد والهادي الى السداد ونرجع الى

القول الذاهب فى تخيير الرخص فى المذاهب فى مثل هذا حدثنى شيخى أبو الطاهر
السلفى رحمه الله بالاسكندرية قال سمعت والدى رحمه الله بمكة يقول سمعت معمر بن
أحمد العبدى بأصبهان يقول قال متقدمو مشايخنا الصوفى اذا تمذهب يصفع قفاه
حتى يذهب وقد تقدّم له ولغيره من فضلاء الناس طرف فى ذم القياس وسيأتى منه
طرف أيضا فى باب الميم ان شاء الله * قلت ولعل ذلك الذم انما هو فيمن يقيس برأيه
فى مثل زماننا هذا ويدع قول علمائنا المتقدمين والله أعلم *(فصل)* واذ وقع
ذكر الجد فلنستقص هذه اللفظة بمبلغ الجهد * الجد أبو الاب والجد البخت والسعد معانى الجد
ومنه قول اليهودى حين رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم داخلا المدينة أوّل يوم
دخلها يا بنى قيلة هذا جدّكم قد جاء أى سعد كم يقال رجل ذو جدّ ورجل مجدود
وضده محدود بالحاء أى محروم كما قال ابن قتيبة فى امرئ لخرج من جملة المجدودين
ويدخل فى جملة المحدودين وفى القرآن العزيز وأنه تعالى جد ربنا فسره ابن عزيز
عظمة ربنا يقال جد فلان فى الناس أى عظم فى عيونهم وجل فى صدورهم ومنه
قولهم كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جدّ فينا أى عظم فى أنفسنا وقال
المهدوى عن مجاهد كذلك عظمته وعنه أيضا ذكره وعن أنس بن مالك غناه وعن
الطبرى قال بعض أهل التأويل جهل الخلق فيما قالوا يشير والله أعلم الى قول ابن
عباس رضى الله عنه اذ قال لو علمت الجن ان فى الانس جدّا ما قالوا تعالى جد ربنا
وقال أبو عبيد يذهب به ابن عباس الى ان الجد انما هو الغنى ولم يكن يرى ان أبا
الاب جد انما هو عنده أب ذكر هذا أبو عبيد فى تفسير حديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه كان يقول اذا انصرف من الصلاة لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك
وله الحمد وهو على كل شئ قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع
ذا الجد منك الجد قال أبو عبيد الجد بفتح الجيم لا غير وهو الغنى والحظ فى الرزق ومنه
قيل لفلان فى هذا الامر جدّ اذا كان مرزوقا منه فتأويل قوله لا ينفع ذا الجد منك
الجد أى لا ينفع ذا الغنى منك غناه انما ينفعه العمل بطاعتك وهذا كقوله عليه
السلام قمت على باب الجنة فاذا عامة من يدخلها الفقراء واذا أصحاب الجد محبوسون
يعنى ذوى الحظ فى الدنيا والغنى قال وزعم بعض الناس ان الجد بكسر الجيم وهذا
خلاف ما دعا الله اليه المؤمنين ووصفهم به من الخير وهو الاجتهاد والعمل الصالح فى
قوله تعالى قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون الى آخر الآيات فكيف

يحثهم على العمل وينعتهم به ويحمدهم عليه ثم يقول انه لا ينفعهم لم يرض أبو عبيد هذا الحرف الجد بالكسر في هذا الموضع والذي اختاره الجد بفتح الجيم وكذا جاء في البخاري عن الحسن جد غني وجمع الجد الذي هو البخت جدود قال الشاعر

وليس الغنى والفقر من حيلة الفتى * ولكن أحاظي قسمت وجدود

وأحاظي جمع حظ وهو النصيب ويجمع أيضا على حظوظ وفي القلة أحظ والجد بضم الجيم البئر تكون في الكلأ قال الاعشى .

ما جعل الجد الظنون الذي * جنب صوب اللجب الماطر

مثل الفراتي اذا ما طما * يقذف بالبوصي والماهر

الظنون البئر التي يظن ان فيها ماء ولا يكون والظنون الذي لا يوثق بما عنده واللجب السحاب الذي له صوت واختلاط الاصوات من كل شئ لجب من الناس وغيرهم والبوصي السفينة والماهر السابح الحاذق وتفسير السابح العائم سبح في الماء سباحة من قوله تعالى كل في فلك يسبحون أي يسيرون وجد كل شئ جانبه والجد أيضا شاطئ النهر وهو الجدة أيضا وأكثر ما يقال جدة بالهاء وبها سميت جدة لانها ساحل البحر وسيأتي ذكر هذا ان شاء الله والجد بالكسر نقيض الهزل وقد جد وأجد والجدة مصدر الجديد وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في موعظة له يقول فيها فبادروا وأنتم في مهل الانفاس وجدة الاحلاس قبل ان يؤخذ بالكظم ولا يغني الندم ويقال أجد الرجل ثوبا واستجده وجاء ذكر ذلك في الحديث وسيأتي ان شاء الله * ومن مضاعف هذا الباب الجدجد بفتح الجيم المفازة الملساء والجدجد بالضم دويبة كالجندب قال ابن قتيبة هو الذي يصرصر بالليل في الصيف ووقع في السير الجد اجد وهو أحد المواضع التي سلك عليها النبي صلى الله عليه وسلم حين هاجر الى المدينة قال الاستاذ رحمه الله كانها جمع جدجد قال وأحسبها آبارا ففي الحديث أتينا على بئر جدجد قال وهو كما يقال في الكم كمكم وفي الرف رفرف وجدد موضع بالبادية وجدة بلدة على ساحل البحر بينها وبين مكة شرفها الله مسافة تقصر فيها الصلاة عند مالك وذلك أربعة برد والبريد اثنا عشر ميلا والفرسخ ثلاثة أميال والميل من الارض قدر مد البصر وقيل قدر ألفي ذراع وهو ألف باع قيل بباع الجمل وقيل وهو أصح بباع الفرس وهي عشرة غلاء والغلوة مائتا ذراع وهي طلق الفرس وقال أبو عمر بن عبد البر الميل ثلاثة آلاف ذراع

وخمسمائة ذراع و يستشهد على الغلوة بقول عنترة

فلله عينا من رأى مثل مالك * عقيرة قوم ان جرى فرسان
فليتهما لم يجريا نصف غلوة * وليتهما لم يرسلا لرهان

فسره أهل اللغة فقال بعضهم الغلوة منتهى رمى السهم وقال بعضهم قدر رمية الرامى وقال بعضهم هو الطلق والأكثر على انه منتهى الرمى واستعير للطلق وجدة النهر ماقرب منه من الارض والجدا الناقة المقطوعة الاذن والجد أيضا المفازة اليابسة وكذلك السنة والشاة وناقة جدود يابسة اللبن والجمع جداد وجدائد والجداد زمن تجد فيه النخل و يقال فى هذا اجداد كما يقال حصاد وحصاد وقرئ بهما معا والجدد وجه الارض وطريق جادة وتجمع على جوادّ وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصلوا على جواد الطريق والجدد من قوله تعالى ومن الجبال جدد بيض وحمر جمع جدة وهى الطرائق المختلفات الالوان ولو كان جمع جديد لكان جددا قاله الاخفش ذكر ذلك المهدوى وقال ابن عزيز جدد خطوط وطرائق واحدتها جدة ومن شكل الجدا الجذ بالذال المعجمة القطع والجذاذ قطع ماتكسر والسويق الجذيذ الكثير الجذاذ وفى القرآن العظيم فجعلهم جذاذا أى حطاما عن ابن عباس وعن قتادة قطعا من قولهم جذذت الشئ اذا قطعته وقال أبو عبيدة فى قوله عز وجل عطاء غير مجذوذ أى غير منتقص وقال مرة غير منقطع * بقى مقلوب هذه

دج اللفظة دج الدجة الظلمة وليل دجوج وديجوج وشعر دجوجى وليلة دجداجة والمدجج الفارس المتدجج فى شكيته والدجاجة معروفة والدجان الدبيب وهو يدج على الارض دجا اذا مشى رويدا فى تقارب خطو ومنه قولهم أقبل الحاج والداج فالحاج الذين يحجون والداج الذين يدبون فى آثار الحاج من التجار وغيرهم وفى كلام بعضهم أما وحواج بيت الله ودواجه لأفعلن كذا وقال ابن عمر رضى الله عنه وقد رأى قوما فى حج لهم هيئة انكرها قال هؤلاء الداج فأين الحاج قال الخطابى قال أبو عمر قال ثعلب يقال هم الحاج والداج والثاج فأما الحاج فهم أصحاب النيات والداج الاتباع والثاج المراؤن قال الخطابى أنشدنى بعضهم

عصابة ان حج موسى حجوا * وان أقام بالعراق دجوا * ماهكذا كان يكون الحج *

يريد موسى بن عيسى الهاشمى وقد يقال فى هذا حاجة وداجة ومنه حديث النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال له رجل ماتركت من حاجة ولا داجة الا أتيتها فقال له أليس

تشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله قال نعم قال فان الله قد غفر لك كل حاجة وداجة قال الخطابى هكذا رواه ابن قتيبة بالتخفيف وفسره فقال أراد لم يدع شيئا دعته نفسه اليه من المعاصى الا ركبه قال وداجة اتباع كقولهم شيطان ليطان واخواتها قال الخطابى وقد روى هذا الحرف من غير هذا الطريق مثقلا وفسر على غير هذا المعنى ان الرجل قال للنبى صلى الله عليه وسلم أرأيت رجلا عمل الذنوب كلها وهو مع ذلك لا يترك حاجة ولا داجة الا قطعها بيمينه هل له من توبة قال هل أسلمت قال أما أنا فاشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله قال فاعمل الخيرات بين الشرات يجعلهن الله لك خيرات قال رواه محمد بن اسحاق بن خزيمة عن أبى نشيط عن أبى المغيرة قال سمعت مبشر بن عبيد الله يقول الحاجة الحاج اذا أقبلوا والداجة اذا رجعوا وقال غيره الحاجة القاصدون الى البيت والداجة من كان فى ضمنهم من مكار وتاجر * ومن شكل جد خد وهو معروف وهما خدان يكتنفان الانف عن يمين وشمال وفيه مسيل الدمع والجمع خدود والخد والاخدود شقان فى الارض مستطيلان غامضان كذا فسره أبو عبيد فى قوله عز وجل قتل أصحاب الاخدود والله أعلم وقد قيل للخد فى الارض خدة وخدود والمخدة مفعلة لان الخد يوضع عليها والمخدة أيضا حديدة يخد بها الارض والمصدر فيهما خد تقول خددت أخد خدا وتخدد اللحم ذهابه من الهزال يقال رجل متخدد ومنه قول الشاعر

* يا من لشيخ قد تخدد لحمه * وسيأتى بكماله فى باب الفاء ان شاء الله

ومقلوب هذه اللفظة دخ لغة فى الدخان قال الشاعر * لا خير فى الشيخ اذا ما اجلخا *

وسال غرب عينه فلخا * تحت رواق البيت يغشى الدخا

ومعنى لخ سال وجرى وسيأتى فى مقلوب خل فى بابه ان شاء الله وجاء من هذا فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم فى قصة ابن صياد انى قد خبأت لك خبأ قال فما هو قال دخ فزجره النبى صلى الله عليه وسلم وسيأتى أيضا ان شاء الله وقد ألحق هذا الفعل بالرباعى فقالوا دخدخه بمعنى ذلله ووطأه والدخدخة مشتقة من الدوخ يقال دخدخناهم ودوخناهم ومن شكل خد خذ أمر من أخذ وهو مفهوم * ومن شكل جد حد فصل ما بين الشيئين ودار فلان حديدة دارك اى تحاذها وحد كل شئ طرفه وحددت الرجل منعته ورجل محدود عن الخير ضد مجدود والحداد البواب والمحدود الذى ضرب الحد ويقال مالك عن

خد

حد وما تصرف منه

هذا الامر محيد ولا حدد أى معدل وأحددت الحديدة واستحدّ الرجل اذا حلق شعره بالحديد ومنه الاستحداد الذى ورد فى الحديث وتستحدّ المغيبة وحدّان حى من الازد ومن الجمهرة حدّ السكين وغيره معروف تقول حددته أحده حدّا وحدّ الرجل عن الشئ صرفه عنه ومنه فلان محدود أى مصروف عن الخير ورجل حدّ اذا كان محدودا وأصل الحدّ المنع ومنه الحد بين الشيئين الفرق بينهما لئلا يتعدى أحدهما على الآخر ويقال حدّه عن كذا وكذا أى منعه وبه سمى السجان حدّادا لمنعه عن الحركة قال الشاعر

يقول لى الحداد وهو يقودنى * الى السجن لا تجزع فمابك من باس

وسمى الاعشى الخمار حدّادا لانه حبس الخمر عنه فقال

فقمنا ولما يصح ديكنا * الى خمرة عند حدّادها

وحدّت المرأة وأحدت فهى محد وحاد اذا تركت الطيب والزينة بعد زوجها وأبى الاصمعى الا أحدّت فهى محد ولم يعرف حدّت وقال أبو عبيد لغة النبى صلى الله عليه وسلم تحدّ ويقال هذا أمر حدد أى ممتنع وقالوا دعوة حدد أى مردودة لا تجاب وبنو حدّاد بطن من طى وحدّان من بنى سعد وحدّان من الازد ومعكوسه

دح دح بمعنى بسط ووسع وفى التنزيل دحاها أى بسطها وذكر الخطابى من حديث عطاء رحمه الله انه قال بلغنى ان الارض دحيت دحيا من تحت الكعبة وفسره الخطابى دحيت بسطت ووسعت ويقال دحت الشئ اذا وسعته وبنى فلان بيته فدحاه أى وسعه وأصله دحه كقولك ابا ه وأصله ابه وعلى هذا قوله تعالى وقد خاب من دساها قالوا الاصل دسها انتهى كلامه ويقال دح فى قفاه يدح دحا ودحو حا مثل دع سواء وفى القرآن يوم يدعون الى نار جهنم دعا بمعنى يدفعون والدح شبه الدس * ومن مضاعفه دحدح ومعكوسه حدحد وهو الرجل الغليظ القصير ويقال فيه أيضا دحداح ودحداحة وفى الصحابة رضى الله عنهم أبو الدحداح الانصارى وله خبر عجيب والدحندح بالكسر دويبة قاله صاحب العين ومن شكله حذ الشئ يحذه حذا اذا قطعه قطعا سريعا والحذة القطعة من اللحم وهى الفلذة وقال الشاعر

تكفيه حذة فلذات ألمّ بها * من الشواء ويروى شربه الغمر

ويروى حدة وقد تقدم والحذاء أيضا الناقة السريعة ويقال حذاء أيضا والحذ خفة

وسرعة

وسرعة ويقال قطاة حذاء سريعة الطيران وفي خطبة عتبة بن غزوان ان الدنيا قد أدبرت حذاء أي سريعة الادبار وقالوا قطاة حذاء قليلة ريش الذنب وقال صاحب العين والحذاء اليمين المنكرة التي يقطع بها حق صاحبه والأحذ الماضي بين الحذو والأحذ اسم لضرب من الشعر *(فصل من الفوائد)* تقدم في الحديث وجدة الاحلاس يعني جديد هذا النوع من الثياب ويكنى به عن صحة الجسم وشبابه وقوته قبل أن يأخذ في البلاء والضعف وانحطاط الجسم والعجز عن العمل والله أعلم بما أراد من ذلك وفي الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا استجد ثوبا سماه باسمه اما قميصا أو عمامة ثم يقول اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك من خيره ومن خير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له وقال أبو نضرة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا لبس أحدهم ثوبا جديدا قيل له تبلى ويخلف الله عليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لام خالد بن سعيد وكان عليها قميص أصفر أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ثم أبلي وأخلقي ولبس عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوما ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من لبس ثوبا جديدا فقال الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد الى الذي أخلق أو قال الذي ألقى فتصدق به كان في حفظ الله وفي كنف الله وفي ستر الله حيا وميتا *(فصل)* تقدم ذكر الاب والجد والعم بقي

ذكر الفوائد

مبحث الخال

الخال أخو الام والخالة أختها يقال خال بين الخؤلة وكان للنبي صلى الله عليه وسلم خال اسمه عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة وقال عليه السلام الخال وارث من لا وارث له وسميت الخالة أما وكذا قيل في قوله تعالى في قصة يوسف عليه السلام ورفع أبويه على العرش أبوه وخالته لان أمه كانت قد ماتت وقد تقدم وأزيدك فائدة أرويها عن الحافظ السلفي رحمه الله فيما أذن له فيه أتى رجل فقال يارسول الله اني أصبت ذنبا كبيرا فهل لي من توبة قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لك والدان قال لا قال فلك خالة قال نعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فبرها اذا وتقول العرب للرجل الشريف مخول معم ولي في هذا المعنى من شعر مطول * مخول في عشيرته معم * أنظره في التكميل ولما قتل الزبير بن العوام ياسر اليهودي يوم خيبر مبارزة قام اليه النبي صلى الله عليه وسلم فاعتنقه وقبل بين عينيه

وقال فداك عم وخال وقد يفتخر بالخال اذا كان أشرف من الاب كما يقولون فى مثل هذا من أبوك يا بغل قال خالى الفرس قال الشاعر

يارب خال لى أغر أبلجا * من آل كسرى يقتدى متوجا

وكان عبد الرحمن بن حسان يفخر لانه ابن خالة ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم وقد ذكر صاحب العين هذه اللفظة على أنواع فقال الخال الخيلاء يقال خال الرجل يخول واختال يختال و يقال فلان خال وخائل ومختال مفتعل منه وفى التنزيل والله لا يحب كل مختال فخور وجمع الخائل خالة كبائع و باعة وصائغ وصاغة قال الشاعر

أودى الشباب وحب الخالة الخلبه * وقد برئت فما بالقلب من قلبه

من رواه الخلبة بكسر اللام فانه أراد الخداعة من النساء ومن روى الخلبة بالفتح فجمع الخالب و يقال فى الخيلاء مخيلة أيضا ومنه قول ابن عباس رضى الله عنهما كل ماشئت اذا أخطأتك خلتان سرف أو مخيلة و يقال فلان ذو خال أى ذو مخيلة وأنشد

فان كنت سيدنا سدتنا * وان كنت للخال فاذهب فخل

ومن الخيلاء قول طلحة لعمر رضى الله عنهما حين استشار فى جموع الاعاجم أنت ولى ما وليت من لا ينوفى يديك ولا يخول عليك خرجه ابن قتيبة والتخول التعهد وفى الحديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وكان الاصمعى يقول يتخولنا أى يتعهدنا * ومما هو على شكله قولك خال الرجل أمر من قولك خاليته اذا فارقته ومنه قولهم للمرأة أنت منى خلية ومنه قول الشاعر

* قالت بنو عامر خالوا بنى أسد * و يقال خال الرجل الشئ اذا ظنه وفى المثل من يسمع يخل تقول خلت اخال بكسر الالف وهو الافصح و بنو أسد تقول أخال بالفتح وهو القياس وخال الراعى يخول خولا اذا حفظ والخولى والخائل الراعى والخال اللواء والخال كالظلع فى الدابة والخال سحابة تنشأ فيخيل لك انها ماطرة وهى المخيلة يقال تخيلت السماء اذا انشأنها اذاها وجمعها خايل وقد يقال للسحاب الخال فاذا أرادوا السحابة قالوا مخيلة بالفتح قاله أبو عبيد وفى الحديث من هذا انه عليه السلام كان اذا تخيلت السماء تغير لونه وخرج ودخل وأقبل وأدبر فاذا أمطرت سرى عنه خرجه مسلم من طريق عائشة رضى الله عنها وفى غيره ادارأى مخيلة والخال أيضا جبل ببلاد غطفان وقال امرؤ القيس * ديار لسلمى عافيات بذى خال *

والخال أيضا برود حمر فيها خطوط سود وهي من رفيع الثياب وقال امرؤ القيس * وشي البرود من الخال * وقال أنس بن سليم * وأعطى لثوب الخال قبل ابتذاله * أنظره في السير وقال الشماخ * و بردان من خال وسبعون درهما * وقالت عفيرة لجا وامتفضلين في الخال والنعال في حكاية حسنة تأتي ان شاء الله تعالى والخال الرجل السمح وفلان مخيل للخير أي خليق به والخال شامة سوداء والجمع خيلان وفي الحديث في صفة موسى عليه السلام كثير خيلان الوجه وجاء في التفسير في قوله تعالى واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي كان على طرف لسانه شامة وهي العقدة التي حلها الله له وكان على أرنبته أيضا شامة وكان في جبهة أخيه هارون شامة صلى الله عليهما وسلم ويقال رجل أخيل اذا كان كثير الخيلان وكذلك مخيل ومخيول مثل مكيل ومكيول ويقال أيضا مخول مثل مقول وتصغير الخال خييل فيمن قال مخيل ومن قال مخول قال خويل وجمع الشامة شام وشامات ورجل مشيم مثل مكيل والأشيم الذي له شامة والجمع شيم والمرأة شيماء وألف الخال منقلبة عن واو لانهم قالوا جاء القوم اخول اخول اذا جاؤا متفرقين كأنهم لزهوهم واختيالهم كرهوا أن يجيئوا مجتمعين * وقد جمع أبو محمد عبد الله بن السيد البطليوسي رحمه الله الخال في شعر له بعد ان ذكر الخال كذا والخال كذا نحو ما تقدم ثم قال والخال لفظة مشتركة تتصرف على معان كثيرة وقد وجدت ثعلب والمفضل وابن مقسم قد أنشدوا ثلاثة عشر بيتا آخر كل بيت منها خال بغير معنى الآخر ورأيت قائلها وقد أغفل ألفاظا أخر كان ينبغي أن تضم اليها فزدت فيها أبياتا ضمنتها ما لم يذكره الشاعر بلغت اثنين وعشرين بيتا وفي الروايات اختلاف ذكرت منها ما وقع عليه الاستحسان وهي معاني الخال

أتعرف أطلالا شجونك بالخال * وعيش اغزيرا كان في العصر الخالي
ليالي ريعان الشباب مسلط * على بعصيان الامارة والخال
واذا اخدن للغوي أخي الصبا * وللغزل المريح ذي اللهو والخال
وللخود تصطاد الرجال بفاحم * وخد أسيل كالوذيلة ذي الخال
اذا رئمت ربعا رئمت رباعها * كما رثم الميثار ذو الربة الخال
زمان أفدي من يروح الى الصبا * بعمي من فرط الصبابة والخال
وقد علمت اني وان ملت للصبا * اذا القوم كعوا لست بالرعش الخال

ولا أرتدي الا المروءة حلة * اذا ضن بعض القوم بالعصب والخال
واني اذا نادى الصريخ أجبته * على سابح عبل الشوى أو على خال
اذا قطعت عبس وذم خلاؤها * فما هو بالوانى القطوف ولا الخال
وانا لنقى الخيل دون عيالنا * فمن غابق طرفا بمحض ومن خال
جياد تبارى العاصفات ولا يرى * بها من بطان يشتين ولا خال
واني لجاد للكماة الى العلا * ولست بجاد للعروج ولا خال
واني لخلو للصديق مرزأ * ولست بخيس في الرجال ولا خال
وان ضن خال المزن يوما بنيله * فان ندى كفى مغن عن الخال
نماني الى العلياء كل سميدع * تراه اذا حلت حبا القوم كالخال
حوينا جميع المجد جودا ونجدة * فما شئت من ليث هصور ومن خال
وما أبصرت عين لنا قط سيدا * على حدج يزجى الى الرمس بالخال
فخالف بحلفي كل قرن مهذب * والا تخالفنى فخال اذا خال
وما زلت حلفا للسماحة والعلى * كما احتلفت عبس وذبيان بالخال
وثالثنا في الحلف كل مهند * لنا ريم من صلب العظام به خال
حرام عليك الدهر خدع سراتنا * فلا قهم في جمع القوم أو خال

وهذا تفسير ما مر من هذه الالفاظ على توالى الابيات الخال اسم موضع والعصر الخالى الماضي والخال في البيت الثانى اللواء الذى يعقد للامير وقال بعضهم لا يقال له خال حتى يكون أبيض والخال في البيت الثالث التكبر والخيلاء قال الشاعر

فان كنت سيدنا سدتنا * وان كنت للخال فاذهب فخل

والمزيح الكثير المراح والنشاط وقوله كالوذيلة ذى الخال الخال هنا النكتة السوداء والوذيلة القطعة من الفضة وقوله ذى الريبة الخال ههنا منقوص على مثال القاضي وهو الذى لا أهل له فهو يتبع المواضع التى لا أحد فيها للريب والفجور وقوله من فرط الصبابة والخال الخال ههنا أخو الام وقوله بالرعش الخال هذا أيضا منقوص على مثال القاضي وهو الجبان وقوله بالعصب والخال هما نوعان من الثياب تصنع باليمن قال امرؤ القيس * وشى البرود من الخال * وقد قيل ان الخال في بيت امرئ القيس موضع باليمن تصنع فيه هذه الثياب وقوله على سابح عبل الشوى أو على خال الخال ههنا البعير الضخم وقوله فما هو بالوانى القطوف

ولا الخال

ولا الخال الخال هنا اسم فاعل من خلأ البعير اذا حرن خففت همزته وكان الاصمعى
يزعم ان الخلاء لا يكون الا فى الناقة وأما الجمل فانه يقال فيه ألح الجمل ولا
يقال خلأ (وقوله فمن غابق طرفا بمحض ومن خال) هو اسم فاعل منقوص من
قولك خليت الخلى اذا قطعته وخليت الدابة اذا أطعمتها الخلى وهو رطب النبات
(وقوله بخال يتبين ولا خال) الخال ظلع يعترض الدابة والبيدان البطوء فى المشى
(وقوله ولست بجاد للعروج ولا خال) من قولهم هو خال مال أو خائل مال اذا كان يرعى
الابل ويحسن القيام عليها (وقوله ولست بخيس فى الرجال ولا خال) الخيس الخسيس
والخال منقوص الذى لا يعنى بأمر ولا يحتفل به ويخلد الى الراحة (وقوله مغن عن
الخال) يعنى خال السحاب (وقوله اذا حلت حبا القوم كالخال) هو الجبل الضخم كذا
قال ثعلب وقال ابن دريد الخال الاكمة الصغيرة (وقوله فاشفقت من ليث هصور ومن
خال) الخال هنا الرجل الجواد شبه بخال السحاب (وقوله يزجى الى الرمس بالخال)
الخال هنا ثوب يسجى به الميت يريد أنهم انما يموتون فى الحرب لا على فرشهم (وقوله
تخال اذا خال) هذا فعل أمر من قولهم خاليته اذا تركته وتخليت عنه كما قال
النابغة * قالت بنو عامر خالوا بنى أسد * (وقوله عبس وذبيان بالخال) هذا
موضع غير الموضع الذى ذكره امرؤ القيس فى قوله عافيات بذى خال ولذلك كرّر
فى موضعين (وقوله لمارتم من صلب العظام به خال) أى قاطع وأصله من قطع الخلى
من النبت ثم يستعار فى غير ذلك فلذلك ذكر فى موضعين وقوله فى آخر الشعر
أو خال من قولك خاليت الرجل مخالاة وخلاء اذا انفردت به على خلوة ومنه قول
الشاعر * أبيت مع الحداث ليلى فلم أبن * فأخليت فاستجمعت عند خلائى * وروى
بكسر الخاء وفتحها انتهى كلامه رحمه الله (فصل من الفوائد) تقدم فى الحديث ذكر الخيلاء
ان من الخيلاء ما يبغض الله ومنها ما يحب فأما الخيلاء التى يحب الله فاختيال الرجل
بنفسه عند القتال واختياله عند الصدقة وأما التى يبغض الله فاختياله فى البغى
والفخر فمن المخيلة ما اخرج الترمذى رحمه الله عن أسماء بنت عميس الخثعمية قالت
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بئس العبد عبد تخيل واختال ونسى
الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسى الجبار الاعلى بئس العبد
عبد سها ولها ونسى المقابر والبلى بئس العبد عبد عتى وطغى ونسى المبتدأ
والمنتهى بئس العبد عبد هوى يضله بئس العبد عبد رغب يذله ومن المخيلة

ما خرج أبو داود عن جابر بن سليم قال رأيت رجلا يصدر الناس عن رأيه لا يقول شيئا الا صدروا عنه قلت من هذا قالوا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قلت عليك السلام يا رسول الله مرتين قال لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الميت قلت السلام عليك وذكر الحديث وفيه قلت اعهد الى قال لا تسبن أحدا قال فما سببت بعده حرا ولا عبدا ولا بعيرا ولا شاة قال ولا تحقرن من المعروف شيئا وان تكلم أخاك وأنت منبسط اليه وجهك ان ذلك من المعروف وارفع ازارك الى نصف الساق فان أبيت فالى الكعبين واياك واسبال الازار فانها من المخيلة وان الله لا يحب المخيلة وان امرؤ شتمك وعيرك بما يعلم فيك فلا تشتمه ولا تعيره بما تعلم فيه فانما وبال ذلك عليه وقال النسائي يكون أجر ذلك لك ووباله عليه هذا الحديث فيه فوائد يجب على الموفق استعمالها ذكرفيها التعيير بالتعيير ورجوع المقال على من قال والبغي على من بغى كما قال ابن مسعود رضي الله عنه لو سخرت من شئ لخشيت محاره معناه يرجع كهيئته خرجه ثابت قال ومنه قولهم لا تسخر من شئ فيحور بك وقال بعضهم انى لأرى الرجل يعمل العمل فأكرهه فما يمنعني ان أعيبه الا مخافة أن أبتلى به والبلاء موكل بالقول وخرج الترمذي رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله قيل من ذنب قد تاب منه ومنه قوله في الحديث محاره فيحور بك يرجع مثله وفي القرآن انه ظن أن لن يحور ومنه الدعاء ونعوذ بك من الحور بعد الكور ويروى بعد الكون يقال حار بعد ما كان أي رجع من حالة صالحة كان عليها ومن قال بعد الكور فهو من كور العمامة أي انها تنتقض وترجع عن حالتها الاولى سريعا والله أعلم وفي المثل حور في محارة أي نقصان في نقصان يقال حور وحور يضرب للرجل اذا كان أمره مدبرا قال الشاعر * والذم يبقى وزاد القوم في حور * أي في نقصان وقال لبيد

الحور والكور

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * يحور رمادا بعد اذ هو ساطع

وفي هذا الشعر

وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

أراد غدا الآن أصل غد غدو وجاء به على أصله والغدوة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس والغدو نقيض الرواح قاله جميع تقدم قول الشماخ

وبردان من خال وسبعون درهما * وآخر البيت * على ذاك مقروظ من القد ماعز *

و يروى من الجلد قوله على ذلك أى ضمت على الدراهم والبردين عيبة مقروظة أى مدبوغة بالقرظ وهو من أدعس الدباغ وأطيبه رائحة وفى الحديث من هذا أتى من اليمن بذهيبة فى أديم مقروظ ومن القرظ * قول الشاعر * وحتى يؤوب القارظان كلاهما * وكانا رجلين ذهبا يلتمسان القرظ فهلكا ولم يسمع لهما خبر فضرب بهما المثل كما قيل حتى يشيب الغراب بأسامن الشئ المذكور وسيأتى ذكر النعال المدبوغة بالقرظ فى باب الراء ان شاء الله وقوله ماعز هو الشديد يقال فلان ماعز من الرجال اذا كان شديد الامر وماعزة من النساء ويقال ما أمعزه من رجل أى ما أشده وأطيبه ومن الماعزة حديث نجبة بن ربيعة اذ جاءه الحارث بن عوف فقال له انا متحببون بخذت لتمخنى وتنكحنى فقال يا أم فلان أعندك امرأة للحارث بن عوف فانما امرأة الحارث بن عوف المؤدمة المبشرة الماعزة المقروظة قالت عندى جارية من خير نساء قال من هى قالت قرصافة بنت نجبة قال قد زوجته فادفعها اليه قالت واكربها ما خطبت خطبا انما سفرت سفرا كما تنكح الاماء قال ادفعها اليه ثم دفع اليه أربعين حلوبا وقال احتلب هذه حتى تخصب واتق الله وقوله المؤدمة المبشرة فانه يقال للرجل الكامل انه لمؤدم مبشر أى جمع شدة ولينا وذلك انه جمع لين الادمة وهو باطن الجلد وخشونة البشرة وهو ظاهره الذى ينبت فيه الشعر ويقال فى المثل انما يعاتب الاديم ذوا البشرة أى يعاد فى الدباغ يقول انما يكلم من يرجى خيره ومن به شدة أو قوة أو مسكة فيقال من هذا امرأة فلان المؤدمة المبشرة يراد أنها تامة فى كل وجه (تقدم قول عفيرة * فجاؤا متفضلين فى الخال والنعال * وكان حديثها وهى عفيرة بنت عفار وقيل اسمها الشموس أخت الاسود بن عفار وكان سيدا فى جديس انه كان قد ملكهم وغلب عليهم رجل من طسم يقال له عملوق وكان ظلوما غشوما لا ينهاه شئ عن هواه فبلغ من ظلمه وعتوه انه لا تتزوج فى جديس بكر حتى تحمل اليه فيفتضها وبعد ذلك تحمل الى زوجها فلما تزوجت الشموس وهى عفيرة المذكورة وكانت ليلة هدائها حملت الى عملوق ليطأها ومعها القيان يغنين ويقلن

ابدى بعملوق وقومى فاركبى * وبادرى الصبح بأمر معجب

* فما البكر بعدكم من مذهب *

فلما حملت اليه وافتضها خرجت على قومها فى دمائها شاقة جيب قميصها عن قبلها ودبرها وهى تقول

قصة طسم وجديس

لا أحد أذل من جديس * أهكذا يفعل بالعروس

وأبت ان تمضي الى زوجها وقالت تحرض قومها

أيصلح ما يؤتى الى فتياتكم * وأنتم رجال فيكم عدد النمل

فان أنتم لم تغضبوا بعد هذه * فكونوا نساء لا تفر من القعل

ردونكم طيب العروس فانما * خلقتم لاثواب العروس وللكحل

فلو أننا كنا الرجال وكنتم * نساء لكنا لا نقر على الذل

فلما سمعت جديس قولها أنفت وغضبت واجتمعت الى الاسود بن عفار فأجمعوا أن يصنع طعاما للعملوق وأصحابه فيدعوهم اليه فاذا جاؤا متفضلين فى الخال والنعال نهضوا اليهم بأسيافهم فأتوا عليهم فقالت عفيرة لا تخبها الغدر عار وعاقبته بوار صبحوا القوم فى ديارهم تظفروا أو تموتوا كراما فقالوا المكر أمكن من نواصيهم فنفذوا لمذهبهم واصطنعوا الطعام واخترطوا سيوفهم ودفنوها فى الرمل فلما توافى القوم أتوا عليهم جميعا وأفلت منهم رجل فاستعدى عليهم بعض الملوك فأتاهم فاجتاحهم فصاروا أمثلا ولى من لفظ الخال ماقلت من مكفرة لزومية

تظل من كل شئ خال * الا بذكر ذوات الخال

الخال الاول من الخلاء والثانى من الخيلاء وفى هذه المكفرة من هذا التجنيس كثير

منها كم من غنى وكم من وال * أمسى وما ان له منوال

وفيها هل ثم شئ من الاقوال * أقوى من الذكر أو أقوالى

ومنها هل صوت ذى نغمة قتال * فى قلب ذى لوعة كالتالى

فى أبيات كثيرة من هذا النوع أنظره بكماله فى التكميل وتقدم ذكر الخال التى هى الشامة وجاء من الشامة فى الحديث ماخرج ثابت فى الدلائل خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فبعث عائشة تنظر اليها فجاءت فقالت يارسول الله مارأيت طائلا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت بخدها خالا اقشعرت كل شعرة منك فقالت يارسول الله مادونك ستر قال ثابت الاقشعرار من القشعريرة وهو انتفاش الشعر وقيامه ومنه حديث العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما اقشعر جلد عبد من خشية الله الا تحاتت خطاياه كما يتحات ورق شجرة يابسة أصابتها ريح شديدة واذ وقعنا فى ذكر الشامة فلنذكر حديثا خرجه أبو داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انكم قادمون على

احوانكم

اخوانكم فأصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس * وفي حديث سيف بن ذي يزن في صفة النبي صلى الله عليه وسلم بين كتفيه شامة وقد تقدم * ومن الخال أيضا فصل للفقيه أبي محمد عبد الوهاب رضي الله عنه * وسببه انا اجتمعنا ذات يوم ولم يكن حاضرا فذكرنا السودان والبيضان فكان في الطلبة من رأى بزعمه ان له الغلبة ففضل الجواري السود على البيض وأراد النهوض بجناح مهيض واستشهد بقول الشاعر

لام العواذل في سوداء حالكة * كأنها اسواد الليل تمثال
وهام بالخال أقوام وما علموا * أني أهيم بشخص كله خال

ذكر البياضه والسواد

الى آخر الفصل وهو طويل نبيل النظر بكماله في التكميل ففضل فيه الابيض على الاسود وحكم لعمر الله بالأجود واذ وقعنا في ذكر السوداء والبيضا فلنذكر فيه فصلا أيضا * جاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بادروا بصلاتكم ملائكة النهار فانهم أرأف من ملائكة الليل وجاء في البياض عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ان الله خلق الجنة بيضاء وان أحب الزي الى الله تعالى البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم ثم جمع الرعاء فقال من كان منكم ذا غنم سود فليخلطها ببيض وذكر ثابت في الدلائل من هذا المعنى كراهية السواد قال من ذلك ان العرب لا تكاد تصف السواد الا في موضع المناكرة والمنافرة تقول كلمته فما رد علي سوداء ولا بيضاء أي كلمة حسنة ولا سيئة وفي الحديث كان رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يقال له أسود فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيض قال وان احتج محتج بقول الشاعر

آليت لا أعطي غلاما أبدا * دلالة اني أحب الاسودا

قيل له ان الاسود هنا اسم ابن كان له وقوله دلالة أي نحلة ونصيبا من ودي (قلت) وليس ينكر حب الولد ان كان اسود ألم تسمع قول الشاعر

أرادعرارا بالهوان ومن يرد * عرارا لعمري بالهوان فقد ظلم
وان عرارا ان يكن غير واضح * فاني أحب الجون ذا المنكب العمم

ووقع في الاغاني

يديرونني عن سالم وأديرهم * وجلدة بين العين والانف سالم

وسالم هذا هو ابن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (قال ابن الهندي)

فى وثائقه وكان اسود حسن الصبغة وكان يلبس العباءة بنحو الدرهمين وقال ابن قتيبة فى المعارف كان سالم من خيار المسلمين وفقهائهم يكنى أبا عمرو وقال الواقدى أبا المنذر وكان أبوه يلام فى حبه فيقول البيت وقال البكرى فى اللآلى اختلف فى قائل هذا البيت فقال قوم أبو الأسود الدؤلى يقوله فى غلام له اسمه سالم يديرونى عن سالم وأديرهم البيت وبعده

ولو بان من ملكى لبت مسهدا * ونبهان عما بى من الشجو نائم

ونبهان جار لابى الاسود كان يديره على بيعه ثم مات سالم فقال أبو الأسود الشعر وقال ابن الكلبى ان البيت لعبد الله بن معاوية الفزارى يقول فى ابنه الأشيم واسمه سالم قال الخطابى بسنده الى سعيد بن المسيب قال قال لى عبد الله بن عمر هل تدرى لم سميت ابنى سالما فقلت لا قال باسم سالم مولى أبى حذيفة قال هل تدرى لم سميت ابنى واقدا قلت لا قال باسم واقد بن عبد الله اليربوعى قال هل تدرى لم سميت ابنى عبد الله قال قلت لا قال باسم عبد الله بن رواحة رضى الله عنهم وممن كان أسود عبادة ابن الصامت وسعيد بن جبير وعطاء بن أبى رباح وغيرهم رضى الله عنهم وقال عبادة للمقوقس حين دخل عليه فهابه المقوقس فقال له عبادة ان فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل أسود لو رأيتهم كنت أهيب لهم وقد تقدم قول الاخضر وهو بلونه يفتخر وهو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب

وأنا الاخضر من يعرفنى * أخضر الجلدة فى بيت العرب

وفى معنى هذا الشعر

من يساجلنى يساجل ماجدا * يملأ الدلو الى عقد الكرب

ولما سمعه الفرزدق وكان شريفا فى قومه أيضا نضى ثيابه وقال أنا أساجلك فلما انتسب له وتبين انه من ولد عبد المطلب لبس ثيابه وقال والله لا يساجلك الا من عض بذكر أبيه وكان الفضل هذا أحد شعراء بنى هاشم وفصحائهم وكان شديد الادمة وهو هاشمى الابوين وانما أتته الادمة من قبل جدته وكانت حبشية ومن أحسن ما اعتذر به الجون الاسود اللون قول نصيب

كسيت ولم أملك سوادا وتحته * قميص من القوهى بيض بنائقه

والقوهية ثياب بيض وكذلك قيل جسم قوهى قال الشاعر

وذات خدمورد * قوهية المتجرد

ويقال هيش قاه أي مخصب ناعم ولأبي الطيب

انما الجلد ملبس وابيضاض الجلد خير من ابيضاض العباء

وفي النوادر لعبد بني الحسحاس

أشعار عبد بني الحسحاس قمن له * عند الفخار مقام الاصل والورق

ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما * أو أسود اللون اني أبيض الخلق

اسم هذا العبد سحيم وكان حبشيا أعجمي اللسان ومولاه جندل من بني الحسحاس فباعه فاشتراه عبد الله بن أبي ربيعة وكتب الى عثمان رضي الله عنه اني قد ابتعت لك غلاما شاعرا فكتب اليه عثمان لا حاجة لي به فاردده فانما قصارى أهل العبد الشاعر ان شبع أن يشبب بنسائهم وان جاع أن يهجوهم فرده عبد الله فاشتراه أبو معبد فكان كما قال عثمان شبب بابنته عميرة وفحش وشهرها فحرقه بالنار ومن ملح هذا الفصل وفيه ذكر التحلي بالعشق والتخلي من الفسق كان في شعر العبد سحيم الاسود الذي شبب فيه بابنة أبي معبد

توسدني كفا وتثني بمعصم * علي وتحنو رجلها من ورائيا

قلت حق للعاهر الاخرق اذا أحصن ان يرجم ان لم يحرق ثم هذا العبد الاحمق لا يخلو أن يكذب أو يصدق فان صدق فقد عهر وشهر وان كذب فقد فخر وفجر وابتأر وابتهر وفي الحديث الابتهار بالذنب أعظم من ركوبه والعاقل يستتر ويستحي من ذكر ذنوبه ثم العشاق لا الفساق الى هلم جرا اذا خلا أحدهم بمعشوقه لم يضرب زيد عمرا بل يقنع بالشكوى وذكر حديث البلوى (كما روى) ان اعرابيا قيل له وقد كان طال عشقه بجارية ما كنت صانعا لو ظفرت بها ولا يرا كما غير الله قال اذا والله لا أجعله أهون الناظرين كنت أفعل ما أفعله بحضرة أهلها شكوى وحديث عاتب وأعرض عما يسخط الرب وقال آخر كنت أطيع الحب في لثمها وأعصي الشيطان في اثمها وأما العشاق الفساق فأكثر ما ينشدون

رأيت الحب ليس له دواء * سوى وضع البطون على البطون

نعم ولو أمكنهم وضع الرقاق على الرقاق لكان ذلك في الرقاق أف لهم أما علموا ان الحب يفسد بالنكاح ولا يكون بعده فلاح كما قالوا الظفر بالمعشوقة يسقط شطر عشقها والنكاح يفسد الحب قلت واذا كان الخلو والدنو فليترك العلو والغلو فان بعدهما السلو ويستشهد على هذا بما أنشده البكري للمأمون

ذكر العشاق والفساق

ما الحب الا قبلة * وغمز كف وعضد
أو كتب فيها رقى * أنفذ من نفث العقد
من لم يكن ذا حبه * فانما يبغى الولد
ما الحب الا هكذا * ان نكح الحب فسد

ذكر هذا شاهدا على ماخرجه أبو على فى النوادر من قول الاعرابى هذا الطالب ولد
وكيف مادارت الحال فلا بأس بالعشق الحلال ولا يلام عاشق السوداء اذا بلغ
حبها الى السويداء ألم تسمع

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

وسيأتى فى ذكر الكلب الاسود كلام أحسن من هذا وأجود انظره فى باب ناب
وقد أذكر فى هذا الخبر أبياتا قلتها لرجل اسمه على وكنت أمرته أن يشترى لى سوداء

أباحسن هجرت نساء دارى * لامر ليس من عيب وعار
ولكن عندهن جفاء قول * واغلاظ يقل له اصطبارى
ويعلمن احتياجى كل وقت * لهن فيقتصدن لذا ضرارى
فسق لى من هنالك يا عمادى * بالاستعجال منك والابتدار
بماعنهن أستغنى ولو لم * تكن الا سويدا مثل قار
تكون خديمتى وتكون أنسى * وتقضى حاجتى عند اضطرارى
فعجل يا على بها وسقها * الى على المراد والاختيار
فتاة بنت خمس بعد عشر * مهفهفة بجسم كالنضار

وجعلت أصفها الى أن قلت آخر ذلك

وطال على ذلك فاختصرنا * ألا ان البلاغ فى الاختصار
تكون مليحة وبذا تسمى * فالاسم هو المسمى لا تمارى
فان جاءت على المرغوب أشدو * وأنشد بيت ملذوع بنار
أحب لها السودان حتى * أحب لذاك تين الانبذار

أستغفر الله مما لا يرضاه وخار لنا فيما قدره وقضاه وقد أريتك أعزك الله السواد
الظاهر للاجتلاب فانظر فى السواد الباطن للاجتناب * اعلم ان الران هو السواد
الذى يغشى قلب العبد من تراكم الخطايا والذنوب ثم لهذا الداء والحمد لله دواء
يقلعه ويمحوه وهو التوبة والاقلاع والنزوع والاستغفار أخبر بذلك طبيب القلوب

محمد الحبيب صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام ان العبد اذا أخطأ خطيئة نكت فى قلبه نكتة سوداء فاذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذى ذكره الله تعالى قال كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون خرجه الترمذى وقال حديث صحيح ولى من قطعة مطولة

وما اسوداد الوجوه الا * من فعل سوء وشؤم حوب

ما اسودّ أبناء حام الا * بعد ابيضاض من الذنوب

نعوذ بالله من سواد * على وجوه وفى قلوب

والكذب أيضا مما يسوّد القلب خرج مالك رحمه الله فى الموطأ عن عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه انه كان يقول لا يزال العبد يكذب وينكت فى قلبه نكتة سوداء حتى يسودّ قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين *(فصل)* تقدم فى شعر امرئ القيس * وفرع يغشى المتن أسود فاحم * أردت أيها الولد أن أفرّع لك من لفظة الفرع فروعا فتحلب منها ضروعا تكرع فيها كروعا وتشرع فيها شروعا فدونكها مخلوطة اللغة بالفوائد تزرى بالفرائد فأقول

تقدّم ذكر الجدّ والخال انني * أجىء بشئ فى فؤادى قد وقع

أفسر من بيت امرئ القيس لفظة * هى الفرع فانظر ما تفرّع من فرع

ولو كان غيرى ساق ما قد ذكرته * ولم يدره ان كان فى العلم قد برع

عسى ينفع المولى بذلك من قرا * علىّ ومن أصغى بأذنيه فاستمع

ومن كان لى شيخا وعانى الذى * جمعت ويا مولاى لا تنس من جمع

الفرع الشعر الكثير يقال رجل أفرع وامرأة فرعاء بينة الفرع وهو الشعر التام الذى لم يذهب منه شئ وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرع وأبو بكر أفرع وكان عمر أصلع له خفاف وكان على رضى الله عنه أصلع والخفاف أن يكون الشعر حول رأسه كالطرة ولعل عمر رضى الله عنه حين قال له رجل الصلعان خير أم الفرعان قال عمر الفرعان انما عنى بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه ويقال فرع الرجل صار أفرع والفرع الشعر أيضا قالت صبية من العرب لامها اشترى لى لوطا أغطى به فرعى فانى قد عتقت * اللوط الازار وعتقت أدركت وجمعها عواتق ومنه فى الحديث أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخرجهنّ فى الفطر والاضحى العواتق والحيض وذوات الخدور الحديث

ولشيخي أبي محمد عبد الوهاب رضي الله عنه من قطعة مطولة لزومية

هو الشيب مشتعل في المفارق * فوصلا والا فهجر المفارق
أما في ثلاثين حولا تقضت * له زاجر عن هوى كل عاتق
وكم ذا تحمل عبء الهوى * على ثقله بين أذن وعاتق

وقد تقدم بعضه وفي هذا الشعر

وكم شققت منه قلبا سليما * قدود الغصون خدود الشقائق
وكم خالل القلب حتى تبدت * خلال مصلاه خمس شقائق

شقائق

أنظرها بكمالها في التكميل ولا أخليك هنا من فائدة الشقائق في البيت الاول يريد شقائق النعمان الذي يقال له الشقر كما قال طرفة * وعلا الخيل دماء كالشقر * وشقائق جمع شقة ويجمع على شقق وسميت شقة لبعد طرفيها وليس غيرها من الثياب كذلك ومنه شقة السفر أي بعده والله أعلم وقوله في البيت الآخر خمس شقائق يريد أخوات أو أتراب وقال ثابت رحمه الله في قوله عليه السلام انما النساء شقائق الرجال يقول هن في شبههن بالرجال كعصا ارفضت شقتين فكان الرجل شقة والمرأة شقة والشق والشقيق واحد تقول هذا أخي شق نفسي وشقيقي انتهى كلامه وتصغيره شقيق كما قال الشاعر * يا ابن أمي ويا شقيق نفسي * البيت والفرع أيضا أعلى كل شئ ومنه فرع الشجرة قال الشاعر وكان اتخذ قوسه من فرع شجرة أي من غصن غير مشقوق فاذا كان كذلك قيل قوس فرع والذي يعمل من المشقوق يقال لها قوس فلق فقال

أرمي عليها وهي فرع أجمع * وهي ثلاث أذرع واصبع

بالفرع والعتيرة

ذكر هذا الخبر ثابت في الدلائل وقال يقال رميت عن القوس ورميت عليها ولا يقال رميت بها قلت قد جاء في الحديث ورميه بقوسه وأسهمه في حديث ليس من اللهو الا ثلاث * هذا الكلام في الفرع بتسكين الراء فأما الفرع بتحريكها بالفتح فانه أول النتاج وقد أفرع القوم اذا نتجوا أول الناس وكانوا في الجاهلية يذبحونه لآلهتهم فلما جاء الاسلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا فرع ولا عتيرة والعتيرة هي الرجبية ذبيحة كانوا يذبحونها في رجب لانه أول الاشهر الحرم وخرج أبو داود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس ان على أهل كل بيت في كل عام أضحية وعتيرة أتدرون ما العتيرة هي التي يقول لها الناس الرجبية قال أبو داود

العتيرة منسوخة وقد صح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا فرع ولا عتيرة ذكر هذا بعد حديث آخر ان النبي عليه السلام قال من شاء عتر ومن شاء لم يعتر ومن شاء فرع ومن شاء لم يفرع والفرع أيضا الطول ومنه حديث سودة زوجة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة عظيمة تفرع النساء يقال فرعت النساء اذا طلتهن ومنه قيل جبل فارع وفارع اسم أطم حسان بن ثابت رضي الله عنه والاطم اسم كل بناء مرتفع مطول والفرع أن يسلخ جلد فصيل فيلبس فصيلا آخر يعطف عليه سوى أمه ومنه قول أوس بن حجر وذكر أزمة في سنة شديدة البرد

وشبه الهيدب العبام من الأقوام سقبا مجللا فرعا

وتقول فرعت الجبل صعدته كما تقول طلعته بالكسر وأفرعت في الجبل انحدرت منه قال بعض العرب لقيت فلانا فارعا مفرعا يقول أحدنا مصعد والآخر منحدر قال الشماخ * فان كرهت هجائي فاجتنب سخطي * لا يدهمنك افراعي وتصعيدي و يروى لا يدركنك وقد قالوا افرعت في الجبل تفريعا انحدرت وفرعت الجبل أيضا صعدت و يقال فيهما أفرعت وهو من الاضداد و يقال فرعت بين القوم بالتخفيف اذا حجزت بينهم وفرعت الفرس اذا قدعته باللجام و يقال أفرعت وفرعت رأسه بالعصا اذا علوته بها وافتراع البكر هو افتضاضها مأخوذ من الفصل بين الشيئين وفي الحديث ان جاريتين من بني عبد المطلب جاءتا تشتدان والنبي صلى الله عليه وسلم قائم يصلي فأخذتا بركبتيه ففرع بينهما أي فرق وقد يقال في افتراع الجارية انه ادماؤها مأخوذ من أفرع اللجام الدابة اذا أدمى فاها والفرعة القملة الكبيرة تسكن وتحرك وجمعها فرع وفرع وتصغيرها فريعة و بها سميت المرأة ومن أسماء القملة أيضا الحمكة بتحريك الميم وجمعها حمك قال ذلك أبو زيد قال وقد يقال ذلك في الذرة والحمك الصغار من كل شئ والفرع بالضم موضع وفي الحديث فعادت القبلة وهي من ناحية الفرع وفرعة الطريق أعلاه وقال في البيت * كقنو النخلة المتعثكل * القنو العذق وهو العثكول وهي كباسة النخلة ذو الشماريخ وهي العراجين القضبان الرقاق واحدها عرجون كما قال الله تعالى كالعرجون القديم وفي الحديث بن العرجون أن سيف عبد الله بن جحش قطع يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عرجونا فعاد في يده سيفا فقاتل به فكان يسمى ذلك السيف العرجون وبيع بعد قتله رحمه الله بمائتي دينار من بغا التركي وواحد الشماريخ

شمراخ والعذق بالكسر هو القنو ويقال له أيضا قنى ويجمع قنى اقناء ويجمع قنو قنوان والعذق بالفتح النخلة والمتعشكل المتوارد بعضه فوق بعض لكثرته ويقال عثكول وعثكال كما يقال عنقود وعنقاد ويقال له أيضا اثكول واثكال وكذا جاء في حديث المقعد الذي زنى بالوليدة فأمر به صلى الله عليه وسلم أن يضرب باثكال النخل من أجل ضعفه وضره ويروى باثكول يعني الشماريخ كذا وقع في الدلائل ووقع في كتاب أبي داود فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأخذوا له مائة شمراخ فيضربوه بها ضربة واحدة (ومعكوس فرع) عرف بمعنى علم والمعرفة عند بعضهم

عرف فوق العلم والعرفان المعرفة والعرف بضم العين المعروف وفي القرآن خذ العفو وأمر بالعرف وعرف الفرس سمي بذلك لتتابعه وفي القرآن والمرسلات عرفا أي يتبع بعضها بعضا بالوحي والرسالة والله أعلم والعرف أيضا موضع والعرف شجر الاترجة والعرف أيضا جمع عرفة مواضع منها عرفة ساق وعرفة الاملح وعرفات جبل معروف وأعراف الرمال ظهورها والاعراف سور بين الجنة والنار حبس عليه رجال استوت حسناتهم وسيآتهم والمعرفة منبت عرف الفرس والعرف بفتح العين الرائحة الطيبة وقيل سواء كانت طيبة أو خبيثة لانهم قالوا ما أطيب عرفه وقالوا في المثل لا يحجز مسك السوء عن عرف السوء ومنه قوله تعالى عرفها لهم أي طيبها لهم وقيل يعرفون منازلهم فيها اذا دخلوها وجاء معنى هذا في الحديث لأحدهم بمنزله في الجنة أهدى منه به كان في الدنيا ومن أمثالهم الكريم سفح عرفه ونفح عرفه والعرف بفتح الراء نبت والعرفة قرحة تأخذ في اليد والرجل وربما أشلت قاله أبو علي والعرف بكسر العين من قولهم ماعرفت عرفي الا بأخرة أي ماعرفتني الا أخيرا والعارفة المعروف ورجل عروفة بالامور أي عارف بها والهاء للمبالغة وتقول عرف الرجل عرافة صار عريفا كما تقول خطب خطابة فان أردت انه عمل ذلك قلت عرف فلان علينا سنين يعرف عرافة كما تقول كتب يكتب كتابة والعريف القيم بأمر القوم وهو النقيب وهو دون الرئيس وجمعه عرفاء وفي الحديث حتى يرفع الينا عرفاؤكم أمركم وفي التنزيل من ذكر النقيب وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا والتعريف الاعلام والتعريف أيضا انشاد الضالة والتعريف الوقوف بعرفات يقال عرف الناس اذا شهدوا عرفات وهو المعرف للموقف ومنه

رعف رعف يرعف ويرعف رعافا ورعف بالضم لغة ضعيفة ويقال رماح رواعف اما

لتقدمها للطعن واما لما يقطر منها من الدم ورعف الفرس يرعف ويرعف اذا سبق وقد تقدم واسترعف مثله والراعف طرف الارنبة والراعف أنف الجبل وراعوفة البئر وأرعوفتها حجر ناتئ فى أسفلها ويقال بل فى أعلاها يقوم عليها المستقى وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سحر وجعل سحره فى جف طلع ودفن تحت راعوفة البئر وفيها لغتان راعوفة وأرعوفة بالضم حكاهما أبو عبيدة ويقال أيضا راغوفة بالغين المعجمة ومقلوبه أيضا عفر وهو التراب والعفرة غبرة فى حمرة وبه سمى الظبى أعفر وجمعه عفر وعفير اسم رجل وعفيرة اسم امرأة وقد تقدم حديث عفيرة والعفر الليلة السابعة والثامنة والتاسعة من الشهر لم يذكر ابن قتيبة العفر لكنه قال العرب تسمى ليالى الشهر كل ثلاث منها باسم فتقول ثلاث غرر وثلاث نفل وثلاث تسع وثلاث عفر وثلاث بيض وثلاث درع وثلاث ظلم وثلاث حنادس وثلاث دآدئ وثلاث محاق وعفرت الرجل بالتراب اذا ضربت به الارض والعفار شجر ومنه استمجد المرخ والعفار وسيأتى والعفر بكسر العين ذكر الخنازير والعفر أيضا الرجل الخبيث وجمعه أعفار والشيطان أيضا عفريت وعفرية وعفارية ولالفقيه أبى محمد من قطعة

رب غاو كأنه عفريت * ذى مجار الى الخنا خريت

ومقلوبه رفع وهو معلوم ورفع بضم الفاء رفاعة صار رفيعا كما تقول شرف والرفعة ضد الذلة ومن شكل الافتراع الاقتراع بالقاف وهو الاستهام ومن هذا الباب مقراع وهى الناقة التى تلقح فى أول قرعة الفحل ومنه قول ابن الرعيل بن الكلاب تحازمت الى هشام بن عبد الملك وأهديت له ناقة نجيبة فلم يقبلها فلما قوضت سرادقاته وقربت نجائبه قت فقلت يا أمير المؤمنين انها مطواع مسراع مرياع مقراع مسياع فضحك وأمر بأخذها وأمر لى بمال خرجه ثابت أيضا وفسر المقراع بما تقدم وقال مطواع أى تطيع راكبها المكرمها ومسراع تسرع من نجابتها وفراهتها ومرياع تسبق النوق لحدتها وسرعتها ثم تريع أى ترجع لالفها والمرباع التى تنتج فى أول الربيع وقوله مسياع يعنى انها المليت بالشحم كما يطلى الشئ بالطين والسياع الطين وقوله تحازمت أى عارضته فى ركوبه قال الفراء حازمت الرجل الطريق وهو أن تأخذ فى طريق ويأخذ فى غيره حتى تلتقيا فى مكان ومن غير الدلائل الريع النماء والزيادة وهو أيضا العود والرجوع كما فى هذا

الخبر ومنه قول البعيث

طمعت بليلى أن تريع وانما * تقطع أعناق الرجال المطامع

وسئل الحسن عن القئ يذرع الصائم فقال هل راع منه شئ فقال السائل ما أدرى ما تقول فقال هل عاد منه شئ والريع بالكسر المرتفع من الارض ومنه قوله تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون والريع أيضا الطريق و يقال الجبل وجاء أيضا رجل مضياع مسياع للمال وهو أيضا مضيع مسيع عن أبى عبيد (وأما القرع) فهو ذهاب الشعر وقد قرع فهو أقرع بين القرع ورجال قرعان وقرع وموضع ذلك من الرأس القرعة و يقال ألف أقرع أى تام والاقرع من الرجال يكنى أبا الجعد كما يكنى الاعمى أبا بصير وكما يقال للغراب أعور على القلب لحدة بصره و يسمى اللديغ سليما من قولهم سليما ومسلوما والسلم لدغ الحية قاله ثابت رحمه الله والقرع فى المراح من هذا وكانوا يستعيذون بالله من قرع المراح وصفر الفناء وقال ثعلب نعوذ بالله من قرع الفناء بالتسكين على غير قياس وفى الحديث عن عمر رضى الله عنه قرع حجكم أى خلت أيام الحج من الناس ومن دعائهم اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء وسوء القضاء وصفر الفناء وعضال الداء ومن هذا قول الشاعر

وجزال لمولاه اذا ما * أتاه عائلا قرع المراح

جزال يجزل له من ماله اذا أتاه مولاه وهو ابن عم له أو ما أشبهه عائلا فقيرا قد قرع مراحه فليس له مال ولا ابل ومراحه حيث تأوى ابله اذا انصرفت من مرعاها وقد تقدم قول الاعرابى فقرع مراحى وذيت أوضاحى والاقرع من الحيات الذى لا شعر على رأسه ومنه الحديث من كان له مال لم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع أى قد تمعط شعره لكثرة سمه وجمع الشجاع أشجعة ثم شجعان وقال الشاعر

قد سالم الحيات منه القدما * الافعوان والشجاع الشجعما

وسيأتى تفسيره والقرعة معروفة والقارعة يوم القيامة وقارعة الطريق أعلاه وقارعة الدار ساحتها وقوارع الدهر شدائده وقوارع القرآن الآيات التى يقرؤها الانسان اذا فزع من الجن أو الانس نحو آية الكرسى كأنها تقرع الشيطان والمقارعة المساهمة يقال قارعته فقرعته والمقارعة أيضا مقارعة الابطال اذا قرع بعضهم بعضا وأما القرع باسكان الراء فهو الدباء المعروف وهو حمل اليقطين ومن

بلفظ الدباء الدبى مقصور وهو الجراد قال امرؤ القيس * اذهن أقساط كرجل الدبى *
والرجل الجماعة منها وأقساط قطع وربما قالوا فى الدباء القرع بتحريك الراء قال
المعرى هما لغتان والتحريك أجود وأنشد

بئس ادام العرب المعتل * ثريدة بقرع وخل

وأكثر ما تسميه العرب الدباء والقرع بالتحريك بثر يخرج بالفصال فى الأعناق
والمشافر ودواؤه الملح وجباب ألبان الابل فان لم يجدوا ملحا نتفوا أوباره ونضحوا
جلده بالماء ثم جروه على السبخة ومنه المثل أحر من القرع وربما قالوا أحر من القرع
بالتسكين يعنون به قرع الميسم وهو المكواة قال الشاعر فى ذلك

كأن على كبدى قرعة * حذارا من البين ما تبرد

والعامة تريد به القرع الذى يؤكل وليس كذلك والمقرع هو المجرو كما تقدم قال
أوس بن حجر

لدى كل أخدود يغادرن دارعا * يجر كما جر الفصيل المقرع

والفصيل قريع والجمع قرعى مثل مريض ومرضى ويقال فى المثل استنت
الفصال حتى القرعى والقرع أيضا مصدر قرع الشئ يقرعه قرعا اذا ضربه بعصا
أو غيره ومنه المقرعة ومن القرع قول الشاعر * قرع القواقيز أفواه الأباريق *
وقال آخر العبد يقرع بالعصا * والحر تكفيه الملامه
وأنشد ابن قتيبة فى عيون الأخبار

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

وأنشد غير ابن قتيبة

وزعمتم ان لا حلوم لنا * ان العصا قرعت لذى الحلم

ومعكوس قرع عرق والعرق معروف وابن عرق اذا فسد طعمه وعرق الشجر عرق
وأعرق اذا امتدت عروقه والعرق واحد العروق وفى الحديث وليس لعرق ظالم
حق وتفسيره أن يجئ الرجل الى أرض قد أحياها غيره فيغرس فيها أو يزرع
فيستوجب الأرض قال الخطابى يروى على وجهين عرق بالتنوين وظالم نعته
وعرق ظالم بالاضافة يعنى به الغارس والعرق الجبل الصغير والعرق نبات أصفر
يصبغ به ورجل معرق فى الحسب وعرق فيه أعمامه وأخواله وأعرقوا وانه
لعروق فى الكرم ويقال أيضا معرق كما قال بعض الصالحين ان امرأ ليس بينه

وبين آدم عليه السلام أب حيّ لمعرق له فى الموت وأعرق الفرس صار عريقا
والعراق شاطئ البحر وبه سمى العراق لأنه على شاطئ دجلة والعراق بضم
العين العظم بلا لحم فان كان عليه لحم فهو عرق وقد تعرقت العظم واعترقته وعرقته
أعرقه عرقا أكلت ما عليه من اللحم وفى الحديث وفى يده عرق ورجل معروق
ومعترق خفيف اللحم والعرق الطير تصطف فى السماء واحدته عرقة والعرق
السطر من الخيل والعرق السفيفة من الخوص وغير المنسوجة وبه سمى الزنبيل
عرقا وفى الحديث فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر ومقلوبه قعر **قعر**
كل شئ أقصاه وبئر قعيرة وتقعر الرجل وقعر اذا تشدق فى كلامه وتكلم بأقصى
قعر فيه والمقعر الذى يبلغ قعر الشئ * ومقلوبه أيضا رعق يرعق رعاقا وهو صوت **رعق**
يسمع من قنب الدابة والقنب غلاف ذكر الفرس ومقلوبه أيضا رقع الثوب رقعا **رقع**
ورقعته والرقيع الأحمق الذى يتمزق عليه رأيه وقد رقع رقاعة ويقال للرقيع
أرقع والرقيع اسم لسماء الدنيا ويقال كل واحدة رقيع الأخرى وهو الذى ألغزه
الحريرى رحمه الله فى قوله أينام العاقل تحت الرقيع * قال أحبب به فى البقيع
عنى بالرقيع السماء وبالبقيع بقيع المدينة شرفها الله وفى الحديث من فوق سبعة
أرقعة جاء على لفظ التذكير كأنه ذهب به الى السقف والله أعلم والرقعة القطعة من
الثوب والأرض وغيره ومقلوبه أيضا عقر العقر والعقر مصدر العاقر من النساء
وقد عقرت المرأة وعقرت تعقر فهى عاقر وعقير وفى التنزيل وامرأتى عاقر **عقر**
ويقال عقرت تعقر والعاقر من الرمل ما لا ينبت والعقر دية الفرج المغصوب والعقر
بيضة الديك وعقر الحوض موقف الابل اذا وردت وفى الحديث عن النبى صلى الله
عليه وسلم أنه قال انى لبعقر الحوض أو بعقر حوضى أو كما قال وعقر الدار وعقرها
محلة القوم ويقال العقر والعقر فرجة ما بين الشيئين والعقر كالجرح والعقر
أيضا القتل ومنه عقر فرسه وفى الحديث عقر جواده وأهريق دمه ومنه معاقرة
الاعراب التى نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ما كانوا يعقرونه للمباهاة
والفخر وقال عليه السلام لا عقر فى الاسلام وفسر بهذا وبما يعقر على القبور
وسيأتى فى باب الواو ان شاء الله والعقار الضيعة والعقار الخمر والعقار والمعاقرة
ادمان شربها وعقيرة الرجل صوته وأصله ما ذكره ابن قتيبة فى أدب الكاتب أنظره
فى الكتب والعقيرة أيضا ما عقرت من صيد وغيره وعقر الرجل اذا دهش ومنه قول

عمر رضي الله عنه فعقرت حتى وقعت الى الارض ما تحملني رجلاى والعقر موضع
وامرأة عقرى حلقى وهو في الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم ومعناه
عقرها الله وحلقها ومن ذلك الدعاء الذي لا يراد وقوعه كما قال تربت يداك وسيأتي
ان شاء الله تعالى قال الخطابي قال أبو عبيد انما هو عقرا حلقا على معنى الدعاء معناه
عقرها الله وحلقها أي عقر جسدها وأصابها بوجع في حلقها قال الخطابي وقال
غيره والعرب تقول لأمه العقر والحلق أي ثكلته أمه فتحلق شعرها وهي عاقر
لا تلد وروى عن وكيع بن الجراح قال قوله حلقى هي المشؤمة والعقرى التي لا تلد
وقيل هي المشؤمة تحلق قومها وتعقرهم أي تستأصلهم من شؤمها ومما يشبه القرع
القزع بالزاي وهو السحاب واحدتها قزعة ومنه الحديث وما ترى في السماء
قزعة أي قطعة سحاب قال الزبرقان

ونحن نطعمهم في القحط ما أكلوا * من العبيط اذا لم يؤمن القزع

قال أبو عبيد أكثر ما يكون في الخريف والقزع من الصوف ما تناتف في الربيع
وكبش أقزع منتتف الصوف والقزع أيضا ان يحلق من رأس الصبي بعض
و يترك بعض ولعله من هذا يشبه به ونهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وجاء من ذكر القزع ما خرج أحمد عن عدى من حديث أبي هريرة أن النبي صلى
الله عليه وسلم نهى أن يتغوط الرجل في القزع من الارض قيل وما القزع قال
ان يأتي أحدكم الارض فيها النبات كأنما قمت قامته فتلك مساكن اخوانكم
من الجن ومن القزع قول الاعرابي الذي وصف الابل فقال هي تطاير قزعا ير يد
انها طار عنها وبرها من السمن وقال الشاعر

فلما فنى ما في الكنائن ضاربوا * على القزع من جلد الهجان المجوف

قوله فنى هي لغة في فنى يقولون فنى الشئ و بقى مثله وأنشد

فلولا زهيران أكدر نعمة * لقازعت عنه ما بقيت وما بقى

خرجه ثابت رحمه الله وقد قالوا محا يمحو ومحى يمحى ومحا يمحو ويمحى
ولم يقولوا محى وسيأتي نوع من هذا ويقال قزع الظبي وغيره يقزع قزوعا أسرع
وخف ومنه قولهم قوزع الديك اذا غلب فهرب قال يعقوب ولا تقل قنزع لانه
ليس بمأخوذ من قنازع الرأس وهو الشعر حوالى الرأس وانما هو من قزع يقزع
اذا خف في عدوه هاربا وواحد القنازع قنزعة وفي الحديث غطى عنا قنازعك

يا أم أعين وقالوا رجل مقزع رقيق شعر الرأس متفرقه وربما قالوا في جمعها قنزعات قال حميد الارقط يصف الصلع

كأن طسا بين قنزعاته * مرتا تزل الكف عن فلاته

ذلك نقص المرء في حياته * وذاك يدنيه الى وفاته

* لا الرزء في بعيره وشاته *

قزع ومعكوس قزع عزق وهو علاج في عسر ورجل عزق منه ومتعزق والمعزاق المسحاة من الحديد ونحوه مما يحفر به وأرض معزوقة اذا شققتها بالمعزقة

زعق (ومقلوبه) زعق وهو الخوف وقد أزعقه الخوف حتى زعق فهو مزعوق والماء الزعاق المر وقد أزعق الرجل اذا حفر فأنبط ماء زعاقا وبئر زعقة وطعام

زقع مزعوق كثير الملح ومقلوبه أيضا زقع الحمار زقعا وزقاعا اذا ضرط ومن

فزع شكل قزع فزع يقال فزعت اليك وفزعت منك ولا تقل فزعتك والمفزع الملجأ وفلان مفزع للناس يستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث اذا دهمهم أمر فزعوا اليه فهو مفزع وكذلك هم مفزع وهى مفزع والفزع أيضا الاعانة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع وقد فسر هذا الحديث صاحب الكامل في أول الكتاب فانظره هنالك والافزاع الاخافة والاعانة أيضا يقال فزعت اليه فأفزعني أى لجأت اليه من الفزع فاعانني وكذلك التفزيع من الاضداد يقال فزعه أى أخافه وفزع عنه أى كشف عنه الخوف ومنه قول الله تعالى حتى اذا فزع عن قلوبهم أى كشف

عزف عنها الفزع (ومعكوس فزع) عزف تقول عزفت نفسى عن الشئ تعزف عزوفا أى زهدت فيه وانصرفت عنه والعزيف صوت الجن وقد عزفت تعزف والعازف اللاهى والعازف اللاعب بها والمغنى وقد عزف عزفا ومنه قول أبى جهل في قصة بدر * وتعزف بها علينا القيان * وعزف الرياح أصواتها وسحاب عزاف

زعف يسمع منه عزيف الرعد وهو دويه (ومقلوبه) زعف تقول زعفه زعفا قتله مكانه وكذلك ازعفه زعفا ومنه سم زعاف وموت زعاف وزؤاف أيضا مثل زعاف و لزعيدة بالكسر القصيرة واصل الزعانف اطراف الاديم واكارعه وذلك ذم فان

زغف نقطت العين قلت زغف وزغف جمع زغفة وزغفة وهى الدرع اللينة وقال

فرغ الشيبانى هى الواسعة بقى من شكل فزع (مرغ) فرغت من الشغل أفرغ فروغا

وفراغا

وفراغا وتفرغت لكذا واستفرغت مجهودى فى كذا أى بذلته وفرغ الماء بالكسر يفرغ فراغا مثل سمع سماعا أى انصب وافرغته أنا وحلقة مفرغة أى مصمتة الجوانب والفرغ مخرج الماء من الدلو بين العراقى ومنه سمى الفرغان من منازل القمر والفراغة ماء الرجل وهى النطفة وقوس فريغ واسع السىّ وذهب دمه فرغا وفراغا أى هدرا لم يطلب به والفراغ فى اللغة على ضربين الفراغ من شغل والفراغ الى الشئ ومنه قوله تعالى سنفرغ لكم أيه الثقلان قيل معناه سنقصد لكم أى لحسابكم أى سنحاسبكم فنعذبكم يقال سأفرغ لفلان أجعله قصدى والله تعالى ان يشغله شأن عن شأن وقوله تعالى كل يوم هو فى شأن معناه يميت ويحيى مايولد ويعز ويذل ويعطى سائلا ويجيب داعيا ويشفى مريضا ويفك عانيا وشأنه كثير لايخفى لا اله الا هو (ومعكوس فرغ) غرف الغرف شجر

غرف

يدبغ به يقال سقاء غرفى أى مدبوغ بالغرف وربما جاء غرف بالتحريك قال أبو خراش

أمسى سقام خلاء لا أنيس به * الا السباع ومر الريح بالغرف

وسقام اسم واد والغريف الشجر الملتف الكثير من أى شجر كان ومنه قيل أسد الغريف وغرفت الشئ فانغرف أى قطعته فانقطع ومنه قول قيس بن الخطيم

تنام عن كبر شأنها فاذا * قامت رويدا تكاد تنغرف

وغرفت الماء بيدى فانغرف غرفا واغترفت منه وفى التنزيل الا من اغترف غرفة بيده أى مرة واحدة وقرئ غرفة بالضم وهو اسم للمفعول منه لانك مالم تغترفه لا تسميه غرفة والجمع غراف مثل نطفة ونطاف وزعموا أن ابنة الجلندى وضعت قلادتها على سلحفاة فانسابت فى البحر فقالت * ياقوم نزاف نزاف * لم يبق فى البحر غير غراف * والغرفة العلية والجمع غرفات وغرقات وغرفات وغرف وفى التنزيل أولئك يجزون الغرفة بما صبروا وهم فى الغرفات آمنون والمغرفة معلومة مايغترف به (ومقلوبه رفغ) الرفغ السعة والخصب يقال رفغ عيشه بالضم رفاغة

رفغ

اتسع فهو عيش رافغ ورفيغ واسع طيب وترفغ الرجل توسع والرفغ والرفيغ واحد الارفاغ وهى المغابن من الآباط وأصول الفخذين (ومقلوبه أيضا فغر) يقال

فغر

فغرفاه أى فتحه وفغرفوه انفتح وانفغر النجم والنجم الثريا يقال ذلك فى الشتاء لان الثريا اذا توسطت كبد السماء من نظر اليها فغرفاه والفاغر ضرب من الطيب

وهو أصل الباوفر (ومقلوبه أيضا رغف) جمع رغيف قال الراجز

ان الشواء والنشيل والرغف * والقينة الحسناء والروض الانف

للطاعنين الخيل والخيل قطف *

ويجمع رغيف أيضا رغفان مثل كثيب وكثبان وأرغفة مثل قبص وأقصة (ومقلوبه أيضا غفر) بمعنى ستر ومنه غفر الله لنا أى ستر وغطى عيوبنا ومنه مغفر الرأس أى الذى يستره خرجت من شئ الى غيره * من آب حتى سقت فيه وأب

وكل له علم ومن يخله * فانه خلو من أم وأب

(فصل) مما بقى من فوائد هذا الفصل تقدم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يضرب المقعد الذى زنى بالوليدة بمائة شمراخ ضربة واحدة قلت ولعل هذا أخذه صلى الله عليه وسلم من فعل أيوب عليه السلام حين حلف أن يضرب امرأته مائة ضربة ففرج الله عنه وعنها بأن قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فأخذ

قصة أيوب

شمراخا فيه مائة عرجون فضربها به ضربة وكان سبب يمينه ما روى وهب بن منبه قال كان أيوب عليه السلام من ذرية العيص بن اسحاق وتزوج ليا ابنة يعقوب عليه السلام وقيل بل كانت زوجته رحمة ابنة افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليهما السلام وكانت أم أيوب ابنة لوط عليه السلام وان ابليس اللعين سمع تجاوب ملائكة السموات بالصلاة على أيوب حين ذكره ربه وأثنى عليه فأدرك ابليس الحسد والبغى فسأل الله ان يسلطه عليه ليفتنه عن دينه فسلط على ماله دون جسده فأذهب ماله كله فشكر أيوب عليه السلام ربه ولم يغيره ذلك عن عبادة ربه فسأل ابليس أن يسلطه على ولده فأهلك ولده فشكر الله أيوب ولم يغيره ذلك عن عبادة ربه فسأل ابليس أن يسلطه على جسده فسلط عليه دون لسانه وقلبه وعقله فجاءه وهو ساجد فنفخ فى منخره نفخة اشتعل بها جسده فصار أمره الى أن تناثر لحمه فأخرجه أهل القرية من القرية الى كناسة خارج القرية فلم يغيره ذلك عن عبادة ربه وذكره ومما أرويه عن الحافظ رحمه الله بالاسناد الصحيح أن أيوب عليه السلام لما ابتلى قال لنفسه قد نعمت سبعين سنة فاصبرى على البلاء سبعين سنة خرجه الثقفى فى الاربعين له قلت لعله يهجس فى خاطرك أن تقول مثل هذا العبد الصالح يبتليه الله بمثل هذا البلاء وهو الكريم عليه والعزيز لديه فاعلم ان البلاء للانبياء والاولياء كرامة ورفعة ويكفى أيوب عليه السلام شرفا وفضلا أن ابتلاه أياما قلائل وبقى الثناء عليه

يتلى فى الصلاة و يقرأ فى المساجد انا وجدناه صابرا نعم العبد انه أوّاب وقال أبو طالب فى كتاب القوت وذكر هذا المعنى قال و بين ذكر سليمان بهذا النعت و بين ذكر أيوب عليه السلام بهذا الثناء ثلاثة عشر مدحا زيد بها أيوب على سليمان عليهما السلام وعدّدها كلها أنظرها فى الكتاب المذكور وقد جاء فى الحديث ان الانبياء أعظم الناس بلاء ثم الامثل فالامثل لكن الله أعلم حيث يجعل رسالته وفى كتاب الاربعين للثقفى المذكور عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تنصب الموازين يوم القيامة فيؤتى بأهل الصلاة وأهل الصيام وأهل الصدقة وأهل الحج فيوفون بالموازين و يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان و يصب الاجر عليهم بغير حساب وقال ابن عباس رضى الله عنهما لما أصاب أيوب البلاء أخذ ابليس تابوتا وقعد على الطريق يداوى الناس فجاءته امرأة أيوب فقالت له أتداوى رجلا به علة كذا قال نعم بشرط انى ان شفيته قال لى أنت شفيتنى لا أريد منك أجرا غيرها فجاءت امرأة أيوب الى أيوب فأخبرته فقال ذلك الشيطان والله لئن برأت لاضربنك مائة فكان ماتقدم * حدثنى بعض اشياخى قال رحل رجل فى طلب العلم الى بغداد فقرأ ماشاء الله ثم بدا له فى الانصراف الى وطنه فاكترى دابة وخرج من البلد فوقف المكترى يشترى بعض حوائجه فسمع رجلا بقالا فى حانوته يقول لآخر فى حانوته أيضا أى فل ألم تر ما يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه يجيز الاستثناء فى اليمين بعد سنة قال له صاحبه وماذاك قال ذاك باطل قال له ومن أين تقول ذلك قال تفكرت البارحة فى قول الله تعالى فى قصة أيوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث فلو كان الاستثناء ينفع لقال له قل ان شاء الله ولا تحنث فقال هذا الطالب للكارى ردنى الى البلد ان بلدا اباعته فى هذه المنزلة من العلم فضلا عن العلماء لا ينبغى أن يرحل عنه هذا معنى الحكاية وقد ذكرت هذه الحكاية لبعض العلماء فقال يحتمل أن يكون ذلك فى شريعة أيوب عليه السلام وليس فى شرعنا والله أعلم * وتقدم المعرفة منبت عرف الفرس وفى الحديث عن عائشة رضى الله عنها انها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم رأيتك يارسول الله واضعا يدك على معرفة فرس وأنت قائم تكلم دحية الكلبى قال أوقد رأيتيه قلت نعم قال فانه جبريل وهو يقرئك السلام قالت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته وجزاه الله خيرا من زائر ودخيل ونعم الصاحب ونعم الدخيل * وتقدم الاقتراع ومنه حديث حميد بن هلال رحمه الله

وذكر شأن يونس عليه السلام قال ركب مع قوم في سفينة فجعلت السفينة لا تمضي فقال بعضهم لبعض ما هذا الا بذنب بعضكم فاقترعوا أيكم يلقى في الماء قال فاقترعوا وبقي سهمه في الشمال خرجه ثابت وقال قوله وبقي سهمه في الشمال يعني أن سهمه خرج مقمورا قال الشاعر

رأيت بني العلات لما تظافروا * يحوزون سهمي دونهم في الشمائل

وذلك أن الضارب بالقداح اذا خرج المنيح أمسكه بيده الشمال لانه لا حظ له فيقول صير واحظي في الشمائل أي صير واحظي المنيح ولم يعطوني شيئا ومعنى تظافروا تعاونوا وخرج أيضا عن سالم بن أبي الجعد في قصة يونس فأوحى الله الى الحوت أن لا تضر له لحما ولا عظما وفسره قال صريت الشيء قطعته انتهى كلامه والمنيح من سهام الميسر وهي عشرة ذكرها أبو عبيد وغيره سبعة منها لها أنصباء وثلاثة لا شيء لها فمن التي لها سهم المعلى ومن التي لا شيء لها المنيح أخذ هذا المعنى الشاعر فقال

فسهمي من قطيعته المعلى * وسهمي من مودته المنيح

وهذا شيء مستحسن مليح وجاء في الهداية تقول العرب اجعلني في يمينك ولا تجعلني في شمالك أي اجعلني من المتقدمين عندك ولا تجعلني من المتأخرين وهو قوله تعالى أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة أي أصحاب التقدم وأصحاب التأخر وأنشد

أبيني أفي يمنى يديك جعلتني * فأفرح أم صيرتني في شمالك

وسيأتي في باب انواع من هذا في الايسار والميسر * وتقدم ذكر القرع وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكله ويحبه ويقول نكثر به طعامنا وروى أبو طالوت قال دخلت على أنس بن مالك وهو يأكل القرع ويقول يا لك من شجرة ما أحبك الى لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك وفي حديث آخر عنه قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتتبع في الصحفة يعني الدباء فلا أزال أحبه وفي حديث آخر عن أنس رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر من أكل الدباء فقلت يا رسول الله انك تكثر من أكل الدباء قال انه يكبر الدماغ ويزيد في العقل ومن ملح هذا الفصل أن الغراب يقال له أعور ويقال له أيضا أبو البيضاء وأنشدني بعض الاصحاب ولم يسم قائله

لي عبد سوء وعبد السوء منقصة * والمسترق لعبد السوء مولاه

قالوا سعادة قال من سعادته * كأنهم جهلوا اسما ضد معناه

هذا الغراب أبو البيضاء كنيته * فانظر بأى سواد خصه الله

وتقدم المقرعة وأنشدنى الخطيب الفقيه أبو محمد عبد الوهاب قال كنت أمشى فى الشعواء فى موضع قفر واذا بأيل فلما رآنى نفر منى وفزع وكان على عنقى أشياء أحملها فقلت وهو لز ومى

ألا لا تكثر الرعبا * فلست بمن به تعبا
وكيف تخاف من عدوى * ضعيف حامل أعبا
ولكن ليت مقرعة * تفتت ذلك الكعبا

وتقدم * لذى الحلم قبل اليوم ماتقرع العصا * هذا البيت للتلمس وسببه ان سعيد بن مالك كان عند بعض الملوك فأراد الملك أن يبعث رائدا يرتاد له منزلا ينزله فبعث عمرو ابن مالك بن ضبيعة وهو الذى قيل فيه البيت المتقدم فأبطأ عليه فقال الملك لئن جاء ذاما أو حامدا لنقتلنه فلما جاء عمرو وسعيد عنده قال سعيد للملك أتأذن لى فأكلمه قال اذا أقطع لسانك قال فأشير اليه قال اذا أقطع يدك قال فأومئ اليه قال أقطع جفن عينك قال فأقرع له بالعصا قال اقرع فأخذ العصا فضرب بها عن يمينه ثم ضرب بها عن شماله ثم هزها بين يديه فلقن عمرو فقال أبيت اللعن جئتك من أرض بعيدة زائرها واقف وساكنها خائف والشبعا بها نائمة والمهزولة ساهرة جائعة ولم أر خصبا محلا ولا جدبا مهزلا وتقدم * ان العصا قرعت لذى الحلم وهذا البيت للحارث بن وعلة ومعناه ان الحليم اذا نبه انتبه وأصله أن حكيما من حكماء العرب عاش يقضى بين الناس ثلثمائة سنة يقال هو عمرو بن حممة الدوسى فلما كبر وأهتر قال لابنته اذا أنكرت من فهمى شيئا عند الحكم فاقرعى المجن بالعصا الأرتدع ويقال الزموه السابع من ولده يقرع له العصا اذا غلط * وتقدم العرق ومنه حديث الاعرابى الذى أكل عرقا فلما بقى العظم يلوح قال لاحد أولاده وكانوا ثلاثة ان أعطيتك هذا العظم ما أنت صانع به فقال أتعرقه حتى لا أدع فيه لذر مقيلا قال له لست بصاحبه ثم قال لاخيه مثل ذلك ما أنت صانع به قال أتعرقه حتى يمر المار به فلا يعلم أعامين هو أم لعامه الاول فقال لست بصاحبه فقال للآخر ان أنا أعطيتكه ما أنت صانع به قال أدقه ثم أسفه فقال أنت صاحبه فأعطاه اياه أوكما قالوا هذا معناه

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد فى باء وتاء
لعل الله ينفعنى مسنا * بما ألفته زمن الفناء

ومقلوب البيت ﴿وباء وباء وباء وبا * وتاء وثاء وبل وبل﴾

أما باء الاول فحرف من حروف الهجاء وسيأتى الكلام عليها وعلى مخرجها مع الالف إ
فى باب لفظة القافية ان شاء الله وأما باء الثانى فالنكاح يقال باء وباه وباءة وباهة
ويقال للجماع نفسه باءة وكذلك لعقد النكاح وأصله من المباءة والباءة وهو
فى اللغة المنزل لان من تزوج امرأة بوأها منزلا ويجمع على باآت قال الراجز

ان كنت تبغى صالح الباآت * فاعمد الى هاتيكم الابيات

وأفصح هذه اللغات مانطق بها الرسول عليه السلام حين قال يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء والوجاء نوع من الخصاء ممدود مهموز ومعناه والله أعلم انه يضعفه ويكسر عنه شهوة النكاح وكذلك جاء فى الصوم انه مجفئ أى يقطع شهوة النكاح وسيأتى الوجاء والكلام عليه مستوفى فى باب الجيم ان شاء الله وكذلك يأتى الحض على النكاح فى باب النون بحول الله * وقال عبد الملك بن مروان من أراد الباءة فبنات يزيد ومن أراد النجابة فبنات فارس ومن أراد الخدمة فالروم * ومن شكل باءة باء يقال للبيت الخالى باء ومن أمثالهم المعزى تبهى ولا تبنى وذلك انها تصعد على الأبنية وهى الأخبية فتبهها أى تخرقها ومع ذلك فان الخباء لا يكون من شعرها انما يصنع من الصوف ذكر معناه أبو عبيد فى حديث النبى عليه السلام ومع رجل حين فتحت جزيرة العرب أو قال فتحت مكة يقول أبهوا الخيل فقد وضعت الحرب أوزارها فقال عليه السلام لاتزالون تقاتلون الكفار حتى يقاتل بقيتكم الدجال * قوله ابهوا الخيل أى عطلوها من الغزو وكل اناء فرغته فقد أبهيته ومنه قيل للبيت الخالى باه كما تقدم وفى مسند البزار نوهى بالخيل والسلاح وزعموا ان لا قتال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوا الآن جاء القتال وأما باء الثالث ففعل ماض تقول منه باء الشئ يبوء بوءا رجع وباء بذنبه احتمله وانصرف به وفى القرآن العزيز أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله وقوله تعالى فباؤا بغضب على غضب وانى أريد أن تبوء باثمى واثمك ولا يكون الا فى الشر ثم قال تعالى بعد ذلك من أجل ذلك أى من سبب ذلك وقيل من جراء ذلك وجراء بالمد والقصر ويقال فعلته من أجلك بالفتح والكسر ومن أجلالك أى من جرائك والاجل بالكسر لاغير القطيع من بقر الوحش والجمع آجال والاجل أيضا

وجع فى العنق يقال منه أجل الرجل اذا نام على عنقه فاشتكى تقول بى اجل فاجلونى منه أى داوونى والاول مثله كذلك وجع فى العنق والأجل بالفتح مدة الشئ وأجل مسكن اللام بمعنى نعم هو جواب مثله ويصلح فى التصديق اذا قيل لك أنت تذهب فقل أجل هو أحسن من قولك نعم ونعم فى الاستفهام أحسن اذا قيل لك أتذهب فقل نعم هو أحسن من أجل قاله الاخفش ويقال باء بفلان اذا قتل به وأبأت بفلان قاتله قتلته به واستبأت به استقدت به وباء بدم فلان أقر به على نفسه من قولهم بؤ على نفسك بكذا أى اعترف به وأقر وقال الاعشى * أصالحكم حتى تبوؤا بمثلها * وأماو بأفانه مهموز مقصور وفيه لغة أخرى وباء ممدود وجمعه على هذه اللغة أوبية وعلى مثل المقصور أوباء والواو أصلية فى هذه اللفظة أدخلتها مع أخواتها لاقامة الشكل وتركت همزه ضرورة لانهم أجازوا ترك الهمز فيما يهمز ولم يجيزوا همز مالا يهمز والوباء الحمى وقال صاحب كتاب العين الوباء الطاعون وأرض وبئة وموبئة وقد وبئت وأوبأت ومن هذا الشكل من غير المعنى أوبأت وذلك انهم قد يبدلون الميم فى أومأت باء فية ولون أوبأت قال الفرزدق

ترى الناس ماسرنا يسيرون خلفنا * وان نحن أوبأنا الى الناس وقفوا

ويقال فى هذه أيضا ومأ وأومأ وأوبأ كما تقدم ووبأ وقيل الايباء ايماء الى خلف وأنشد شاهدا على ومأ * وما كان الا ومؤها بالحواجب * وصدره * فقلنا اسلام فاتقت من أميرها * (فصل) * ومما يقرب من هذا الباب مما لا يتزن بأى بأى بأوا اذا افتخر وزنها وسيأتى مع نأى ينأى فى باب النون ومثل بأى ثأى بمعنى أفسد قال صاحب العين الثأى الافساد ومثله الثأى يقال فى الجراحات والقتل ونحوه وفى خرم الخرز يقال أثأيت خرز الاديم وهو أن تغلظ الاشفى وتدق السير فيسيل الماء (ومن مضاعف هذا الباب) البأبأة هدير الفحل وبأبأت الرجل اذا قلت له بأبى أنت ومن العرب من يقول بأبأنا ومنهم من يقول بيبنا وكذا جاء فى الحديث بهذا اللفظ ذكره البخارى وغيره وقال بعض العلماء أظنه المازرى فيه ثلاث لغات بأبأنا وبيبنا وبيبا لين الهمزة وأبدل منها ياء قال الفراء من قال بيبنا توهم أنه اسم واحد فجعل آخره بمنزلة سكرى وغضبى قال الشاعر

ألا بيبا من لست أعرف غيره * ولو درت أبغى ذلك الشرق والغربا

وقالت امرأة * يابأبى أنت ويافوق البيب * وقال الشاعر

الثأى الاولى كالسعى والثانية كما لثرى قوله البأبأة صوابه بأبيه وزان قبقبة كما فى القاموس ولسان العرب

وصاحب ذي غمرة داجيته * بأبأته وان أبي فديته

* حتى أتى الحي وما آذيته *

والبؤبؤ الاصل يقال بؤبؤ الكرم والبؤبؤ أيضا السيد الظريف الخفيف ومن أسماء السيد أيضا البدء والذي يليه في السود يقال له الثنيان قال الشاعر

ثنياننا ان أتاهم كان بدأهم * وبدؤهم ان أتانا كان ثنيانا

و يأتي من مقلوب وبأ وأب وقد تقدم ذلك مع أوب و بأو (وأما ناء وثاء) فهما من حروف المعجم وسيأتي الكلام عليهما مع الهاء ان شاء الله وأتدم هنا وثأ اذا جعلت الواو أصلية وهمزت الالف من غير تنوين مثل وجأ فيه يرفعلا تقول منه وثأ فلان رجل فلان أو يده اذا أصابه بكسر أو نحوه وكذلك وثئت يده مثل فدعت وعثيت

خرجت من شئ الى غيره * من باب باء ثم تاء وثا

وكله علم ومن لم يكن * لديه علم نفسه قد وثا

(فصل) من الفوائد الزوائد تقدم اني أريد أن تبوء باثمي واثمك نزلت في هابيل وقابيل ابني آدم عليه السلام وكان هابيل مؤمنا وقابيل كافرا وقيل كان عاصيا ولم يكن كافرا وروى انه حسد أخاه بسبب أخته التي ولدت معه في بطن وأمر آدم أن يزوجها من هابيل على ما كان يصنع من تزويج ذكر بطن من أنثى البطن الاخرى وقيل انه زوجها من هابيل فحسده على ذلك فلما قربا القربان الذي وصفه الله تعالى وكان قربان هابيل كبشا فتقبله الله تعالى منه وحبسه عنده حتى أخرجه لابراهيم عليه السلام فداء لابنه وكان قربان قابيل زرعا فلم يتقبل وكان علامة تقبل الله القربان أن تأتي نار من السماء فتأكله فازداد قابيل حسدا لهابيل فقال له لاقتلنك فقال له أتقتلني اذ لم يتقبل قربانك وانما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين اني أريد أن تبوء باثمي واثمك قيل معنى ارادته انه أراد الثواب بكف يده عن قتله فصار في ذلك بمنزلة من يريد الاثم لاخيه مجازا وقيل لما كان لا بد قاتلا أو مقتولا أراد أن يكون مقتولا لضرورة وليست بارادة محبة ولا شهوة وقيل المعنى اذا قتلتني أردت قتلك لان الله أراد لقاتل ومعنى اثمي واثمك فيما روى عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما اثم قتلك اياي واثمك الذي كان منك قبل قتلي وقيل باثم قتلك اياي واثمك الذي لم يتقبل قربانك من أجله عن مجاهد وقيل قال ذلك لانه

لو بسط يده اليه لأثم فرأى انه اذا أمسك يده عنه رجع اثمه على صاحبه الذى بسط يده اليه وقال الحسن كان هذان اللذان أخبر الله عنهما من بنى اسرائيل وقال ابن عباس وابن عمر وغيرهما هما ابنا آدم لصلبه كما تقدم قال مجاهد لم يدر كيف يقتله حتى علمه ابليس قال ابن عباس وابن مسعود وجده نائما فشدخ رأسه بحجر ولما قتله ندم على قتله فقعد يبكى عند رأسه اذ أقبل غرابان فاقتتلا فقتل أحدهما الآخر ثم حفر له فدفنه ففعل القاتل بأخيه كذلك ويروى انه حمله على عنقه سنة حتى بعث الله له غرابين يقتتلان كما تقدم والسوأة يراد بها العورة وقيل يراد بها جيفة المقتول وجاء فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس الا كان على ابن آدم الاول كفل منها وفى رواية لانه أول من سن القتل وفى أخرى لا تقتل نفس ظلما * وتقدم بوء على نفسك بكذا أى اعترف وأقر به وجاء منه فى الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار أن تقول اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى فاغفر لى فانه لا يغفر الذنوب الا أنت قال ومن قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل أن يمسى فهو من أهل الجنة ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة خرجه البخارى وفى الحديث أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا قال الرجل لاخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما ويقال باء بذنبه اذا احتمله كرها لا يستطيع دفعه عن نفسه كما باءت اليهود بغضب الله نعوذ بالله من غضبه وجميع سخطه وتقدم ذكر الحمى والوباء وجاء من ذلك فى الحديث لما قدمنا المدينة نالنا وباء من وعك شديد والوعك اصابة المرض ومسه قال عليه السلام انى لأوعك كما يوعك رجلان منكم وقال له بعض أصحابه ذلك بأن لك أجرين قال أجل أو كما قال عليه السلام وقالت عائشة رضى الله عنها لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وعك أبو بكر وبلال فكان أبو بكر يقول اذا أخذته الحمى

كل امرئ مصبح فى أهله * والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال يقول

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة * بواد وحولى اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لى شامة وطفيل

شامة وطفيل جبلان بينهما وبين مكة عشرون ميلا ويروى وقفيل بالقاف وهذه

كلها مواضع بمكة وما يليها قاله البكري وقال الخطابي كنت أحسبهما جبلين حتى وقفت عليهما فاذا هما عينان من ماءذ كر ذلك في كتاب الاعلام قلت ويحتمل أن يكونا عينين في جبلين ولا يكون خلاف بين الخبرين والاذخر حشيش بمكة معروف والجليل الثمام وسيأتي فيه الكلام ومجنة موضع وقع في النوادر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما سمع بلالا ينشد هذا البيت حننت يا ابن السوداء قلت انظر حنين بلال الى تلك الجبال ولم تزل الشعراء على قديم الزمن تذكر الحنين الى الوطن وقد تسلسل ذلك الامر وانجر الى هلم جرا هذا ابن ميادة يقول

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بوادي الخزامى حيث ربتني أهلي
بلاد بها نيطت على تمائمي * وقطعن عني حين أدركني عقلي

وقال آخر

بلاد بها حل الشباب تمائمي * وأول أرض مس جلدي ترابها

وكان عامر بن فهيرة يقول

اني رأيت الموت قبل ذوقه * ان الجبان حتفه من فوقه

قالت عائشة فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة فاجاب الله دعاءه قال عليه الصلاة والسلام رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بمهيعة فأولتها أن وباء المدينة نقل الى مهيعة وهي الجحفة خرجه البخاري وقال أبو طالب في كتابه قوت القلوب لما جاءت الحمى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذهبي الى أهل قباء وهذا أحد الوجهين في قوله تعالى رجال يحبون أن يتطهروا أي بالامراض من الذنوب ولذلك سأل زيد بن ثابت أن لا يزال محموما فلم تكن الحمى تفارقه وفي خبر حمى يوم كفارة سنة قال لان حمى يوم تدخل في جميع المفاصل وفي الانسان ثلثمائة وستون مفصلا عدد أيام السنة فله بكل مفصل كفارة يوم وبسبب هذه الدعوة يقال ان الطائر كان يمر بغدير خم فيسقم وغدير خم فيها وهو على ثلاث اميال من الجحفة يسرة على الطريق ويقال ما ولد فيها مولود فبلغ الحلم فمن أجل ذلك لا تسكن وهي أرض خبيثة والله أعلم ويقال ان مهيعة قريب من الجحفة والجحفة ميقات أهل الشأم والمغرب وهي من جهة البحر بينها وبينه نحو من ستة اميال ويقال انما سميت بهذا الاسم لان الوباء اجتحفها ومن الحمى

حديث

حديث عائشة أخذتها حمى نافض فى حديث الافك وفى رواية أخرى قالت عائشة فارتكبني صالب من الحمى قاله ثابت أيضا قال والصالب من الحمى مالا ينفض وقد يذكر و يؤنث قال الكسائى يقال صلبت عليه الحمى فهو مصلوب عليه وفى خبر عن عبد الرحمن بن حفص قال قدم رجل من بنى كلاب المدينة يكنى أبا حبال فنزل على أبى ومعه ابنه حبال فلم ينشب حبال أن وعك ثم مات فقام أبى لحاجته حتى اذا هممنا أن نواريه فى أكفانه قال أبوه لابى دعنى حتى أدخل فأسلم عليه فقال له أنت وذاك قال فدخل فأكب عليه فسمعناه يقول

فلولا حبال لم تنخ بى مطيتى * بأرض بها الحمى بوجه وصالب
وقائلة أرداك والله حبه * بنفسى حبال من خليل وصاحب

فلم يزل يرددها حتى همد أصوته فقال لنا أبى ادخلوا على الرجل فانى أراه قد مات فدخلنا عليه فوجدناه قدمات والامراض والعلل كفارة الذنوب والخطايا والحمى من جملتها وفيها حبس عن المعاصى وضعف عن ارتكابها ولا يبتلى الله بذلك الا من يحب كما روى عن الله تعالى انه قال الفقر سجنى والمرض قيدى أحبس بذلك من أحب من خلقى وفى الحديث لا تزال الحمى بالعبد حتى يمشى على الأرض وما عليه خطيئة وقال بعضهم علل الأجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة ويقال سبب دعائه عليه الصلاة والسلام وانقل حماها فاجعلها بالجحفة ان الجحفة اذ ذاك كانت لأهل الشرك ويقال انما قال ذلك عليه السلام لان الحمى كما قال حظ كل مؤمن من النار فلم يكن عليه السلام ليدعو أن تنقل الى أرض فارس والروم فلا تصيب أمته وهى حظهم من النار و فى الحديث بشرى ان شاء الله ان أصابته الحمى من أمته فى الدنيا انها حظه من نار الآخرة ولذلك نهى عن سبها حين دخل على أم السائب أو أم المسيب فقال مالك تزفزفين قالت الحمى لا بارك الله فيها فقال لا تسبى الحمى فانها تذهب خطايا بنى آدم كما يذهب الكير خبث الحديد والزفزفة صوت المرتعد من البرد وقال فيها الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء وجاء فى لفظ آخر الحمى رائد الموت وسجن الله فى الأرض فبردوا لها الماء فى الشنان ثم صبوه عليكم فيما بين الصلاتين قال يعنى المغرب والعشاء خرجه ثابت بن قاسم فى الدلائل وقال فى تفسير سجن الله فى الأرض يريد انها تمنع من التقلب والتصرف كما يمنع المسجون قال وحدثنا اسماعيل الأسدى قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنى عاصم بن بهلول قال دخلت على شيخ

الاعراب له زهد وورع قد أحرضته العلة وهو يتقلب على فراشه وينظر فى وجوه اخوانه فقلت له كيف تجدك قال انظروا الى "فتى" معتبر أسير الله فى بلاده يتقلب على فراشه و ينظر فى وجوه أحبته لا يستطيعون كشف كربته يريدا لمرض فلا يستطيع وما عليه غل ولا قيد وأسير الملوك فى المطابق والحبوس وفى الأغلال والقيود وأنشد يقول

أسير الملوك له المطبق * ومن دونه رتج مغلق
واما هو وانا بثقل الحديد وضرب السياط التى تحرق
وأما أسير مليك العباد * وان حازه الغرب والمشرق
فى بيته وعلى فرشه * أسير وظاهره مطلق
يطيل التقلب فوق الفراش مخلى وبالمنه موثق
فى مثل هذا و فى شبهه * دليل على الله مستنطق

قوله فى أول بيت رتج فانه الباب المغلق ويقال له الرتاج وقالوا فلان فى كلامه رتج أى تتعتع وعى" وهو من قولهم رتج فلان وبكم اذا انقطع عن الكلام وكذلك أرتج على فلان اذا أراد قولا فلم يصل الى تمامه ويروى ان عثمان رضى الله عنه صعد المنبر فأرتج عليه ثم قال الحمد لله ان أول كل مركب صعب وان أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المقام مقالا وأنتم الى امام عادل أحوج منكم الى امام قائل وان أعش تأتكم الخطبة على وجهها وتعلم الناس ان شاء الله ونوع من هذا أرتج على أمير يوم عيد الأضحى فسكت طويلا ثم قال جعل الله بعد عسر يسرا وبعد عى" بيانا وأنتم الى أمير فعال أحوج منكم الى أمير قوال وانى لا أجمع عليكم عيا ولوما من كانت له أضحية فليذبحها ومن لم تكن له فعلى" ثمنها قوموا ارحمكم الله أو كما قال ومن أحسن ما قيل فى خطيب

ركوب المنابر وثابها * معن بخطبته مجهر
تريع اليه هوادى الكلام * اذا خطل النثر المهمر

هذان البيتان لابن بطحاء العدوى قالهما متمثلا عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما فى معاوية يترحمه (؟) فى حديث مدحه به قال فى آخره وكان والله كما قال ابن بطحاء العدوى وذكر البيتين (رحمه) وقوله فى الحديث فأبردوها بالماء وصفها من الحرارة فلذلك أمر بتبريدها بالماء ومنه الحديث عين فى ماء سخن يستشفى بها الأعلاء

والمرضى وفى الحديث العالم كالحمة يأتيها البعدى ويزهد فيها القربى ومنه الحميم القيظ والحميم المطر الذى يأتى فى شدة الحر والحميم العرق وسيأتى ذكره مع ماشاكله فى باب حم ان شاء الله والحميم أيضا الماء الحار والحميمة مثله وفى البخارى وتوضأ عمر بحميم ومنه قول أبى هريرة لابن عباس رضى الله عنهما حين ذكر له حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الوضوء مما مست النار فقال له ابن عباس أتوضأ من الدهن أتوضأ من الحميم يريد الماء السخن فقال له أبو هريرة يا ابن أخى اذا سمعت الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تضرب له الأمثال ومنه الحمام أيضا والحميم العرق وقد استحم اذا عرق ويقال لمن دخل الحمام طاب حميمك أى عرقك لان الصحيح يطيب عرقه وقيل للصديق حميم كما قال الله تعالى ولا صديق حميم قال أهل التأويل الحميم من الناس الخالص ومنه حامة الرجل كأنهم الذين يحرقهم ما أحرقه مأخوذ من الحميم وهو الماء الحار ومنه حمة العقرب والزنبور يعنى حرارة لدغهما والله أعلم وأما قوله تعالى ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم فان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الحميم ليصب على رؤسهم فينفذ الحميم حتى يخلص الى جوفه فيسلت ما فى جوفه حتى يمرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان خرجه الترمذى فى الصحيح واليحموم الدخان ويأتى فى باب الحاء طرف من هذا الكلام ان شاء الله تعالى

(فصل فيما تقدم من اللغات فى فصل الفوائد) تقدم فى بيت ابن ميادة حيث ربتنى أهلى يقال ربيت الصبى وربيته تربية وربيت الأمر أربه ربا اذا أصلحته قال الشاعر

يربون بالمعروف معروف من مضى * وليس عليهم دون معروفهم قفل

ومنه قولهم ربيت الزق أصلحته بالرب والأصل فى هذه اللفظة الزيادة والاتمام تقول ربيت النعمة عند فلان تممتها وزدت فيها ومنه ربيت الصبى كما تقدم والربيب ولد المرأة وكان عمر بن سلمة وأخته زينب ربيبا النبى صلى الله عليه وسلم أمهما أم سلمة زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم والربيبة الحاضنة والربيبة أيضا الجارية فى الخدر وقالوا فلانة ربة بيت والربة أيضا العزى وكانت تسميها ثقيف الربة وسيأتى حديثها والراب زوج الأم والربى الشاة التى تربى ولدها ذكره مالك فى الموطأ وهى الحديثة الوضع وجمعها ربات والرباب اسم امرأة والرباب أيضا العود الذى يغنى به

والرباب السحاب والربابة بالكسر خرقة تجعل فيها القداح والربربرب القطيع من بقر الوحش والرب الله تعالى ذوالربوبية والرب المالك والرب المربي وسيأتي في آخر الكتاب تفسير قوله تعالى اذهب أنت وربك انه هارون لأنه ربي موسى عليهما السلام وربّ وربّ وربّما وربّتما كلمة يراد بها التقليل وقد جاء انه يراد بها التكثير

(فصل) الميم في مهيعة زائدة والهاء للتأنيث كما يقال أرض قفر فاذا أردت منزلة أو محلة قلت قفرة والأرض المهيعة الواسعة المنبسطة والطريق المهيع مفعل من التهيع وهو الانبساط ومن قال فعيل فقد أخطأ لأنه ليس من كلام العرب فعيل الا وصدره مكسور مثل عثير وحذيم قاله ثابت رحمه الله *(فصل)* آخر في قوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم يقال فاحت القدر تفيح اذا غلت وفاحت الشجة اذا نفحت بالدم * قلت ومعلوم ان الشجة والدم رائحتهما وبيلة قبيحة ألم تر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في رائحة دم المقتول في سبيل الله كيف يأتي يوم القيامة كما قال اللون لون دم والريح ريح مسك فلولا أن رائحة الدم عندنا في الدنيا كريهة لما كانت في الآخرة محمودة كرائحة المسك كما قال في مثل هذا لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فاذا كما يقال فاح الطيب فوحا بالواو يقال في ضده فيحا بالياء والله أعلم

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وفيه قد أتتك لغات شتى
فخذ هذا وذا واشدد عليه * يديك بنيّ واقبل ما تأتى
وها أنا ذا أعود أفي بشرطي * وأكتب بعد ذا أبا وأتا

مقلوب البيت حرف بين ألفين

وأبا وأتا وأتا وآبا * وأبا وأتا وبل وبل

(أما أبا وأتا وأتا) فصادر ألفاظ البيت الاول (وأما آبا) فجمع أب جمع التكسير وهو مهموز ممدود وان ترك همزه فللضرورة كما تقدم وقد تقدم جمعه وتثنيته سالمين ويأتي منه فعل الرجل الآبي تقول أنا آبي هذا الأمر أي أكرهه ويأتي منه أباء فعال للكثير الاباء قال كعب بن الأشرف

رب خال لي لو أبصرته * سبط المشية أباء أنف

يقال من فعله أبيت الشيء آباه اباء ورجل أبيّ من قوم أباة وقد تقدم قول الزبير رضي الله عنه

و يعلم من حوالى البيت أنا * أباة الضيم نمنع كل عار

ويقال للرجل يأبى قبول الشئ وماهذا الأباء بالضم وأما الأبا بالفتح مقصور فداء يأخذ المعز فى رؤسها فلا تسلم وقد أبيت أبا شديدا وعنز أبية وأبوء قاله صاحب العين وأنشد ابن دريد فى قصيدته التى جمع فيها بين المقصور والممدود

وكأنهم معز الأبا * أو كالحطام من الابا

كذا قرأتها على الدياجى رحمه الله بسنده فيها الى ابن دريد وقال فى شرح البيت الأبا المفتوح الاول مقصور وهو داء يأخذ المعز فى رؤسها اذا شمت بول الأروى ولا يكاد يكون ذلك فى الضأن ويكتب بالألف لان أصله الواو يقال عنز أبوا وتيس أباء بين الابا والاباء أطراف القصب وقال الاصمعى الاباءة القصبة والاباءة الاكمة انتهى كلامه والشرح ليس من رواية العثمانى وقال غيره الاباءة الاجمة التى فيها الاسد وكذلك الغيل والخدر والعرين والعريسة وينشد فى الاباء الذى هو القصب قول كعب بن مالك

من سره ضرب يمعمع بعضه * بعضا كمعمعة الاباء المحرق

وقد قيل فى هذا انه البردى قاله ابن السيد واحدته أباءة كما تقدم قال ابن جنى الهمزة الاخيرة فيه بدل من ياء هو عنده من الاباية كأن القصب يأبى على من أراده بمضغ أو نحوه كما قال الشاعر

يراه الناس أخضر من بعيد * وتمنعه المرارة والاباء

أصوات النار

والمعمعة صوت النار فيما عظم وكثف من الشجر أو القصب أو نحوهما والكاعبة صوتها فيما دق كالسراج ونحوه والغطغطة صوت الغليان وكذلك الغرغرة تقول أبأت الرجل منزلا كما تقول بوأته أنزلته فيه فتبوأه وأبأت عليه ماله أرحته عليه وأبأت بفلان قاتله قتلته به وقد تقدم وكذلك أبا يأبى اباية ومن هذا قولهم أبيت اللعن كما قال النابغة * أتانى أبيت اللعن أنك لمتنى * البيت معناه انك كرهت ان تأتى ما تلعن عليه وأما آتى فمعناه أعطى من قوله تعالى وآتى المال على حبه ذوى القربى الآية تقول منه آتى يؤتى فهو مؤت اسم فاعل كما قال تعالى ويؤتون الزكاة واسم المفعول مؤتى مثل معطى ويجيء مؤتى على وزن مفعل بمعنى مهيأ ويجيء آتى اذا مددت الهمزة بمعنى أفعل ومن ذلك قول أبى جهل فى يوم بدر حين دنا للقتال اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة فكان هو

أتى

المستفيح * وعالم يثرب سوى ما ذكر قبل هذا أتى مقصور يأتى فهو آت وفى القرآن
من هذا أتى أمر الله قيل معناه يأتى كقولك ان أكرمتنى أكرمتك تقول منه أتى يأتى
أتيا واتيانا جاء قال الشاعر * فاحتل لنفسك قبل أتى العسكر *
وتقول أتوته آتوه لغة فيه ومنه قول خالد بن زهير

ياقوم مالى وأبى ذؤيب * كنت اذا أتوته من غيب

وتقول ما أحسن أتوى هذه الناقة وأتى أيضا أى رجع يديها فى السير والاتاوة
الخراج تقول منه أتوته آتوه أتوا واتاوة قال الشاعر

ففى كل أسواق العراق اتاوة * وفى كل ما باع امرؤ مكس درهم

وتقول آتيته على هذا الامر مؤاتاة والعامة تقول واتيته وتقول أتى البعير أتوا
استقام وأسرع وأتت الماشية اتاء نمت وزرع لا اتاء له أى لا نماء والاتاء أيضا
الغلة وحمل النخل تقول منه أتت النخلة تأتو أتاء وأنشد

هنالك لا أبالى نخل بعل * ولا سقى وان عظم الاتاء

والمؤاتاة المطاوعة وتأتى له الامر طاع له وقد أتاه الله تأتية وأتيت الماء تأتية وتأتيا
اى سهلت سبيله ليخرج الى موضع والأتى السيل لا يدرى من حيث أتى ورجل
أتى وأتاوى غريب وجاء فى الحديث ذكر الأتى مفسرا كان فينا رجل أتى لا ندرى
ممن هو يقال له قزمان الحديث ومنه حديث عثمان رضى الله عنه حين أرسل
سليط بن سليط وعبد الرحمن بن عتاب الى عبد الله بن سلام فقال ائتياه فتنكرا
وقولا له انا رجلان أتاويان وقد صنع الناس ما ترى الحديث وقال أبو عبيد وذكر
هذا الحديث أما الحديث فيروى بالضم وكلام العرب بالفتح يعنى الهمزة
من أتاوى والأتى أيضا ما وقع فى النهر من خشب أو ورق والجمع أتى وآتاء ومن آتى
هذا الشكل أتى مقصور مثل أتى تقول أتا به يأتو ويأتى اتاوة واتاية سعى
عليه ونم به ومنه حديث ضبة بن محصن قال انطلقت آتى على أبى موسى عند عمر بن
الخطاب ذكره ثابت قال وقال أبو عبيد أتوت بالرجل وأتيت وتتبت به وتقول أتأته
بسهم اتاءة رميته وهذا مهموز ويشبه أتوت وأتيت بهو آت اسم الفاعل وهو
الذى وعدت بذكره فقوله تعالى ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن
عبدا وان الساعة لآتية وان أجل الله لآت واسم المفعول منه مأتى وفى القرآن
العزيز انه كان وعده مأتيا قال المهدوى ... مفعول من الاتيان كل ما وصل اليك

فقد

فقد وصلت اليه وقال القتيبي هو مفعول بمعنى فاعل وكذلك قال غيره أى آتيا كما قال حجابا مستورا أى ساترا ويجمع بين القولين ماتقدم من أن ماتاك من أمر الله فقد أتيته أنت وتقول أتيت الامر من مأتاه أى من مأتاه أى من وجهه الذى يؤتى منه قال الشاعر

وحاجة كنت على صماتها * أتيتها وحدى من مأتاتها

وجاء فى الحديث ما كان فى طريق ميتاء قال أبو عبيد الميتاء الطريق العامرة المسلوك عليها (فصل) من الفوائد الزوائد تقدم أبيت ومنه قول أبى هريرة رضى الله عنه وقد سئل عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم مابين النفختين أربعون فقيل لابى هريرة رواية أربعون يوما قال أبيت قيل أربعون شهرا قال أبيت قيل أربعون سنة قال أبيت أى كرهت ان أحد فى ذلك وقتا اذ لم يحده رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك الحد مبهما رضى الله عنه والله أعلم بما أراد رسوله عليه السلام من ذلك وتقدم موتى ومن ذلك قول الاقرع بن حابس حين فاخر هو وقومه بنو تميم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجابه حسان بن ثابت بشعر وهو شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم وثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمع ذلك الاقرع وقومه قال ان هذا الرجل لموتى له لخطيبه أحسن من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا انظره فى السير وتقدم أتى أمر الله واخبار الله فى الماضى والمستقبل سواء وأمر الله عقابه لمن أقام على الشرك به وتكذيب رسوله عليه الصلاة والسلام وقيل أمره ماجاء به القرآن من فرائضه وأحكامه وقيل امره نصره وقيل هو القيامة وقيل المعنى أتت أشراط الساعة ومايدل على قربها وقيل هو ماوعدهم به من المجازاة على كفرهم كقوله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور ذكر ذلك المهدوى وتقدم أتى بمعنى جاء وآتى بمعنى أعطى وفى القرآن العزيز مايقرأ بالوجهين ويكون بالمعنيين من ذلك قوله تعالى وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها يعنى جئنا وقد قرئ آتينا بمعنى أعطينا يعنى جازينا بها وكذلك قوله تعالى والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة بمعنى يعطون ماأعطوا وقلوبهم وجلة أى خائفة وفى الآية تخويف شديد لهذه الامة وذلك ان عائشة رضى الله عنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قول الله عز وجل والذين يؤتون ماأتوا وقلوبهم وجلة أهو الرجل يزنى ويسرق أو يشرب الخمر قال لا يا ابنة

آتى ءَ اَتِيْ

الصديق ولكنه الرجل يصلي ويصوم ويتصدق ويخاف أن لا يتقبل منه ذكره أبو جعفر النحاس وقال هكذا روي ومعناه يعطون ولكن المعروف من قراءة ابن عباس والذين يؤتون ما أتوا بالقصر وهي القراءة المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عائشة رضي الله عنها ومعناها يعملون ما عملوا ومثل ما تقدم قوله تعالى ولو سئلوا الفتنة لآتوها يقرأ بالقصر بمعنى لجاؤها وبالمد بمعنى أعطوها وفي الرقائق عن الحسن والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة قال يعطون ما أعطوا وقلوبهم وجلة قال يعملون من أعمال البر وهم يحسبون انه لا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم وتقدم الميثاء ومنه حديثه عليه السلام انه بكى على ابنه ابراهيم عليهما السلام وقال انه لولا وعد حق وقول صدق وطريق ميتاء لحزنا عليك يا ابراهيم أشد من حزننا وفي هذا الحديث رخصة في البكاء ما لم يكن صوت ولا كلام قبيح كما قال عليه السلام اذ بكى تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون أو كما قال عليه السلام والفرح والحزن حالان يجعلهما الله في العبد لا يقدر أن يدفعهما عن نفسه فليس عليه في ذلك اثم الا ان يتكلم بمحظور فحينئذ يتعلق به الوزر من أجل الكلام ألا ترى الى قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ يقول اللهم انا لا نستطيع الا ان نفرح بما زينت لنا اللهم اني أسألك ان أنفقه في حقه خرجه البخاري وكذلك فسر قوله تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم يريد الفرح الذي يكون معه الاشر والبطر بدليل قوله في آخر الآية والله لا يحب كل مختال فخور وكذلك الأسى على ما فات يريد الحزن الذي يكون معه الضجر والنطق بالفحش والله أعلم وذكر البخاري رحمه الله أيضا عن علقمة بن أبي وقاص ان مروان قال لبوابه اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعين فقال ابن عباس ومالكم ولهذه انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب فسألهم عن شيء فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه ان قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه فيما سألهم وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ثم قرأ ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب كذلك حتى اتى الى قوله يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا * وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزن ويبكي كما تقدم في الخبر عند موت ابنه ابراهيم وكذلك بكى اذ عاد سعد بن عبادة فلما رأى القوم بكاءه بكوا

فقال ألا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ولكن يعذب بهذا
واشار الى لسانه أو يرحم وقد أرسلت اليه احدى بناته تخبره ان ابنا لها فى الموت
وأقسمت عليه فى ان يأتيها فقام النبى صلى الله عليه وسلم وقام سعد بن عبادة ومعاذ
ابن جبل واسامة بن زيد فرفع اليه الصبى ونفسه تقعقع كأنها فى شنة ففاضت
عيناه فقال له سعد بن عبادة ماهذا يا رسول الله قال هذه رحمة جعلها الله فى
قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء وخرج النسائى عن أبى هريرة
قال مات ميت من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع النساء يبكين فقام عمر
ينهاهن ويطردهن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعهن يا عمر فان العين
دامعة والفؤاد مصاب والعهد قريب وخرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت
لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله
ابن رواحة جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف فيه الحزن وذكر الحديث
وفى الدلائل عن عائشة رضى الله عنها قالت أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قبر سعد بن معاذ وان الدموع تجرى على وجنتيه وهو قابض على لحيته وعنها قالت
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اشتد غمه مسح بيده على رأسه ولحيته
وتنفس الصعداء وقال حسبى الله ونعم الوكيل فيعرف بذلك شدة غمه صلى الله عليه
وسلم وفى الرسول عليه الصلاة والسلام أسوة كيف لا وهو القدوة صلى الله عليه
وسلم وعلى آله وفى هذا كفاية وسيأتى نوع من هذا الكلام فى باب الواو ان شاء الله

وذا فصل الفوائد قد تقضى * وآخذ بعد فى باب وناب
وثاب وتاب تاب الله ربى * على من تاب فى هذا متابى

مقلوب البيت ألف بين حرفين

وباب وثاب وناب وتاب * وثاب وبات وتل وتل

وذا البيت استعرت النون فيه * ومافى ذلكم يا قوم عار
واذجاءت فأعملها بجهدى * أحق الخيل بالركض المعار

وقد كنت وجدت لباب وأخواته من الكلام ألفه وأوخر النون الى بابه فأسوقه
وحرفه ولكن لأمر ما جدع قصير أنفه كنت أسوق عوض ناب وتاب لفظة تات اسم
فاعل تتا ولفظة وثاب اسم الفراش ووثاب أيضا مصدر وثب نعم وثم وثاب اسم
مشهور الا انه لا يتزن وستأتيك فيه حكاية ظريفة مع الوثاب المصدر مع الوثاب الذى

هو الفراش المذكورين لكن رأيت كما قال ان من العلم في النون شتى فنون حسبما
تراه مفسرا بعد دام لنا ولك السعد * أما باب فهو المدخل الى الشيء ومنه يكتب ب
باب كذا وهو الثقب المنفتح في الحائط وألفه منقلبة عن واو لانك تقول بوبت بابا
وتجمعه على أبواب فتظهر الواو وتجمعه على أبوبة أيضا لكن للازدواج كما قال

هتاك أخبية ولاج أبوبة * يخالط البر منه الجد واللينا

وأما الذي يسد به فهو مصراع وجمعه مصاريع ويقال له أيضا خلف وقد يسمى
الكل بابا اتساعا على ما يأتي ان شاء الله والباب عند أهل المساحة والذرع قصبة
طولها ستة أذرع بالذراع الهاشمي التي هي اثنان وثلاثون اصبعا والأشل عندهم
عشرة أبواب وأشل في أشل عندهم جريب ذكره ابن السيد والباب أيضا اسم بلد
مشهور ويقال فيه أيضا باب الابواب واليه ينسب الفقيه أبو القاسم بن ابراهيم
الوراق المعروف بالبابي وهو ممن شرح الشهاب * وستمر له احاديث من تفسيره
في هذا الكتاب ان شاء الله وباب أيضا اسم والد رجل من الخوارج وفيه يقول الشاعر

برئت من الخوارج لست منهم * من الغزال منهم وابن باب

قال ابن يزيد ليس من الخوارج ولكنه معتزلي واسمه عمرو بن عبيد بن باب وهو
مولى بني العدوية ويقال من الباب تبوبت بوابا وهي البوابة وقد جاء باب يبوب
والبواب الحاجب ويقال للبواب أيضا التراع والترعة الباب وبه فسر قول النبي
صلى الله عليه وسلم ان منبري على ترعة من ترع الجنة ويقال الترعة الروضة * وأما
ناب فواحد الانياب وهي التي تلي الرباعيات في الفم الى جهة الشدقين ويجمع ناب
أيضا انيبا قال الشاعر * فئت وقومي يصرفون ونابهم * البيت يصرفون
من الصريف وهو صوت حك الاسنان بعضها ببعض من الحنق كما قال النابغة
* له صريف صريف القعو بالمسد * والناب أيضا سيد القوم قاله صاحب العين
ووقع في السير في قصة ثقيف يخرج ناب القوم وصاحب أمرهم فخرج عبد ياليل
والناب أيضا الناقة المسنة قال الراجز * ليس بأنياب ولا حقائق * والحقائق
جمع حقة وهي الناقة الفتية التي قد استحقت أن يطرقها الفحل ويحمل عليها
الحمل ويجمع الناب أيضا نيب قال الشاعر

تعدون عقر النيب أفضل مجدكم * بني ضوطرى لولا الكمي المقنعا

وقوله بني ضوطرى هو كقولهم بنو الغبراء وبنو كهية وبنو جدرة كل ذلك اسم

نأن

لمن يسب وعبارة عن السفلة قال الشاعر * أولاد درزة أسلموك وطاروا *
قيل هذا في زيد بن علي بن الحسين حين قتل رحمه الله وصدر البيت

يا با حسين لو سراة عصابة * صحبوك كان لوردهم اصدار

يا با حسين والجديد الى بلى * أولاد درزة أسلموك وطاروا

وقال حسان في الكهبة * بنى كهبة ان الحرب قد لقحت * وهو مشتق من الكهبة وهي الغبرة ولذلك يقال للفقراء بنو غبراء ويقال ذلك أيضا للصوص ومن الناب ما أنشد ثابت في الدلائل

وناب همة لا خير فيها * مشرمة الاشاعر بالمدار

وفسر الهمة بالهرمة وقال يقال شيخ هم وأشياخ أهمام وامرأة همة ونسوة همات وهمائم وناقة همة أيضا وذكر الخطابي رحمه الله من حديث أبي الاسود رضي الله عنه أن اعرابيا وقف عليه وهو يأكل تمرا فقال شيخ هم غابر ماضين ووافد محتاج حين أكاني الفقر وردني الدهر ضعيفا مسيفا فنا وله تمرة فضرب بها وجهه وقال جعلها الله حظك من عنده وفسر قوله مسيفا من أساف الرجل اذا ذهب ماله وأصله من السواف وهو داء يصيب الابل فيهلكها مضمومة السين مثل القلاب والسكاد وقال أبو عمرو الشيباني هو السواف بفتح السين قال وجاء هذا شاذا خارجا عن قياس أخواته وقد تقدم في أول هذا الباب حديث الاصمعي وقول الاعرابي ووصف كيف أنى الدهر اخوته فقال حتى أساف رجاليه وأهلك ماليه * ومن الناب أيضا قول الشاعر ألم تر أن الناب تحلب علبة * ويترك ثلب لا ضراب ولا ظهر

عود فالناب كما تقدم الناقة المسنة والثلب الجمل المسن وهو العود أيضا وجمعه عودة وعيدة وعود البعير اذا أسن وأنشد * يا أيها العود المسن الأثيل * والأثيل العظيم الثيل وهو وعاء قضيب الجمل وكان لأبي بن خلف لعنه الله فرس يسمى العود أنظره في غزوة أحد من السير ومن أمثالهم زاحم بعود أو دع أي استعن في حربك بأهل السن والمعرفة فان رأى الشيخ خير من مشهد الغلام ومن أمثالهم أيضا عود يعلم العنج والعود أيضا مصدر عاد يعود عودا قال الشاعر

جزينا بني شيبان أمس بقرضهم * وجئنا بمثل البدء والعود أحمد

وقالوا رجع عوده على بدئه ومن عاد اشتق العيد لانه من عاد يعود لانه يأتي لوقت معلوم كأنه يعود اليهم أو يعودون اليه كما قال الشاعر

* كما يعود العيد نصرانى * وكان القياس أن يقال فى مصدره عود الا أنهم لم يقولوا الا عيدا فلما انكسرت العين تحولت الواو ياء لكسرة العين وصغروه عييد وتركوه على التغير وكذا جمعوه على التغير فقالوا أعياد وحسن الجمع على هذه الصفة فرقا بينه وبين أعواد جمع عود وكذلك كل شئ هاج لوقت فهو عيد كما قال ذو الرمة فى ذلك

نازلت منذ نأت مى لطيتها * يعتادنى من هواها بعدها عيد

وقال آخر * عاد قلبى من الطويلة عيد * وقد جمعوا عيدا عيدات خرجه ثابت فى حديث مكحول رضى الله عنه انه سئل عن ذبائح عيدات أهل الكتاب والمزينات لكنائسهم فتلا هذه الآية اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وقال طعامهم ذبائحهم وقال سئل القاسم بن مخيمرة عن ذبائح أهل الكتاب والمزينات لكنائسهم فقال كل * والعود أيضا الطريق القديم قال الشاعر * عود على عود لأقوام أول * أى بعير مسن على طريق قديم يعنى أنه محمود ورب ما قالوا سودد عود أى قديم قال الطرماح

هل المجد الا السودد العود والندى * ورأب الثأى والصبر عند المواطن

والعود الرجل الكبير وأنشد لشيخ يرقص ولده * يا لك من فرخ كبير عود * قد فكنى من مال ثور وزيد * فك الاسير من كبول القيد * وكانا ابنى أخيه وكانا ينتظران موته ولا وارث له غيرهما حتى ولد له هذا المولود فقال هذا الرجز * والعود المنزا لهرم يقال عود تعويدا وعاد يعود عودا والانثى عودة ذكر ذلك ثابت رحمه الله وساق حديث جابر وأراد أن يذبح للنبى صلى الله عليه وسلم فقمت الى عنز لى لأذبحها فثغت فلما سمع النبى صلى الله عليه وسلم ثغوتها قال يا جابر لا تقطع درا ولا نسلا قلت يا رسول الله انما هى عودة علفناها الرطب والبلح حتى سمنت * والعود أيضا العائد مصدر عاد على أهله بخير يعود عودا وفى الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة الودود الولود العؤود على زوجها التى اذا آذت أو أوذيت جاءت حتى تأخذ بيد زوجها ثم تقول والله لا أذوق غمضا حتى ترضى والعود بالفتح كل شجرة دقت أو غلظت والعود أيضا خشبة يدخن بها (ومقلوبه) دعوت الرجل ندبته والدعوة من الدعاء والدعوة بالكسر فى النسب ومقلوبه أيضا وعد وعدا وعدة ووعدته خيرا

وشرا

وشراً وأوعدته في الشر خاصة والوعيد التهدد (ومقلوبه) أيضاً عدو ويقال للواحد والاثنين والجمع والذكر والانثى وجمعه أعداء وأعادي وعدا وعداة ومن شكله عدو مصدر عدا يعدو عدوا وعدوا اذا أحضر والعدو والعداء الطلق والعدو والعدواء العدوان *(فصل ومعكوس ناب)* بان اسم فاعل من البنيان وتقول أيضا بان الشئ يبين بينونة وبيونا انقطع والبين الفرقة والبين الوصل ومنه قوله تعالى لقد تقطع بينكم على قراءة الجماعة غير نافع والكسائي وحفص أي وصلكم الذى كان يواصل به بعضكم بعضا على عبادة الاوثان ومن قرأ بينكم بالنصب فالمعنى لقد تقطع ما بينكم يروى انها نزلت في النضر بن الحارث وضل عنكم ما كنتم تزعمون أنها تشفع لكم والبين بكسر الباء قطعة من الارض بقدر منتهى البصر والجمع بيون والبين أيضا الناحية عن أبي عمرو ومن شكله تبن لهذا الذى يأكل الناس وتبن للدواب وتبن فطن وثبن تقول ثبنت الثوب اذا ثنيت طرفه وخطته وثنت اللحم مثل نثت أنتن وثبن جمع ثبنة ويقال بان الشئ وأبان وبين اذا استبان ورجل بين فصيح والبانة الشجرة وجمعها بانات ومنه دهن البان (ومن مقلوبه) بناء وألفه منقلبة عن ياء تقول بنى يبني بناء والبنى جمع البنية ومنه قول الشاعر

أولئك قوم ان بنوا أحسنوا البنى * وان عاهدوا أوفوا وان عقدوا شدوا

وهذا البيت هو الذى سأل عنه حماد بن سلمة الاصمعي كيف تنشده فأنشده الاصمعي البنا بكسر الباء فقال له انظر جيدا قال فنظرت فقلت لا أعرف الا هذا فقال يا بني القوم انما بنوا المكارم ولم يبنوا باللبن والطين قال فلم أزل هائبا لحماد ابن سلمة والبنية الكعبة شرفها الله ومنه قول عمر رضي الله عنه أسأل الله رب هذه البنية (ومن مقلوبه) ابن وهو الولد وولد الولد وولد البنت قال النبي عليه الصلاة والسلام في الحسن ان ابني هذا سيد لولد علي بن أبي طالب وأمه فاطمة رضي الله عنها وقد تقدم يقال منه تبنيت فلانا ادعيت بنوته والنسبة اليه بنوي وان شئت أبناوي مثل أعرابي والبواني أضلاع الزور والزور الصدر وسيأتي ويقال بني بني اذا أريد التكثير قال الشاعر

ألم ترجوشنا أضحى بنى * حصونا نفعها للبني بقيلة

ومن ذلك ابن بين البنوة وتصغيره بني وتناديه فتقول يا بني ويا بني مثل يا أبت ويا أبت وتجمعه بنون وأبناء وتصغير ابن أبين وان شئت أبينون قال

من نبك لا ساء فقد ساءنى * ترك أبينيك الى غير راع

أبن ويقال ابن وابنم قال * ولم يحم أنفا غير عرس ولا ابنم * ومن مقلوبه أبن أمر من آبان يبين وابن بأهلك أمر من البناء الذى هو النكاح وأصله ان الرجل اذا أراد الدخول الى أهله ضربت عليهما قبة فقيل لكل داخل على أهله بان و يكون أيضا أمرا من البنيان ومن هذا اللفظ أبن فلان فلانا يأبنه أبنا رماه بالقبيح ومنه فى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أشيروا على فى اناس أبنوا أهلى ويروى وأبنوهم بمن لا أعلم عليه الا خيرا التأبين ذكر الشئ وتتبعه ويروى أبنوا على أهلى ومعناه قذفوها وذكروها بالقبيح ومنه رجل مأبون قال الاصمعى اذا كان فى القوس مخرج غصن فهو أبنة ومنه حديث ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا قال هى الارض المستوية ليس فيها أبنة والأبنة هنا ما نشز من الارض ومن الشكل جمع الابنة أبن قال الشاعر * وأرزات ليس فيهن أبن * و يقال بينهم ابن أى عداوات والابنة أيضا العيب والتأبين مدح الميت وعد محاسنه ومن شكله

أتن أتن بالمكان أى أقام أتونا و يقال فيه وتن بالواو يتن وتنا بمعنى ثبت وهما سواء وفى الموطأ من هذا العين الواتنة وهى ذات الماء العذب الذى لا ينقطع ومن شكله أتن جمع أتان وهى الانثى من الحمير وفى الحديث منه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال أقبلت راكبا على أتان وأنا يومئذ قد ناهزت الاحتلام وفيه فأرسلت الاتان ترتع والمأتوناء الاتن مثل المعيوراء من العير واستأتن الرجل اشترى أتانا واتخذها لنفسه وقولهم كان حمارا فاستأتن أى صار أتانا يضرب مثلا للرجل يهون بعد العز والأتون بالتشديد موقد النار و بالثاء أثن على زيد وبالياء أين زيد (و يأتى من معكوس هذا وشكله نثا ونثا وبثا وبثا ءنثا الحديث أفشاه وفى حديث أم زرع ولا تنث حديثنا تنثيثا فى احدى الروايات وتنا بتوا اذا ارتفع وتباطبق من خوص و يقال مائدة من حلفاء و تنا بالمكان يتنو وتنوا أقام به و بثا بثلاث نقط أرض سهلة و يقال

نبا هى أرض بعينها من بلاد سليم قاله صاحب التاج (ومن مقلوبه) نبا بمعنى ارتفع ألفه منقلبة عن واو يقال نبا ينبو نبوا ويقال نبا السيف عن الضريبة نبوة وفى صفة قدمى النبى صلى الله عليه وسلم ينبو عنهما الماء ونبا به منزله لم يوافقه والنبو الارتفاع قال

ما لعينى كحلت بالسهاد * ولجنبى نابيا عن وسادى

والنبى بغير همز ما ينبو من الارض أى يرتفع قال الشاعر

لأصبح رتماً دقاق الحصى * مكان النبي من الكاثب

قال البكري هذا البيت لاوس بن حجر والكاثب جبل معروف في ديار بني تغلب وقد أشكل على اعراب هذا البيت ومعناه لانه يروى مكان بالرفع ومكان بالنصب حتى وجدته في تاج اللغة انه قاله يرثي به فضالة بن كلدة وقبله

على السيد الصعب لو أنه * يقوم على ذروة الصاقب

لأصبح البيت وقال الكاثب جبل وحوله رواب يقال لها النبي الواحد ناب مثل غاز وغزى يقول لو قام فضالة على الصاقب وهو جبل يذلله لتسهل له حتى يصير كالرمل الذي في الكاثب وقيل يقوم بمعنى يقاوم وقيل الكاثب اسم قنة في الصاقب ورأيته في عدة كتب رتما بالتاء باثنتين وفي الدلائل رثما بالثاء المثلثة وفسره المرثوم المكسور وقال في التاج في البيت رتما بالتاء باثنتين قال ويقال رتمت الشيء رتما كسرته ثم قال يقال بالتاء والثاء وقال الرتم المرتوم والرتم ضرب من الشجر وأنشد

نظرت والعين مبينة التهم * الى سنا نار وقودها الرتم

واحدها رتمة والرتمة باسكان التاء خيط يشد في الاصبع تستذكر به الحاجة وهي الرتيمة أيضا وقال أبو زيد يقال منه أرتمت الرجل ارتاما وخرج ابن شاهين رحمه الله في الناسخ والمنسوخ من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من حرك خاتمه أو عمامته أو علق خيطا في اصبعه ليذكره بما فيه فقد أشرك بالله عز وجل ان الله تعالى هو يذكر الحاجات ثم ذكر الخلاف في ذلك عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا أشفق من الحاجة أن ينساها ربط في اصبعه خيطا ثم قال انما هذه الاحاديث منكرة ومن غير هذا الكتاب في الرتم قول بعض الشعراء يهزي بعض الكبراء

رتيمة

ان الرياح اذا ما أعصفت قصفت * عيدان نبع ولا يعبأن بالرتم

مبحث النبأ واشتقاق النبي

ومن شكل نبا نبأ بالهمز قال تعالى ولتعلمن نبأه بعد حين يعني القرآن وما فيه من الاخبار وقيل بعد الموت وقيل يوم بدر وقيل يوم القيامة وأصل نبأ أخبر كما تقول أنبأني وأخبرني وحدثني ومنه قوله تعالى فلما نبأت به ومن أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير ومنه اشتقاق النبيء بالهمز ثم يسهل تخفيفا كما تقدم فقوله تعالى عن النبأ العظيم قيل القرآن وقيل البعث لان الكفار كان فيهم من يؤمن به ومنهم من يكذب وقيل الاختلاف هنا بين المؤمنين والمشركين قال سيبويه كل العرب

تركوا الهمز فى النبى يعنى الرسول والذرية والبرية والخابية الا أهل مكة فانهم يهمزونها ويخالفونها جميع العرب كانت نبيئة مسيلمة نبيئة سوء على وزن نبيعة وقال أبو جعفر النحاس فى كتاب المعانى له رحمه الله فى قوله تعالى ويقتلون النبيين بغير حق من همز نبيئا اشتقه من أنبأ ونبأ أى أخبر عن الله عز وجل ومن لم يهمز اشتقه من نبا أى ارتفع ويجوز أن يكون من الاول وخفف الهمز وقال الكسائى يقال للطريق كما قال * نبى لما ورد نبيه * قال فنبى أصله من النبوة مثل النجوة ويراد أنه علم وطريق الى الحق ثم أورد حديثا مسندا قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليك يا نبىء الله وهمز فقال صلى الله عليه وسلم لست بنبىء الله وهمز ولكنى نبى الله ثم قال وهذا الاسناد ليس بجيد ولكن القياس يوجب ترك الهمز لانه كثر استعمالهم فى جمعه المكسر أنبياء فصار كغنى وأغنياء وقد يقال نبآء والواحد منه مهموز لانه مثل ظريف وظرفاء هذا نص الكتاب وعليه طرة نصها هذا الحديث لا يصح لانه لو لم يكن مهموزا لم ينتف النبى صلى الله عليه وسلم من النبوة بخطأ الذى همز ولما كان للعباس بن مرداس أن يمدحه بما ينتفى منه وقد قال

يا خاتم النبآء انك مرسل * بالحق كل هدى السبيل هداك
ان الاله ثنى عليك محبة * فى خلقه ومحمدا سماك

وهذا الجمع لا يجمع الا فى المهموز لان فعيلا على وجهين معتل وسالم فالمعتل يجمع على أفعلاء كغنى وأغنياء وولى وأولياء ويجمع السالم على فعلاء مثل ظريف وظرفاء وكريم وكرماء ونبىء ونبآء لان نبيئا اذا كان مهموزا فليس بمعتل ولهذا جمعه العباس على فعلاء واذا جمع على أنبياء فهو مأخوذ من غير ذوات الهمز والله بالله التوفيق ونبأ أيضا اسم جارية كانت لابى سلمة الكلابى ولها خبر سيأتى ان شاء الله (ومن شكله) ثبا قال الاصمعى ثبيت على الشئ تثبية دمت عليه وقال أبو عمرو التثبية الثناء على الرجل فى حياته ومن شكله ثبا الثبا سويق المقر ومن شكله ثناء الثناء مفتوح الثاء ممدود معلوم والثنى مقصور مكسور تثنية الامر مرتين وفى الحديث لاثنى فى الصدقة أى لا تؤخذ فى السنة مرتين ومنه قول الشاعر ثبا

* لعمرى لقد كانت ملامتها ثنى * ومن شكله نثا الحديث أنثاه والنثا مقصور مثل الثناء الممدود الا أن الممدود فى الخير خاصة والمقصور فى الخير والشر جميعا (ومن شكله) تنا والتنو الانتفاخ والارتفاع والتواتيون الملاحون والتنا

مقصورا أيضا الشريف ويقال له أيضا الثنيان وهو دون البدء والبدء السيد وأنشد

ترى ثنانا اذا ما جاء بدؤهم * وبدؤهم ان أتانا كان ثنيانا

وسمى بدأ لانه يبدأ به والثنيان لانه يثنى به وقيل لانه تثنى عليه الخناصر اذا عدّ أهل الشرف كما قال * ويثنى على فضلك الخنصر * والخنصر الاصبع الصغرى التى يجعل فيها الخاتم والتى تليها عن يمينها البنصر ثم الوسطى ثم السبابة ثم الابهام وصدر البيت

يشار اليك بسبابة * ويثنى على فضلك الخنصر

وهو للمعرى يمدح بعض الرؤساء وبعده

فمن أجل ذا رفعت هذه * الى خالق الخلق تستغفر

ومن أجل ذا كسيت خاتما * يزين وعرّيت البنصر

(فصل) وأما ناب فعل ماض تقول منه ناب فلان كذا وكذا ينوبه نوبا أى لزمه ومنه النوب الذى هو المرض عافانا الله منه قال صاحب العين ناب الامر نوبة والنائبة النازلة والنوب أن يكون بينك وبين الشئ ثلاثة أيام ويقال النوب القرب ويقال النوب من الانتياب ما كان على فرسخين أو ثلاثة وانتبت المكان ونبته نوبا وفى الحديث كانوا ينتابون الى الجمعة من منازلهم ومن العوالى والنوب جيل من السودان والنوب النحل لانها تنوب الى مواضعها ويقال لها أيضا اللوب باللام وقد جاءت اللفظتان معا فى حديث زبان بن قسور قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بوادى الشوحط فكلمته فقلت يا رسول الله ان معنا لوبا يعنى نحلا فكانت فى عيلم لنا به طرم وشمع فجاء رجل فأحله حبين فأنتجها حبا وكفنه بالثمام يعنى نارا من زندين وتحسه يعنى دخنه فطار اللوب هاربا وذلى مشوره فى العيلم فاشتار العسل فمضى به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون ملعون من سرق شور قوم فأضر بهم هلا تبعتم أثره وعرفتم خبره قال قلت يا رسول الله انه دخل فى قوم لهم منعة وهم جيرتنا من هذيل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صبرك صبرك يا زبان تردنهر الجنة وان سعته كما بين اللقيقة والسحيقة يتسبسب جريا بعسل صاف من قذاه ما تقيأه لوب ولا مجه نوب أعجبنى هذا الحديث فكتبته لفصاحته ورونق لفظه وصناعته وفيه لغات نسر فى الحديث بعضها وبقى سائرها أصل العيلم البئر وأراد بها ههنا وقبة النحل أو الخلية ويقال لموضعها فى الجبل شيق وجمعه شيقان والطرم الشهد والطرم أيضا الزبد وشاهده فى صفة النساء

ناب

نوب

حديث غريب

فمهن من يلقى كصاب وعلقم * ومهن مثل الشهد قد شيب بالطرم

والطرم أيضا اسم الكانون والسحاب الكثيف يقال له الطريم ويقال لكل دخان نحاس ولدخان النحل خاصة ايام يقال آمها يؤومها اذا دخنها شاهده

فلما جلاها بالايام تحيزت * وبان عليها ذلها واكتئابها

يصف النحل وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس الشواظ اللهب الذي لادخان فيه والنحاس الدخان الذي لا لهب فيه والنحاس في غير هذا الموضع النحاس المعلوم وهو القطر وقال ابن عباس في قوله تعالى آتوني أفرغ عليه قطرا انه النحاس وقال غيره الصفر وقيل الحديد وقيل الرصاص من البخاري وقوله شور قوم كذا جاء في الحديث ووقع في كتاب العين الشور الموضع الذي تعسل فيه النحل بتقديم الواو على الراء وقال تقول شرت العسل أشوره شورا وأشرته واستشرته فهو مشور ومشار ومشتار ومنع الاصمعي أشاره وكان يعيب على عدي بن زيد قوله * وحديث مثل ماذي مشار * وكان يرويه ماذي مشار بفتح الميم وقال هي الخلية يشتار منها وقال غيره يقال شرت العسل وشرت الدابة وشورتها اذا استخرجت جريها وعلمت خبرها والماذي العسل الابيض وقد جمعت ألفاظا من هذا الوزن ثلاثة وهي الداذي والماذي والآذي واتفقتها بالنظم فقلت

قل للذي يغري بداذي * يقول اذ يشرب غاذي

هلا تغذيت بماذي * وقلت بالخمر في الآذي

قد تقدم شرح الداذي في باب الدال وانه نبت يجعل في النبيذ وقيل هي الخمر والماذي قد تقدم هنا انه العسل الابيض وأما الآذي فانه الموج ومنه حديث ابن عباس رضي الله عنهما واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم قال أخذ الله ذريتهم من ظهورهم كأنهم الذر في آذي من الماء مخرجه نبت وفسره بهذا وجمع الآذي أواذي قال النابغة * يرمي أواذيه العبرين بالزبد * العبر شاطئ الوادي وتقدم في الحديث هنا الخلية وتقدم أيضا في باب الخاء الخلية واحدة الخلايا وهي الجباح وأنشدني الخطيب أبو محمد رضي الله عنه لبعضهم

يقول لي القاضي معاذ مشاورا * وولي امرا فيما يرى من ذوي الفضل

نعيذك هذا تعسب الرعسانها * فقلت وماذا يصنع الدب بالنحل

يدق خلاياها ويأكل شهدها * ويترك تندبان ما كان من فضل

والدب اسم عربي مشهور والانثى دبة واسم ولدها الديسم ويقال أيضا مدبة أي
ذات دبة والدبة في غير هذا السنة والطريقة يقال جرى على غير دبة أهله ودعني ودبتي
أي طريقتي وسجيتي وفلان ركب دبة فلان وأخذ بدبته اذا عمل بعمله ومنه حديث
ابن عباس رضي الله عنهما انه قال لتلبسنكم قريش ثم لتركبن بكم دبة فارس والروم
والدبة أيضا ظرف للزيت قال الشاعر * البك بالعنف عفاص الدبة *
والدبة بالفتح موضع وفي السير ثم سلك الدبة ويقال هو الكثيب من الرمل وفي السير
أيضا ذكر المجانيق والدبابات كأنها آلات يدخل فيها ويدب عليها للقتال والدبيب
معروف وهو المشي راكعا وفي الحديث أن عبد الله بن مسعود كان يدب راكعا
وكذلك دخل زيد بن ثابت المسجد فوجد الناس ركوعا فركع ثم دب حتى وصل
للصف ذكره مالك في الموطأ والدبة بالكسر كهيئة الدبيب تقول جلست دبة
ومعكوس نوب بون وهو مسافة ما بين الشيئين والبوان بكسر الباء عمود من أعمدة بون
الخباء والجمع أبونة وبون مثل أخونة وخون ويقال بواني أيضا وقد تقدم البواني
أضلاع الزور قال الراجز * ألقى بواني زوره للمبرك * وسيأتي الكلام في الزور في
باب الزاي وجاء ذكر النوائب في الحديث الذي خرجه البخاري ان أبا بكر الصديق
رضي الله عنه قال في خيبر وفدك بما صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانتا
لحقوقه التي تعروه ونوائبه ومنه قولهم نوائب الدهر بقي من الباب ما جاء في الحديث
من ذكر الناب وهو نهيه عليه السلام عن أكل كل ذي ناب من السباع وبقي أيضا
ناب اسم فاعل من نبا ينبو اذا ارتفع كما تقدم في البيت * ولجنبي نابيا عن وسادي *
وألف ناب الذي هو فعل منقلبة عن واو لانك تقول ناب ينوب كما تقدم والف ناب
الذي هو السن منقلبة عن ياء لانك تقول في الجمع أنياب وتقول نيب السبع البهيمة
ينيبها تنييبا وقس على هذا ما يرد عليك من الالفات المنقلبة عن الياء والواو في مثل
قال ونال وشبهه فبالتصريف والمصدر والجمع تعرفه ان شاء الله فقد قال بعض
الادباء علم التصريف من العربية شريف وجنس من اللغة لطيف اذا
كانت المباني مقرونه والمعاني به مدفونه والاصول معه محروسه والعلوم
به محروسه لا يصح فيه التمويه والتصحيف ولا يستقيم معه التلبيس والتحريف
وأما تاب فعناه رجع ومعنى توبوا الى الله أي ارجعوا الى الله من هوى أنفسكم تاب
وتاب الله على فلان وفقه للتوبة قال سيبويه التوبة التوبة واستتابه سأله أن يتوب

وأما ثاب فمعناه رجع مثل تاب يقال ثاب الشئ يثوب ثوبا وثؤبا ومنه التثويب بالصلاة كأن المقيم للصلاة عاد الى معنى الأذان فأتى به يقال ثوب الداعي اذا كرر دعاءه للحرب قال حسان بن ثابت

في فتية كسيوف الهند أوجههم * لا ينكلون اذا ما ثوب الداعي

ومنه ثاب الرجل الى عقله وثاب الى المريض جسمه أي عاد الى حالته الاولى من الصحة وقوله تعالى مثابة للناس أي يحجون و يثوبون اليه أي يرجعون وقيل يحجون فيثابون فهي مفعلة أصلها مثوبة وقرأها الأعمش مثابات قاله صاحب العين ومثاب البئر وسطها والمثابة مجمع الناس بعد تفرقهم وثاب الحوض ثؤبا امتلأ والثوبة وسط الحوض وتصغيرها ثويبة وقال الزبيدي ثبيبة وبها سميت المرأة ثويبة والله أعلم وثويبة جارية أبي لهب وهي التي أرضعت النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتي ذكرها ان شاء الله في باب النون * والثبة عصبة من الفرسان والجمع ثبات وفي التنزيل فانفروا ثبات تفسيره جماعات متفرقة وقيل الثبات السرايا والجميع الزحف وقياس ثبة وظبة أن يجمع بالالف والتاء فيقال ظبات وثبات على قياس المؤنث الصحيح الا أنهم قد جمعوا المعتل مثل ثبة وظبة بالواو والنون والمؤنث الصحيح لا يجمع بهما الا أنهم قالوا أرضون جمع أرض فجعلوا الواو والنون عوضا من الالف والتاء وذلك في المؤنث الذي ليس فيه هاء وقد يجمع أيضا أرضات كما قالوا عرصات وقال أبو الخطاب يقال أرض وأراض مثل أهل وأهال و يقال أيضا الاراضي على غير قياس كأنه جمع أراض والثوب واحد الثياب و يجمع على أثواب وقد جاء أثوب وقيل يهمز ولا يهمز والثوب أيضا مصدر ثاب يثوب مثل تاب يتوب وللخطيب أبي محمد أكرمه الله وأعزه من خطبة له على فقرة واحدة أيها الناس ثوبوا الى صالح الاعمال أسرع ثوب * والبسوا من تقوى الله تعالى أسبغ ثوب * وتوبوا الى الله فانه غافر الذنب وقابل التوب * وثوبان اسم رجل من رواة الحديث فعلان من ثاب مثل نومان من نام فان أدخلت على ثاب ألفا قلت أثاب ان جعلت الالف للاستفهام فهو ثاب بعينه وان جعلتها أصلية فمعناه جازى من قوله تعالى فأثابهم الله بما قالوا جنات أي جازاهم واشتقاق الثوب من هذا والله أعلم ومنه هل ثوب الكفار بمعنى جوزوا وفي الحديث اذا ثوب بالصلاة يحتمل أن يكون من الثواب لان في الصلاة الثواب العظيم والله أعلم وقال عز وجل لمثوبة من عند الله فسره ابن

سلام يعني الثواب يوم القيامة والأثأب شجر الواحدة أثأبة قال الكميت

وغادرنا المقاول في مكرّ * كخشب الأثأب المتطرسينا

والثوباء ممدود يقال تثاءبت تفاعلت ولا تقل تثاوبت وفي مثل أعدى من الثوباء وأما الوثاب الذي ذكرت لك في أول البيت فان الواو فيه أصلية وهو مصدر وثب يثب وثبا ووثبانا وقد جاء وثابا قال الزبير بن عبد المطلب في شأن الحية التي كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها حتى اختطفتها العقاب

عجبت لما تصوبت العقاب * الى الثعبان وهي لها اضطراب

وقد كانت يكون لها كشيش * وأحيانا يكون لها وثاب

والوثاب الآخر المذكور أيضا هو الفراش بلغة حمير يقال وثبته وثابا اذا فرشته له وفي الحديث ان عامر بن الطفيل قدم عليه فوثب له وسادة أي أقعده عليها وألقاها اليه وفي شرح السير للاستاذ رحمه الله وأما عمرو أخو حسان الذي ذكر ابن اسحاق قصته وقتله لاخيه فهو المعروف بموثبان سمي بذلك للزومه الوثاب وهو الفراش وقلة غزوه وقال القتيبي ويقال للفراش ضجاع خرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه أدما حشوه ليف وفي لفظ آخر كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال للفراش أيضا المثال وهو في الحديث أيضا من قول عائشة رضي الله عنها قالت كنت اذا حضت نزلت عن المثال الى الحصير الحديث وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات حفر له في موضع المثال الذي كان ينام عليه صلى الله عليه وسلم ويجيء من لفظة وثاب وثاب فعال من الوثوب أيضا قال الشاعر * ركوب المنابر وثابها * وسيأتي * تقدم المثال وهو الفراش وجمعه مثل وان شئت خففت فقلت مثل والمثال معروف وجمعه أمثلة ومثلت له كذا تمثيلا اذا صورت له مثاله والمثل ما يضرب له من الامثال ومثل كلمة تسوية ويقال فيها أيضا مثله كما يقال شبهه وشبهه بمعنى والعرب تقول هذا مثيل هذا بالتصغير وهو من أمثلهم يريدون أن المشبه به حقير كأن هذا حقير ومثل به أي نكل به والمثلة بالضم الاسم والمثلة بفتح الميم والثاء العقوبة والجمع المثلات كما في القرآن العزيز وقد خلت من قبلهم المثلات أي وقائع الله في الامم السالفة وقال الجوهري ثب في لغة حمير اقعد قال الاصمعي ودخل رجل من العرب على ملك من ملوك حمير فقال

له الملك ثب فوثب الرجل فتكسر فقال الملك ليست عندنا عربيت من دخل ظفار حمر قوله عربيت أراد عربية فوقف على الهاء بالتاء وهي لغتهم وقوله من دخل ظفار حمر يعني تعلم لغة حمير وظفار اسم بلدهم واليه ينسب الجزع يقال له جزع ظفار وخرج الخطابي رحمه الله ان عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه خرج ذات يوم الى المسجد وفيه شباب قريش فتنحوا له عن الاسطوانة فقالوا اجلس اليها يا عم فقال يا بني أخي أنتم خير من شيوخكم من بني مهرة كانوا اذا كبر الشيخ شدوه عقالا ثم قالوا له ثب فان وثب خلوا سبيله وقالوا فيه بقية من ملالة وان لم يثب تركوه في العقال حتى يموت وأما بات فأخت ظل كلمة ترفع الاسم وتنصب الخبر الا ان ظل تستعمل في النهار وبات في الليل وسيأتي الكلام على ظل في باب الظاء ان شاء الله تعالى وجاء من بات في القرآن العظيم قوله تعالى لنبيتنه وأهله أي نطرقه بالليل وكذلك قوله تعالى بيت طائفة منهم غير الذي تقول وكذلك قوله عز وجل وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتا أوهم قائلون يعني بياتا بالليل وهم نائمون أو وهم قائلون نصف النهار يعني على غفلة والبأس العذاب أعاذنا الله من سخطه وليست أو ها هنا بمعنى الشك انما هي بمعنى أو نصرف الشيء مرة كذا ومرة كذا ولم يقل وهم قائلون كما قال في الآية الاخرى بياتا وهم نائمون لان هذا لا اشكال فيه وأما هذا فلئلا يشتبه ان العذاب جاءهم بالليل وهم قائلون ولم يقل أو وهم قائلون لئلا يجمع بين حرفي عطف وهذه الواو عند النحويين تسمى واو الوقت وفي أول الآية تقديم وتأخير أعني وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا المعنى وكم من قرية أردنا اهلاكها فجاءها بأسنا لان الهلاك انما يكون بعد العذاب كما قال تعالى في موضع آخر فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم أراد فاذا أردت القراءة فاستعذ بالله وكما قال تعالى اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وقيل في هذا غير هذا قيل اذا قمتم الى الصلاة محدثين وقيل من المضاجع يعني النوم وكذلك أيضا قيل في قوله وكم من قرية أهلكناها أي بارسالنا اليها ملائكة العذاب فجاءها بأسنا وقيل أهلكنا أهلها بمنعنا اياهم التوفيق للطاعة فجاءها البأس بغتة وقيل الفاء هنا بمعنى الواو فلا يلزم الترتيب والله أعلم بما أراد من ذلك كله وهو الموفق للصواب وكم للتكثير كما ان رب للتقليل قال المهدوي وقد قيل في رب انها للتكثير أيضا وليست من الاضداد وهي بمنزلة كم قاله صاحب العين وللفقيه

مبحث الألفات

أبي محمد جواب رسالة بديعة ذكر فيها بعد كلام نبيل غيران رب للتقليل انظرها ان اردتها فى التكميل فرغ البيت بقى الكلام على الحروف وهى الالف والباء والتاء والثاء مع القافية (اما الالف) فقد تقدم من الكلام عليها ما فى بعضه كفاية وأزيدك هنا شيئا آخر ان شاء الله تعالى اعلم ان الالف على ضربين لينة ومتحركة فاللينة تسمى ألفا والمتحركة تسمى همزة وقد يتجوز فيقال لها أيضا ألف وهما جميعا من حروف الزيادة والالفات كثيرة ولها ألقاب عديدة مثل ألف قطع وألف وصل وألف استفهام وألف المتكلم وألف ما لم يسم فاعله وهى تكون فى الاسماء والافعال والحروف العاملة وتأتى فى آخر الكلمة للالحاق والتكثير وتأتى للتأنيث ومنها ما ينقلب عن ياء ومنها ما ينقلب عن واو وتأتى للامالة وذلك للتقريب والدلالة فالتقريب ان تقرب الالف من الياء من أجل كسرة أو ياء انشا كل اللفظ والدلالة أن تكون الالف منقلبة عن ياء فتمال لتدل بامالتها على أصلها هذا فى أغلب الامر وتكون علامة للرفع والنصب وهى من حروف الزوائد على ما ستراه ان شاء الله وتبدل النون الخفيفة فى الوقف ألفا اذا كان ما قبلها مفتوحا وكذلك التنوين فى حال النصب الى غير ذلك مما لا أذكره الآن وهذا كله مفسر مشروح فى الكتب فاطلبه تصب وقد جمع العلماء رضى الله عنهم من ذلك الطويل والوجيز ونظموا فيه الاراجيز وأنا أيضا قد قلت فى ألفات الامر وان لم يكن درما فهو تمر

اسمع كلاما قاله من ينصح * واحفظه ان كنت تريد تفلح
نظمته فى ألفات الامر * هل تبدأن بالفتح أو بالكسر
والضم أو فهل لها من أصل * فى حالة القطع وحال الوصل
فبعد بسم الله والصلاة * على الرسول فاستمع وصاتى
كل رباعى مقطوع الالف * فى الامر مفتوح كأقبل لا تخف
كذاك فى الماضى فقس وبادر * لكنها تكسر فى المصادر
والياء فاضممها لما يستقبل * وقل كذا أقبل زيد يقبل
وانظر الى الثالث فى المضارع * من الثلاثى فعه وسارع
ان كان مضموما فضم الأمرا * فالامر من ينظر أنظر شزرا
أو كان مكسورا فقل فى الامر * اضرب فلانا وابتدئ بالكسر
وان يكن ثالثه مفتوحا * فابدأه بالكسر تكن فصيحا

تقول من يعلم علما اعلم * لا تفتحن خيفة التكلم
شبهه واتر لذ كذاك الضما * خشية ما الفاعل لم يسمى
وكل مازاد على الرباعى * أوكان عده أتى فى الداعى
باؤهما تفتح فى المستقبل * كقولهم يصلى وزيد يصطلى
ألف هذين معاقد توصل * ان كان حرف بهما يتصل
فان عدمت فابتدئ بالكسر * فى مصدر أوماض أو فى أمر
تقول منه اصطل هذا واصلى * هذا المثال فاتخذه أصلا
وقس عليه واحذر الفضيحة * فقد نصحت فاقبل النصيحة
وقل متى تقرؤه يارب * اغفر لمن نظم كل ذنب
وصل من بعد على الرسول * محمد تحظ بكل سول

وهذه الارجوزة قد عارضها الاستاذ أبو محمد القرطبى وفقه الله انظرها وما قيل بسببها فى التكميل والالف اذا انفتح ماقبلها فهى من حروف المد واللين الثلاثة وأختاها الواو المضموم ماقبلها والياء المكسور ماقبلها وانما سميت لينة لأن الصوت يمتد فيها فيقع عليها الترنم فى القوافى وغير ذلك وانما احتملت المد لانها سواكن اتسعت مخارجها حتى جرى فيها الصوت قاله ابن دريد رحمه الله وقال ابن السيد رحمه الله فى تفسير بيت المعرّى رحمه الله

ولى أمل كأنم القنا * وحال كأقصر سهم يكون
فيا ألف الوصل لا تأملى * حراكا فمالك الا السكون

يريد المعرى نفسه شبهها بالالف التى بنيت على السكون فتريد تحريكها وذلك مالا يكون قال ابن السيد رحمه الله ليس فى حروف المعجم حرف يبنى على السكون الا الالف وذلك انها صوت لا مقطع له فى شئ من الحلق والفم وانما يخرج مستطيلا بمنزلة الصوت الذى يخرج من البوق اذا لم يضع الزامر أصابعه على الثقب فاذا وضع أصابعه على الثقب وداول بينها تقطع ذلك الصوت فصار نغمات وكذلك الصوت المندفع من الرئة اذا تقطع فى المخارج صار حروفا ويشارك الالف فى هذه الصفة اختاها الموضوعتان للمد واللين وهما الواو والساكنة المضموم ماقبلها فى نحو عنقود والياء المكسور ماقبلها فى نحو قنديل فانهما صوتان لا مقطع لهما كما لا مقطع للالف غير أن الياء والواو قد ينفتح ماقبلهما فيذهب مافيهما من المد ويبقى فيهما اللين

في

فى نحو ثوب و بيت وقد يحركان فيذهب عنهما المد واللين معا ويلحقان بالحروف الصحاح التى لا مقاطع لها واما الالف فالمد واللين لا زمان لها أبدا ومتى تحركت رجعت همزة انتهى كلامه رحمه الله وقال غيره وهذه الحروف الثلاثة هى من علامات الاعراب وأضيف اليها النون من بين سائر حروف المعجم للغنة التى فيها من الخيشوم فأشبهت حروف المد واللين بهذه الشبهة فجعلت حرف اعراب معها فأما الالف فهى من علامات الرفع فى قولك الزيدان وفيها ثلاث معان علامة الرفع كما تقدم وعلامة التثنية وحرف الاعراب و فى الواو ست علامات فى قولك الزيدون هى علامة رفع وعلامة جمع وعلامة تذكير وعلامة سلامة وعلامة تقليل وحرف اعراب ومثل ذلك الياء وأما النون فعلامة الرفع فى يفعلان وأخواتها الاربعة وحذفها علامة الجزم والنصب والنون فى التثنية والجمع عوض من ذهاب الحركة والتنوين فى المفرد والدليل على ذلك انها تثبت فى الموضع الذى تثبت فيه الحركة مع الالف واللام نحو قولك الرجلان وتسقط فى الموضع الذى يسقط فيه التنوين مع الاضافة كقولك غلاما زيد وصاحب أخيك ولو كانت عوضا من التنوين فقط لسقطت فى الموضع الذى يسقط فيه التنوين ولو كانت عوضا من الحركة فقط لسقطت فى الموضع الذى تسقط فيه الحركة للاستغناء عنهما فلما لم يكن ذلك علم انها عوض منهما جميعا والله أعلم *(فصل والالف تحمل الهمزة والهمزة من حروف الحلق وأخواتها الهاء والحاء والعين والخاء والغين) فالهمزة من مخرج أقصى الاصوات ولذلك عدوها أول الحروف وتليها الهاء وهى من موضع النفس والحاء أرفع منها وهى أقرب حرف يليها حتى ربما أشبهتها فى النطق على ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى والعين تتلو الحاء فى المدرج والارتفاع والخاء أرفع منها والغين على مدرج الخاء الا انها أسفل منها والهمزة تبدل من الهاء كثيرا وكذلك تبدل الهاء منها كقولهم أيهات وهيهات وأزيدوها زيد فى الدعاء وأراق الماء وهراق قال الشاعر فاصاخ يرجو أن يكون حيا * ويقول من طرب هيا ربا

حروف الحلق

أراد أيا رب وقال الآخر

وأتى صواحبها فقلن هذا الذى * منح المودة غيرنا وجفانا

أراد أذا الذى وتبدل من الواو فى مثل أرخ الكتاب وأصله ورخ وفى التنزيل واذا الرسل أقتت وقرأ ابو عمرو وقتت وقرأ ابو جعفر بن القعقاع باختلاف

عنه وقتت بتخفيف القاف وعن الحسن رواية ووقتت بواوين وكله من الوقت قال المهدوي ولو قلبت الواو في هذا ألفا جاز ولذلك قالوا اكاف ووكاف ولاف والاف ووشاح واشاح وأما الواو المفتوحة فلم تبدل من الهمزة في الكلام الا في حرفين قولهم امرأة أناة أي حليمة يقال فيها وناة وفي أحد من قوله تعالى قل هو الله أحد بمعنى واحد وأصله وحد فأبدلت الواو همزة فقالوا أحد قاله ابن عزيز وقال البخاري في جامعه قل هو الله أحد لا ينون أحد أي واحد انتهى كلامه والالف أيضا من حروف الزوائد وهي عشرة الهمزة والالف والواو واللام والياء والتاء والميم والسين والهاء والنون يجمع هذه الحروف كلمتان اليوم تنساه قال ابن دريد وهذا عمله أبو عثمان المازني قال وبعضهم يجعلها تسعة يريد والله أعلم ان الالف والهمزة شيء واحد ويجمعها أيضا هويت السمان ونظمه بعضهم

هويت السمان فشيبنني * وقد كنت قدما هويت السمانا

ويجمعها أيضا قولك أمان وتسهيل وقد جمعت أنا أيضا هذه الحروف في قولك أن سهيل ومات وفي قولك موسالينه ناه وتكتب موسى بالالف على مذهبهم في جواز كتب ما هو من ذوات الياء بالالف ومنهم من عكسه أعني ان يكتب ما كان من ذوات الالف بالياء وقالوا اذا شككت فيها فاكتبها بالالف وسترى في هذا الكتاب منها كثيرا مما كتب بالالف وأصله الياء للضرورة وللشكل فلا تنكره وحروف الزوائد أصل في علم التصريف فتزاد الهمزة أولا فيما عدده أربعة أحرف فصاعدا نحو أسود وأحمر وأصفر وأخضر لانها من السواد والحمرة والصفرة والخضرة ولا تنظر الى الالف في أول اسود وأحمر انما هي الهمزة والالف تحمل الهمزة كما تقدم ولا يمكن زيادة الالف أولا لانها ساكنة ولا يبتدأ بساكن ولكن تزاد ثانية في مثل ضارب وقاتل وثالثة في ذهاب وكتاب ورابعة في حبلى ومعزى وخامسة في حبنطا وحبركا وسادسة في قبعثرى * الحبنطا العظيم البطن والحبركا القصير الفخذين والرجلين والقبعثرى الجافي الغليظ * تقدم حروف الزوائد في قولك اليوم تنساه وثم أيضا كلام يجمع حروف البدل على ماذكره أبو علي في الأمالي وهو طال يوم أنجدته واستشهد على كل حرف منه على ما يأتي مفردا في هذا الكتاب ان شاء الله وقد تقدم في ذكر الهمزة انها تبدل من الهاء في مثل هيهات وأيهات وبابه قال وتبدل الالف من أختيها الواو والياء في آخر الفعل في مثل غزا ورمى وبابه وحروف المد

حروف الزوائد

واللاتى أمهات الزوائد لانهن الحركات فلا تخلو الكلمة من بعضهن فى الخماسى والملحق بالسداسى خاصة وفى كثير من الرباعى * (فصل وشكل ألف ألف وألف وألف وألف وألف وألف وألف) وفى القرآن العزيز من هذا ألم فهذا لا ينطق فيه بألف وان يكن منكم ألف ولكن الله ألف بينهم وفى الحديث قالت عائشة رضى الله عنها فخرت بمال أبى فى الجاهلية وكان ألف ألف أوقية فقال النبى صلى الله عليه وسلم اسكتى يا عائشة فانى كنت لك كأبى زرع لأم زرع ثم أنشأ يحدث حديث أم زرع المشهور وأما الف وألف ففى القرآن مصدرهما وقد قرئ لايلاف قريش على وجوه فمن قرأ لايلاف قريش فمصدر آلف اذا جعله بألف ومن قرأ لالاف فمن ألف بألف الفا والافا وكذلك قرئت الفهم وقرأ عكرمة ليألف قريش الفهم على الامر وكذلك قال عكرمة أمرهم أن يألفوا عبادة البيت وفتح لام الامر لغة حكاها ابن مجاهد وغيره وقد روى حماد بن أبى بكر عن عاصم لالاف قريش ائلافهم فجمع بين الهمزتين قال المهدوى وهذا شاذ والف سيأتى فى باب الغاء رجل الف ثقيل اللسان وهو الى أيضا والف صاحبه وجمعه آلاف كعدل وأعدال ويقال أيضا آلف وألاف كضارب وضرّاب وهو أيضا الأليف وجمعه ألائف مثل تبيع وتبائع وأفيل وأفائل والولاف مثل الالاف والولاف والوليف ضرب من العدو وهو أن تقع القوائم معا وكذلك أن يجيء القوم جميعا والائلاف أيضا الأمان والعهد يؤخذ من الملوك جميعا على الامر جاء منه فى خبر هاشم بن عبد مناف فأخذ من أشراف الشام ايلافا أن يأمنوا عندهم فى أرضهم بغير حلف انما هو أمان الطريق فى حديث طويل أنظره فى الذيل على النوادر ومعكوس ألف فلا جمع فلاة مثل حصاة وحصى ويجمع أيضا على فلوات وفلىّ وهى المفازة قال الشاعر

موصولة وصلابها الفلىّ * الفىّ ثم الفىّ ثم الفىّ

أى القفر بعد القفر ويقال فلوت الفلو عن أمه عزلته وافتليته اتخذته ويقال فلو وفلو مثل جرو اذا فتحت شددت واذا كسرت خففت وجمعه أفلاء مثل عدو وأعداء وفلاوى أيضا مثل خطايا ويقال أيضا فلا فلان فلانا اذا رباه قال الشاعر

سعيد وما يفعل سعيد فانه * نجيب فلاه فى الرباط نجيب

وقال آخر وليس يهلك منا سيد أبدا * الا افتلينا غلاما سيدا فينا

ومن شكله أيضا فلا على شرطى المتقدم وبنائى الغير متهدم من أنى أسوق الحرف

الزائد ليكثر الفائد فان فلا هى النافية دخلت عليها الفاء الوافية وفى القرآن العظيم من ذلك فلا أقسم بالخنس وفلا أقسم بالشفق جاء فى التفسير أن لا صلة والمعنى فأقسم وكذلك قالوا فى قوله تعالى لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة أن معنى ذلك كله أقسم ويشهد لذلك قراءة قنبل عن ابن كثير لأقسم هى لام التأكيد دخلت على فعل الحال ومن قرأ لا أقسم وجعل لا نفيا فهو رد لكلام تقدم وجاز وقوعها فى أول السورة لان القرآن متصل بعضه ببعض فهو فى حكم كلام واحد وفلا أيضا قطع وألفه منقلبة عن ياء تقول فلا رأسه بالسيف فليا اى قطعه ومنه قول حسان بن ثابت فى شأن بنى قريظة

فابرحوا بنقض العهد حتى * فلاهم فى بلادهم الرسول

وقال الراجز * أفليه بالسيف اذا استفلانى * وفليت الثوب فلاية والتفلى التكاف لذلك وتفالت الحمر احتكت وفى الحديث من هذا حديث أم حرام وجعلت تفلى فى رأسه تعنى النبى صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة رضى الله عنها وسئلت ما كان يعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته قالت كان بشرا من البشر يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه والفالية خنفساء رقطاء ضخمة قاله صاحب العين رحمه الله وفى الامثال للاصبهانى أخفش من فالية الافاعى وأخفش من فاسية وقال هما اسمان لدويبة شبيهة بالخنفساء لا تملك الفساء وأنشد عليه

لنا صاحب مولع بالخلاف * كثير الخطاء قليل الصواب

ألج لجاجا من الخنفساء * وأزهى اذا ما مشى من غراب

والغراب يوصف بالزهو * فائدة فى مد المقصور مد هذا الشاعر للضرورة الخطا فلا تقل أخطأ قد قالها قبله الشعراء القدماء الكبراء قال ورقة * الا ما غفرت خطائيا

وقال آخر فكلهم مستقبح لصواب من * يخالفه مستحسن لخطائه

وقال بنصر الله روح القدس فينا * وجبريل فيا طيب الملاء

قال بعضهم ليس هذا من باب مد المقصور انما هو اشباع كما قالوا الكلكال والصياريف ولا يقال فى عصا عصاء لانه يزيد فى هذا ألفا وهمزة قال غيره فقد قال طرفة * وكشحان لم ينقص طواءهما الحبل * وقال آخر

يالك من تمر ومن شيشاء * ينشب فى المسعل واللهاء

ومن شكل فلا قلا قلى يكتب بالياء يقال قليت الرجل أقليه قلى وتقلية أبغضته

وقد قالوا اقلاء وأنشدوا

عليك سلام لا ملالت قريبة * ومالك عندى ان نأيت قلاء

وفى القرآن العزيز ماودعك ربك وماقلا أى ماتركك وما أبغضك وفى موضع آخر انى لعملكم من القالين أى من المبغضين فعلى هذا انما يبغض العمل السوء لاصاحبه ويقال قليت اللحم على المقلى وقلوته أيضا والقلية مرقة من لحم الجزور وأكبادها عربية وجمعها قلايا والمقلاة والمقلى الذى يقلى عليه خرج ثابت رحمه الله فى الدلائل عن جبلة بن سحيم قال ما أكلت أطيب من قلية العصاعص ذكره فى حديث الحسن ابن أبى الحسن رضى الله عنه انه قال فى العصعص الدية وفسره وقال العصعص أصل الذنب الذى ينبت فيه الذنب وأنشد لذى الرمة * كأنبط فى طول العسيب العصاعص * والمقلاء والقلة خفيفة عودان يلعب بهما الصبيان فالعود الذى يضرب به هو المقلاء والقلة الخشبة الصغيرة التى تنصب وقال الاصمعى رحمه الله هى القلة والقال هو المقلاء ومنه قول الشاعر

كأن نزو فراخ الهام بينهم * نزو القلاة زهاها قال قالينا

يعنى الذين يلعبون بها يقال منه قلوت والقالون الصبيان الذين يقلون أى يضربون القلة واسم الفاعل من قلا قال ونسب أبو على البغدادى القالى الى قرية من قرى بغداد يقال لها قاليقلا ولم يعرف الاصمعى قليت الا فى البغض وأما فى اللحم وغيره فقلوت قلوا وعرفه أبو زيد والرجل قلاء * بقى تصحيف هاتين الكلمتين على شكل اللفظة لا على أصلها الا انى سأذكر فى تصحيفها لفا وألف ولفاء مع فأل وأفل وغير ذلك من المهموز وليس فى قلا همز ولكنى أردت ان أكثر ما يخرج من تصحيف الالفاظ اذا كتبت على هذه الصورة لاغير * أما فلا فعكوسه لاف اسم فاعل من لف وفى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كل رجل لاف رأسه يبكى ويأتى لاف
من مقلوبه فأل وهو مايسمعه الانسان من خير وشر يقال منه تفاءلت بالأمر وفى فال
الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طيرة وخيرها الفأل قيل يارسول الله وما الفأل قال الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم وفى حديث آخر ويعجبنى الفأل الكلمة الطيبة وفى حديث آخر وأحب الفأل الصالح خرج ذلك كله مسلم رحمه الله قال الازهرى الفأل مهموز وقال أبو عبيد وجمعه فؤول قال ابن السكيت الفأل هو أن يكون الرجل مريضا فيسمع آخر يقول ياسالم أو يكون طالبا فيسمع آخر يقول

ألعاب صبيان العرب

باواحد ويقال قال رأى فلان اذا لم يصب وأصله من المفايلة لعبة لفتيان الاعراب يخبؤن الشئ فى التراب ثم يقسمونه فاذا أخطأ المخطئ قيل له قال رأيك يقال منه رجل قال الرأى وفيل الرأى ويقال ما كنت أحب أن أرى فى رأيك فيالة قال الكميت

بنى رب الجواد فلا تفيلوا * فما أنتم فنعذركم لفيل

أى لستم أولاد الضعيف الرأى وهو الفيل ولصبيان العرب لعب أخر ذكرها ابن قتيبة فى تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه بينا هو يلعب وهو صغير مع الغلمان بعظم وضاح مر عليه يهودى فدعاه فقال لتقتلن صناديد هذه القرية قال وعظم وضاح لعبة الصبيان بالليل وهو أن يأخذوا عظما أبيض شديد البياض فيلقوه ثم يتفرقوا فى طلبه فمن وجده منهم ركب أصحابه ولهم لعبة أخرى تسمى الخطرة وهى بالمخراق وأخرى تسمى خراج وهى أن يمسك أحدهم شيئا بيده ويقول لسائرهم أخرجوا ما فى يدى ومنها لعبة الضب وهو أن يصور الضب فى الارض ثم يحوّل أحدهم وجهه ويقول ضع يدك على صورة الضب ثم يقال على أى موضع من الضب وضعته فان أصاب قمر ولهم لعبة أخرى بالتراب يقال لها النقيرى يقال أنقر الصبيان فهم ينقرون وقال الاصمعى فى رجزه

كأن آثار الضرابى تلتقث * حولك نقيرى الوليد المنبحث

* تراب ما هال عليك المجتدث *

والمجتدث الحافر والجدث القبر ولهم لعبة أخرى يقال لها الجثة وتشبه الأولى ولعلها هى المفايلة يخبؤن شيئا تحت تراب ثم يصدع صدعين ثم يضرب بيده على أحدهما او على بعضه فان قبض على الخبء فيه قمر ذكر هذه اللعبة ثابت فى حديث ابراهيم النخعى ان غلامين كانا يلعبان الجثة فضرب أحدهما الآخر فشج احدهما وانكسرت ثنية الآخر فضمن الأعلى الاسفل ولم يضمن الاسفل الأعلى وقد تقدم أن المقلاء والقلة عودان يلعب بهما الصبيان * والعرعار لعبة للصبيان ايضا وألف فال منقلبة عن ياء لانك تقول يفيل والفيل الضعيف الرأى والجمع أفيال ومنه قول الحريرى رحمه الله فى لغزه * وكم رأى ناظرى فيلا على جمل * وقد تورّك فوق الرحل والقتب * والفيل معروف الدابة والتفيل زيادة الشباب وتفيل رأيه أخطأ وفيلت رأيه ويأتى من مقلوبه أفل تقول أفلت الشمس تأفل أفولا غابت وفى القرآن العزيز فلما أفلت وفلما أفل قال لا احب الآفلين ويقال لبوة آفل اى حامل وأفل

اللقاح فى الرحم استقر والأفيل الفصيل والجمع آفال وأفائل ومنه قول عباس بن
مرداس ألا أفائل أعطيتها * عديدقوائمها الاربع
قال يوسف كتبت الى الفقيه الاديب الخطيب ابى محمد عبد الوهاب بن على رضى الله
عنه مرة اسأله عن الافيل وكنت قد رأيته فى آخر كتاب كتب به الى ولم
أعرفه فكتب الى بعد كلام وقلت ما الأفيل فرأيتك ان قرمت الى لحمه لا يفيل
وهو واحد الآفال وأحد الدخال قال الشاعر

فأرسلها العراك ولم يذدها * ولم يشفق على بعض الدخال

يقول أوردها الابل تعترك اعتراكا وقد أدمت لازدحامها صدورا وأوراكا ولم يشفق
على بعض الدخال وهى صغارها المزدحمة وهذا المورد على هذا النحو اسمه عند
العرب الحطمة قال الشاعر

أخذ المخاض من الفصيل غلبة * ظلما ويكتب للامير أفيلا

فرغ بعض كلامه رضى الله عنه وان أردته بكماله فانظره فى التكميل ومن مقلوب
هذه اللفظة أيضا لفأ يقال لفأت الريح السحاب عن السماء كشفته ولفأت لفأ
اللحم عن العظم والتفأته والقطعة منه لفأة واللفاء التراب والقماش على وجه
الارض ومنه يقال فى الدعاء عليه العفاء واللفاء ومعنى العفاء محو الاثر واللفاء أيضا
الشئ القليل ويجىء منه أيضا لفا مصدر لف ولفاء يقال امرأة لفاء ورجل ألف
وسيأتى مع لف فى باب الفاء ان شاء الله هذا الكلام فى فال * وأما قال للصوت واللحم قال
وقال من قلا القلة اذا ضرب بها اذا كتبته بالالف على أن تكون ألفه منقلبة
عن واو فاسم الفاعل منه قائل ومن البغض قال أيضا وألفه منقلبة عن ياء وقد تقدم
ويأتى منه قال من القول ومصدره قولا وقالا وقيلا وقالة وقولة ومقالة وفى الحديث
فشت فى ذلك القالة قال الكسائى وقرأ ابن مسعود ذلك عيسى بن مريم قال الحق
واشتقاق القال والقيل من كثرة ما يقولون قال وقيل هما من القول وقيل هما اسمان
لا مصدران وفى الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وفى
القرآن العزيز اتقوا الله وقولوا قولا سديدا وأصل قلت قولت ولا يجوز أن يكون
بالضم لانه يتعدى ورجل قوول وقوم قول مثل صبور وصبر وان شئت سكنت الواو
ورجل مقول ومقوال وقوال وتقوالة عن الكسائى أى لسن كثير القول واسم
الفاعل قائل قال الله تعالى قال قائل منهم وجمع قائل قول مثل راكع وركع وقال

رؤبة * وقول الاده فلاده * وقبل هذا * فاليوم قد نهنهني منهنهي * وأول حلم ليس بالمسفه * وقول الخ و يجمع أيضا قائلون مثل قائم وقائمين والمقول اللسان وقال أيضا بمعنى ملك ومنه حديثه عليه السلام في التسبيح سبحان الذي تعطف العز وقال به يعني ملك به وقهر ومعنى تعطف ارتدى العطاف للرداء وهو مثل قوله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة ازاري من نازعني واحدا منهما قذفته في النار هذا على ضرب المثل اذ العظمة والكبرياء لا يلبسان وانما هما صفتان من صفاته التي لا ينبغي لاحد من خلقه أن يتصف بهما فلما كانا كذلك جعلهما بمنزلة الرداء والازار لانهما لا يفارقان صاحبهما والله أعلم بما أراد من ذلك

قيل

والقيل منه وجمعه اقيال ويقال أقوال وأهل اليمن يقولون في القيل مقول وجمعه مقاولة ويقال رجل تقوالة وقوال واقتال قولا اجتره الى نفسه واقتال الرجل احتكم قال سعد الغنوي

ومنزلة في دار صدق وغبطة * وما اقتال من حكم على طبيب

قولته

وأقولته مالم يقل وقولته أي ادعيته عليه وفي القرآن العزيز ولو تقول علينا بعض الاقاويل أي زاد في الوحي أو نقص منه وقال أيضا من القائلة وهي القيلولة أيضا والقائلة نصف النهار والقيل الشرب نصف النهار كاسم واشرب الغداة الصبوح وشرب العشي الغبوق وبين المغرب والعشاء الفحمة وفي السحر الجاشرية وكل شراب يشرب في أي زمان كان يسمى الصفح يقال أتاني فصفحته أي سقيته وأتاني فأصفحته رددته وحرمته قال ذلك كله الخطابي رحمه الله ويقال قال الرجل يقيل مقيلا وفي التنزيل العظيم أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا قال قتادة منزلا ومأوى وقيل هو ما تعرفه العرب من مقيل نصف النهار ومنه الحديث المرفوع ان الله تبارك وتعالى يفرغ من حساب الخلق في مقدار نصف يوم فيقيل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار واسم الفاعل من هذا قائل وفي القرآن أو هم قائلون وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لا يبيت مالا ولا يقيله معناه يقسمه لوقته ويقال من البيع أقال اقالة واسم الفاعل من هذا مقيل والمفعول مقال ويقال أيضا قال قيلا وتقيل فلان أباه اذا أشبهه *

لقا

ومن مقلوبها أيضا لقا مصدر لقيت فلانا لقاء ولقيا ولقية واحدة ولقاة واللقيان الملتقيان ورجل ملقى ولقي أي شقي واللقى الشيء الملقى وينشد عليه

كفى حزنا كربي عليه كأنه * لقى بين أيدي الطائفين حريم

قال

قال ومعنى اللقى فى هذا البيت الثوب الذى كان يطوف فيه الرجل فى الجاهلية حول البيت ثم يلقيه عن نفسه ولا يقربه يقول لانه الذى اقترف فيه الذنوب وكانت المرأة تلقى على فرجها خرقة وتطوف كذلك قالت احداهن

اليوم يبدو بعضه أو كله * فما بدا منه فلا أحله

ويروى أن رجلا طاف كذلك فانضم الى امرأة تلاذ ذا واستمتا عا فالتزق عضده بعضدها ولم يقدر أحد أن يفك عضده من عضدها فخرجا من المسجد وهما كذلك حتى قال لهما قائل توبا الى الله مما كان فى ضميركما وأخلصا التوبة ففعلا فانحل أحدهما من الآخر وسيأتى الكلام على لاق الدواة اذ هو من تصحيف الكلمة المتقدمة فى باب القاف ان شاء الله تعالى والالاقية واحدة الألالى انتهى الكلام فى الالف * وقد ألفت فيه ما يأتلف ولا يختلف * و بقى لغيرى ما يأتنف * كما بقى لى ان أزدلف الى قوافى الالف * التى فى كل لفظة منها ألف * اذ كنت اشترطت ذلك للنحل الكلف * والشرط كالحلف

خرجت من شئ الى غيره * بحسب ما يأتى وما يطرأ
لكنه علم ومن حقه * يسمع بل يكتب بل يقرأ

وأما الباء فاسمها اسم صورتها اذا لم تعربها أعنى انك تنطق بها كما هى بلا حرف زائد عليها وكذلك ما كان مثلها كالتاء والثاء والحاء والخاء وليست كالجيم ولا الدال وما أشبه ذلك مما تزيد فى النطق بها حرفا آخر ومخرجها من بين الشفتين وكذلك الميم ولذلك اشتركا فيما تراه بعد ان شاء الله وأختهما فى المخرج الواو وهى من الحروف المجهورة وانما سميت مجهورة لان مخرجها لم يتسع فانضغط صوتها والباء من حروف الخفض فى مثل بسم الله ومررت بزيد وتكون للقسم فى مثل فلا أقسم بما تبصرون والباء الاصل فى حروف القسم لانها تشتمل على الظاهر والمضمر تقول فى الظاهر بالله لأفعلن وتقول فى المضمر به لأفعلن قال الشاعر معانى الباء

ألا نادت أمامة باحتمال * لتحزننى فلا بك ما أبالى

وقد توضع موضع على فى مثل قوله تعالى ومنهم من ان تأمنه بدينار أى على دينار كما قال اذا رضيت على بنو قشير * لعمر أبيك أعجبنى رضاها

أى رضيت بى وتكون بمعنى من فى قوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله أى منها ومثله فاعلموا انما أنزل بعلم الله أى من علم الله و بعكس هذا تكون من مكان الباء

فى قوله تعالى يحفظونه من أمر الله أى بأمر الله وقال تعالى يلقى الروح من أمره وقال تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر أى بكل أمر وتأتى الباء بمعنى عن فى قوله تعالى سأل سائل بعذاب واقع أى عن وبمعنى فى كقوله تعالى السماء منفطر به أى فيه وبمعنى مع فى قول الشاعر * يجتنب الاذى بالمرود * أى مع وبمعنى المصاحبة وهو قريب من معنى مع فى قوله تعالى وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به وبمعنى البدل فى قولهم هذا بهذا أى بدل منه وعوض عنه ويقال لهذه أيضا باء العوض وباء المجازاة وفى القرآن منه قوله تعالى ذلك بما قدمت يداك وتكون للالزاق والاستعانة فى كتبت بالقلم وامسحوا برؤسكم وتكون زائدة فى الكلام لمعنى فى مثل قوله تعالى كفى بالله شهيدا وكفى بربك هاديا ونصيرا قال الراجز

نحن بنو جعدة أصحاب الفلج * نضرب بالسيف ونرجو بالفرج

وفى مثل قوله تعالى فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون فى قول بعضهم وتنبت بالدهن فى قراءة من جعله من أنبت وكذلك قوله تعالى تلقون اليهم بالمودة ولا تظنن ان فى القرآن العزيز حرفا زائدا لغير معنى أعوذ بالله من هذا الظن وانما معناه ان الكلام يتم دونه كما يتم دونه قوله ان الله الغنى الحميد فى قراءة من قرأ كذلك وبذكره أتم وكذلك قوله تعالى ألم أقل انك لن تستطيع معى صبرا وقال فى موضع آخر ألم أقل لك انك لن تستطيع معى صبرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه أشد من الاولى فهذه الحروف لها معان من التأكيد والتبيين وغير ذلك مما تستعمله العرب فى كلامها قال الاستاذ رحمه الله فى قوله تعالى تلقون اليهم بالمودة لفظة ألقيت تنقسم قسمين تكون بمعنى وضع الشئ فى الارض كما تقول ألقيت السوط من يدى فلا تحتاج ها هنا الباء وتكون بمعنى الرمى والارسال كما تقول ألقيت الى زيد بكذا أى رميته به وهذا القاء بكتاب وارسال به فحسنت الباء هنا والله أعلم وعبر عن ذلك بالمودة لانه من افعال أهل المودة وأما عند الفراء رحمه الله فدخولها وخروجها عنده سواء والباء عند سيبويه رحمه الله لا تزاد فى الواجب ومعناه عند البصريين تلقون اليهم النصيحة بالمودة وقال المهدوى رحمه الله معنى تلقون اليهم بالمودة تخبرونهم بسرائر المسلمين وتنصحون لهم والباء متعلقة بالمصدر الذى دل عليه الفعل والله أعلم بما أراد من ذلك كله نزلت الآية فى حاطب بن أبى بلتعة رضى الله

عنه

عنه ويقلب التنوين والنون الساكنة عند الباء ميما فى مثل من بعد وصم بكم فتقول مم بعد وصمم بكم هذا على طريقة البيان والرسم كالاول وتبدل الميم منها فى لغة بعض العرب يقولون بااسمك يريدون ما اسمك كما روى ان بعضهم وكان اسمه بكرا دخل على احد الامراء فقال له الامير بااسمك قال مكر يا أمير المؤمنين وقالوا لازب ولازم ومومات وبوماة للمفازة وبيد ومبد بمعنى غير وفى الحديث أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنى من قريش ونشأت فى بنى سعد وفسره بعضهم من أجل ذلك وكذلك بله معناه غير وقيل أيضا دع وفى الحديث بله ما أطلعتكم عليه وفسر بالمعنيين وقالوا ازمة وازبة للسنة الشديدة وذكر الخطابى عن ثعلب رحمه الله يقال ازمة وازبة وازلة وحكى يعقوب ازبة قال الخطابى وازبة وازلة وقد تقدم انه انما يقال سنة فى القحط والجدب وعام فى الخصب واحتج بقوله تعالى تزرعون سبع سنين دأبا ثم قال ثم يأتى من بعد ذلك عام *(فصل من مضاعف هذا الحرف ببة لم يوجد)* فى الكلام الفاء والعين فى كلمة واحدة من جنس واحد لا فاصل بينهما وهما متحركان الا ددوهو اللهو على انه محذوف من ددن وسيأتى ذكره فى باب الدال ان شاء الله وفى هذا الباب قالوا ببة على انه مضعف وهى لغة عربية مشهورة يقلنها النساء حين يرقصن أولادهن قالت امرأة من قريش لأنكحن ببه * جارية خدبه * مكرمة محبة * تجب أهل الكعبة * قال أبو عبيد البكرى اختلف فى معنى ببة فقال الخليل يوصف به الاحمق وقال ابن جنى حكاية الصوت الذى يرقص به الصبى وليس باسم انما هو كقولك قب اسم لوقع السيف وليس فى الكلام اسم أوله با آن الا هذا وقول عمر رضى الله عنه ببانا وسيأتى ذكره وأما البيغا والببر فعجميتان ووقع فى مختصر العين ببة لقب رجل من قريش وكان فى طرة الكتاب اسمه وكرهت أن أذكره صيانة لنسبه الكريم وذكر انه كان أصم وبه لوثة وقالوا من مضاعف هذا الحرف هم على ببان واحد أى على طريقة واحدة على ان هذه اللفظة قد قيل ليست عربية محضة ولكن قد تكلمت بها العرب قالوا ببان واحد كما قالوا بأج واحد وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان عشت فسأجعل الناس ببانا واحدا يريد التسوية بينهم فى العطاء والقسم وكان رأيه التفضيل فى الاعطية على السوابق ورأى أبى بكر التسوية بينهم وكان يقول هم اخوة أبوهم الاسلام فهم فى هذا المعنى اسوة وأجور أهل السوابق عند الله فرجع عمر الى رأى

أبي بكر آخرا رضي الله عنهما تقدم تحب أهل الكعبة أي تغلب نساء قريش حسنا قال الشاعر * جبت نساء العالمين بالسبب * قال من فسره هذه امرأة قدرت عجيزتها بخيط وهو السبب ثم ألقته الى النساء ليفعلن كما فعلت ووضع السبب الخيط وقال ابن عزيز في قوله تعالى فليمدد بسبب الى السماء أصل السبب الحبل وقال ابن سلام مثله يقول فليعلق حبلا من السماء يعني سقف البيت ثم ليقطع أي ليقطع الحبل أما قوله تعالى فليرتقوا في الاسباب أي في الابواب وكذا لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات وكذلك قال في قوله تعالى وآتيناه من كل شئ سببا قال قتادة يعني علما وقال في قوله تعالى فأتبع سببا يعني منازل الارض ومعالمها لانه ملك مشارق الارض ومغاربها فالسبب على هذا الوصلة الى الشئ الذي يحاول المرء فعله وأصله كما قال ابن عزيز الحبل ثم استعير في هذه الاشياء والله أعلم وقوله جبت نساء العالمين بالسبب * بعده * فهن بعد كلهن كالمحب * المحب البعير الحسير الذي لا يستطيع براحا يقال بعير محب وقد أحب احبابا اذا برك من الضر الذي أصابه ويكون الاحباب أيضا في الابل كالحران في الخيل وأنشد

كيف قريت ضيفك الهرزبا * لما أتاك يابسا قرشبا
حلت عليه بالقطيع ضربا * ضرب بعير السوء اذ أحبا

ويقال أيضا أحب الزرع وألب اذا دخل فيه الحب واللب * وأما التاء فمن الحروف معاني التاء

المهموسة ومخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا وكذلك الطاء والدال والتاء من حروف الزوائد كما تقدم فتزاد في أول الفعل مثل تفعل للمذكر وتفعلين للمؤنث كما قال تعالى فانظري ماذا تأمرين وتلحق في آخر جماعة النساء نحو ذاهبات والمسلمات والمؤمنات وكان أصل هذا أن يقال فيه مسلمتات وذاهبتات لكن حذفت احدى التاءين لئلا يجمع بين علامتي التأنيث وكانت الاولى بالحذف أولى لانها تدل على معنى واحد وهو التأنيث وبقيت الثانية لانها تدل مع التأنيث على الجمع وتبدل مع الواحدة في الوقف هاء نحو ذاهبه ومسلمه وتلحق أيضا في نحو ذهبت وقامت وفي ملكوت وجبروت ورهبوت وغلبوت الذي وزنه فعلوت لانه من الغلب ولهذا يحتاج معرفة الحرف الزائد من الاصلي لسوق الاصلي من

الكلمة بالفاء والعين واللام والزائد على صورته كائنا ما كان كما قالوا فى وزن نكتل من قوله تعالى فأرسل معنا أخانا نكتل وزنه على اللفظ نفتل وعلى الاصل نفتعل لان أصله نكتيل ففيه من الاصلى الكاف والياء واللام الموجودة فى المكيل وهذا أصل قس عليه ما يرد عليك من مثله وغيره ان شاء الله وتزاد التاء أيضا فى باب افتعل واستفعل وتكون للقسم كقوله تعالى وتالله لأكيدن أصنامكم ولا تدخل الا على اسم الله وحده وتبدل من الواو فى مثل تواث وتكاة وتخمة لانه من ورثت واتكأت واتخمت كما قاله أبو القاسم رحمه الله وقالوا تقاة والاصل وقاة وجمعها تقى ورجل تقى أصله وقى وأصل تقوى وقوى وسيأتى الكلام فى هذه اللفظة فى باب الفاء والقاف ان شاء الله وتبدل أيضا من الطاء فى قطر وأقطار فيقال قتر وأقتار وهى الجوانب قال الفرزدق

كم من غنى فتح الاله لهم به * والخيل مقعية على الاقطار

ويروى الاقتار قاله ابن هشام فى تفسير قوله تعالى ولو دخلت عليهم من أقطارها يعنى المدينة وأنشد زياد الاعجم * فتى زاده السلتان فى الخير رغبة * البيت أراد السلطان وتبدل تاء افتعل أيضا طاء اذا كانت فاؤه صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء ولا بد من ذلك تقول من الصبر اصطبر ومن الضرب اضطرب ومن الطرد اطرد ومن الطهد اطهد ويقال تى وتا بمعنى ذه للمرأة وتحقيرها تيا وكان أصلها تتيا فحذفت التاء كراهة لاجتماع التاآت قاله (ع) وعلى هذا انشدوا

ها ان تا عذرة ان لم تكن نفعت * البيت وتثنيته مثل ذه واذا خاطبت مؤنثا قلت تيك وتلك وتالك بفتح التاء وهى لغة رديئة وفى التثنية تانك وتانك بالتشديد والجمع أولئك فالكاف لمن تخاطبه فى التذكير والتأنيث والتثنية والجمع وما قبل الكاف لمن تشير اليه فى جميع ذلك فاحفظ هذا الاصل وتدخل الهاء على تيك وتالك فتقول هاتيك هند وهاتالك قال عبيد يصف ناقة * هاتيك تحملنى وأبيض صارما * وقال أبو النجم

جئنا نحييك ونستجديكا * فافعل بنا هاتاك أوهاتيكا

أى هذه أو تلك تحية أو عطية من التاج وقد تقدم فى الشعر ألا تا وقول الآخر ألا فا ويقال تأتأ التيس عند السفاد تأتأة وقد تقدم ويقال للرجل اذا تردد فى التاء تأتأ فهو تأتاء على وزن فعلال وفيه تأتأة مثل فأفأة وقد تقدم ويقال فيه أيضا تمتم يتمتم تمتمة فهو تمتام وامرأة تمتامة ومنه قوله

فلا يحسب التمتام انى هجوته * ولكننى فضلت أهل المكارم

وقال الراجز * ليس بفأفاء ولا تمتام * والفأفاء الذى يتردد فى الفاء وقد قيل التمتام الذى يعجل فى الكلام ولا يكاد يفهمك والالثغ فى الراء ان يجعلها فى طرف لسانه أو يجعل الصاد ثاء والارث أن يجعل اللام تاء وقال المبرد فى الكامل والرتة كالرتج تمنع أول الكلام فاذا جاء منه شئ اتصل وذكر معها التمتمة والطمطمة واللكنة واللثغة والغنة والخنة وفسر ذلك فانظره * فرغ الكلام يا فتى فى التاء ولم يبق غير الثاء *

خرجت من شئ الى غيره * بحكم ما يأتى وما ينعت

لكنه علم ومن حقه * يقرا والا قلما يثبت

معانى الثاء

وأما الثاء فمخرجها من طرف اللسان واطراف الثنايا وكذلك الظاء والذال وهى من الحروف المهموسة وتبدل من الفاء لقرب المخرج فى مثل فوم فيقال ثوم وكذلك يقال جدف وجدث قال رؤبة * لو كان احجارى من الاجداف * وقالوا فم وثم وقالوا حثالة وحفالة قال ابن قتيبة ويقال حثل روى عن انس رضى الله عنه انه قال اللهم انى أعوذ بك ان أبقى فى حثل من الناس لا يبالوا أغلبوا أم غلبوا ويقولون التحنف والتحنث يريدون الحنيفية وقد قيل ان التحنث من الحنث والحنث الحمل الثقيل وتفعل يقتضى الخروج من الشئ واطراحه مثل التأثم والتحرج والتقذر وجاء من هذا فى الحديث وأخبر بها معاذ عند موته تأثما أى ليطرح عن نفسه الاثم كما قال الشاعر

تجنبت اتيان الحبيب تأثما * ألا ان هجران الحبيب هو الاثم

أنشده المازرى شاهدا على الحديث ويجيء أيضا تفعل بمعنى الدخول فى الفعل مثل تفقه وتنسك وهو أكثر من الاول وأشهر فعلى هذا تحنف اى دخل فى دين الحنيفية والله أعلم قال معنى هذا الاستاذ رحمه الله ويقال من مضاعفها ثأثأت الابل سقيتها ولم ترو وقد تثأثأت اذا شربت وثأثأت عنه الغضب أطفأته وثأثأت عن القوم دفعت عنهم والثأى الفساد وقد تقدم قال الشاعر

حبست كريما أن يجود بماله * سعى فى ثأى عن قومه متفاقم

يقول هذا الشعر الابيرد لعبيد الله بن زياد وكان قد حبس مرة بن محكان وكان جوادا تحمل حمالات عن قومه فعجز عنها فسجنه عبيد الله بن زياد فقال الابيرد

ابلغ

أبلغ عبيـــــــــد الله عنى رسالة * رسالة قاض بالفـرائض عالم
فان أنت عاقبت ابن محكان فى الندى * فعاقب هداك الله أعظم حاتم

لغات الفم

حبست كريما البيت * تقدّم فى البدل ثم وفم ومن شكل ثم فم وفيه لغات يقال هذا فم ورأيت فما ومررت بفم بفتح الفاء على كل حال ومنهم من يضم الفاء ويخفف الميم على كل حال ومنهم من يكسر الفاء على كل حال ومنهم من يعربه فى مكانين تقول هذا فم ورأيت فما ومررت بفم وأما تشديد الميم فانما يجوز فى الشعر كما قال

يا ليتها قد خرجت من فمه * حتى يعود الملك فى اصطمه

قال ابن السكيت لو قيل من فمه بفتح الفاء لجاز قال هذا صاحب كتاب تاج اللغة قال غيره الميم فى فم بدل من واو لان أصله فوه دليله أنه يجمع على افواه ورجل أفوه وامرأة فوهاء وقد فوه يفوه الا انهم استثقلوا اجتماع هاءين فى قولهم هذا فوهه بالاضافة فحذفوا الهاء فقالوا هذا فوه وفو زيد ورأيت فازيد هذا فى الاضافة فاذا خذلوه من الاضافة قالوا فم أبدلوا من الواو ميما كما تقدّم قال ومن ههنا لم يحسن فى سعة الكلام فك ولا فه ولا فى انما يقلل فولك وفوه وفى وقد أجازوا فه فى الشعر كما قال * يصبح عطشان وفى البحر فمه * وكما قال الآخر * ماللغراب ولى دق الاله فه * وأكثر ما يأتى فى الكلام فوه وفاه وفى كما تقدم فى الحديث حتى اللقمة تجعلها فى فى امرأتك وقالوا كلمته فاه الى فى أى مشافهة ونصبوا فاه على الحال والبيت الذى تقدّم يا ليتها قد خرجت من فمه هو لجرير فى سليمان بن عبد الملك يخاطب الرشيد

انّ الامام بعده ابن امه * ثم ابنه ولى عهد عمه
قد رضى الناس به فسمه * يا ليتها قد خرجت من فمه

قلت قد خرجت من فمه كما تمنى جرير لكنه لم يرض بها الجم الغفير بل حمل الناس عليها بالسوط والعصا وحلق الرؤس واللحى منهم سعيد بن المسيب رضى الله عنه حلق رأسه ولحيته وطيف به المدينة وأمر به بعد ذلك الى السجن فرفعه الله وسيأتى خبره فى باب الجيم ان شاء الله وقد فرغ فى اثناء الكلام ولم يبق الا أبياتها والسلام فدونكها يا غلام

خرجت من شئ الى غيره * بحكم ما يأتى وما يحدث
لكنه علم ومن حقه * يقرا والاقلما يلبث

قافية الابيات

بقيت قافية الابيات بل وبل وبل وبل * وبل وبل وتل وثل * أما بل فمن

بلّ
قولهم بل الرجل بللا من مرضه واستبل برأ قال الشاعر

اذا بل من داء به ظن أنه * نجاوبه الداء الذى هو قاتله

ويقال أبل أيضا (فائدة) قول هذا الشاعر وبه الداء الذى هو قاتله يريد أن الكبر الذى أمامه قاتله آخرا لامحالة كما قال الشاعر

يود الفتى طول السلامة والغنى * فكيف ترى طول السلامة يفعل

يود الفتى بعد اعتدال وصحة * ينوء اذا رام القيام ويعدل

وقال الآخر *ودعوت ربى بالسلامة جاهدا * ليصحنى فاذا السلامة داء* وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح من هذا وأوجز كفى بالسلامة داء قيل يريد هذا المعنى وقيل كفاه داء فى الدنيا سلامته من الاسقام والأمراض والمصائب التى لو كانت لأجر عليها وأثيب فجعل هذا داء حيث لم يرزأ فى نفس ولا أهل ولا مال والله أعلم

بل
وأما بل خفيفة فحرف من حروف العطف معناه التدارك وقد يكون بمعنى أو وبمعنى الواو وبمعنى لكن وسيأتى الكلام عليها فى باب الواو ان شاء الله ولا أخليك هنا من فائدة قد تأتى بل فى موضع رب كقول الآخر *بل مهمه قطعت بعد مهمه* يعنى رب مهمه وكما قال الآخر *بل جوز تيهاء كظهر الحجفت* يريد رب وقال الحجفت ووقف عليها بالتاء وهى لغة لبعض العرب يقولون هذا طلحت وخذ الذرت أنشد قطرب *الله نجاك بكفى سلمت * من بعد ما وبعد ما وبعدمت* *صارت نفوس القوم عند الغلصمت* وربما استعملت العرب بل فى قطع الكلام واستئناف آخر فينشد الرجل منهم الشعر فيقول

بل هاج احزانا وشجوا قد شجا * من طلل كالأتحمى أنهجا

ويقول * بل وبلدة ما الانس من آهالها * فبل فى أول هذا الرجز ليست من البيت ولا تعد فى وزنه ولكن جعلت علامة لانقطاع ما قبله قلت قد تفعل العرب هذا فى غير بل قال الشاعر وروى انها لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه أو قالها متمثلا رضى الله عنه

أشدد حيازيمك للموت * فان الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت * اذا حل بواديكا

انما يصح البيت بأن يسقط منه اشدد ولكن الفصحاء من العرب يزيدون ما يتم به المعنى ولا يعتدون به فى الوزن ويحذفون منه علما بان المخاطب يعلم ما يريدون به فهذا اذا قال حيازيمك للموت فقد أضمر أشدد فأظهره ولم يعتد به قال أبو العباس

حدثنى

حدثني ابو عثمان المازني قال فصحاء العرب ينشدون كثيرا

لسعد بن الضباب اذا غدا * أحب الينا منك فافرس حمر

وتمام الشعر لعمري لسعد بن الضباب * رجع القول الى بل هي كلمة نقصانها مجهول ومثلها هل وقد ان شئت جعلت نقصانها واوا فقلت بلو هلو قدو وان شئت جعلته ياء فقلت بلي هلي قدي ومنهم من يجعل نقصانها مثل آخر حرف منها فيدغم فيقول بل هل قد بالتشديد وانما يقدر فيها ذلك كله اذا سميت بها ولا يرد الا في التصغير ولا تسكون الاحرف لين فان لم تصغر فهي كيد ودم وتقدم بلي بالتخفيف والسكون وشكله شكل بلي القبيلة المشهورة في العرب والنسب اليها بلوي ومن شكل بلي قولهم فلان بذي بلي مشددا اللام والياء للذي لا يعرف موضعه وفيه لغة أخرى فلان بذي بليان مخفف الياء على وزن فعليان مثل صليان جمع صليانة وهي حشيشة تأكلها الابل * وأما بل الثالث فمن بل الثوب وغيره فعل ماض وسيأتي * وأما بل الرابع فالمباح من قولهم حل و بل[*] واختلف في قولهم وبل فنهم من جعله اتباعا على مذهب من يجيزه بحرف العطف ومنهم من جعل له معنى وهو المباح كما تقدم وهذا أحسن لأن الاصمعي قال كنت أرى ان بل اتباع حتى زعم المعتمر بن سليمان أن بل في لغة حمير المباح قال أبو عبيدة شفي من قولهم بل الرجل من مرضه وأبل اذا برأ كما تقدم قال العباس بن عبد المطلب في زمزم لا أحلها المغتسل وهي لشارب حل و بل قالوا والاتباع في الكلام انما يأتي للتقوية ولا معنى له الا ذلك كما قالوا شيطان ليطان وحسن بسن * سئل بعض العرب عن الاتباع في الكلام فقال انما هو شيء نشد به كلامنا اي نقويه وقالوا جائع نائع واختلفوا فيه ايضا فجعله بعضهم اتباعا وبعضهم قال نائع عطشان وعليه أنشد ابن قتيبة

لعمر بني شهاب ما أقاموا * صدور الخيل والأسل النياعا

يعني الرماح العطاش وتقول بللت به بلالة و بلولا صليت به ومنه قولهم لئن بللت به لتبلن بالاسد وسيأتي الكلام عليه في باب الراء ان شاء الله تعالى ويقال أيضا بللت به ظفرت ولئن بلت بك يدي لا تفارقني أو تؤدي حقي ويقال لا تبلك عندي بالة أي لا يصيبك مني ندى ولا خير ويقال أيضا لا يبلك عندي بلال مثل قطام قالت ليلى الاخيلية

فلا وأبيك ياابن أبي عقيل * يبلك بعدها عندي بلال

[*] بل

والأبل الشديد اللؤم يقال منه رجل أبل وامرأة بلاء اذا لم يدرك ما عندهما من اللؤم ورجل أبل اذا كان خبيثا وأنشد ابن دريد في ذلك لبعضهم

ألا تتقون الله يا آل عامر * وهل يتقي الله الأبل المصمم

وفسر ثابت الابل بالمطول في قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض عماله ماله قاتله الله انه لفاجر أبل أو آمين مابقل وفي بعض الروايات أوهو من لا يفل وفسر الابل الذي يمضي على أمره وشأنه لا يرجع عنه وأنشد

محرش يخلط افكا بجدل * أبل ان قيل اتق الله احتفل

والابل الحاذق البصير برعية الابل ومنه المثل أبل من حنيف الحناتم وكذلك قالوا أبل من مالك بن زيد مناة وكانا يحسنان معا رعي الابل والأبل مخفف مضموم الهمزة والباء الاوان قال الرياشي سألت أبا العطاف قلت ما القشو قال الذي ينبت في غير أبل فسره بعضهم الأوان كما تقدم ويقال نشو ونشي ونشأة ونشوة ومعكوس أبل لبأ مهموز مقصور وسيأتي ومن شكله لي فلان بالحج يكتب بالياء وكتبه بالالف جائز كما تقدم ويقال لبأ فلان بالحج تلبئة بالهمز (و ج) وقال متصلا به قال الفراء وربما خرجت بهم فصاحتهم الى ان يهمزوا ما ليس بمهموز قالوا البأت بالحج وحلأت السويق ورثأت الميت والابل الذي لا يستحيي قال ابن دريد بلات من المرض وبلات من فلان بشر اذا لقيته منه وبلة الشباب طراوته ويقال طويت فلانا على بلته وبلالته وبلوله وبلته وبلوالته اذا طويته على ما فيه من عيب وأنشد

ولقد طويتكم على بلاتكم * وعرفت ما فيكم من الاذراب

ويقال للنور العضاه اذا خرج البلة والبلة داء يصيب الانسان في جسمه ويقال في الثوب بلة أي رطوبة والبلبلة الحركة والاضطراب تبلبل القوم بلبلة وبلبالا والبلبلة والبلبال أيضا ما يجده الانسان في قلبه من حركة الحزن والبلبلة حكاية صوت التيس عند السفاد وفسره أيضا بحس الشاة ولدها ومن البلبال ويجمع بلابل حديث علي رضي الله عنه صيام ثلاثة أيام من كل شهر يذهبن بلابل الصدر يعني وساوسه وخرجه ثابت وقال في تفسيره نحو ما تقدم والبلبلة وسواس الهموم في الصدر وانشد

واني لأرضى منك يا مي بالذي * لو ايقنه الواشي لقرت بلابله

بلى وبان لا أستطيع وبالمنى * وبالوعد والتسويف قد مل آمله

لبأ

وبالنظرة

وبالنظرة الجلى وبالحول ينقضى * أواخره لا تنقضى وأوائله

والبلبلة بالضم ضرب من الكيزان فى جنبه بلبل ينصب منه الماء والبلبل الخفيف العوان * وأما بل الخامس فأمر من بل الشئ يبله بالماء وغيره بلا و بللا و بلة وتقول ما أحسن بلة لسانه بالكسر والبليل الريح الباردة وبللت رحمى بللا وصلتها وجاء منه فى الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام وجاء فى حديث آخر ان لكم رحما سأبلها ببلالها كذا رواه المحدثون بكسر الباء وقال الخطابى انما هو ببلالها الباء مفتوحة من بله كالملال من مله يمله * وأما بل الآخر فبل أيضا مبنى لما لم يسم فاعله وان شئت فقل بل مخففا أمر من البول ولا تخلى هذه اللفظة أيضا من فائدة والغرض فى ذكرها ان لا تكرر فى القوافى لفظة الا لمعنى وكذلك فى ألفاظ الابيات ان شاء الله فالبول معروف وسيأتى فى فصل الفوائد من كره ان يقول أبول ولكن ليقل أريق الماء ومن أجاز ذلك وسيأتى ذلك ان شاء الله والبول أيضا ولد الرجل فان جعلت الواو أصلية فى وبل فله معنى تقول وبل المرتع بالضم وبلا و وبالا فهو وبيل أى وخيم ومنه استوبلت البلد أى استوخمته وفى الحديث فى شأن العرنيين استوبلوا المدينة وهو من هذا والوبل والوابل المطر الشديد وقد وبلت الارض توبل فهى موبولة قال الاخفش ومنه قوله تعالى أخذا وبيلا أى شديدا وضرب وبيل وعذاب وبيل منه أى شديد والله أعلم بقى من معكوس هذه اللفظة (لب) لب كل شئ من الثمار ولبابه داخله الذى يطرح خارجه وجمعه لبوب ولب الرجل عقله ولباب كل شئ خالصه كما قال الشاعر * لباب البر يلبك بالشهاد * وسيرد فى الكتاب عليك ساقه الله حلالا اليك * ورجل ملبوب موصوف باللبابة واللبة وقد لب يلب والبب معروف واللبب البال يقال هو رخى اللبب واللبة واللبب من الصدر أوسطه ولبة القلادة واسطتها والتلبيب ما فى موضع اللبب من ثياب الرجل ولببته جعلت فى عنقه ثوبا وقبضت عليه وفى الحديث من هذا قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فلببته بردائه وجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى حكيم بن حزام رضى الله عنه والمتلبب المتحزم بالسلاح واللبب الملازم للشئ ورجل لب قريب لطيف والب بالمكان أقام به ومنه قولهم لبيك معناه لزوما لأمرك طوعا لك وقيل معناه اجابة بعد اجابة ومخرجه مخرج حنانيك وقد تقدم ونصب على المصدرية كقولك حمدا وشكرا وكان حقه أن يقال لبالك وثنى على معنى التأكيد أى البابالك بعد

بل

بل

وبل

لب

الباب واقامة بعد اقامة قال الخليل هو من قولهم دار فلان تلب داري أي تحاذيها أي أنا مواجهك بما تحب اجابة لك وقد جمع على الب كما جمع بؤس على أبؤس ونعم على أنعم وربما أظهروا التضعيف قال الكميت

اليكم ذوي آل النبي تطلعت * نوازع من قلبي ظماء وألبب

ويقال بنات ألبب عروق في القلب تكون منها الرقة وقيل لأعرابية تعاتب ابنا لها مالك لا تدعين عليه فقالت تأبى له ذلك بنات ألببي والابلية لحس الشاة ولدها وقد تقدم والبلابة حشيشة ولبابة اسم امرأة قال أكثر هذا (ع) وقال ابن دريد يقال لب بالمكان وألب لبا والبابا وقال في باب الراء رب بالمكان وأرب به اذا أقام ورب الرجل النعمة ربها ربا اذا تممها وقد تقدم * يربون بالمعروف معروف من مضى * البيت وقد تقدم أيضا اللب الزرع وألب اذا دخل فيه الحب واللب ولب الرجل اذا صار لبيبا قالت صفية بنت عبد المطلب * أضربه لكي يلب * وكي يعود ذا اللجب * ورأيت في موضع آخر ذا الرجز وفيه قالت أم الاحنف وأنشدت أضربه * واللب العقل والرجل الابيب العاقل وجمعه ألباء تقول منه لببت يا رجل بالكسر تلب لبابة أي صرت ذا لب وحكى يونس فيه لببت بالضم وقالوا رجل لبيب وكذلك قالوا امرأة لبيبة وقد تقدم لب كل شئ خالصه وربما سمى سم الحية لبا وجاء في الحديث من لفظة لبيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان رؤيا المسلم جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وهي على رجل طائر مالم يحدث بها فاذا حدث بها وقعت خرجه الترمذي وقال حديث صحيح وفي مسند شعبة من الزيادة فلا يحدثن بها الا حبيبا أو لبيبا فرغ هذا * وأما تل وثل فالتل مصدر تل يتل تلا وسيأتي ان شاء الله تعالى والتل أيضا الرابية والجمع تلال ويجمع أيضا تلول وجاء في حديث الابراد بالصلاة وقال فيه حتى رأينا فيء التلول يعني بالتلول ما ارتفع من الأرض كالهدف ونحوه وسيأتي الفيء في باب الفاء ان شاء الله وفي الحديث أيضا منه قال عليه السلام يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تل ويكسوني ربي حلة ثم يؤذن لي فأقول ماشاء الله فذلك المقام المحمود وقيل في المقام المحمود غير هذا وسيأتي في باب السين ان شاء الله والتل أيضا موضع معروف قال الشاعر تل

الضاربون عميرا عن بيوتهم * بالتل يوم عمير ظالم عادي

ويقال رجل ضال تال وجاءنا بالضلالة والتلالة وهو الضلال ابن التلال وكل ذلك

اتباع والتلتلة الاقلاق والحركة وقد تقدم وفى الامالى التلاتل والتراتر الهزاهز
والتليل العنق وتلتله أى زعزعه وزلزله وقد جاء فى حديث عبد الله بن مسعود
رضى الله عنه حين أتى بسكران أو بشارب فقال تلتلوه وهزهزوه خرجه أبو عبيد
وقال قال أبو عمرو هو أن يحرك ويزعزع ويستنكه حتى يوجد منه الريح ليعلم ما شرب
وهى التلتلة والهزهزة والترترة بمعنى واحد والتلاتل الشدائد مثل الزلازل
والتلاتل بضم التاء آنية تصنع من جف الطلعة قال أبو حنيفة والجف غلاف الطلعة
ويكون لغيرها أيضا ويقال للجف أيضا القيقاء والمتل القوى الشديد يقال رمح
متل وأسد متل منتصب وكان بعض أهل اللغة يقول انما سمى الرمح متلا لانه
يتل به أى يصرع كأنه مفعل وهذا لا يقوله البصريون وقال الاصمعى المتل الغليظ
وأنشد * فرأين منهوس الشجاع بكفه رمح متل * والمتل بالفتح المصرع ومنه
حديث أبى الدرداء ابتنوا عليك البنيان وتركوك لمتلك ويقال هو بمتلة سوء أى
بحال سوء وتأمر من هذا الفعل فتقول تل زيدا وكذلك المبنى لما لم يسم فاعله تقول
فيه تل زيد * وأما تل الثانى فهو فعل ماض تقول تللت الشئ فى يد فلان اذا وضعته
فى يده وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بشراب فشرب منه وعن
يمينه غلام وعن يساره الاشياخ فقال للغلام أتأذن لى أن أعطى هؤلاء فقال لا
والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبى منك أحدا قال فتله رسول الله صلى الله عليه وسلم
فى يده خرجه مالك رحمه الله فى الموطأ وفى القرآن العزيز فلما أسلما وتله للجبين
معنى أسلما استسلما لامر الله رضى ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه ورضى
ابنه عليه السلام بالذبح وقراءة على وابن مسعود رضى الله عنهما فلما اسلما
ومعنى تله صرعه على جبينه قاله المهدوى وقال البخارى فى جامعه وتله وضع وجهه
بالارض وكلاهما قريب بعضه من بعض الا أن الجبين على ما قاله ابن قتيبة ما عن
يمين الجبهة ويسارها وقد جاء فى الحديث ان الجبين هى الجبهة لقول الراوى فرأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من مصلاه وعلى جبينه وأنفه أثر الماء
والطين وفى حديث آخر لا صلاة لمن لا يصيب أنفه من الارض ما يمس الجبين
فهو هنا الجبهة بلا شك وان سمى ما يكتنف الجبهة جبينا على ما قاله ابن قتيبة فجائز
على الاتساع * وأما معكوس تل فهو لت لت السويق وغيره يلته لتا اذا بسه بالماء
أو غيره واسم الفاعل من هذا لات والمفعول ملتوت أنشد الاصمعى لرؤبة لت

ويأكل الحية والحيوتا * ويدمق الاقفال والتابوتا
ويخنق العجوز أو تموتا * أو تخرج المأقوط والملتوتا

والمأقوط المعمول بالأقط يقال منه أقط طعامه يأقطه أقطا ونوع منه البكيلة وهو السمن يخلط بالأقط وأنشد * غضبان لم تؤدم له البكيله * وقال أبو زيد البكيلة والبكالة جميعا الدقيق يخلط بالسويق ثم تبله بماء أو سمن أو زيت تقول منه بكلت السويق بالدقيق أي خلطته وبكيل حي من همدان ولعل نوفا البكالي الذي جاء في حديث موسى والخضر عليهما السلام من هذا الحي أو مما ذكر قبل هذا والله أعلم وكذلك قرأ ابن عباس ومجاهد أفرأيتم اللاتّ والعزى بالتشديد قال ابن دريد وقد ذكر اللات قد جاءت في التنزيل بالتخفيف والتثقيل والله أعلم فان حملت هذه الكلمة على الاشتقاق لم أحب أن أتكلم فيها ولم يجئ في الشعر الا بالتخفيف قال زيد بن عمرو بن نفيل

تركت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها * ولا صنمي بني عمرو أزور

لات بقي من شكل هذا الحرف لات الذي تقدم ولات حين مناص لات عند سيبويه مشبهة بليس ولا تستعمل الا مع الحين واسمها مقدر في الجملة محذوف التقدير وليس الحين حين مناص وجاز الحذف مع تشبيه المرتفع بها المحذوف بالفاعل والفاعل لا يحذف لان أصل هذا الكلام بعد لات الابتداء والخبر فجاز الحذف كما يحذف المبتدأ وحكى سيبويه ان من العرب من يرفع الحين بعدها و يظهر الخبر وهو قليل والوقف عليها بالتاء في مذهب سيبويه وابن كيسان والفراء والزجاج وعلى مذهب المبرد والكسائي بالهاء وذكر أبو عبيد أن التاء في المصحف متصلة بحين وهو غلط عند النحويين وخلاف قول المفسرين وكذلك روى الدوري وابن قتيبة عن الكسائي قراءتها ولاه في الوقف بهاء ومعنى الآية ولات حين مناص وليس حين فرار عن ابن عباس وقال عكرمة ليس حين انفلات وقال قتادة نادوا حين لا حين نداء وسيأتي الكلام على حين وزيادة التاء في تحين وتلان على ما أنشدوه في الشعر ولا أقول في القرآن العزيز شيئا أنظره في باب النون في الشعر الذي لي فاستمعه تلا انا ان شاء الله ويقال ناص ينوص نوصا اذا فر واذا تأخر والمناص أيضا الملجأ قاله المهدوي وبقي من شكله اللات أيضا جمع التي وفيها خمس لغات اللات بكسر

التاء بلا ياء واللاتى بالياء واللواتى واللوات بلا ياء واللوا باسقاط التاء وأنشد أبو عبيد من اللواتى والتى واللاتى * زعمن أن قد كبرت لداتى

و فى تثنيتها ثلاث لغات اللتان واللتانّ بتشديد النون واللتا بحذفها وفى مفردها ثلاث لغات أيضا التى واللتِ بكسر التاء مخففة واللتْ باسكانها وهى اسم مبهم للمؤنث وهى معرفة ولا يجوز نزع الالف واللام منها للتنكير ولا يتم الا بصلة وتصغيرها اللتيا قال الراجز بعد اللتيا واللتيا والتى * اذا علتها نفس تردت

و يقال وقع فلان فى اللتيا والتى وهما اسمان من أسماء الداهية وبعض الشعراء أدخل على التى حرف النداء وهو لا يدخل على ما فيه الالف واللام الا على اسم الله تعالى وحده فقال

من اجلك يا التى تيمت قلبى * وأنت بخيلة بالودّ عنى

ومن شكله أيضا لات بمعنى نقص من قوله تعالى لا يلتكم من أعمالكم شيئا أى لا ينقصكم وفيها لغتان لات يليت وعليها قراءة الجميع غير أبى عمرو فانه قرأ يألتكم من ألت يألت تقول ألته حقه ألته ألتا نقصته وجاء فى حديث عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه لا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوتروا ثاركم وتولتوا أعمالكم أى تنقصوها قال ابن قتيبة كانه من أولت يولت أو ألت يألت ان كان مهموزا وقوله توتروا ثاركم أى توجدوهم الوتر فى نفوسكم والثأر العدو لانه موضع الثار *(فصل ومعكوس لات)* تال اسم فاعل من تلا يتلو اذا قرأ أو تبع تقول تلوت الرجل أتلوه تلوا خذلته وتلوته تبعته وناقة متلية التى تنتج فى آخر النتاج ومتل التى يتلوها أولادها والجميع متال وأتليت عليه من حقى تلاوة اى بقية وتلوت القرآن تلاوة وجاء فى الحديث لا دريت ولا أتليت يقوله منكر ونكير عليهما السلام للمسئول فى القبر اذا قال لا أدرى قال الخطابى رحمة الله عليه المحدثون يقولون تليت والصواب ائتليت افتعلت من ألا بمعنى استطاع تقول ما ألوت هذا الامر وفيه وجه آخر وهو أن يقال وما أتليت يدعو عليه بأن لا تلى ابله أى لا يكون لها أولاد تتبعها ويقال ناقة متلية كما تقدم والله أعلم ويقال فلان تلاء للقرآن جاء منه فى الحديث ما اخرج الترمذى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل حين دلاه فى قبره رحمك الله ان كنت لأوّاها تلاء للقرآن ويقال تلى فلان صلاته المكتوبة بالتطوع والتلاء بالتخفيف تال

اتل — الذمة قال الشاعر * وسيان الكفالة والتلاء * ومقلوبه أتل يأتل أتلانا اذ
قارب الخطو كأنه فى غضب وأنشد الفراء

أرانى لا آتيك الا كأنما * أسأت والا أنت غضبان آتل

لاث — واتل أمر من تلا قال الله تعالى اتل ما أوحى اليك من الكتاب * ومن شكله لاث
بالثاء المثلثة وألفه منقلبة عن واو لاث عمامته على رأسه ولاث ازاره عليه أداره
مرتين يلوث فى ذلك لوثا واللوث أيضا كثرة اللحم يقال ناقة ذات لوثة وديمة لوثاء
تلوث النبات بعضه على بعض واللاثث من الشجر ما التبس بعضه على بعض
ويقال لاث على القلب أى لائث كما قال الراجز * لاث به الأشاء والعبرى *
وفى القرآن العزيز من هذا النوع جرف هار أى هائر والله أعلم وفى الحديث منه
لا يحتكر الطعام الا طاغ أو باغ أو زاغ أراد أو زائغ فقلب للطابقة ولو لم تكن
لجاز على مذهب العرب والتاث فلان اذا أبطأ والتلوث فى الامر منه ورجل
فيه لوثة أى حمق والملاث والملوث السيد الشريف وجاء فى الحديث من لاث أن النبى
صلى الله عليه وسلم رأى رجلا وقد أقيمت الصلاة يصلى ركعتين فلما انصرف لاث به
الناس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح أربعا الصبح أربعا خرجه الخطابى
وقال معنى لاث به الناس أحاطوا به واجتمعوا عليه وكل شئ اجتمع والتبس بعضه
ببعض فهو لاث وأنشد البيت المتقدم * لاث به الاشاء والعبرى * ومن مقلوبه
أثل — أثل من قوله تعالى خمط وأثل فالخمط الاراك والاثل شجر شبيه بالطرفاء الا انه
أعظم قاله ابن عزيز واختلف فى الطرفاء فمنهم من قصره ومنهم من مده وهو الاكثر
قاله ابن ابى زمنين قال صاحب العين ويقال أثل يأثل أثولا اذا تأثل وأثل الله ملكه
أى عظمه وأثلة كل شئ أصله وفى الحديث من قول أبى قتادة رضى الله عنه انه
لثا — لأول مال تأثلته فى الاسلام ويأتى من هذا اللفظة لثا يكتب بالياء قال (ع) اللثى شئ
أبيض من ماء الشجر يسيل كالصمغ فاذا جمد فهو صمغ رور وقد اثيت الشجرة وألثت
ما حولها واللثياء التى يعرق قبلها وجاء فى كتاب الخطابى من اللثى قول أبى ثوران
العكلى أخويت فلم أطعم ثلاثا الا لثى الاذخر ومجاجة صمغ الشجر أى ما تحلب من
الصمغ وخبز مجاج خبز الذرة يفت فيروى باللبن ثم يؤكل قال الشاعر
* أطيب شئ باليمن * خبز مجاج باللبن * ذكره فى تفسير حديث النبى صلى الله
عليه وسلم انه كان يأكل القثاء بالمجاج وقال المجاج أحد شيئين العسل أو اللبن واللثة

واحدة

واحدة اللثات وهى لحم الاسنان وتجمع أيضا لثى وأصل لثة لثى والهاء عوض من
الياء قاله صاحب التاج ومن مقلوب هذا الحرف بالياء ليث وهو الاسد لايثت فلانا ليث
زاولته مزاولة الليث وقد تليث وليث صار كالليث ومنه حديث عبد الله بن الزبير
انه كان يواصل سبعا ثم يصبح اليوم السابع وهو أليثنا أى أشدنا مزاولة وأعظمنا
غناء مشتق من اسم الليث ويقال تليث وليث أيضا اذا صار ليثىّ الهوى قال
الراجز * دونك مدحا من أخ مليث * ومنه قول العجاج يصف الثور والكلاب
*شكس اذا الايته ليثىّ * ومن شكل لاث لاب يلوب لوبا ولوابا اذا عطش ونخل لاب
لوب ولوائب ومن شكله لاب جمع لابة وهى الحرة ويقال لوب ومنه الحديث
عن النبى صلى الله عليه وسلم مابين لابتيها حرام يعنى المدينة ويقال لابة وجمعها الاب
ولابات ولوب ويقال مابين لابتيها مثل فلان ولا يقال ذلك الا فى المدينة شرفها
الله تعالى وفى الكوفة (ومعكوس) هذه اللفظة بال يبول من البول والاسم بال
البيلة كالجلسة والركبة والمبولة بالكسر اناء يبال فيه ويقال لتبيلن الخيل
فى عرصاتكم وبال قديم كما قال امرؤ القيس

ألا انى بال على جمل بال * يقودبنا بال ويتبعنا بال

وقال الحريرى فكم أخطر فى بال * ولا أخطر فى بال

والبال الحال والبال رخاء العيش والبال بال النفس وتقول ماباليت بهذا الامر
أى لم أعبأ به وما أباليه بالة ولم أبال ولم أبل وفى الحديث من هذا الا يباليهم الله بالة
بمعنى انه يهينهم ولا يجزيهم خيرا والله أعلم والبالة أيضا القارورة التى يجعل فيها
الطيب فارسى معرب وأصله بلغتهم ميلة والبال الذكر والبال القلب والبال جمع
بالة وهى الجراب الضخم والبال سمكة ربما كان طولها أكثر من خمسين ذراعا قاله
الجاحظ والبوال داء يصيب الانسان فيأخذه البول ويقال رجل بولة * ومن
مقلوبها بلى مقصور جواب ألم تفعل ولا يكون الا فى السؤال المنفى بخلاف نعم تكون بلى
جوابا للسؤال الموجب واذا غيرهذا عن هذه الحال فسد المعنى وانقلب جاء من هذا
فى القرآن فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا قالوا نعم وألست بربكم قالوا بلى وأما بلاء
بالهمز فمعناه الاختبار والتجربة بلوته أبلوه بلوا وبلاء وابتليته جربته والبلاء يكون
فى الخير والشر يقال أبليته بلاء حسنا وبلاء سيئا ويقال بلى الشئ بلى بالقصر
وبلاء بالمد والهمز وأبليت فلانا عذرا والبلوى البلية والبلية أيضا دابة كانت تشد

فى الجاهلية عند قبر صاحبها حتى تموت وسيأتى الكلام عليها ان شاء الله تعالى وبلى حىّ من اليمن ويقال الناس بذى بليان وبذى بلى أى متفرّقون وقد تقدّم وأزيدك فائدة قال خالد بن الوليد رحمه الله فى كلام أمّا وابن الخطاب حىّ فلا ولكن اذا كان الناس بذى بلّى وذى بلى قال أبو عبيد يريد تفرق الناس وان يكونوا طوائف مع غير امام يجمعهم وبعد بعضهم من بعض وأنشد الكسائى

ينام ويذهب الاقوام حتى * يقال أتوا على ذى بليان

ألب — ومن مقلوبها ألب وقد تقدّم وألب عليه بمعنى كثر وأمال ومالأ وألب منه يقال الناس ألب واحد عليه قال الشاعر

والناس ألب علينا فيك ليس لنا * الا السيوف وأطراف القنا وزر

ويقال ألب الابل يألبها ويألبها ألبا جمعها وساقها وتألبوا تجمعوا فهم ألب والب وقال الالب الصغو ومعناه الميل ومنه فقد صغت قلوبكما أى مالت وفى الحديث فأصغى لها الاناء حتى شربت يعنى أماله والالب أيضا نبات مسموم ان وجدت سباع الطير ريحه عميت وصمت وان أكلته ماتت والقشب ضرب منه وهو نبات رطب مسموم ينصب لسباع الطير فى لحم فاذا أكلته ماتت والعرب يجنبونه ماشيتهم فى المرعى كى لا تحطمه فيفوح من ريحه مايقتلها قال هذا كله أبو حنيفة فى كتاب النبات وقال أيضا الفجاج كل نبات مسموم والألب لغة فى اليلب وهى الترسة ويقال الدرق ويقال هى البيض من جلود الابل ويقال اليلب الفولاذ من الحديد الواحدة يلبة قال (ع) ويقال للبيضات أيضا الخوذ قال الشاعر

ومايمنع الخائفين الحمى * لبس دروعهم والخوذ

لبى — ومن مقلوبها لبى يكتب بالياء تقول لبى الرجل يلبى تلبية بمعنى أجاب وقد تقدّم ولبأ مقصور وهو لبن خاثر تأتى به الشاة وغيرها عند الولادة يقال لبأت الشاة ولدها وألبأته أرضعته اللبأ والتبأها ولدها ولبأت الشاة والتبأتها حلبت لبأها واللبوة واللبوة واللباة الانثى من الاسد قاله (ع) وعن أبى حاتم اللبوة واللبة واللباة وفى الحديث من اللبأ ماخرج الترمذى عن كلدة بن حنبل ان صفوان بن أمية بعث بلبن

ابل — ولبأ الى النبى صلى الله عليه وسلم وسيأتى كاملا مفسرا * ومن مقلوبه ابل وابل وابل وابل فأما الابل فمعلومة جمع لا واحد لها من لفظها لان أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها اذا كانت لغير الآدميين فالتأنيث لها لازم فاذا صغرتها

ادخلتها

أدخلتها الهاء فقلت أبيلة وغنيمة وربما قالوا للابل ابل بسكون الباء للتخفيف والجمع
ابال قال الراجز يصف الغيم * ابل في السن الى ربابه * اسنمة الابال في سحابه *
يعني ان سمن الابل وارتفاع أسنمتها انما هو من المرعى الذي ينبت من هذا المطر
فثنا كله فسمن عليه واذا قالوا ابلان وغنمان فانما يريدون قطيعين من الابل والغنم
والنسبة الى الابل ابلى بفتح الباء استيحاشا لتوالى الكسرات وابل أبل مهملة
فان كانت للقنية فهي ابل مؤبلة وان كانت كثيرة قلت أوابل والابل المؤبلة أيضا
التي جعلت قطيعا قطيعا والآبل ذو الابل كما تقول لابن وتامر لصاحب اللبن والتمر
وقد تقدم والآبل الحاذق البصير برعية الابل * وأما ابل تقول أبلت الابل تأبل
وتأبل أبلا وأبولا اذا اجتزأت بالرطب عن الماء والأبول الاقامة في المرعى وتأبل
الرجل عن امرأته اجتزأ عنها والابيل القطعة من الخيل وخيل أبابيل كما تقول
في الطير من قوله تعالى طيرا أبابيل قال ابن عزيز أبابيل جماعات متفرقة أى حلقة
حلقة واحدها ابال وأبول وابيل ويقال هو جمع لا واحد له وأما ابل واشكاله فقد
تقدم وتقدم أيضا بل وأبل من مرضه بمعنى برأ والوبلة بالتحريك الوخامة والثقل من
الطعام وفي الحديث كل مال أديت زكاته فقد ذهبت ابلته وأصله وبلة من الوبال
فأبدل بالواو الالف مثل أحد أصله وحد كما تقدم والابالة بالكسر الحزمة من
الحطب وفي المثل ضغث على ابالة أى بلية على أخرى كانت قبلها وبعضهم يقول ابالة
مخففا وينشد لي كل يوم من ذؤاله * ضغث يزيد على اباله
والابيل راهب النصارى وكانوا يسمون عيسى عليه السلام أبيل الأبيلين حذفوا ياء
النسبة كما حذفوا في الاشعرين وغيره * فرغ الكلام من القافية على حد ثل
الاختصار بقي من شكلها ثل أخرت الكلام عليها الى باب النون لاني لم أجد
في قافية النون الانل واحتجت الى مايشاكلها فسقت معها ثل على ماتراه ان شاء الله
وكنت أيضا قرنت مرة النون في باب الباء وأخواتها فرددت لها الثاء عوضا
عما استعرت وقلت في ذلك

لما استعرت النون في باب با * عوضتها بالثاء في حرف نون
فان تصرفه يلح فيه من * علمهما ان تتحسر فنون
نحو ذهـد الله بيتين في * آخر كل فيهما حرف نون

خرجت من شئ الى غيره * من باب ناب ثم ناب وتاب

وها أنا أذكر من بعد ذا * فوائد الباب بنص الكتاب
وأنت بإقرائه فاجتهد * وادع لمن ألفه بالمتاب

(فصل من الفوائد تقدم فى أول الباب مثلان) أحدهما أحق الخيل بالركض المعار والآخر لامر ما جدع قصير أنفه أما هذا فقد تقدم طرف منه وشارح مقصورة ابن دريد ذكره مطولا انظره هنالك موفقا وأما * أحق الخيل بالركض المعار * فان فيه أقوالا قالوا المعار من العارية وذلك انه لا شفقة من المعير على العارية لانها ليست له واحتجوا بالبيت الذى قبله وهو لبشر بن أبى حازم فى صفة الفرس

كأن حفيف منخره اذا ما * كتمن الربو كير مستعار
وجدنا فى كتاب بنى تميم * أحق الخيل بالركض المعار

قالوا والكير اذا كان عارية كان أشد لكده وقال من رد هذا المعار السمين يقال أعرت الفرس اعارة اذا سمنته واحتج بقول الشاعر

أعيروا خيلكم ثم اركضوها * أحق الخيل بالركض المعار

واحتج أيضا بان أبا عبيدة زعم ان هذا البيت وما بعده فى كتاب بنى تميم ليس لبشر وانما هو للطرماح وكان أبو سعيد الضرير صاحب عبد الله بن طاهر يرد هذه الرواية فيرويها * أحق الخيل بالركض المغار * بالغين المعجمة أى المضمر من قولهم أغرت الحبل اذا فتلته واذ وقعنا فى ذكر الخيل العراب فدونك فيها حديثا غريبا روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أباكم اسماعيل أول من ذللت له الخيول العراب فاعتنقها ثم أورثكم حبها وذلك انها كانت كسائر الوحش فلما أذن الله تعالى لابرهيم واسماعيل عليهما السلام برفع القواعد من البيت أعطى كل واحد منهما كنزا من كنوزه فأوحى الله تعالى الى اسماعيل عليه السلام انى معطيك كنزا من كنوزى لم أعطه أحدا قبلك فاخرج فناد بالكنز يأتك قال فخرج اسماعيل عليه السلام وما يدرى ما ذلك الكنز ولا يدرى كيف الدعاء به حتى أتى أجيادا فألهمه الله تعالى اسماعيل الدعاء بالخيل فنادى ياخيل الله أجيبى فلم يبق فى بلاد العرب كلها فرس الا أتاه وذلله الله له فأمكنته من نواصيها قال ابن عباس رضى الله عنهما فلذلك سمى ذلك الموضع أجيادا وقال عليه الصلاة والسلام الخيل العراب تراث أبيكم اسماعيل عليه السلام فاعتقوها واركبوها فانها ميامين فالخيل المعروفة عند العرب بنات الاعوج والوجيف

الخيل

ولاحق

ولاحق وبنات العسجد وآل ذوى العقال وداحس والغبراء والجرادة والحبقاء والنعامة والشما وحافل والشقراء والزعفران والحرون ومكتوم والبطين وقرزل والصريح والزبير والوجيف وغلوى * ومن كتاب التاج قال الاصمعى الحرون من الخيل أعوج وسمى بذلك لانه كان يسبق الخيل ثم يحرن ثم تلحقه فاذا الحقته سبقها ثم حرن ثم سبقها * ومن كتاب عياض رحمه الله قال أبو العباس المبرد وأعوج فرس لغنى وسمى أعوج لانه ركب صغيرا رطبا قبل أن تشتد عظامه فاعوجت قوائمه وقيل بل ظهره وامه سبل وكانت لغنى وهذا أعوج الاصغر وأما أعوج الاكبر فهو فرس اسمه الهجرس والهجرس ولد فرس اسمه الدينار والدينار ولد زاد الراكب فرس سليمان بن داود عليهما السلام وهو بقية من الخيل التى خرجت من البحر وكان أعطاه لقوم وفدوا عليه وقال لهم تصيدوا عليه ما شئتم وكانوا من جرهم فكان لا يفوته شئ فسمى زاد الراكب والله أعلم انتهى كلام عياض رحمه الله * ومن بركة الخيل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة الأجر والغنيمة قال بعض العلماء يخرج من هذا الحديث ان الغزو مع كل بر وفاجر الى يوم القيامة ومن بركة الخيل ماقاله أبو ذر رضى الله عنه خرجه أبو ثابت رحمه الله قال ليس فرس الا انه يدعو الله فى كل سحرية يعنى سحرا وأنشد * فى ليلة لا نحس فى * سحريها وعشائها * وذكر ابن قتيبة رحمه الله فى كتاب تفضيل العرب وقد ذكر جهل بعض الناس بمعرفة الشعر فقال بعد كلام طويل و بعضده كقول القائل

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد

الابيات وتاتى و يعارض ذلك بملوك فارس وأسرتها وتيجانها وبان ابرويز ارتبط تسعمائة وخمسين فيلا على مرابطه و بلغت نجدتها التى كان يشرب بها الداخل عليه ألف اناء من الذهب وخدمته ألف جارية وقد جهل هذا معنى الشعر فأخطأ فى المعارضة ونحوها ليس له فيه حظ ولا نصيب أما معنى الشعر فان أبا عبيدة رحمه الله ذكر أن وفود العرب اجتمعت عند النعمان بن المنذر فأخرج بردى محرق وهو عمرو بن هند وقال ليقم أعز العرب قبيلة فيأخذهما فقام عامر بن احيمر بن بهدلة فأخذهما فاتزر بواحد وارتدى بالآخر فقال له بم أنت أعز العرب قال العز والعدد من العرب فى معد ثم فى نزار ثم فى مضر ثم فى خندف ثم فى بنى تميم ثم فى سعد ثم

فى كعب ثم فى بهدلة فن أنكر هذا من العرب فلينا فرنى فسكت الناس قال النعمان هذه عشيرتك كما تزعم فكيف أنت فى أهل بيتك وفى بدنك قال أبو عشرة وعم عشرة وأخو عشرة وخال عشرة يعنى الاكابر على الاصاغر والاصاغر على الاكابر وأما أنا فى بدنى فهذا شاهدى ثم وضع قدمه على الارض وقال من أزالها من مكانها فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد من الناس فذهب بالبردين فسمى ذا البردين قال الفرزدق

فما تم فى سعد ولا آل مالك * غلام اذا ما قيل لم يتهدل

لهم وهب النعمان بردى محرق * بمجد معد والعديد المحصل

وأما الفرس الورد فان الخيل حصون العرب وسبب الغزو وسلم المجد وثمال العيال وبها يدرك الثار وعليها تصيد الوحش وكانوا يوثرونها على الاولاد باللبن ويشدونها بالافنية للطلب والهرب وقد كنى الله عنها بالخير فى كتابه فقال حكاية عن سليمان صلى الله عليه وسلم انى أحببت حب الخير عن ذكر ربى حتى توارت بالحجاب يعنى الخيل وبها شغل حتى غابت الشمس وقال لبيد

وللخيل أيام فن يصطبر لها * ويعرف لها أيامها الخير يعقب

وقال آخر ولقد علمت على توقى للردى * أن الحصون الخيل لا مدر القرى

والنبى عليه السلام يقول الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة واذا كان للرجل منها جواد كريم مبرز شهر وعرف وقيل العسجدى ولاحق وداحس والورد كانوا يسمونها ويفتخرون بها فى كلام طويل وكان للنبى صلى الله عليه وسلم خمسة من الخيل ذكرها البخارى وسماها السكب والحيف والمرتجز واليعبوب واللزاز ويأتى تفسيرها فى باب الزاى ان شاء الله تعالى عند ذكر اللزاز وقد نظمتها فى بيتين وهما

خيل النبى السكب واليعبوب ثم المرتجز

* ثم اللحيف واللزاز خمسة فى ذا الرجز *

وكان للنبى صلى الله عليه وسلم خيل غيرها ذكر أبو داود أن ذا الجوشن الصابى قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بعد أن فرغ من بدر بابن فرس يقال لها القرحاء وذكر الحديث الا انه ليس فيه بيان ان النبى صلى الله عليه وسلم أتخذ هذا الفرس أم لا وصح انه كان له فرس يسمى الضريس وآخر يقال له ملاوح وآخر يقال له الورد وهو الذى وهبه عليه السلام لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فحمل عليه رجلا فى سبيل الله ثم أراد الرجل بيعه وأراد عمر أن يشتريه قال عمر وظننت انه بائعه

برخص

برخص فسألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تشتره وان أعطاكه بدرهم واحد فان العائد فى صدقته كالكلب يعود فى قيئه وهو المذكور فى الموطأ وكان للمسلمين يوم بدر ثلاثة من الخيل لا غير تقرجة فرس المقداد واليعسوب فرس الزبير وفرس لا أقف على اسمه الآن وفرس جبريل عليه السلام حيزوم وقيل ما اكتسب أحد من العرب فرسا الا سماه وكذلك الابل وذلك مشهور عندهم معلوم ويذكرون ذلك فى أشعارهم كما قال بعضهم

قد لفها الليل دوارحطم * هذا أوان الشد فاشتدى زيم

وسيأتى الكلام فى الغزو بالخيل وما لصاحبها فى ذلك من النيل فى باب الهاء ان شاء الله تعالى *(فصل فى فضل العرب)* من ذلك ما جاء فى الخبر من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماذا أريت وما أعطيت الليلة أعطيت الكنز من كنز كسرى وقيصر وأمددت بالملوك ملوك حمير اللهم ارحم حمير وخص قضاعة بالسلام وقال رجل لعبد الله بن عمرو بن العاص ان حمير تزعم أن تبعا منهم قال نعم والذى نفسى بيده وانه فى العرب كالانف بين العينين وكان بينهم سبعون ملكا قال النعمان بن بشير

لنا من بنى قحطان سبعون تبعا * أطاعت لها بالخرج منها الاعاجم

وقال أبو هريرة رضى الله عنه ملوك العرب حمير ومن حمير الثامنة وهم ثمانية رهط ولاة العهد بعد الملك وبعد الثامنة أربعة الاف قيل والقيل الذى يسمع الملك كلامه ولا يكلمه غيره ومنهم الوزعاء الثاة وهم عمال المخاليف وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الأقيال والاقوال والعباهلة وانما قيل له قيل لانه اذا قال شيئا لم يرد عليه * وقال خلف الاحمر المتوجون من ملوك العرب فى ثلاث قبائل قضاعة ومتوجوها فى بنى آكل المرار وبنو عامر ومتوجوها فى الخزرج وفى مضر متوجون وذكر ابن عبد ربه رحمه الله ان النعمان بن المنذر وفد على كسرى فوجد عنده وفود الروم والهند والصين فذكروا من ملوكهم وبلادهم فافتخر النعمان بالعرب وفضلهم على جميع الامم لا يستثنى فارسا ولا غيرهم فقال كسرى وأخذته عزة الملك يا نعمان لقد فكرت فى أمر العرب وغيرهم من الامم فرأيت الروم كذا ووصف من حالهم وجعل يثنى عليهم ورأيت الهند التى لها كذا وكذا ثم قال مثل ذلك فى الترك والخزر والصين متى ذكر قبيلة أثنى عليها ووصف ما يفتخرون به

ذكر فضل العرب على العجم

ثم قال ولم أر للعرب شيئا من خصال الخير وجعل يصف شأنهم وهو يحقرهم
ويصغرهم فقال النعمان أصلح الله الملك وجعل يثني عليه ثم قال ألا ان عندي
جوابا في كل مانطق به الملك في غير رد عليه ولا تكذيب له فان آمنني من غضبه
نطقت به قال كسرى فأنت آمن فقال النعمان أما أمتك أيها الملك فليست تنازع
في الفضل لموضعها الذي هي به في عقولها وأحلامها وبسطة محلها وبحبوحة عزها
وما أكرمها الله به من ولاية آبائك وولايتك وأما الامم التي ذكرت فأي أمة تقرنها
بالعرب الا فضلتها قال كسرى بماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها
ودينها وبأسها وسخائها وحكمة ألسنتها وشدة عقولها وأنفتها ووفائها فأما عزها
ومنعتها فانها لم تزل مجاورة لآبائك الذين دوخوا البلاد ووطدوا الملك وقادوا الجنود
لم يطمع فيهم طامع ولم ينلهم نائل حصونهم ظهور خيلهم ومهادهم الارض
وسقفهم السماء وجنتهم السيوف وعدتهم الصبر اذ غيرها من الامم انما عزها
الحجارة والطين وجزائر البحور وأما حسن وجوهها وألوانها فقد تعرف فضلهم
في ذلك على غيرهم من الهند المحرقة والصين المحنفة والترك المشوهة والروم
المقشرة وأما أحسابها وأنسابها فليست أمة من الامم الا وقد جهلت آباءها
وأصولها وكثيرا من أولها وآخرها حتى ان أحدهم يسأل عما وراء أبيه دنيا فلا
ينسبه ولا يعرفه وليس أحد من العرب الا يسمي آباءه أبا أبا حفظوا بذلك أحسابهم
وضبطوا به انسابهم فلا يدخل رجل في غير قومه ولا ينتسب الى غير نسبه ولا يدعى
الى غير أبيه وأما سخاؤها فان أدناهم رجلا الذي يكون عنده البكرة والناب
عليها بلاغه في حمولته وشبعه وريه فيطرقه الطارق الذي يكتفي بالفلذة
ويجتزي بالشربة فيعقرها له ويرضى أن يخرج له من دنياه كلها فيما يكسبه حسن
الأحدوثه وطيب الثناء وأما حكمة ألسنتها فان الله أعطاهم في أشعارهم ورونق
كلامهم وحسنه ووزنه وقوافيه مع معرفتهم بالاشارة وضرب الامثال وابلاغهم
في الصفات ماليس لشئ من ألسنة الاجناس ثم خيلهم أفضل الخيول ونساؤهم
أعف النساء ولباسهم أفضل اللباس ومعادنهم الذهب والفضة وحجارة جبالهم
الجزع ومطاياهم التي لا يبعد عن مثلها سفر ولا يقطع بمثلها بلد قفر وأما دينها
وشريعتها فانهم متمسكون بها حتى يبلغ أحدهم من تمسكه بدينه ان لهم أشهرا حرما
وبلدا حراما وبيتا محجوجا ينسكون فيه مناسكهم ويذبحون ذبائحهم فيلقى الرجل

قاتل

قاتل أبيه أو أخيه وهو قادر على أخذ ثاره وادراك دمه فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بالأذى وأما وفاؤها فان أحدهم يلحظ اللحظة ويومي الايماء فهي الب وعقد لا يحلهما الا خروج نفسه وان أحدهم يرفع عودا من الارض فيكون رهنا بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمته وان أحدهم ليبلغه ان رجلا استجار به وعسى أن يكون نائيا عن داره فيصاب فلا يرضى حتى تفنى تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره وانه ليلجأ اليهم المجرم المحروب من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله وأما قولك أيها الملك يئدون أولادهم من الحاجة فانما يفعله من يفعله منهم بالاناث أنفة من العار وغيرة من الازواج وأما تحاربهم وأكل بعضهم بعضا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم فانما يفعل ذلك من يفعله من الامم اذا آنست من نفسها ضعفا وتخوفت نهوض عدوها اليها بالزحف وانه انما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائرهم فيلقون اليهم أمورهم وينقادون اليهم بأزمتهم فأما العرب فان ذلك كثير فيهم حتى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكا أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والوطء والعسف وقال الى غير ذلك كلاما طويلا اختصرته فعجب كسرى مما أجابه النعمان به وقال انك لأهل لموضعك من الرياسة في أهل اقليمك ولما هو أفضل ثم كساه من كسوته وسرحه الى موضعه من الحيرة فلما قدم النعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها مما سمع من كسرى من تنقيص العرب وتهجين أمرهم بعث الى أكثم بن صيفي وحاجب بن زرارة وجماعة من رؤس العرب سماهم فلما قدموا عليه في الخورنق قال لهم قد عرفتم حال هذه الاعاجم وقرب جوار العرب منهم وقد سمعت من كسرى مقالة أتخوف أن يكون لها غور واقتص عليهم مقالة كسرى وما رد عليه فقالوا وفقك الله أيها الملك ما أحسن ما رددت عليه وأبلغ ما حاججته به فمرنا بأمرك وادعنا الى ما شئت قال النعمان انما أنا رجل منكم وانما ملكت وعززت بمكانكم وبما يتخوف من ناحيتكم وليس شيء أحب الي مما سدد الله به أمركم وأصلح به شأنكم والرأي ان تسيروا بجماعتكم ايها الرهط وتنطلقوا بكتابي هذا الى باب كسرى فاذا دخلتم عليه نطق كل واحد منكم بما حضره ليعلم ان العرب على غير ما ظن أو حدثته به نفسه ووصاهم بوصايا وكتب لهم كتابا سماهم فيه واحدا بعد واحد بعد أن اعتذر اليهم في تقدمة بعضهم على بعض وقال انما فعلت ذلك لعلي

يحرص كل رجل منكم على التقدم قبل صاحبه في الكلام فلا يكونن ذلك فجيد في آدابكم مطعننا فانه ملك مترف وقادر مسلط ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرف حلل الملوك فكسا كل واحد منهم حلة وعممه بعمامة وختمه بياقوتة وأعطاه نجيبة مهرية وفرسا نجيبا معه وكتب في كتابه أما بعد فان الملك ألقى الى من أمر العرب ما قد علم وقد أوفدت اليك أيها الملك رهطا من العرب فليسمع الملك منهم وليغض عن جفاء ان ظهر من منطقهم وليكرمني باكرامهم ويجل سراحهم فلما قدموا على كسرى أذن لهم بالكلام فتكلم كل واحد منهم بما قد كتب ودوّن واتخذ أصلا حسبما هو مذكور في العقد فعجب كسرى من بلاغتهم وخطابتهم وربما كان في بعضها قوة وجفاء فقال لهم آخر ذلك كله قد قبلت ما كان في منطقكم من صواب وصفحت عما كان فيه من غير ذلك فانصرفوا الى ملككم والتزموا طاعته وأمر لكل واحد منهم بخمسين دينارا وحلة وصرفهم اختصرت الخبر فهذا بعض فضل العرب وللخلف الاحمر في فضلهم أيضا كلام كثير وقد تقدم منه طرف في أوّل الكتاب وتقدم أيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم لسلمان رضي الله عنه ياسلمان لا تبغضني في أخبار كثيرة من هذا المعنى فاذا لا يبغضهم الا زنديق أو من حاد عن الطريق كما يذكر عن أبي عامر بن غرسية البشكسي انه انشأ رسالة يفضل فيها العجم على العرب ظن انه أعرب فيها وأغرب ففسق بها وبدع وسب بسببها وجدع ورد عليه جماعة من العلماء الفضلاء النبلاء أما أحدهم فافتتح الرد عليه بقوله

وذي خطل في القول يحسب انه * مصيب فما يهتف به فهو قائله

والبيت لزهير وممن رد عليه الفقيه الفاضل أبو مروان عبد الملك بن محمد الاوسي في رسالة سماها رسالة الاستدلال بالحق في تفضيل العرب على جميع الخلق والذب والانتصار لصفوة الله المهاجرين والانصار وللفقيه الاديب أبي الطيب عبد المنعم ابن من الله رسالة سماها حديقة البلاغة ودوحة البراعة المونقة افنانها المثمرة أغصانها بذكر المآثر العربيه ونشر المفاخر الاسلاميه والرد على ابن غرسيه فيما ادعاه للامم العجميه وللفقيه الامام الكاتب ذي الوزارتين أبي عبد الله بن أبي الخصال الغافقي رسالة سماها خطف البارق وقذف المارق في الرد على ابن غرسية الفاسق في تفضيله العجم على العرب وقرعه النبغ بالغرب ومن المتأخرين ايضا الفقيه الاجل

المحدث الافضل أبو محمد عبد المنعم بن محمد بن عبد الرحيم الخزرجي الغرناطي عرف بابن الغرس رحمهم الله فأما ابن أبي الخصال فأخنى عليه وصال بججاج أمضى من النصال ماله عنها انفصال وقد أراني جميع ذلك بعض الاصحاب ممن هو في العلم في السحاب وفي جملتها كلام ابن غرسية المذكور في رسالته الدالة على فساد القول وفسالته التي فضل فيها على العرب العجم وأراد أن يعرب فأعجم فقلت وقد غاظني ما رأيت لهذا الجاهل من الاقتراف وأنا بالعجز عن معارضة من سبقني من العلماء ذو اعتراف

أقول لباغ في مقالته يهفو * حسود كثير الضغن شيمته السخف
يعيب بما قد قاله العرب الالى * هم الرأس والباقون بعدهم الظلف
وزاد كذا تفضيل قوم لبؤسهم * رئيسهم شيخ الكنيسة أسقف
الا فاغضبوا يا مؤمنين لدينكم * ولا تضعفوا فالدين ليس به ضعف
أليس عظيما يقدم الاوجه القفا * ومعلوم ان الاذن يقدمها الانف
ولكنه من عاش يبصر عجائبا * ويسمع حديثا ليس يبلغه الوصف
فقلت لنفسي مسليا عن تلهف * ترفق بنفس كاد يتلفها اللهف
وهل حاسد الامقالته أف * وهل ضوء نور الشمس يستره كف
فقل للذي قد عاب قوما أعزة * رويدك ان النكر يغلبه العرف
حضضت على نشر الثناء عليهم * ولم يك مستورا فينشى له كشف
ولكنه كالعود شب له الغضى * فألقى فيه فانثنى وله عرف
وأيضا فمن هذا الذي رام حطهم * بما حط من سخف تضمنه صحف
اذا قيل من قالوا ابن غرسية كفى * به شرفا ان النصارى له الف
تعلم منهم قسوة القلب والجفا * ولكنه جاف ولفظ له جلف
فهب انه يعيبات والله قد وفى * بما لاح في مكتوبه انه خلف
أيطفئ نور الله نفثة نافث * وهل ماء هذا البحر ينزفه غرف
أبيت ويأبى الله ذلكم لهم * ولو جاء من مثل ابن غرسية ألف
فقل للكرام السادة العرب حسبكم * لسان الورى طرا على مدحكم وقف
ونصركم حقا عليهم بكل ما * يطيقونه والود منهم لكم صرف
ولو لم يكن الا لأن محمدا * عليه سلام منكم أيها الصنف

خليل اله العالمين نبيناً * ومن منه نرجوا العطف يتبعه العطف
ولكن سيدى من يقول مقالتى * ومن قال أيضا ضدها من له العنف
وقد قلت ذا أبغى به الله وحده * وان شابه شئ فربى قد يعفو
فان كنت لم أشبع فقد قيل قبل ذا * كلام ويكفى من مضمته النصف
وأستغفر المولى وأسأله الرضى * فمن عنده تأتى المبرات واللطف

وكان ذلك الصاحب المذكور أيضا قد رد عليه بمكتوب فيه مقطوعة من نظم فيه أبدع فيها وفى قوافيها وأراد منى أكرمه الله ان أحذو حذوهم فى ذلك الغرض ورآه على أهل الادب كالشئ المفترض

فقلت له دع ذا فليس بشانى * وتكليف مثلى ذا من الهذيان
ومن أين للمقصوص بالطيران * وللفرس المرهوص بالجريان

ظن وفقه الله ان عندى فى ذلك طول اتساع وطول ذراع وباع فناديته ياذا المعقول لو كنت كما تقول ورزقت من العلم مارزقه اولو العقول مازدت على ان أسلم ذلك المنقول وهل تركوا رضى الله عنهم لقائل مايقول سبقوا الى المشاهد والاثر واستبقوا الى الشاهد بالخبر والاثر وحلوا كتبهم بالشعر والمثل وخلوا ابن غرسية حلت به المثل فسقوه وبدعوه وسبوه وجدعوه وكأس الموت قبل الفوت جرعوه فليت شعرى الذى يسلك اليوم مسلكهم أو يقفوه بماذا يفوه فوه فكيف وليت من يقفو آثارهم وكيف يشق غبارهم لكنى لا أخليك من صحيفة كلام كصفحة حسام هو لذلك العائب كلام كالكلام وملام ذو ايلام ثم أقصد السجع والفصاحه ولا أشينه بفحش وقباحه اذ قد كفانى أصحابنا ذلك أولوا الحفائظ والرجاحه الذين فللوا سلاحه وقللوا صلاحه لكن قصدت بهذا الكتب نوعا من العتب على سبيل الاقتصار على الاختصار ومن الصنف الذى عهدت منى ورويت عنى من القلوب المعكوس فى ذم كتاب هذا المنحوس المنكوس ولم آت منه الا باليسير القليل بجمود الذهن الحسير الكليل لكنه مع قلته آهل عامر بثلب مكتوب أبى عامر لانه آذانى بما وقع فى آذانى من سبه فى كتابه جميع العرب الا بعدمنهم والاقرب عابهم فيه وشانهم وحقر أمرهم فيه وشانهم ثم مدلسانه الا لكن بما قدر عليه من القبيح وأمكن فجاهر بذكر المطهرة هاجر صرح فى ذلك الكتاب المنطوى على العمه بانها أمه وهب كان ذلك كذلك أليس ابراهيم الخليل عليه

السلام

السلام خليلها وضجيعها وحليلها أليس اسماعيل الكريم ولدها ومكة شرفها
الله بلدها حيث فجرت زمزم بسببه فجرت عينا المشرب به وقيل فيها هذه زمزم
لا تنزف أبدا ولا ترم تذهب الوله والبله وماء زمزم لما شرب له وكم لها رضى الله عنها
من فضيلة وسنه و وسيلة ومنه هي لنا الى اليوم أسوه وعبادة وقدوه كالطواف
بين الصفا والمروه والسعى في بطن المسيل ودمعها يسيل شفقة على ابنها
اسماعيل اذ كان صبرها عليه قد عيل وكجر الذيل سترا للنساء حتى في المرط
والكساء وكتدميتهن في الارتفاع منهن والانخفاض في ثقب الأذنين والخفاض
هذا الابقاء ماء الوجه وحظوة الزوج الالوف وذلك لتعليق القرط والشنوف الى غير
ذلك من الشعائر والمشاعر التي عمى عن علمها الطاعن المباهر المكنى بأبي عامر
الملقب بالشاعر الذى ترك ذكر هذا كله من العرف وهدم عليه أى جرف ولم
يتفقه فيه بحرف بل قصدنا بالمعائب وأمنا وأدخل معنا في ذلك المرأة أمنا
فعمنا وغمنا فهلا اذ قدح مدح ولما فتق رتق وحين جرح داوى ذلك الجرح وترك
موضعا للصلح لا جرم انه اجترم ولم يحفل بمنصب النبوه ولم تهزه أريحية الفتوه ولا
لاح عليه عرف البنوه ولا فاح منه عرف الابوه فلذلك استحق على قوله المقت من
وقته الى هذا الوقت ولما صرح به من القبوح والفضوح وهل بعد شتم الوالدين صلوح
ثم ان المسكين زاد الطين بله بمدحه غير أهل الملة من الاكاسرة والقياصره ويأبى
الله الا أن يعز هذا الدين وناصره أقام له حماة أمجادا كماة أنجادا نصروه بكلامهم
وزبروه في الكتب بأقلامهم اذ لم يمكنهم الا ذلك حين أعجلهم بموته وأعجزهم بفوته
ولو أدركوه حيا لما أبقوه ولا خافوه ولا اتقوه والعجب من أهل ذلك الزمن كيف
استقروا على هذه الفتن وأقروا هذا المجترى على هذا الاجترا وما جاء به من
الافترا أم كيف أبلعوه ريقه وأوسعوا له طريقه ولم يهلكوه وفريقه هلا
ضرجوه بالأضاميم أو أخرجوه من بين آل حاميم الظن بهم وبه انهم لم يعلموا
بكذبه وانه حين أنشأ هذه الرسالة وأوجدها جمدها وحين كتبها كتمها ولعله
بعث بها سرا الى اخوانه وأفشاها لاخدانه وحين مات ظهرت واشتهرت وحينئذ
ردعليه من وقعت اليه ويحتمل أن يكون عن هذا المذهب قد نزع وأقلع عنه
ورجع والله يعلم السرائر وما تخفى الضمائر ونسأل الله العصمه من مثل هذه
الوصمه والتوب من الحوب وصلى الله الغفور الرحيم على سيدنا محمد رسوله

الكريم وعلى آله الطيبين الطاهرين وسلم عليهم أجمعين والحمد لله رب العالمين

(فصل) وأنت أيها الطالب المريد لابد من اسعافك ولو في بعض ماتريد لما كثر القول في ابن غرسية من أولئك العلماء الاحبار الفضلاء الاخيار وألفوا فيه الاجزاء كالأسفار وسارت بها السفار وأنجد ذكرها في البلاد وغار وانتشر أمرها في البلاد وطار واشتهر خبرها في أكثر الأقطار اقتصرت أنا الضعيف من تلك الاخطار على ثلاثة أسطار وفي ظني اني لم أسبق اليها ولا وقع أحد منهم عليها لانها من ذلك الفن المقلوب المعنى للقلوب الذي ولعت به على قديم الزمن ولم يأت بمثله الامن ومن وكل ينفق من كيسه ويوسف من تشكيسه السطر الاول عكس الثاني والثاني عكس الاول وهذا هو القلب المحوّل والسطر الثالث أولاه أخراه فرجلاه رأسه ورأسه رجلاه

أعجوبة لمن يرى * يمشي أماما وورا * كأنه لما جرى
أمامه تذكرا * شيئا نسي فاذكرا * فكر يمشي القهقرى

وبتلك الثلاثة الاسطار الرفيعة الاخطار أخذت نصيبي من نصرة الدين وحماية حوزة العرب الموحدين وأعملت يراعتي على قلة براعتي فعل المجاهدين للعين بالطعين على شرط أن يكون ابن غرسيه لم يتب من تلك البليه فان كان مقيما على تلك القضيه الى المنيه فقد وقع الكلام في حقه ورجع على مستحقه وان كان قد تاب ورجع وعن مذهب السوء أقلع فلست بمعتاب من تاب والله يتوب على التائبين ويعفو عن المذنبين ويغفر لنا أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين *وقد نظمت هذه المعاني كلها في أبيات تبين لك من الاسطار معناها وتشرح لك مغزاها

اصاح مهلا كاب ابي عامر ذا اذا * نكال الى العرب لوقتنا اذا هنا
انه اذان تقول برع لالا لا كن اذا * اذرماعيبا باتكالهم حاصا
هذا كاب اتم بهم عجوكله هنا تماالآت * الامة انه هلك وجهه حوتنا باتلك اذاه

ياجامعا للكتب بالاوقار * من شاعر أو كاتب أوقار
لاتحتقر هذا الكلام فانه * عجب لما فيه من الاثمار
أنظر الى السطرين الاوّل منهما * عكس لثانيه من الاسطار
وكذلك الثاني للاوّل عكسه * فاعجب لذا الترداد والتكرار

لازائد حرفا ولا نقص ولا * معنى سوى القلب الغريب الدار
والثالث اردد منه أخراه على * أولاه ثم تخيلك فى المضمار
ان تتله نصا يجبك بفائد * وكذلكم عكسا بلا انكار
قلب أتى قلب به فكأنه * ترق بكفى حائك مكثار
فن اليسار الى اليمين برده * ومن اليمين كذلكم ليسار
ان كنت تحقره فجئ بمثاله * تشرف وتعظم آخر الاعصار
ان أنت لم تقدر عليه فعندها * تدرى بذاك حقيقة المقدار
وتقول يا ابن الشيخ انك أوحد * ماقلته سحر من الاسحار
وأنا أقول الحمد للولى وأسأل رحمة من ربى الغفار
ومذمتى هذى بشرط أن يموت ولم يتب من قول ذاك العار
وان استقال من الذى قد قاله * فالله يصرف عنه حر النار
ثم الصلاة على النبى محمد * خير البرايا المصطفى المختار

ونسأل الله الرضى وجميل الصفح عما لا يرضى من مكتوب هذا الصفح وجميل العفو عما وقع فيه من الهفو والتجاوز عن الخطا والخطل والتهافت والزلل ونرغب اليه فى السداد فى القول والعمل فعليه المتكل وهو الرجاء والامل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وكان أبو عمرو هذا وفقه الله واياى قد عودته كما تقدم ان أبعث اليه بما أمكن من هذا المقلوب وكان يولع به بعث الى مرة بأرنب فكتبت اليه بابيات منها

ابن راء نيلا أتى * أتى الينا ارنبا * ابنى نوبا مثلها
هل ثم آتونى نبا * أبلغت رحب تكلم * وملكت بحر تغلبا

وبقية الابيات وسواها من هذا الفن مذكور حيث قلت لك والحمد لله وقد أطلت الكلام وخرجت عن النظام وتقدم المصراع وفى الحديث منه ان بين المصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام وفى هذا رجاء عظيم لهذه الامة وأرجى منه ماجاء فى الخبر أن للجنة ثمانية أبواب ولامة النبى صلى الله عليه وسلم خاصة باب يدخلون منه وخرج الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال باب أمتى الذى يدخلون منه الجنة عرضه مسيرة الراكب الجواد ثلاثا ثم انهم ليضغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول وسيأتى فى باب الباء

عندذكر الالطيط نوع من هذا لانه يروى فى ذلك الباب وله ألطيط من الزحام وتقدم باب ولى من لفظة باب كلام هو عندى من لباب اللباب أردت ان أثبته فى هذا الكتاب ليعلم حذاق الكتاب أن قد جاء فى الخلف من ينحو نحو ما سلف للسلف كان يقرأ على بعض الطلبة المقامات المذكورة للحريرى رحمه الله فلما انتهينا منها الى ذكر الكلمات التى تنعكس وقول كل واحد من الخمس كلماته المعكوسة التى قال أولاهم لم أخامل وقال الآخر كبر رجاء أجر ربك وكذلك فكذلك الى آخرها مع الابيات الخمسة أيضا التى أولها * أس أرملا اذا عرا * وارع اذا المرء أسا * قلت كان من حق الحريرى رحمه الله ان تكون الابيات سبعة على عدد الكلمات فكان ثم من قال ومن يقدر على هذا كانه يعرض بى فقلت أنا فى ذلك منظوما عشرة أبيات وقد تقدم ذكرها وكتبت له منها بيتا واحدا باسم الشوق الى الذوق والترقى من الاسفل الى الفوق ومن الذيل الى الطوق وأزيد لك هنا بيتا آخر فافخر به فمثله يفاخر

اسبق تقوم لعلا * العلم وقت قبسا

الى آخرها وقلت من المنثور كذلك عشر كلمات وجعلت قبلها كلاما وبعدها مثله وأضفت اليها ما جمعته من شكل الكلمات التى تنقط كلها والاخرى العرية من النقط وما يخلط من الخط وما لا يخلط وما يعكس ولا ينقط وما يعكس وينقط وغير ذلك من البديع وما أجاب عليه بعض من رآه وجمعت ذلك فى الجزء المذكور وقبل هذا فن الكلمات التى ذكرت جعلت الجماعة عشرة وقال أحدهم كلمة والثانى ثنتين وكذلك الى تمام العشرة قال الاول باب وقال الثانى (عد ودع) وقال الثالث (ان البلا ناء) وقال الرابع (ليس يلب بل يسيل) وقال الخامس (تربص أملك تؤت كما صبرت) وكذلك الى آخر النثر والنظم وقد أنبأتك أين تجد هذا وسواه من التكميل الذى ذكرت لك ان شاء الله والحمد لله على منته وتقدم انه يسمى الغلق الذى يسد به الفتح فى الحائط بابا اتساعا كما قالوا فى المطر سماء لانه ينزل من السماء وللسقف سماء وفى حديث اسلام عمر رضى الله عنه اذ جاء الى البيت الذى كان فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رجل فنظرت من خلل الباب وفى الحديث أيضا وأنا أنظر من صائر الباب شق الباب فهذا يحتمل ان يكون من بين ألواح الباب أو من بين اللوح والحائط وفى الآخر اطلع رجل فى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحديث الموطأ فى الفتى الذى قتل الحية برمحه فمات وخر هو ميتا فوجد

امرأته

امرأته قائمة بين بابين وجاء في حديث آخر اذا لم يكن على الباب ستر ولا باب فلا بأس أن يطلع في الدار وسيأتي ان شاء الله وكيفما كان يسمى هذا بابا وهذا بابا اتساعا كما تقدم وكذلك تقدم أيضا انه يقال له الخلف وجاء في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة رضي الله عنها لولا حداثة عهد قومك بالكفر لنقضت الكعبة ولجعلتها على أساس ابراهيم فان قريشا حين بنت الكعبة استقصرت وجعلت لها خلفا وفي حديث آخر وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا خرج هذا مسلم وقال البخاري قال أبو معاوية عن هشام وجعلت لها خلفا يعني بابا كذا فسره في الحديث وقال حماد بن سلمة عن هشام ولجعلت لها خلفين وفي رواية وألصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر أو كما قال عليه السلام فلما كان ابن الزبير وحدثته خالته عائشة رضي الله عنها هذا الحديث قال ليس بنا اليوم عجز عن النفقة فبناها على مقتضى حديث عائشة رضي الله عنها ووافق ذلك أنها احترقت في عهده يقال طارت شرارة من أبي قبيس فوقعت في أستارها فاحترقت ويقال ان امرأة أرادت أن تجمرها فطارت شرارة من الجمرة في أستارها فاحترقت فشاور ابن الزبير في هدمها من حضره فهابوا هدمها وقالوا نرى أن تصلح ما وهى ولا تهدم فقال لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له الا بأكمل صلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها فهدمها حتى أفضى الى قواعد ابراهيم عليه السلام فأمرهم أن يزيدوا في الحفر فحركوا حجرا منها فرأوا تحته نارا وهولا أفزعهم فأمرهم ان يقروا القواعد وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر وفي الخبر انه سترها حين وصل الى القواعد فطاف الناس بتلك الاستار فلم تخل قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب واشتغل الناس فلم ير طائف يطوف بالكعبة الا جمل يطوف بها فلما استتم بنيانها ألصق بابها بالارض وعمل خلفا أي بابا آخر من ورائها وأدخل الحجر فيها فلما قام عبد الملك بن مروان قال لسنا من تخليط أبي خبيب في شئ فهدمها وبناها على ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمرو بن أبي ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر فحدثاه عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم بالحديث المتقدم فندم وجعل ينكت الارض بمخصرة في يده ويقول وددت اني تركت أبا خبيب وما تحمل من ذلك قال أبو يوسف

ذكر الكعبة

ابن الشيخ وأما أنا فقد دخلت يوما تحت أستار الكعبة شرفها الله من جهة الغرب
فرأيت أثر الباب في الحائط قد أغلق وأحكم الصاقه بالكذان المنحوت حتى كاد
يخفى على من أبصره وهو مقابل الباب الشرقي وعلى قدره الا انه ينتهي شقه الى
الارض وما يظهر منه الا قدر غلظ الخيط من أثر الباب القديم على شكل الباب
المنفتح اليوم من جهة الشرق الا ان البيت قد ردم وقدر ارتفاعه دون القامة فهو
والله أعلم الى المنكب يصعد اليه بدرج شبه المنبر يضم اليه يوم يفتح البيت ثم يزال
لئلا يمنع من الطواف وعدد درجاته عشر على سعة الباب يصعد فيه رجلان في صف
واحد وأسفل البيت مبسوط بالرخام وأعلاه مسطح قد سمرت في سقفه شقق الحرير
الملون من أبيض وأحمر وأصفر وأسود وحيطانه فوق القامة منه رخام مرصع
ومنه الى السقف شبه شجرة ملتفة الاغصان قد دخل بعضها في بعض من
أحسن ما يرى وكسي ذلك البيت ذهبا يكاد يغشي البصر وفي وسطه قائمتان من
خشب من الارض الى السقف وكان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء
في الموطأ على ستة أعمدة والموضع الذي صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
أفرغ فيه كوكب من فضة في رخامة هنالك يعلم به وبابه مصفح بصفائح الفضة المملة — الكوكب هو المسمار
بالسواد في غاية من الترصيع ونهاية من الاتقان وكواكب فضة تمسك الصفائح
عوض المسامير وعتبته من ذهب وعليه قفل عظيم في حلق فضة وأظن القفل من
فضة أيضا أو مغسولا بفضة والبيت مستور كله بالديباج الا موضع الباب وموضع
الحجر الاسود ولون أستاره خضر منسوج فيها صور المحاريب في كل محراب منها على
صغرها مكتوب طرة قد قطعت من الحلة الاحمر وخيطت على الاستار حروفها
تقرأ على بعد لعظم الحروف مكتوب بعد البسملة ان أول بيت وضع للناس للذي
ببكة مباركا الآية هذا ما أمر بعمله فلان ابن فلان عام كذا يعني صاحب بغداد وهو
يرسل كسوتها كل عام مع أشياء سوى هذه من الاسباب يطول بذكرها الكتاب
قال

أراها الله رأي العين عبدا * شديد الشوق للبلد الحرام
فيشفي سقمه بطواف بيت * كريم عند زمزم والمقام

وقد ذكرت بعض وصف البيت في قصيد مطول أقول فيه

وقد حلوا أعاليه بتبر * وقد بسطوا أسافله رخاما
وقد جعلوا له بابا وقفلا * وحلوا بابه ورقا وساما

الى آخره وهو فوق المائة بيت انظره فى التكميل ويروى ان أبا الفضل الجوهرى رحمه الله لما انتهى الى الكعبة شرفها الله ورأى ما علق عليها من الزينة تمثل بهذين البيتين ماعلق الدر على نحرها * الا لما يخشى من العين

أقول والدر على نحرها * من علق الشين على الزين

وقلت أنا فى ذلك وذيلت البيتين

أهلا بمن مكة قد حاكى * بحو وما بالقلب من رين

فاذ رأى البيت وقد علقوا * من فوقه الاستار للزين

لم يتمالك اذ رأى ذلك أن * أنشد فى الكعبة بيتين

قالهما صب رأى جيد من * حلى باللؤلؤ والعين

ماعلق الدر البيتين وينظر هذا الى قول الشاعر * مبتلة الاعطاف زانت عقودها * بأحسن مما زينتها عقودها * ومثله ما قال خالد بن عبد الله القسرى حين دخل على عمر ابن عبد العزيز رضى الله عنه لما ولى الخلافة يا أمير المؤمنين من تكن الخلافة قد زانته فأنت قد زنتها ومن تكن قد شرفته فأنت قد شرفتها فأنت كما قال الشاعر

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

رجع الحديث الى ذكر الكعبة فلما قام أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير وشاور فى ذلك فقال له مالك بن أنس رضى الله عنه أنشدك الله يا أمير المؤمنين ان لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشاء أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رأيه فيه وكانت الكعبة قد بنيت فى الدهر خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانية حين بناها ابراهيم عليه السلام على القواعد الاول والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة أعوام والرابعة حين بناها ابن الزبير والخامسة حين بناها عبد الملك كما تقدم وقيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين من أجل السيل وكان اصلاحا لم يكن ابتداء بنيان ولا هدمت وكانت قبل أن يبنيها شيث عليه السلام خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم عليه السلام ويأنس بها لانها أنزلت اليه من الجنة وكان قد حج اليها من الهند وقد قيل ان آدم هو أول من بناها وفى الخبران موضعها كان على الماء قبل أن يخلق الله سبحانه السموات والارض فلما بدأ الله بخلق الاشياء خلق التربة قبل السماء فلما خلق السماء وقضاهن سبع سموات دحا الارض من تحت مكة ولذلك سميت

أم القرى وروى فى سبب بنيان البيت ان الله سبحانه لما قال للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها الآية خافوا أن يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم فى علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون اليه فأمرهم الله سبحانه أن يبنوا البيت المعمور فى السماء السابعة وان يجعلوا طوافهم به فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ثم أمرهم أن يبنوا فى كل سماء بيتا وفى كل أرض بيتا قال مجاهد هى أربعة عشر بيتا كل واحد منها مسامت لصاحبه أى فى مقابلته لو سقطت لسقط بعضها على بعض وروى ان الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الارض الى منتهاها وقذفت فيها حجارة أمثال الابل فتلك القواعد من البيت التى رفع عليها ابراهيم واسماعيل البيت فلما جاء الطوفان رفعت وأودع الحجر الاسود أبا قبيس وذكر ابن هشام ان الماء لم يعلها حين الطوفان ولكنه قام حولها وبقيت هى فى هواء الى السماء وان نوحا عليه السلام قال لاهل السفينة وهى تطوف بالبيت أنتم فى حرم الله وحول بيته فأحرموا الله ولا يمس أحد كم امرأة وجعل بينهم وبين النساء حاجزا فتعدى حام فدعا عليه نوح عليه السلام ان يسود لون بنيه فاسود كوش بن حام ونسله الى يوم القيامة وقد قيل سبب دعوة نوح على حام غير هذا والله أعلم فلما نضب ماء الطوفان كان مكان البيت ربوة من مدرة وحج اليه هود وصالح ومن آمن معهما وهو كذلك ويذكر أن يعرب قال لهود عليه السلام ألا نبنيه قال انما يبنيه نبى كريم يأتى بعدى يتخذه الرحمن خليلا فلما بعث الله ابراهيم عليه السلام وشب اسماعيل أمر ابراهيم ببناء الكعبة فنزلت عليه السكينة وظللت له على موضع البيت فكانت عليه كالحجفة فلما بلغ ابراهيم عليه السلام الركن جاءه جبريل عليه السلام بالحجر الاسود من جوف أبى قبيس وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزل الحجر من الجنة أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم وعنه والله ليبعثنه الله يوم القيامة له عينان يبصر بهما ولسان ينطق به يشهد على من استلمه بحق وروى الترمذى أيضا مرفوعا ان الحجر الاسود والركن اليمانى ياقوتتان من الجنة ولولا ما طمس من نورهما لأضاءتا ما بين المشرق والمغرب وفى رواية غيره ولأبرآ من استلمهما من الخرس والجذام والبرص وروى غير الترمذى من طريق على رضى الله عنه ان العهد الذى أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره أن لا يشركوا به شيئا كتبه فى صك وألقمه الحجر الاسود

ولذلك

ولذلك يقول المستلم ايمانابك ووفاء بعهدك وذكرهذا الخبر الزبير وزادفيه ان الله سبحانه وتعالى أجرى نهرا أطيب من اللبن وألين من الزبد فاستمد منه القلم الذى كتب العهد وفى الحديث الحجر الاسود يمين الله فى الارض يصافح به عباده كما يصافح بعضهم بعضا ومعناه ان الملك اذا صافح رجلا قبل الرجل يده فكان الحجر لله فى الارض بمنزلة اليمين للملك يستلم ويلثم هذا على وجه التمثيل فى المعنى والله أعلم وذكر أبو عبيد البكرى فى كتاب المسالك والممالك له ان ابن الزبير رضى الله عنه حين أراد هدم البيت خرجوا من مكة الى منى وأقاموا بها ثلاثا خيفة أن ينزل عليهم عذاب وابن الزبير علا على البيت بنفسه حتى لم يجترئ أحد على هدمه وجعل يهدمها ويرمى حجارتها فلما لم يصبه شئ صعدوا وهدموا معه فما ترحلت الشمس حتى ألصقها كلها بالارض وذلك يوم السبت منتصف جمادى الآخرة سنة أربع وستين ولما هدمه عمد الى الحجر الاسود فجعله فى ديباجة وأدخله فى تابوت وأقفل عليه ووضعه عند دار الندوة حتى علا البناء وأمر بوضعه فبنى فى الحجر الذى تحته وفى الحجر الذى فوقه حيث يدخل حتى يكون فى نهاية من الالصاق والثبات ثم أمر ابنه عبادا وجبير بن شيبة بن عثمان أن يجعلا الركن فى ثوب وقال لهما اذا دخلت فى صلاة الظهر فاجعلاه فى موضعه ففعلا ذلك وارتفع عليه البناء والناس فى الصلاة وكان طول الحجر ذراعا وشبرا وعرضه اثنى وعشرين اصبعا وقال من رأى مؤخره الداخل فى الجدار هو مضرّس على ثلاثة رؤس ولونه الداخل فى الحائط مورّد وقال بعضهم هو أبيض قال وأرقى ابن الزبير عبيدا من الحبش يهدمونها رجاء أن يكون فيهم صفة الحبشى الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة قال مجاهد قال عبدالله بن عمرو بن العاص كأنى به أصيلع أفيدع قائما عليها يهدمها بمسحاته والله أعلم وأراد ابن الزبير أن يبنيها بالورس فأخبر ان الورس يذهب ولكن ابنها بالقصة فأرسل الى صنعاء بأربعمائة دينار واشترى له بها قصة بها بناها وذكر ان القرمطى المكنى بأبى طاهر المسمى سليمان بن الحسن لعنه الله وكان صاحب البحرين دخل مكة بالسيف فى سبعمائة رجل من أصحابه وذلك يوم الاثنين لسبع خلون من ذى الحجة سنة سبع عشرة وثلثمائة فقتل فى سكك مكة وشعابها من أهل خراسان والمغاربة زهاء ثلاثين ألفا وسبى من النساء والصبيان مثل ذلك وأقام بها ستة أيام وقتل الناس وهم متعلقون بأستار الكعبة وردم منهم

زمزم وفرش منهم المسجد وما يليه وقلع الحجر الاسود من موضعه وحمله الى بلاده
فأصابه الله تعالى ببلاء فى جسده حتى تقطعت أوصاله فلما أهلكه الله ردّ الحجر
الى مكانه بعد مدّة طويلة ذكر بعد اثنتين وعشرين سنة غير أربعة أيام والحمد لله
على كل حال ورأيت فى بعض التواريخ ان الذى ردّه الى مكانه شنبر بن الحسن
ابن شنبر القرمطى ولد صاحب البحرين رئيس القرامطة وحج شنبر هذا مع الناس
وقد نال المدينة شرفها الله نوع من هذه الوقيعة قبل هذا وذلك يوم الحرّة أيام يزيد بن
معاوية على يد مسلم بن عقبة المرى الذى تسميه أهل المدينة مسرف بن عقبة سنة
ثلاث وستين قتل فيها من وجوه المهاجرين والانصار ألفا وسبعمائة وقتل من أخلاط
الناس عشرة آلاف سوى النساء والصبيان وانتهب المدينة ودخل على امرأة من
الانصار رجل من أهل الشأم وهى ترضع صبيها وقد كان أخذ ما عندها فقال لها
هات الذهب والا قتلتك وصبيك فقالت ويحك إن قتلته فأبوه أبو كبشة صاحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا من النسوة اللاتى بايعن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما خنت الله فى شئ بايعت عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتفض
الصبى من حجرها وثديها فى فيه وضرب به الحائط حتى انتثر دماغه فى الارض
والمرأة تقول يا بنى لو كان عندى شئ أفديك به لفديتك فاخرج من البيت حتى
اسودّ نصف وجهه وسار مثلة فى الناس وكان سبب هذه الفتنة ان أهل المدينة
خلعوا يزيد بن معاوية وأخرجوا مروان بن الحكم وبنى أمية وأمروا عليهم عبد
الله بن حنظلة بن الغسيل الذى غسلت أباه الملائكة يوم أحد ولم يوافق أهل المدينة
على هذا الخلع أحد من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولزموا بيوتهم
مثل عبد الله بن عمر وأهله وجابر بن عبد الله وأبى سعيد الخدرى رضوان الله عليهم
ودخلوا على أبى سعيد بيته فقيل له من أنت أيها الشيخ فقال أبو سعيد الخدرى
صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له قد سمعنا خبرك ونعم ما فعلت حين
كففت يدك ولزمت بيتك ولكن هات المال فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم
علىّ وما عندى شئ فقالوا كذبت ونتفوا لحيته وأخذوا ما وجدوا حتى صوف
الفراش وحتى زوجين من الحمام كانا فى البيت وقد كان يزيد بن معاوية قد أعذر
اليهم فيما ذكروا وبذل اليهم من العطاء أضعاف ما يعطى الناس واجتهد وافى
استمالتهم الى الطاعة وتحذيرهم من الخلاف لكنهم أبى الله الا ما أرادوا والله يحكم

بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون ولتظهر أيضا معجزة النبي صلى الله عليه وسلم فانه
يروى انه وقف يوما بتلك الحرة وقال ليقتلن بهذا المكان رجال هم خيار أمتي بعد
أصحابي ويذكر عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه انه قال لقد وجدت صفتها في كتاب
يهودا بن يعقوب عليهما السلام الذي لم يدخله تبديل فانه يقتل فيها قوم صالحون
يجيئون يوم القيامة وسلاحهم على عواتقهم وذكر الحديث وخرج جابر بن عبد الله
رضي الله عنه في ذلك اليوم يطوف في أزقة المدينة وهو أعمى والبيوت تنتهب وهو
يعثر في القتلى ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له قائل
ومن أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبي فحملوا عليه ليقتلوه فأجاره منهم
مروان وأدخله بيته وذكر البخاري ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما أرجف
أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه وقال لهم انا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله
وبيعة رسوله وانه والله لا يبلغني عن أحد منكم انه خلع يدا من طاعته الا كانت
الفيصل بيني وبينه ثم لزم بيته كما تقدم وكان جدار الكعبة أولا رصا بحجارة بعضها
على بعض من غير ملاط طوله تسعة أذرع من غير سقف فلما بنتها قريش قبل
الاسلام زادت في جدارها تسعا فكانت ثماني عشرة ذراعا ورفعوا بابها عن الارض
فكان لا يصعد اليها الا في درج أوسلم وقد سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن ذلك فقال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاؤا ويمنعوا من شاؤا أو كما قال
عليه السلام ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسعة أذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا
وعلى ذلك هي الآن وأما المسجد فأول من بناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك
ان الناس ضيقوا على الكعبة وألصقوا دورهم بها فقال عمر رضي الله عنه ان
الكعبة بيت الله ولا بد للبيت من فناء وانكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم فاشترى
تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم كان عثمان رضي الله
عنه فاشترى دورا أخر وأغلى في ثمنها وزاد في سعة المسجد فلما كان ابن الزبير زاد
في اتقانه لا في سعته وجعل فيها عمدا من الرخام وزاد في أبوابه وحسنها فلما كان
عبد الملك بن مروان زاد في ارتفاع حائط المسجد وحمل اليها السواري في البحر
الى جدة واحتملها من جدة على العجل الى مكة وأمر الحجاج بن يوسف فكساها
الديباج وقد كان ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج ذكره الزبير بن بكار وذكر

أيضا ان خالد بن جعفر بن كلاب ممن كساها الديباج قبل الاسلام وسيأتى حديث تبع وكيف كساها فى باب الكاف ان شاء الله تعالى ثم لما كان الوليد بن عبد الملك زاد فى حليها وصرف فى ميزابها وسقفها ما كان فى مائدة سليمان عليه السلام من ذهب وفضة وكانت قد احتملت على بغل قوى فتفسخ تحتها فضرب منها الوليد حلية للكعبة فلما كان أبو جعفر المنصور وابنه محمد الهادى زاد أيضا فى اتقان المسجد وتحسين هيئته ولم يحدث فيه بعد ذلك عمل الى الآن نقلت هذه الاخبار من كتاب الاستاذ أبى القاسم السهيلى رحمه الله فى شرح السيرة وقال بعد تمام هذا الخبر وفى اشتراء عمر وعثمان رضى الله عنهما الدور التى زادا فيها دليل على ان رباع مكة ملك لأهلها يتصرفون فيها بالبيع والشراء اذا شاؤا وفى ذلك اختلاف وذكر رحمه الله فى حديث زمزم كلاما بديعا أثبته هنا فكن له سميعا قال كانت زمزم سقيا اسماعيل عليه السلام فجرها له روح القدس بعقبه وفى تفجيره اياها بالعقب دون أن يفجرها باليد أو غيرها اشارة الى أنها لعقبه ووراثه وهو محمد وأمته كما قال سبحانه وجعلها كلمة باقية فى عقبه أى فى أمة محمد ثم ان زمزم لما أحدثت جرهم فى الحرم واستخفوا بالمناسك والحرم وبغى بعضهم على بعض واجترم تغور ماء زمزم واكتتم فلما أخرج الله جرهم من مكة بالاسباب التى أحدثوها عمد الحارث بن مضاض الأصغر الى ما كان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان من ذهب وأسياف قلعية كان ساسان ملك الفرس قد أهداها الى الكعبة وقيل سابور وكانت الاوائل من ملوك الفرس تحجها الى عهد ساسان أو سابور فلما علم ابن مضاض انه مخرج منها جاء تحت الليل حتى دفن ذلك فى زمزم وعفى عليها ولم تزل دارسة عافيا أثرها حتى آن مولد المبارك الذى كان يستسقى بوجهه غيث السماء وينفجر من بنانه ينابيع الماء صاحب الكوثر والحوض الرواء فلما آن ظهوره أذن الله تعالى لسقيا الله ان تظهر ولما اندفن من مائها ان يجهر فكان صلى الله عليه وسلم قد سقيت الناس من بركته قبل ان يولد وسقوا بدعوته وهو طفل حين أجدب بهم البلد وذلك حين خرج به جده مستسقيا لقريش وسقيت الخلائق كلها غيوث السماء فى حياته صلى الله عليه وسلم الفينة بعد الفينة والمرة بعد المرة تارة بدعائه وتارة من بنانه وتارة بالقاء سهمه ثم بعد موته استشفع عمر بعمه الى الله تعالى عام الرمادة وأقسم عليه به وبنبيه فلم يبرح حتى قلصوا المآزر واعتلقوا الحذاء وخاضوا الغدران

ذكر زمزم

وسمعت

وسمعت الرفاق المقبلة الى المدينة صائحا يصيح فى السحاب أتاك الغوث أبا حفص كل ذلك ببركة المنبعث بالرحمتين والداعى الى الحياتين الموعود بهما على يديه فى الدارين صلى الله عليه وسلم صلاة تصعد ولا تنفد وتتصل ولا تنفصل فرغ كلامه رضى الله عنه * قلت ذكر فى هذا الحديث ان جده استسقى به لقريش فيما تقدم فسقوا ببركته صلى الله عليه وسلم ونفس المؤمن الى سماع الحديث عن ذلك تتشوف وبكونه من أمته عليه الصلاة والسلام يتشرف فها أنا قد سقته اليك مسندا فاشدد به يدا حدثنى الفقيه الحافظ أبو الطاهر رحمه الله فيما أذن لى فيه قال أخبرنى القاضى أبو المحاسن بالرى أخبرنا أبو نصر البلخى أخبرنا أبو سليمان أحمد بن محمد بن ابراهيم الخطابى حدثنا أبو سعيد بن الاعرابى قال حدثنا محمد بن على بن البخترى حدثنا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه حدثنا عبد العزيز بن مروان عن ابن حويصة قال حدث مخرمة بن نفيل عن أمه رقيقة بنت ابى صيفى بن هاشم قال تتابعت على قريش سنو جدب قد أمحلت الظلف وأرقت العظم فبينا أنا راقدة أو مهمومة ومعى صنوى اذا أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يقول يا معشر قريش ان هذا النبى المبعوث منكم هذا ابان نجومه فحى هلا بالحيا والخصب ألا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاما أبيض وضاء أشم العرنين سهل الخدين له فخر يكظم عليه ألا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن رجل ألا فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعا ألا وفيهم الطيب الطاهر لذاته ألا فليستسق الرجل وليؤمن القوم ألا فغثتم اذا أبدا ما عشتم وشئتم قالت فأصبحت مذعورة قد قف جلدى ووله عقلى فاقتصصت رؤياى فوالحرمة والحرم ان بقى أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد فتتامت عنده قريش وانقض اليه الناس من كل بطن رجل فشنوا الماء ومسوا واستلموا واطوفوا ثم ارتقوا أبا قبيس وطفق القوم يدفون حوله ما ان يدرك سعيهم مهله حتى قروا بذروة الجبل فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قد كرب ثم قال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل وهذه عبداؤك واماؤك بعذرات حرمك يشكون الينا سنتهم فاسمعن اللهم وأمطرن علينا غيثا مريعا مغدقا فما راموا البيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى بثجيجه فرغ الحديث وهذه القصة

حديث الاستسقا

شهدها أبو طالب عمه ولذلك يقول

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل

وهو شعر مطول وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ربما ذكرت قول الشاعر وأنا أنظر الى وجه النبي صلى الله عليه وسلم يستسقى فما ينزل حتى يجيش لها كل ميزاب * وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * وروى أنس بن مالك ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه فقال اللهم انا كنا نتوسل اليك بنبينا فتسقينا وانا نتوسل اليك بعم نبينا فاسقنا قال فيسقون وروى انه قال في استسقائه بالعباس اللهم انا نتقرب اليك بعم النبي صلى الله عليه وسلم وقفية آبائه وكبر رجاله دلونا به اليك مستشفعين خرجه صاحب التاج وقال دلونا معناه استشفعنا وقد تقدم تفسير القفية انه تلوهم واستسقى يومابه فلما فرغ من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه القوم اليك بمكاني من نبيك صلى الله عليه وسلم وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا اليك بالتوبة وأنت الراعي لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم أغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روحك الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى أرخت السماء مثل الجبال وفي ذلك يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه

سأل الخليفة اذ تتابع جدبه * فسقى الغيوث بغرة العباس

عم النبي وصنو والده الذى * ورث النبي بذاك دون الناس

أحيا المليك به البلاد فأصبحت * مخضرة الاجناب بعد الياس

هذا كله ووجه المطيب مغيب وأما بحضرة غرته فأسرع بالغيث ودرته روى أنس أيضا قال جاء أعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو قاعد في المسجد فقال يارسول الله لقد أتيناوما لنا بعير يئط ولا صبي يصيح وأنشد يقول

أتيناك والعذراء تدمى لبانها * وقد شغلت أم الصبي عن الطفل

وألقى بكفيه الكبير استكانة * من الجوع ضعفا ما يمر وما يحلي

ولا شيء مما يأكل الناس عندنا * سوى الحنظل العامى والعلهز الفسل

وليس لنا الا اليك فرارنا * وأين فرار الناس الا الى الرسل

فقام

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم رفع يديه الى السماء فقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مسريعا مريعا غدقا طبقا عاجلا غير رائث نافعا غير ضار تملأ به الضرع وتنبت به الزرع وتحيي به الارض بعد موتها وكذلك تخرجون فوالله مارد يديه الى نحره حتى ألقت السماء بأرواقها وجاء أهل البطاح يضجون يارسول الله الغرق فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الى السماء ثم قال اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة حتى أحدق بها كالاكليل فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال لله در أبي طالب لو كان حيا قرت عيناه من ينشدنا قوله فقام علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال كأنك أردت

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للأرامل

تلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده في نعمة وفواضل

الابيات فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجل وقام أعرابي من كنانة فقال

لك الحمد والحمد ممن شكر * سقينا بوجه النبي المطر

دعا الله خالقه دعوة * اليه وأشخص فيها البصر

فلم يك الا كالقا الردا * وأسرع حتى رأينا الدرر

دفاق العزالي جم البعاق * أغاث الاله علينا مضر

وكان كما قاله عمه * فهذا العيان لذاك الخبر

فمن يشكر الله يلق المزيد * ومن يكفر الله يلق الغير

فقال صلى الله عليه وسلم ان يكن شاعر يحسن فقد أحسنت وأختم لكم هذا الفصل أيها الاحباب بذكر الحديث الذي وعدتكم به في أول الكتاب وسقته هناك كما ذكرته مجملا فخذوه كما شرطت لكم مكملا روت عائشة رضي الله عنها قالت شكا الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قحوط المطر فأمر بمنبر فوضع له بالمصلى ووعد الناس يوما يخرجون فيه قالت عائشة فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بدا حاجب الشمس فقعد على المنبر فكبر وحمد الله ثم قال انكم شكوتم جدب دياركم واستئخار المطر عن ابان زمانه عنكم وقد أمركم الله عز وجل أن تدعوه ووعدكم ان يستجيب لكم ثم قال الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين لا اله الا هو يفعل ما يريد اللهم أنت الله لا اله الا أنت الغني ونحن الفقراء أنزل

علينا الغيث واجعل ما أنزلته الينا قوة وبلاغا الى حين ثم رفع يديه فلم يزل فى الرفع
حتى بدا بياض ابطيه ثم حوّل الى الناس ظهره وقلب أو حوّل رداءه وهو رافع يديه
ثم أقبل على الناس ونزل وصلى ركعتين فأنشأ الله سحابة فرعدت وبرقت ثم أمطرت
باذن الله فلم يأت مسجده حتى سالت السيول فلما رأى سرعتهم الى الكن ضحك
حتى بدت نواجذه فقال أشهد ان الله على كل شئ قدير وأنى عبد الله ورسوله
وأزيدكم أيها البنون استسقاء سعدون المجنون قال عطاء السلمى رضى الله عنه
منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فاذا نحن بسعدون المجنون فنظر الىّ فقال ياعطاء
هذا يوم النشور أم بعثر من فى القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقى
فقال ياعطاء بقلوب خاوية أو بقلوب سماوية فقلت له بل بقلوب سماوية فقال هيهات
ياعطاء قل للمتبهرجين لا يتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال
الهى لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالمكنون من آلائك الا ماسقيتنا ماء غدقا
تحيى به العباد وتروى به البلاد يامن هو على كل شئ قدير قال عطاء فما استتم الكلام
حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول

نعم الزاهدون والعابدونا * اذ لولاهم أجاعوا البطونا
شغلتهم عبادة الله حتى * قيل فى الناس ان فيهم جنونا

وروى ان الناس أقحطوا سنة فرأى رجل من الصالحين فى النوم يقال له استسق
بهذين البيتين ففعل فسقوا بهما

يامحيى الارض بعد ميتتها * ومنزل الغيث والورى قنطوا
ارحم عبيدا نفوسهم ظلموا * وأحى أرضا أصابها القحط

وهذا القول أيضا قد فرغ بعد ما أفرغت عليك منه عباب اللباب خرج من خلل ذلك
الباب ثم أرجع الى بقية الكلام بعون الله ذى الجلال والاكرام وتقدّم ذكر الباب
وفى كتاب الله عز وجل منه كثير قال تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب
وأتوا البيوت من أبوابها ومعناه ان قريشا كانت فى الجاهلية اذا أحرم أحدهم
بالحج لم يدخل بيته من بابه ونقب فى الحائط نقبا من خلف الدار أو الحجرة فدخل منه
وكانوا يفعلون ذلك لئلا يحول بينهم وبين السماء سقف أو عتبة وكان ذلك من
دينهم فنسخه الله بالاسلام وقيل معناه اطلبوا الخير من بابه ولا تطلبوه من الجهال
المشركين وقيل هو كناية عن اتيان النساء فى أدبارهن والله أعلم بما أراد من

ذلك وسيأتي الكلام على هذا في باب النون عند قوله تعالى أنى شئتم مستوفى ان شاء الله وأختم لك باب باب بحكمة من لباب الالباب رأيت للفقيه الفاضل أبي القاسم عتيق بن محمد الصقلي رحمه الله في قوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب كلاما أعجبني فنقلته من كتابه الذي سماه جامع الخير وأنا على ظهر البحر مابين الاسكندرية والمهدية وكان في ذلك الكتاب عجائب ورقائق قال وقد ذكرت اعجاز القرآن وكثرة معانيه وفوائده وان ذلك قد يوجد في اللفظة الواحدة وقال رحمه الله وتأمل يا أخي قوله سبحانه والملائكة يدخلون عليهم من كل باب كيف أفادك سعة المنازل بكثرة الابواب واكبار الملائكة لهم واعزازهم حتى عنت بأنفسها اليهم وكثرتهم وجمعهم لدخولهم من كل باب وشدة عنايتهم ومسارعتهم وسرورهم بالبشرى لانه لولم يستفزهم ذلك لدخلوا من باب واحد وان كانوا عددا شيئا بعد شئ تأمل هذه الجملة هل قامت الشعراء في المحافل والخطباء على المنابر بأفصح أو أمدح منها ثم أفهمنا ان جماع ذلك كله في الصبر وعليه جعل الجزاء ومنه قول الملائكة سلام عليكم بما صبرتم الصبر هو ذلك المر ليس بالتمنى ولا الاقتراح ثم قال وانظر يا أخي هل حالي وحالك حال من يكون الله سبحانه مادحه والملائكة تزدحم على أبوابه فتعتبر ذلك بما قاله بعضهم روى عن النبي صلى الله عليه وسلم معناه اذا شئت أن تعرف مالك عند الله فانظر ماالله عندك في كلام جليل طويل * وتقدم ناب وانه واحد الانياب وهي التي تلي الرباعيات في الفم الى جهة الشدقين وهي الحديدة الديده القوية الشديده قيل لابنة الخس ما أحد شئ فقالت ناب جائع يلقي في معا ضائع وفي الفم اثنان وثلاثون سنا أربع ثنايا وأربع رباعيات وأربعة أنياب وأربع ضواحك واثنتا عشرة رحا وأربعة نواجذ وهي أقصاها وآخرها نباتا في الناس من لا يخرج له شئ من النواجذ فتكون أسنانه ثمانيا وعشرين ومنهم من يخرج له اثنان فتكون اسنانه ثلاثين فيزعمون ان من خرجت نواجذه كلها كان وافر اللحية عظيمها ومن لم يخرج له شئ كان كوسجا والله أعلم ذكر ذلك ابن السيد في شرح خطبة أدب الكاتب حين ذكر حديث الاعرابي الذي قدم على أحد الولاة متشكيا من عامله فذكر ظلامته بعنجهية وجفاء فقال له الوالي انى لأحسبك جاهلا لا تعرف كم تصلي في اليوم والليلة فقال له الاعرابي أرأيتك ان أخبرتك بذلك أتجعل لي عليك مسألة قال نعم فقال الاعرابي

ذكر الاسنان

ذكر فقار الظهر والعظام

ان الصلاة أربع وأربع * ثم ثلاث بعدهن أربع * ثم صلاة الفجر لا تضيع *
قال صدقت فما سألتك قال كم فقار ظهرك قال لا أدري قال أفتحكم بين الناس
وأنت تجهل هذا من نفسك ثم فسر ابن السيد رحمه الله جميع ما تقدم في كتابه مع
عدد الثقب التي في ابن آدم مع أشياء لا يستغنى عن معرفتها الاديب ولا الكاتب
اللبيب فقال جميع الثقب التي في بدن الانسان اثنتا عشرة العينان والاذنان
والمنخران والفم والثديان والفرجان والسرة حاشا الثقب الصغار التي تسمى المسام
يخرج منها العرق وينبت فيها الشعر فانها لا تنحصر وأما الفقار فأربع وعشرون سبع
منها في العنق واثنتا عشرة في الظهر وخمس في القطن وهو العجز والاضلاع أربع
وعشرون اثنتا عشرة في كل جنب وجملة العظام التي فيه مائتان وثمانية وأربعون
عظما حاشا العظم الذي في الكتف والعظام الصغار التي حشي بها خلل المفاصل
وتسمى السمسمية سميت بذلك لدقتها والسمسم هو الجلجلان وذكر ثابت في الدلائل
عدد العظام وفسرها فقال منها خمسة في كل اصبع وخمسة في ظهر كل قدم وثلاثة
في كل ركبة وعظمان في كل ساق وعظم في كل واحد من مرفقيه وخمسة في كل
واحدة من المتنين وتسعة وثلاثون في الرأس وثمانية في الصدر وثماني عشرة فقارة
في الظهر وتسعة عشر ضلعا وثلاثة أعظم تحت كل واحد من الكتفين وثلاثة
أعظم في الذراعين وفي الكف مثل ما في الرجل انتهى كلامهما رضي الله عنهما
وفائدة هذا أن تعلم ان الله عز وجل لم يخلق هذا عبثا ولا جعل عدد هذه الاعظم لغوا
وانما ذلك لحكم علمها من علمها وجهلها من جهلها وأقل ما يجب على العبد غير
العالم بتفصيل هذا كله ان يعلم ان جميع ذلك وسواه مما فيه من لحم وجلد وعظم
ودم وعصب وشعر وعرق خلق من ماء مهين لا يظهر فيه شئ من هذه الاكوان
ولا الالوان الظاهرة ولا من الصفات الباطنة التي هي الحياة والسمع والبصر وغير
ذلك والعقل الذي يدبر به أمره وبه تجب الحجة عليه في طاعته ومعصيته ثم سخر له بعد
ذلك ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليه النعم الظاهرة والباطنة ورضي منه
بعد هذا كله أن يقر له بالوحدانية وان جميع ما يتقلب فيه نعمة منه عليه لا شريك
له في شئ من ذلك وانه لا يجب له على مولاه حق بل كل ذلك تفضل منه على عبده فاذا
أقر بهذا وأمثاله فقد شكره كما أنه ان جحد منه شيئا فقد كفره كما يذكر عن عيسى
عليه السلام انه قال يارب كيف أشكرك وشكري اياك نعمة منك علي يجب علي

الشكر

الشكر عليها فقال اذا علمت هذا فقد شكرتني أو كما قال فسبحان الله العلي الكبير الذي يرضى من العبد الحقير باليسير ويجزي عليه بالكثير وجاء في الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في ابن آدم ثلثمائة مفصل وستون مفصلا يجب على كل مفصل منها صدقة قالوا يارسول الله ومن يستطيع ذلك قال يحي أحدكم الأذى عن الطريق وفي حديث آخر كل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة ويجزي من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى أو كما قال وجاء في حديث آخر تبسمك في وجه أخيك صدقة وأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل في أرض الضلال لك صدقة وبصرك للرجل الرديء البصر لك صدقة واماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق لك صدقة وافراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة وجاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ركع أحدكم يسبح ثلاث مرات فانه يسبح الله تعالى من جسده ثلاث وثلاثون وثلثمائة عظم وثلاثة وثلاثون وثلثمائة عرق خرجه الدارقطني رحمه الله وقال عبد الرحمن بن أبان بن عثمان في مرضه وكان أعتق رقابا كثيرة في صحته بلغني ان ابن آدم فيه ثلثمائة وستون مفصلا والحمد لله قد أعتقت عشرين وثلثمائة رقبة فأنا متمها ان شاء الله حتى تكون ثلثمائة وستين رقبة وذكر في هذا الخبر رقبة وجاء في حديث آخر نسمة وقد فرق العلماء بين الرقبة والنسمة خرج ثابت من حديث سليمان بن موسى قال اذا ولد الصبي فهو نسمة واذا انقلب ظهرا لبطن فهو رقبة واذا صلى فهو مؤمنة وفسر قوله نسمة يعني يجزئ في مراد النبي صلى الله عليه وسلم من أعتق نسمة وقاه الله بكل عضو منها عضوا من النار وقوله رقبة يريد أنها تجزئ في الظهار وكفارات الايمان قال تعالى فتحرير رقبة ولم يشترط فيها مؤمنة وقوله واذا صلى فهو مؤمنة يريد أنه يجزئ في كفارة القتل خطأ قال الله تعالى ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة قال وجاء في الرقبة والنسمة تفسير آخر عن البراء بن عازب قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة قال لئن كنت قصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة أعتق النسمة وفك الرقبة قال أوليستا سواء يارسول الله قال ان عتق النسمة ان تنفرد بعتقها وان فك الرقبة ان تعين في ثمنها والمنحة الوكوف والفيء على ذي الرحم الظالم فان لم تستطع ذلك

الفرق بين الرقبة والنسمة

فكف لسانك الا من خير * وتقدم ذكر الرقبة وهي تجمع على رقاب وفي القرآن العزيز وفي الرقاب قال الجوهري في كتاب التاج وتجمع أيضا على رقبات ورقب قلت ومازال ذو والانتظار للموت والارتقاب يعتقون الرقاب لجواز العقاب منهم من لطمه فأعتقه خشية أن يكون ظلمه ومنهم من أعتقه لسبب من الاسباب من غير هذا الباب كما روى أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما رأى كسرة خبز فقال لغلامه ارفعها وأمط عنها الأذى فلما أمسى وأراد الفطر قال لغلامه مافعلت بالكسرة قال أكلتها قال اذهب فأنت حر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من وجد كسرة خبز فرفعها من الارض ثم أكلها لم تصل جوفه حتى يغفر الله له فأنا أكره ان أستعبد من غفر الله له سقت هذا الخبر هنا لأتطرق به الى ذكر أبيات صنعتها بسبب كسرة خبز من الارض رفعتها وبعض الاصحاب يراني وخفت أن يكون ازدراني فقلت

يا صاحبي مهلا * لاتأكلن عرضي * رزق من المولى
ملقى على الارض * هل أخذه الا * من أوكد الفرض

ولي أيضا أبيات فيها ذكر العتق من الرق فقلت

لك الحمد يامولاي حمدا مباركا * كثيرا أثيرا دائما أبدا يبقى
تباركت ياألله من لم تكن له * معينا على أسبابه ماانشقا يلقى
وكيف ولاحول ولاقوة لنا * ولاملجأ الا اليك ولامرقى
فان لم تكن عونا لنا في خلاصنا * من النار يارحمن انا اذا غرقى
فمن وأعتق ياكريم رقابنا * وكم سيد أعطى مواليه العتقا
وكل مماليك وكل أنحة * وأنت جواد مالك رقنا حقا
وليس لنا مولى سواك ومن تكن * الهي مولاه فلا أبدا يشقى

تقدم مالك رقنا حقا وفي مثل هذا يقال عبد قن وهو الذي ملك هو وأبوه وأمه فاذا ملك دون أبويه فهو عبد مملكة بضم اللام وفتحها قاله ابن السيد رحمه الله وقد يعبر بالنواجذ عن الانياب كما جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك حتى بدت نواجذه وهذا ان حمل على النواجذ المعلومة فبعيد في حقه عليه السلام لان هذا لايمكن ولم يعرف من ضحكه الا التبسم فحمل هذا الحديث على الأنياب وقد جاء ذلك مذكورا في بعض الروايات ضحك حتى بدت أنيابه عليه السلام خرجه

مالك رحمه الله فى موطائه وقال الاصمعى هى الاضراس وجاء فى حديث آخر ان الملكين قاعدان على ناجذى العبد يكتبان وذكر مكى فى الهداية انه يروى ان الملك يجلس على ناب الانسان وقلمه اللسان ومداده ريق الانسان وهذا تمثيل فى القرب والله أعلم بكيفية ذلك وقال أبو العباس النواجذ الانياب كما تقدم فى الحديث وقيل النواجذ الضواحك ذكره المازرى فى المعلم وكذا قيل فى قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام فتبسم ضاحكا من قولها جاء فى التفسير أن الانبياء عليهم الصلاة والسلام كان ضحكهم التبسم وقيل لنبينا عليه السلام فبهداهم اقتده فكان كذلك صلى الله عليه وسلم وروى عن جابر بن سمرة انه كان لا يضحك الا تبسما وعبد الله بن الحارث بن جزء ما رأيت أحدا أكثر تبسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى حديث آخر جل ضحكه التبسم والقهقهة فى الضحك مكروهة جدا جاء فى تفسير قوله تعالى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها قال الاوزاعى الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وفى الحديث كثرة الضحك تميت القلب وفى حديث آخر واياك وكثرة الضحك فان كثرة الضحك فساد القلب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه للاحنف يا أحنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به الناس ومن أكثر من شئ عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه وفى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب ويل له ويل له وقال بعض العلماء اياك وضحك القهقهة فان فيه ثمان آفات (الاولى) يذمك العلماء والعقلاء (والثانية) يجترئ عليك السفهاء والجهال (والثالثة) ان كنت جاهلا ازداد جهلك وان كنت عالما نقص علمك لانه ورد فى الخبر ان العالم اذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة يعنى رمى من علمه بعضه (والرابعة) ان فيه نسيان الذنوب الماضية (والخامسة) ان فيه جراءة على الذنوب فى المستأنف لانك اذا ضحكت قسا قلبك (والسادسة) ان فيه نسيان الموت وما بعده من أمر الآخرة (والسابعة) ان عليك وزر من ضحك بضحكك (والثامنة) ان الضحك فى الدنيا يعقب بكاء طويلا فى الآخرة ويقال ثلاثة تقسى القلب منها الضحك من غير عجب وقال عليه السلام ويل لمن يكذب ليضحك به الناس وويل له وويل له ثلاث مرات وفى حديث آخر والذى نفسى بيده ليتكلم الرجل بالكلمة ليضحك بها القوم فيغضب الله عليه فيها

النهى عن القهقهة والضحك

ويكفي من ذلك ان الله تعالى عير أقواما بالضحك فقال تعالى أفمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون ومدح آخرين بالبكاء فقال تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وسيأتي الكلام في البكاء في باب الزاي عند ذكر الأزيز ان شاء الله العزيز ومن أشد ما جاء في الضحك انه ينقض الوضوء ويفسد الصلاة عند طائفة من اهل العلم وحجتهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي فأقبل رجل في بصره سوء فربئر عليها خصفة فوقع فيها فضحك بعض من كان خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان ضحك أن يعيد الوضوء والصلاة ذكره أبو عبيد وفسر الخصفة انها الجلة التي تعمل من الخوص للتمر وجمعها خصاف وهذا التفسير يحتاج الى تفسير آخر عندنا اليوم ولئن عشنا قليلا لنسأل الله السلامة كثر عندنا الجهل فعم الحدث والكهل أتدري من الكهل هو ابن ثلاث وثلاثين سنة قاله ثابت ومما نقلت من كتاب الاخيار بفوائد الاخبار للامام الحافظ أبي بكر ابراهيم بن محمد بن يعقوب البخاري رحمه الله الضحك شئ يختص به الانسان من بين سائر الحيوان ومعناه استفادة سرور يلحقه فتنبسط له عروق قلبه فيجري الدم فيها فيفيض البشر الى سائر عروق بدنه فتثور فيه حرارة فينبسط لها وجهه وتملأ الحرارة فاه فيضيق عنها فينفتح فاه وتبدو أسنانه فان تزايد ذلك السرور ولم يكن في الانسان ما يضبط به نفسه استخفها الفرح فضحك حتى قهقه ولذلك قيل في صفة النبي صلى الله عليه وسلم وضحكه تبسم لانه كان لا يستخفه السرور فيغلبه فيقهقه وهذه الصفة منفية عن الله عز وجل وجميع أوصاف الحدوث تعالى الله عن ذلك وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يضحك الله وقال عوف بن الحارث وهو ابن عفراء يارسول الله ما يضحك الرب تعالى من عبده قال غمسه يده في سبيل الله حاسرا قال فنزع درعا كان عليه ثم شد على القوم فقتل بشرا كثيرا ثم قتل رحمه الله يحمل الضحك في هذه الاحاديث على الرضى من عبده وعلى اختصاصه به فضحكه له تعالى عبارة عن الرضى عنه والقبول له ويجوز أن يكون الضحك هنا تجليه لعبده فيراه رؤية عيان كما جاء في القرآن العزيز وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة والضحك بمعنى الظهور مشهور في لسان العرب يقال ضحك الفجر وضحك السحاب وضحك الشيب كله بمعنى الظهور قال دعبل

لا تعجبي ياسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

فيكون

فيكون معنى يضحك اليك أى يقدم عليك فرحا بلقائك وتضحك اليه اى تتجلى له وتكشف الحجب عنك فيراك وينظر اليك كما قال فى حديث جابر بن عبد الله ما كلم الله أحدا الا من وراء حجاب وانه أحيا أباك فكلمه كفاحا وقد يكون معنى الضحك من الله تعالى ادرار الرحمة على عبده كما تدر السحاب المطر على وجه الارض يقال ضحك السحاب اذا اصب ماءه لان الماء فيه كامن فاذا اصبه ظهر وقد يقال بكت السماء وضحكت اذا أمطرت يراد به السحاب قال الشاعر

سحابة صادقة الأنواء * تعقب بين الضحك والبكاء

وقال آخر من غير الكتاب

كل يوم بأقحوان جديد * تضحك الارض من بكاء السماء

(فصل) مما تقدم من الفوائد فى اللغات تقدم القحط بفتح الحاء وهذا جائز لا سيما وسط الكلمة حرف حلق وقد سهلوا ذلك فيما ليس وسطه حرف حلق ولكنه شاذ وأما أقحط فان ثابتا رحمه الله قال فى الدلائل يقال أقحط الناس من القحط وأجدبوا من الجدب وأخصبوا من الخصب ويقال قحط المطر أى قل واحتبس وتقدم العنجهية يقال فيه عنجهانية بالتشديد والتخفيف وهى الكبر ويقال الجهل والحمق وأنشد

عش بجد فلن يضرك نوك * انما عيش من ترى بجدود

رب ذى اربة مقل من المال وذى عنجهية مجدود

وتقدم الضحك وفيه اربع لغات ضحك يضحك ضحكا وضحكا وضحكا والضحك أيضا الطلع حين ينشق تشبه الاسنان به لبياضه وتراصفه والضحكة المرة الواحدة والتبسم دون الضحك يقال بسم بالفتح يبسم بسما فهو باسم وابتسم وتبسم والمبسم الثغر ورجل بسام ومبسام كثير التبسم *(فصل من الملح)* تقدم القحط قال ثابت رحمه الله زعموا ان اعرابيا علمه بعض الصحابة سورة لا أقسم بيوم القيامة فجاء الاعرابى ذات يوم الى الذى علمه فقال أرتج على بعض الذى علمتنى فزدت فيها آيات لا أحسبها دونها قال قلت ماذا قال لما قلت فاذا برق البصر وخسف القمر أرتج على فقلت وقحط المطر ويبس الشجر وغلبت ربيعة مضر فقلت ان هذا لا يصلح أن يتكلم به فى الصلاة (قلت) انظر الى هذه الكلمات المتباينات الصور ما أبعدها من نظم آيات السوره والله ما تشبهها فى ورد ولا صدر وما خرج هذا الكلام ولا

صدرالامن جلف جاف عن الخير متجاف قلبه فى غلاف بلا خلاف تاب الله علينا وعليه ورحمنا اذا صرنا اليه وكذلك مايروى عن أحد الشعراء المجان أنه حضر استسقاء قوم وكانوا خرجوا والسماء مغيمة فدعوا فى الاستسقاء ولم يفض الله لهم بالماء لكن انقشع الغيم وطلعت الشمس فقال

خرجوا ليستسقوا وقد نشأت * بحرية يبدو لها رشح
حتى اذا اصطفوا لدعوتهم * وبدا لأعينهم بها نضح
كشف الغطاء اجابة لهم * فكأنهم خرجوا ليستصحوا

نعوذ بالله من دعاء لا يسمع ومن عمل لا ينفع وتقدم الناب ومنه ما أنشدنى بعض أصحابنا للوزير الفقيه الحاج أبى الحسن بن الشيخ الوزير أبى جعفر أحمد بن جبير

صحبت الزمان وقابلته * بصبر جميل اذا الخطب نابا
وكم رام هضمى فما اض لى * جنانا ولا فل للصبر نابا
كذلك كنا قديما اذا * دعينا الى خطة الضيم نابا

فقلت للذى أنشدنيها ينقصه ناب سيد القوم وناب للناقة المسنة كما تقدم وقلت له ألحق الابيات

ولم أرض بالدون فى ديننا * ولا للدناءة أعملت نابا
ومن كان فى دهره هكذا * فذا يسمى فى الاقوام نابا

وتقدم ذكر الانياب وهى التى تراها بارزة فى السبع والكلب والسنور مديدة على الاسنان حديدة كالسنان تفزع الشجعان فكيف الجبان لذلك قلت

أعوذ بالرحمن المفضل المنان من شر ذى أسنان تلمع كالسنان ويجوز أن يتعوذ منها ويتلوذ عنها فان مرآها مرعب مرهب وشباها مهلك معطب لاسيما وكل من له أنياب فله اظفار حديدة كالشفار أحدهما يفتق المعا فكيف بهما اذا اجتمعا هذا امرؤ القيس على جراءته وجزالته وشجاعته وبسالته قد هول بهما فى مقالته

وأعلم انى عما قريب * سأنشب فى شبا ظفر وناب

وقد ذكر فى هذا البيت قصة كانت عندى كالميت اعترتنى فيما سلف أشفيت منها على التلف حمل على ذات يوم كلب أسود له مقلة تتوقد كأنها الفرقد أو الشهاب الموقد أعجلنى عن الاقعاء وألزقنى بالدقعاء فظلت بين يديه طليحا وكاد يلعنى صحيحا فلولا ان الله تعالى جادنا بالتلافى لكان فى ذلك اتلافى لكنه سبحانه وتعالى عافى

وتلا في بعد أن كان ما كان حسبما ذكرته بكماله في غير هذا المكان وحينئذ أيقنت اني رجل جبان خوار الجنان بيد أني أنست نفسي بعض التأنيس بالبيت المتقدم لامرئ القيس وقلت

ان ابن حجر حند جالن ابى * أن يغفل الاظفار والانيابا
بل ساقها في معرض التهويل * وهو الشجاع في الوغى المهول
فكيف ممن فزعه من فار * يبصر ذا اناب وذا أظفار
كلب له لون بهيم أسود * عيناه جمر مثل جمر يوقد
أنيابه حديدة مديده * من أجلها هيبته شديده
لاسيما اذا تراه يكشر * عنها وعيناه هنالك تبصر
اكتب أخالك غائباً عن محضره * ان فؤادي طار من تذكره
وحق لي ياصاحبي ان أحذره * فلا تلمني واقبلن المعذره
خرج لي يوما من الايام * من خرب من تلكم الآطام
وأنا عطل من شبا السلاح * النبل والسيوف والرماح
ما في يدي عصى سوى أكمامي * كأنني جاء من الحمام
فلم يكذب بل سعى أمامي * يريد أن يجلب لي حمامي
صير في أمامه طليحا * وكاد أن يبلعني صحيحا
والله لولا الله ما نجوت * منه ولا فت ولا سعيت
لكنه نجى وعاق بعدما * كدت أرى بعد وجودي عدما
ومع ذا مزق لي سلهامتي * فالحمد لله على سلامتي
حين أصاب جبتي لا هامتي * لونا لها شالت اذا نعامتي
حينئذ مائت منه رعبا * وانقلب القلب فليس قابا
هذا من الكلاب فكيف بالاسد * ياصاحبي اقرأ قل هو الله أحد
ذالك الذي يبلع ما ألفاه * وليس يحتاج لسد فاه
وهذه خرافتي جليتها * بالنظم ثم عندكم خليتها
ما قلت هذا القول يا أحبابي * الا لتنشيط أولى الالباب
كي يستجيب نبلهم لفعلها * أو فوقها أو تحتها أو مثلها

وقد قلت اني ذكرت هذا الخبر في غير هذا الموضع مرة وما ولكن منثورا لا منظوما

وكان فيه من المنظوم

وان الذى عافى من الكلب بعدما * ظللت طليحا بين كفيه مجدل
يمزق أثوابى على وسترة * على جلدتى من ان يمزق منسدل
لربى الذى أرجو يفرج كربتى * ويكشفها انى على فضله مدل

وهذه الابيات والارجوزة قد كتبتها فى التكميل مجردة مما قبلها من القيل *(فصل من الفوائد أيضا)* هولت فى الارجوزة المتقدمة بذكر الكلب الأسود

ذكر الكلاب

ولم أقض فيها بالاجود واذا الكلب الابيض أجرأ وأجرى فكان بالذكر أولى وأحرى رأيت فى كتاب لبعض الكتاب ما أقصه وهذا نصه السواد أشد من البياض قوة وأصدق جراءة وأهول منظرا وأسوأ مخبرا قالوا وليس شئ من الاجناس الا وسوده أصلب من بيضه ما خلا الكلاب فان بيضها أصلب من سودها انتهى كلامه قلت ولعل ذلك كذلك كما قالوا أجلد الابل وأصلبها الحمر وأما ابن قتيبة فقال فى عيون الاخبار سود الكلاب أعقرها ولذلك أمر بقتلها قال والكلب من بين الحيوان يحتلم وقالوا فى الكلبة انه يسفدها كلب أسود وكلب أبقع وكلب أصفر فتؤدى الى كل سافد شكله قال ومن الامثال فى الكلاب سمن كلبك يأكلك وأجع كلبك يتبعك ونعم كلب فى بؤس أهله وأحرص من كلب على عقى صبى وألأم من كلب على عرق وأجوع من كلبة حومل وهى امرأة كانت تجوع كلبتها فنظرت الى القمر فظنته رغيفا فلما لم تقدر عليه جعلت تنبح عليه وقيل غير هذا وهو أحسن فى نبح الكلب للقمر انه اذا أصابه البرد ورأى القمر خرج اليه يستدفئ به يظنه الشمس فلما لم ينفعه نبح عليه وقال فى دواء الكلب الكلب عافانا الله من شره بلغنى عن الخليل بن أحمد انه قال دواء عضة الكلب الكلب الذراريح والعدس وقال يزعمون ان الذى يصيبه هذا الداء يطلب الماء أشد الطلب فاذا أتوه به صاح عند معاينته لا أريد لا أريد أو معنى هذا وأما الذى جاء فى الحديث من أمر الكلاب فان النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا شرب الكلب فى اناء أحدكم فليغسله سبع مرات وتكلم العلماء على اقتصاره على هذه السبع فقيل عبادة اذ لو كان للنجاسة لم يحد وقيل فيه معنى من الطب كالنشرة كما جاء فى حديث آخر أريقوا على من سبع قرب ثم تحل أوكيتهن وقيل غير ذلك والله أعلم وفى حديث آخر أنه أمر بقتل الكلاب وفى حديث آخر لولا ان الكلاب أمة من الامم لأمرت

بقتلها كلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم ويروى عنه عليه السلام انه قال الكلاب من ضعفاء الجن فاذا حضرت طعامكم فاطردوها فان لها أنفس سوء والحديث المشهور لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة وفي حديث آخر لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس وفي الحديث المشهور مامن أهل بيت يرتبطون كلبا الا نقص من عملهم كل يوم قيراط الا كلب صيد أو كلب غنم أو كلب حرس وفي حديث آخر قيراطان وقد جاء عن ابن عمر رضي الله عنهما انه دخل أرضا له فرأى كلبا فهم بقيم أرضه فقال أتدخل أرضي كلبا وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلاب فقال الرجل اني لم أتخذه انما هو كلب عابر دخل الارض فأخذ المسحاة فقال حوشوه علي فبطحه حتى قتله خرجه ثابت رحمه الله وخرج الترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى الرجل وليس بين يديه كآخرة لرحل أو كواسطة الرحل قطع صلاته الكلب الاسود والمرأة والحمار قال الراوي فقلت لابي ذر ما بال الاسود من الاحمر من الابيض قال يا ابن أخي سألتني كما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الكلب الاسود شيطان وفي الباب قال أحمد الذي لا أشك فيه ان الكلب الاسود يقطع الصلاة وفي نفسي من المرأة والحمار شيء وقال اسحاق لا يقطعها الا الكلب الاسود قلت وقد تكلم العلماء في معنى قطع الصلاة فذهب الشافعي انه يفسدها وكذلك رأيت المؤذن بمكة شرفها الله اذا أراد أن يقيم الصلاة وقف قبل ذلك بازاء الطائفين حول البيت وقال خففن يا نسوة يقول ذلك مرارا فاذا سمعنه استعجلن وقضين طوافهن وحينئذ يأخذ في الاقامة ومادام يصلي الامام لا تطوف امرأة ومذهب مالك وغيره من الائمة ان معناه يقطع خاطر المصلي أو يشغله ذلك عن الصلاة وأما قطع تبتدأ به الصلاة فلا وفي الموطأ من قول مالك لا يقطع الصلاة شيء مما يمر بين يدي المصلي وسئل سعيد بن المسيب رضي الله عنه ما يقطع الصلاة فقال الفجور ويسترها التقوى فهذه جملة في الكلاب وقال الشاعر

كلاب الناس ان فكرت فيهم * أضر عليك من كلب الكلاب
لان الكلب تخسأه فيخسا * وكلب الناس يربض للعتاب
وان الكلب لا يؤذي جليسا * وأنت الدهر من ذا في عذاب

وهذا الكتاب فيه من هذا النوع كثير وفيه حكايات حسان واشعار وأحاديث

منها عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه رأى اعرابيا يسوق كلبا فقال له ماهذا معك فقال يا أمير المؤمنين نعم الصاحب ان أعطيته شكر وان منعته صبر وان استنصرته نصر فقال له عمر نعم الصاحب فاستمسك به ورأى ابن عمر أعرابيا معه كلب فسأله عنه فقال يشكر برى ويكتم سرى فقال له ابن عمر احتفظ بصاحبك وعن ابن عباس رضي الله عنهما كلب أمين خير من انسان خائن ومن حكايته ان أبا عبيدة أنشد لبعض الشعراء

يعرّج عنه جاره وصديقه * و ينبش عنه كلبه وهو ضاربه

ثم قال أبو عبيدة قيل هذا الشعر في رجل من أهل البصرة خرج الى الجبانة ينتظر ركابه فاتبعه كلبه فضربه وطرده وكره ان يتبعه ورماه بحجر فأدماه فأبى الكلب الا ان يذهب معه فلما كان في بعض الطريق والكلب رابض قريبا منه اذ أتاه أعداء له يطلبونه وكان معه جار له وأخوه قال فأسلماه وهربا عنه وتركاه فجرح الرجل جراحات كثيرة ورمى به في بئر غير بعيدة القعر وحثوا عليه التراب حتى غطوا رأسه والكلب مع هذا يهرّ عليهم وينبح وهم يرجمونه ثم انصرفوا وهم لا يشكون في قتله فأتى الكلب الى رأس البئر فلم يزل يعوى و يبحث التراب بيديه ومخالبه حتى ظهر رأسه وفيه نفس يتردد وقد كان أشرف على التلف ولم يبق فيه الا حشاشة نفسه فتنفس ووصل اليه الروح فبينما هو كذلك اذ مر أناس فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنه يحفر قبرا فأتوا اليه فنظروا فاذا الرجل في تلك الحال فاستخرجوه حيا وحملوه حتى أدوه الى أهله فزعم أبو عبيدة ان ذلك الموضع يدعى بئر الكلب وحكى صاحب الكتاب عن أبي بكر بن بكر الجوهري قال حدثني جعفر بن الوليد الانماطي قال كان لى صديق من التجار فخرج في بعض تجاراته بمتاع فقطع عليه الطريق فرجع عاريا فسرت أتوجع اليه وأهنيه بسلامة نفسه فقال لى ماربحت في خرجتي هذه من جميع ما كان معي غير هذا الكلب فسألته عن قصته وعن خبر الكلب فقال جلست في المنزل الفلاني أتغذى فمثل لى هذا الكلب فألقيت له شيئا من الطعام فأكله وارتحلنا فتبعنا فجعلنا كلما أكلنا أطعمناه ولزمنا الى أن قطع علينا واتبعني فاني لجالس في منزلى وهو رابض بباب الدار اذ دق الباب قوم فقمت اليهم وقلت لهم ماشأنكم قالوا كلبك هذا اقدهر على رجل مارّ بالطريق ومنعه من طريقه وماينبغى ان تلزمه بابك فقلت ماعهدته بهذه الصورة وخرجت أنظر

الى

الى الرجل ووثوب الكلاب عليه فاذا الرجل أحد من قطع علينا فقبضت عليه وسرت به الى السلطان فرجع الىّ كثير مما أخذ منى ومن الناس وحدّث أيضا عن رجل آخر عدى عليه فى الطريق وكتف وجمعت يداه ورجلاه بقيد ورمى به فى واد قال وأخذ كل ما كان معى قال فيئست من نفسى وكان معى كلب خرجت به من عند أهلى قال فتركنى الكلاب ومضى ثم جاءنى برغيف وطرحه بين يدىّ فأكلته ولم يزل الكلاب يعوى حتى أصبحت وحملتنى عينى فنمت وفقدت الكلاب فما كان بأسرع من أن وافانى برغيف آخر فأكلته وفعلت فعلى فى اليوم الاوّل فلما كان فى اليوم الثالث غاب عنى فلم ألبث أن جاء ومعه الرغيف فرمى به الىّ ولم يزل بحذائى رابضا وأنا آنيله من ذلك الرغيف فما استوفيت أكله حتى طلع علىّ أبى فلما نظر الىّ بكى وحل كتافى وأخرجنى وحملنى فقلت له من أين علمت بمكانى ومن دلك علىّ فقال كان الكلاب يأتينا فى كل يوم فنطرح اليه الرغيف فلا يأكله وقد كان معك فأنكرنا رجوعه ولست أنت معه وكان يحمل الرغيف فى فيه ولا يذوقه ويخرج يعدو ويلزم المحجة فلما رأيناه أنكرنا ذلك من فعله فتبعته حتى وقعت عليك فكان الرجل بعد ذلك يقرّب هذا الكلاب ويجلسه الى جنبه ويغطيه بثوبه ويدخل بدخوله ويخرج بخروجه ويقول هذا الذى خلصنى بقدرة الله عز وجل وهذا الكتاب ألفه أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان ويرويه عنه أبو عمر محمد بن العباس بن محمد بن زكريا ابن حيويه الخرازوير ويه عن أبى عمر أبو محمد الحسن بن على بن محمد الجوهرى ويرويه عن أبى محمد المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفى وفى هذا الكتاب قال كان للربيع بن بدر كلب قد رباه فلما مات الربيع ودفن جعل الكلاب يتضرب على قبره حتى مات وكان لعامر بن عنترة كلاب صيد وماشية وكان يحسن صحبتها فلما مات عامر وتفرق عنه الاهل والاقارب لزمت الكلاب قبره حتى ماتت ومن أشعار هذا الكتاب قال حدّثنى أحمد بن منصور الزيادى عن أبيه عن الاصمعى قال حضرت اعرابيا الوفاة وفى جانب خيمته كلب فقال لأكبر ولده وأومأ الى الكلاب

أوصيك خيرا به فان له * صنائعا لا أزال أذكرها

يدل ضيفى علىّ فى غسق الليل اذا النار نام مسجرها

وأنشد لبعض الشعراء فقال

أيها الشانى الكلاب أصخ لى * منك سمعا ولا تكونن خيسا

ان فى الكلاب فاعلمن خصالا * من شريف الخصال يعددن خمسا
حفظ من كان محسنا ووفاء * للذى يقتنيه حربا وحرسا
واتباع له وذب اذا ما * كان نطق الشجاع للخوف همسا
وهو غوث لناءبح من بعيد * مستجير بقفرة حين أمسى

قال أبو بكر وذلك ان الرجل فى البادية اذا ضل عن الطريق وهاله الليل ولم يدر كيف يتوجه وخاف الهلاك نبح نباح الكلاب فتنبح كلاب الحى فيتبع أصواتها حتى يصير الى الحى قال الشاعر

ويدل ضيفى فى الظلام اذا سرى * ايقاد نارى أو نبيح كلابى
حتى اذا واجهنه وعرفنه * فديته ببصابص الاذناب
وجعلن مما قد عرفن يقدنه * ويكدن أن ينطقن بالترحاب

وأنشد لعمرو بن عصام يمدح

لعبد العزيز على قومه * وغيرهم منن غامره
فبابك أكبر أبوابهم * ودارك مأهولة عامره
وكلبك آنس بالطارقين من الأم بابنتها الزائره

وقال فى تفضيل الكلاب

أشدد يديك بكلب ان ظفرت به * فأكثر الناس قد صاروا خنازيرا

ومن غير هذا الكتاب قول الشاعر

الناس منهم كلاب * هروا بكل طريق
فان ظفرت بحر * فاحذره فهو سلوقى

كان هذا الشاعر مجيدا منطيقا فى البيتين والثلاثة ولم يقل هذا الشاعر الناس منهم ان اصلحته كذا وانما قال والله يعفو عنه الناس طرا فاستعظمت طرا وبدلته بمنهم والله الموفق وفى ذم الناس قال المعرى وكان أعمى

أبا العلا ابن سليمانا * ان العمى زادك احسانا
لو أبصرت عيناك هذا الورى * لم ير انسانك انسانا

وكانت كنيته أبا العلاء يخاطب نفسه ومن الكتاب المذكور ومما يدل على رفعة الكلاب كثرة ما يجرى على ألسنة الناس بالخير والشر والمدح والحمد حتى لقد ذكر فى القرآن وفى الحديث والاشعار والامثال حتى استعمل فى طريق الفأل والطيرة

والاشتقاقات

والاشتقاقات للاسماء فن ذلك كليب بن ربيعة ومكالب بن ربيعة ومكاب بن ربيعة وكاب بن يربوع انتهى كلامه والذى ذكر الجوهرى فى الكلاب قال يجمع على أكلب وكلاب وكليب مثل عبد وعبيد والا كالب جمع أكلب والمكلب الذى يعلم الكلاب وفى التنزيل مكلبين والكلاب صاحب الكلاب وأنشد

كأن تجاوب أصدائها * مكاء المكلب يدعو الكليبا

وأختم لك هذا الفصل فى الكلب الاسود بمسئلة نحويه جدلية هزليه ظريفة غزليه وان كانت مثبتة فى التكميل فكم بينك وبينه من ميل وجدت بخط الخطيب أبى محمد عبد الوهاب رضى الله عنه

أحب لحبها السودان حتى * أحب لحبها سود الكلاب

لا يجوز النصب فى قوله حتى أحب لانه انما اشترط دوام حبه لمحبوبته وانه يألف من يشبهها فى اللون وان خالفها فى الحسن ومن كان على هذا فحبه دائم لا ينقطع مستمر لا يقلع فلو نصب أحب لنقض ما أصل ونقص ما أكمل لانه كان يعتقد الغاية وهى انتهاء الشئ اذا انتهى ومن ثم لم يبق له رسم ولا يعرض له وهم وربما استحال الى ضده نخرج عن محكم عقده لو حكمت يا هذا بالأجود لأرحته من هوى الكلب الاسود اذ لو نصب لرفع عن نفسه النصب وسلا واستراح ولن يحفل بمن غدا أو راح ولكان النصب يرفع غرام قلبه ويقطع دوام حبه حين أبعد الغوايه واعتقد الغايه ومن بلغ النهاية كان أحرى ان يرجع القهقرى

كل أمر اذا تناهى تواهى * وانتقاص البدور عند التمام

هذا ما انتهى فيه القول من وصف الكلب الاسود وأما هول السبع المسمى بالاسد الذى ذكرته قبل فى الرجز فذهنى عن وصفه قد عجز ويكفيك منه فى هذا الرسم ان له مائة اسم وان أردت ان تتيقن صفته وتتبين معرفته فانظر ما قيل فى وصفه فاعجب من وصفه خرج أبو على صاحب الامالى فى الذيل عن أبى عبيدة قال اجتمع عند يزيد بن معاوية أبو زبيد الطائى وجميل بن معمر العذرى والاخطل التغلبى فقال أيكم يصف لى الأسد فى غير شعر فقال أبو زبيد أنا يا أمير المؤمنين لونه ورد وزئيره رعد وقال مرة أخرى رغدو وثبه شد وأخذه جد وهوله شديد وشره عتيد ونابه حديد وأنفه أخثم وخده أدرم ومشفره أدلم وكفاه عراضتان ووجنتاه ناتئتان وعيناه وقادتان كأنهما لمح بارق أو نجم طارق اذا

استقبلته قلت أفدع وإذا استعرضته قلت أكوع وإذا استدبرته قلت أصمع قصيرا إذا استقصى هموس إذا مشى إذا أقعى كش وإذا جرى طمس براثنه شثنة ومفاصله مترصه مصعق لقلب الجبان مروع للماضي الجنان ان قاسم ظلم وان كابردهم وان نازل غشم ثم أنشأ يقول

خبعثن أشوس ذو تهكم * مشتبك الانياب ذو تسبرطم

وذو أهاويل وذو تجهم * ساط على الليث الهزبر الضيغم

وعينه مثل الشهاب المضرم * وهامه كالحجر المثلم

فقال حسبك يا أبا زبيد ثم قال قل يا جميل فقال يا أمير المؤمنين وجهه فدعم وشدقه شدقم وثغره معردم مقدمه كثيف ومؤخره خطيف ووثبه خفيف وأخذه عنيف عبل الذراع شديد النخاع مرد للسباع مصعق الزئير شديد المرير أهرت الشدقين مترص الخصرين يركب الاهوال ويهصر الابطال ويمنع الاشبال ما ان يزال باغيا في خيس أو رابضا على فريس أو ذا ولغ ونهيس ثم قال

ليث عرين ضيغم غضنفر * مداخل في خلقه مضبر

يخاف من أنيابه ويذعر * ما ان يزال قائما يزمجر

له على كل السباع مفخر * قصاقص شثن البنان قسور

فقال حسبك يا ابن معمر ثم قال قل يا أخطل فقال ضيغم ضرغام غشمشم همام على الاهوال مقدام وللاقران هضام رئبال عنبس جرئ دلهمس ذو صدر مفردس ظلوم أهوس ليث كروس ثم قال

قصاقص جهم شديد المفصل * مضبر الساعد ذو تعثكل

شرنبث الكفين حامي أشبل * اذا لقاه بطل لم ينكل

ململم الهامة كش الارجل * ذو لبد يغتال في تمهل

أنيابه في فيه مثل الانصل * وعينه مثل الشهاب المشعل

فقال له حسبك وأمر لهم بجوائز قوله اذا لقاه بطل هي لغة في لقيه ومثله فنا في فني وبقا في بقي وقد تقدم مع الشاهد عليه في تفسير بيت امرئ القيس قلت انظر كلام هؤلاء الرجال على الارتجال وكيف أجابوا وهم عجال ولو أرخي لهم في الطول وأمهلوا بعض المهل لجاؤا بالعلل بعد النهل ولو لم يسكتهم يزيد لجاؤا بما ليس له مزيد والا فانظر كلام أبي زبيد المذكور قبل هذا ايضا والحديث

يشبه

يشبه بعضه بعضا وكيف وصف الاسد لعثمان بن عفان رضي الله عنه بعد أن خلصه الله منه وقد سقت الخبر بطوله لتقف على مهوله قال عثمان بن عفان رضي الله عنه لابي زبيد الطائي رحمه الله يا أخا تبع أسمعنا بعض قولك فقد أنبئت انك تجيد فأنشد قصيدته التي يقول فيها

من مبلغ قومنا النائين اذ شحطوا * ان الفؤاد اليهم شيق ولع

ووصف فيها الاسد فقال له عثمان تالله تفتؤ تذكر الاسد ما حييت والله انى لأحسبك جبانا هو انا فقال كلا يا أمير المؤمنين ولكني رأيت منه منظرا وشهدت منه مشهدا لا يبرح يتجدد ذكره في قلبي فأنا معذور يا أمير المؤمنين غير ملوم فقال عثمان وأنى كان ذلك فقال خرجت في صيابة أشراف من أبناء قبائل العرب ذوي هيبة وشارة حسنة ترتمي بنا المهاري باكسائها ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام فاخروط بنا المسير في حمارة القيظ حتى اذا عصبت الافواه وذبلت الشفاه وسالت المياه وأذكت الجوزاء المعزاء وذاب الصيهد وصر الجندب وضاف العصفور الضب في وجاره وقال قائلنا أيها الركب غوروا بنا في ضوج هذا الوادي واذا واد قد تبدى لنا كثير الدغل دائم الظلل شجراؤه مغنه وأطياره مرنه فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلات فأصبنا من فضالات الزاد وأتبعناها الماء البارد فانا لنصف حر يومنا ذلك ومماطلته اذ صر أقصى الخيل أذنيه وفحص الارض بيديه فوالله ما لبث أن جال ثم حمحم فبال ثم فعل فعله الفرس الذي يليه واحدا فواحدا فتضعضعت الركاب وتكعكعت الخيل وتقهقرت البغال فمن نافر بشكاله وناهض بعقاله فعلمنا ان قد أتينا وادي السبع ففزع كل امرئ منا الى سيفه فاستله من جربانه ثم وقفنا رزدقا فأقبل يتظالع من بغيه كأنه مجنوب أو في هجار لصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولأرساغه نقيض كأنما يخبط هشيما أو يطأ صريما واذا هامة كالمجن وخد كالمسن وعينان سجراوان كأنهما سراجان يتقدان وقصرة ربلة ولهزمة رهله وكتد مغبط وزور مفرط وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن الى مخالب كالمحاجن فضرب بيديه فأرهج وكشر فأفرج عن أنياب كالمعاول مصقولة غير مفلوله وفم أشدق كالغار الاخرق ثم تمطى فأسرع بيديه وحفز وركيه برجليه حتى صار ظله مثليه ثم أقعى فاقشعر ثم مثل فاكفهر ثم تجهم فازبأر فلا والذي بيته في السماء ما اتقيناه الا بأخ لنا من فزاره كان ضخم الجزاره فوقصه ثم

نفضه نفضة قضقض متنه فجعل يلغ فى دمه فذمرت أصحابى فبعد لأى ما استقدموا فكر مقشعرا بزبره كأن به سهما حوليا فاختلج رجلا أعجر ذا حوايا فنفضه نفضة تزايلت مفاصله ثم نهم ففرفر ثم زفر فبربر ثم زأر فجرجر ثم لحظ فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من عن شماله ويمينه فأرعشت الايدى واصطكت الارجل وأطت الاضلاع وارتجت الاسماع وجحظت العيون وخفقت البطون وساءت الظنون فقال عثمان رضى الله عنه اسكت قطع الله لسانك فقد أرعبت قلوب المسلمين هذا حديث كبير وفى شرحه علم كثير تركته لك دون شرح الى أن يأتيك الله من عنده بالفتح وقلت

بنى هذا الحديث عدّه * فيه لغات كالرمل عدّه
سل عنه من رام أن يعدّه * فلم يطق حصره وعدّه
ألقى عليه منشيه عقده * فاقرأ عسى أن تحل عقده

أظنك أيها الولد لا تعرف من ألفاظ هذا الحديث سوى الاسد اللهم والا الخيل والبغال وأحسبك تشك فى الشكال والعقال ومع ذلك فاحفظه سوادا فى بياض واكرع مع الورّاد فى تلك الحياض الى ان يفتح الله لك فى علم تفهم به هذه الاغراض ولا تدعه بالاعراض فتبقى أيها الشهم لا حفظ ولا فهم ليس لك فى الادب سهم فان كان بك همة الى أن تعرف معناه وجئت مغزاه ومغناه وأين أصله من كتب الادب ثابت فانظره فى الدلائل لثابت وقد حدانى شغفى بألفاظ هذا الحديث الى ان قلت فيه

قد قلت قولا وليس هزلا * ياصاحبى اسمع فأنت عاقل
رأيت فى ذا الحديث فصلا * أتاك فى الليث وصف قائل
به كلام يعدّ جزلا * اذا تراه تقول هائل
رمى عليه الطائى قفلا * فسره عالم وفاضل
فثابت حل ذاك حلا * أعنى به صاحب الدلائل
لولاه كان الحديث غفلا * أعطاه مولاه كل طائل
جزاه ربى خيرا وفضلا * من أعظم الخير والفضائل
ونال منه برا ووصلا * بالبكر الغدو والاصائل

أعزك الله لا تحتقر هذه الثمانية الابيات فانها لزوميات ان قرأت السطر من أوله

الى آخره كان بقافيتين وان قرأت النصف الاول من البيت وماتحته الى آخرها كانت الابيات أربعة كذلك بقافيتين ثم ترجع الى السطر الذى تركته الى آخر السطر فتقرأه كذلك وماتحته الى آخره فتجده كذلك مثل الاول وقام كل بيت بنفسه ولم يفتقر الى غيره مثال الاول

قد قلت قولا وليس هزلا * رأيت فى ذا الحديث فصلا

ومثال الثانى ياصاحبى اسمع فأنت عاقل * أتاك فى الليث وصف قائل

فيا أخى كل ينفق مما أولاه مولاه ولم يسوّ الله سبحانه بين العباد بل فضل بعضا على بعض حتى فى الازمنة والبلاد هذا أبو زيد قد قال بالطبع ماوقر منك فى السمع وليس بغريب فصاحة عربى فى زمانه لانها لغة لسانه لم يتعلمها بكتابة ولا دراسه ولا لقنها بتمرين ولا سياسه بل أخذها الولد عن الوالد والطريف عن التالد ولو كلف أحدهم ان ينتقل الى مثل لغتنا لما قدر كما لا ننتقل نحن الى لغتهم الا بعد النظر والفكر والسمر والسهر وبالحرى أن نقفو آثارهم ونلحق غبارهم فتستغرب الفصاحة منا والبيان فى مثل هذا الزمان مع اللسان الفاسد والذهن الراكد ومع الخلط المبرد والخليط المبعد لذلك لا توجد الفصاحة فى ذا الزمن الا عند من ومن ممن منّ بها عليه الملك الوهاب مثل شيخنا الفقيه الخطيب أبى محمد عبد الوهاب خصصته بالذكر لانه امامنا وزمنه زماننا وعليه كانت الدوره واليه كانت الزوره فأذكر لك هنا فصلا من رسالة كتب بها الى وتفضل بها على جواب كلام كتبته اليه فاذا اطلعت عليه استدللت بذلك على معرفته وفضله وحذقه بالادب ونبله ووقفت من رونق كلامه وطلاوته على رقة طبعه وحلاوته وان أثبتها فى الملح فهو أملح قال لى رضى الله عنه بعد كلام وبسملة وسلام * صلح فى بعض الاعوام زرعى حتى ضاق عنه ذرعى وبقر بنا غيران فهاجم كثير من الفيران فعندما حصلت الارزاق فى الغرفه توزعها الفساق بالغرفه فلما عاملونى بالفسوق أعملت القدم الى السوق وناديت فى أحفله أسمع من بأعلاه وأسفله باأوجه الدنانير هل عندكم سنانير فاذا برجل يمشى على عجل وعنده هرّ أسود كالقار أسمعت بجبة البقار فقال لى هذا الهر من شأنه كيت وكيت وسترى اذا ولج البيت فابتعته منه بكل محبوب شفقة على الحبوب واحملته على الفور لا أدرى أليث أم سنور سوى انه مصبور

المتن عريض الزور عبل الذراعين حديد نظر العين مصمت العظام ذو مخالب عظام وربما اختطف بها مسامير الاوضام اذا بدا فقتل الليث واذا عدا فتخيل الغيث أخف الضياون نهضه وأثقفهم عضه ثم يكشر عن أنياب فيكبت فيرانك في الغاب يرميهم بها ومالديه من رزق ويختطفهم وليس سوى مقلتيه البرق عنده في الصيد أعظم الكيد يأتي بمكر الثعلب عند عسر المطلب وانقضاض العقاب عند انخفاض الاثقاب يتقاعس في الوهد كانه في المهد واذا كان في ذرى المطالع فكسيد الغضا اذ يأتي كالمتطالع يتعاشى فيتلاشى حتى اذا امكنته الفرصه لم يدعها وان لوحت له بقرصه بل يحمل حملة الحوت الملتقم ويفعل فعلة الطاغي المنتقم فكم اهاب مزقه وناب بالفؤاد أزرقه في كلام عجيب مثل هذا وبعد هذا قال في آخره نعوذ بالله من شر القدر ونحمده عدد الحصى والمدر ونستغفره من هذا الهذر ونسأله أن يجعلنا من الموت على حذر وصلى الله على سيدنا محمد سيد البشر ما أضاء نور الشمس وانتشر اختصرت لك هذه الرسالة من كمالها ولو رأيتها بجملتها عجبت من جمالها كما لو عاينت رسالتي لعجبت من قلة جزالتي ولكن لابد أن أذكر لك هاهنا منها شيئا نزرا ومن جوابه عليها سطرا كان رضي الله عنه قد أمرني أن آتيه بسنور حين جارت عليه الفيران أيما جور ونعوذ بالله من الحور بعد الكور فأرسلت به اليه وكان درسا وكتبت اليه طرسا

ياخير عجم وعرب * هل لك في هر أرب

اذا رأى الفأر هرب * وان رأى الخبز اقترب

من أرجوزة مطولة فوق السبعين وكان أول رسالته الي بعد شعر طويل ونثر نبيل لا كان هذا الضيون ومثله لا يكون جزاء هذا القط ان تستأصل أدناه بالقط وبالحري أن يكون حديدا اذا ذاق حديدا وتمادى كذلك في ذمه ولم يرغب في ضمه الى ان بلغ بط قته الى وصف الهر الممدوح في بطاقته واختصرت ذلك أيضا بعد أن شوقتك لماذوقتك ولتجرب نفسك فهذا وقتك ومازال أهل الادب ممن ومن على قديم الزمن يكتبون الرسائل في كل فن ويسحبون فيها الذيل الرفن هذا ثابت رحمه الله قد خرج في الدلائل أنشد خلف الاحمر في هذا المعنى وأظنها لخلف الكاتب يرثي هرا له مات

رماني الدهر بكل معضله * ونال مني صرفه ماأمله

ماهكذا كنت عهدت أوّله * وكان لى هر يسمى حمله
أسود ذو براثن مسدله * ماحازه بطرفه فهوله

قوله ماحازه بطرفه فهوله ينظر الى قول ابن المعتمر فى صفة كلب

قدوثق القوم له بما طلب * فهو اذا حل لصيد واضطرب
عروا سكاكينهم من القرب

وأوّل من سبق الى هذا المعنى امرؤ القيس قال

اذا ما ركبنا قال ولدان أهلنا * تعالوا الى أن يأتى الصيد نحطب

ومن كلام الشيخ الفقيه الزاهد أبى عمران موسى بن عمران القيسى الميرتلى رضى الله عنه فى الهر * نعم الجليس الهر لا يخبر ولا يستخبر ولا يبوح بسر يحفظ سرك عليك ولا ينقل عنك ولا اليك كريم المؤانسة سليم المجالسة لا يهمز ولا يلمز ولا يغتاب ولا صاحبه منه بمرتاب يحفظه اذا نام ويطرد عنه الهوام منافعه كثيرة ومؤنته يسيرة فاقتصر عليه انيسا واتخذه جليسا يسلم لك معه دينك ودنياك واياك أن تفارق موضعك اياك فهو أنفع لك من كثير من اخوانك وأحرس من خدمك واعوانك

شعر

نعم الجليس ونعم الانيس * ونعم المعدّ لدفع الاذى
يجوس البيوت لطرد الهوام * اذا عسعس الليل واجلوّذا
ونعم الضجيع لمستدفئ * اذا كاب القرّ واستحوذا

وأنا أيضا أدلى دلوى فى الدلاء وان لم أكن من الادلاء وأقول لنفسى حين أردت أن ارعى فى ذلك المرعى استنت الفصال حتى القرعا * مات لنا هر فسئلت أن أقول فيه شعرا على طريقة الزهد فقلت فى ذلك شعرا ابدلته على قافيتين فصارت فيه الفئة فئتين وهو هذا

ألا اسمع كلامافيه منفعة اذا * تذوّقته (لم تلف فى طعمه أذا * ألفيت شهدا بل الحيا
ورب كلام يستحق تبعدا * وآخر (أهل أن ينحى وينبذا * أيضا يستحق تقربا
وهل يستوى فى اللين جلدة أرنب * وجلدة ذا المدعوّ فى الناس (قنفذا * أرنبا
وأنت كما لا تقرن الدر والحصى * كذلك لا تقرن (عيا وجهبذا * خبيثا وطيبا
وانى امرؤ ان قلت شعرا فحكمة * (وليس بحمد الله فحشا ولا بذا
كبيرا بحمد الله أو زمن الصبا

هاتان القافيتان احداهما ذالية والاخرى بائية فأما الاولى فظاهرة وأما الثانية فتحذف من القوس الى النجمة وتقرأ بدلها ما بعد النجمة

وقد آخذ الشئ المحقر قدره * (فأسبك منه لؤلؤا وزمرذا * فأسبكه مفضضا ومذهبا
وخير كلام المرء ما كان صادقا * ولم يك مأفوكا مطرا (مشعوذا * مكذبا
فأجدر بافك أن يذم وينبذا * وأخلق بصدق أن يضم (ويؤخذا * ويصحبا
وكان لناهر فأصبح ميتا * فقلت لنفسي (ويحك اعتبري بذا * ان في موت ذانبا
ألا فانظري لاحوال جسمه * كأن لم يكن يجري (على الارض قبل ذا * طليقا مسيبا
ولم يك طوافا عليك محببا * اليك ترين الهو منه (تلذذا * تعجبا
فها هو منبوذ الى جنب حائط * مهانا ومطروحا (كما يطرح الاذا * منحى مجنبا
اذا ريء قال الناس أف لجيفة * وقد كان قبل اليوم يسمع (حبذا * مرحبا
وقد كان في حجر الغواني مجلسا * وقد كان محفوظا مفدى (معوذا * محببا
فان قلت ذا هر فانك مثله * تذوقين (من ذوق المنية ذوق ذا * كأسا أهلك الأم والابا
وقد سل منه الروح من كل شعرة * ولابد أن ينسل منك (ويجبذا * ويجذبا
فتنسين ما قد كنت قبل رأيته * (ونعمت فيه من لباس ومن غذا *
ونعمته لبسا وأكلا ومشربا
فيا خجلتا ان سيل مم اكتسبته * ويا حسرتا ان قيل (أنفق فيم ذا * لي فيم سربا
ولا بد من هذا فأما بهيمة * فليس عليها (من حساب ولا عذا * أن تسال وتطلبا
فيا ليتني اذ مت كنت كمثله * ترابا ولم أسأل ويا ليتني (قذا * هبا
وأعلم أني ميت ومحاسب * فيارب كن مما (أحاذر منقذا * أخاف منكبا
ويسر حسابي بالنبي محمد * أعز الورى من (احتفى ومن احتذا * احتذى ومن احتبا
فكل امرئ يحتاج يسي فؤاده * ويصبح من خوف الحساب (مجبذا * قدا كربا

ولي من هذا النوع المبذل على قافيتين وعلى ثلاث وعلى أربع وعلى خمس وعلى ست وعلى أكثر وحروف المعجم كلها أكثر من ألف بيت وقد قال الفقيه الخطيب أبو محمد من ذلك أيضا شيئا كثيرا وقد تقدم لي بعض ذلك وسيأتي غيره ان شاء الله تعالى أقول هذا كله لتنشط فتصنع مثله أخشى أن تنشدوا يا أولادي

لقد أسمعت لو ناديت حيا * ولكن لا حياة لمن تنادي

(فائدة في الاختصار) تقدم في الشعر ولا عذا أراد ولا عذابا فحذف لعلم السامع ومن مذهب العرب الاختصار وقد جاء في الحديث من قول النبي صلى الله عليه وسلم كفى بالسيف شا أراد شاهدا فحذف اتكالا على فهم المخاطب ومثله من بحث الاختصار

الاختصار ماخرجه أبوداود عن النبي صلى الله عليه وسلم الطيرة شرك الطيرة شرك ثلاثا قلنا ومامنا الا ولكن الله يذهبه بالتوكل يريد والله أعلم ومامنا الا من يجد ذلك ومثله ماخرجه البزار من حديث أبي الدرداء قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه يقطر فصلى بنا في ثوب واحد متوشحا به قد خالف بين طرفيه فلما انصرف قال له عمر تصلي في ثوب واحد وفيه قال نعم أصلي فيه وفيه يعني الجنابة ومثله قول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة ادني مني فقالت اني حائض فقال وان أراد وان كنت حائضا ومثله ماخرج الترمذي بسنده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من طلق لاعبا أو أعتق لاعبا فقد يريد والله أعلم فقد لزمه وقال الشاعر من شاذلي النفس في هوة * ضنك ولكن من له بالمضيق أراد من له بالخروج من المضيق وهذا كثير ولابي محمد عبد الوهاب في هذا فصل جزل ذكرته في التكميل *(فصل في التوبة)* قال الله تعالى توبوا الى ربكم وقال عليه السلام أيها الناس توبوا الى الله فاني أتوب في اليوم مائة مرة خرجه مسلم ومن غير مسلم قال عليه السلام انه ليغان على قلبي فأستغفر الله في كل يوم مائة مرة فسر هذا الحديث بعض العلماء قال الغين شئ يغطي القلب بعض التغطية فهو كالغيم الرقيق الذي يعرض في الهواء فلا يكاد يحجب عين الشمس ولا يمنع ضوأها أشار بعض الناس الى انه كان صلى الله عليه وسلم ينقل من حال الى ماهو أرفع منه فاذا رفع الى درجة رأى ماانتقل عنها تقصيرا في واجب حق الله فرأى ذلك ذنبا يجب له الاستغفار منه وفي الجملة ان النبي صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق رتبة عند الله وأعلاهم منزلة * روى ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسما فذلك قوله تعالى وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين فانا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا وذلك قوله تعالى فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون فأنا من السابقين وأنا خير السابقين ثم جعل الاثلاث قبائل فجعلني في خير قبيلة وذلك قوله تعالى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الآية فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت فأخبر انه خير الخلق كلهم صلى الله عليه وسلم

وفى البخارى ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب الى الله تعالى تاب الله عليه وجاء مصدر هذا الفعل فى القرآن على توب كقوله تعالى غافر الذنب وقابل التوب وعلى متاب كقوله تعالى فانه يتوب الى الله متابا واليه متاب وعلى توبة كقوله تعالى توبوا الى الله توبة نصوحا ومعنى نصوحا خالصة مأخوذ من النصح وجاءت على فعول للمبالغة فى النصح وقرئت نصوحا بضم النون مشتقة من النصاح وهو الخيط أى مجردة لا يتعلق بها شئ ولا تتعلق بشئ وهى الاستقامة على الطاعة وسئل الحسن البصرى رضى الله عنه عن التوبة النصوح فقال هى ندم بالقلب واستغفار باللسان وترك بالجوارح واضمار أن لا يعود وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله ليس شئ من الاشياء أوجب على الخلق من التوبة وقال من قال ان التوبة ليست بفرض فهو كافر وقال أيضا التائب الذى يتوب من غفلته فى الطاعات فى كل طرفة ونفس قلت ولعل توبة النبى صلى الله عليه وسلم الذى كان يتوب فى اليوم مائة مرة كما تقدم كانت من نحو هذا والله أعلم وللتوبة شروط لا تكمل الا بها أولها الاقرار بالذنب ثم الاعتراف بالذنب ومقت النفس على الهوى وحل الاصرار الذى كان عقده على اعمال السيئات والانابة الغذاء بغاية ما يقدر عليه والندم على ما فات واعتقاد الاستقامة على الامر ومجانبة النهى واستبدال السيئات بالحسنات ويدخل فى هذا استبدال الاصحاب السوء بالصالحين ثم دوام الحزن على ما كان منه من القبيح ثم المسارعة للخيرات الى الممات قلت ولا تستثقلن هذا ولا تستكثرنه فانك تتعرض لمحبة الله تعالى ألم تسمع قوله سبحانه وتعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ومحبة العبد لله عمله بطاعته وانتهاؤه عن معصيته ومحبة الله للعبد رحمته اياه كذا فسر فى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله قال الحسن نزلت فى قوم من أهل الكتاب قالوا نحن الذين نحب ربنا ولى فى معنى حب الله تعالى

ظن قوم بأن حبى الهى * مثل ما يحبب الانس أنيسه
غلطوا فى القياس ما مثله يشبه شيئا فيقتضى أن تقيسه
وكذا حبه يجل عن الوصف تعالى عن الصفات الخسيسة
انما حبه لمن كان أهلا * للمعالى وللمعانى النفيسه
كل من كان للمحبة أهلا * حبه يلزم النفوس الرئيسه

وسئل أبو محمد سهل رحمه الله متى يكون التائب حبيب الله تعالى فقال حتى يكون كما قال الله تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله الآية ومن رحمة الله تعالى وكرمه انه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويقبل توبة العبد مالم يغرغر فالحمد لله على هذه النعمة وقد خلق الله تعالى ابن آدم كما قال عجولا فلا يتماسك وهو مفتن تواب لكن برحمته جعل له التوبة تطهيرا عما سبقها من السوء كما جعل له الماء طهورا من الأحداث فمن أحدث بقلبه تاب فتطهر كما اذا أحدث ببدنه استعمل الماء فتطهر والعاقل يودّ أنه لا يحدث أبدا فاذا كانت ضرورة بادر الى التوبة بحسب الامكان فاذا هو قد عاد كما كان ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء له الحمد شكرا وله المن فضلا وقال بعض الصالحين من يسر للتوبة لم يمنع المغفرة وقال الشعبي مثل الذنب والاستغفار والتوبة كمثل الداء والدواء والشفاء فالذنب هو الداء والاستغفار هو الدواء والتوبة هي الشفاء وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه العجب لمن يهلك والنجاة معه قيل وماهي قال الاستغفار وقالت عائشة رضي الله عنها طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ماذكر العبد خطيئة عملها فوجل قلبه منها فاستغفر الله الا محاها عنه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما أفضل مايعطيه الله للعبد اذا أحبه قال يلهمه الاستغفار وقال محمد بن علي رضي الله عنه يابني اذا أنعم الله عليك فقل الحمد لله واذا أحزنك أمر فقل لا حول ولا قوة الا بالله واذا أبطأ عنك رزق فقل أستغفر الله وقال أبو عمران السلمي

واني لراثي الذنب أعرف قدره * وأعلم ان الله يعفو ويغفر
لئن عظم الناس الذنوب فانها * وان عظمت في رحمة الله أصغر

تفكرت فيما يتضمن هذا الفصل من الفضائل في ذكر التوب وما تضمن الذي قبله من الرذائل والحوب وفي تعطيل الوقت بذكر الكاعب والسنور وأعوذ بالله من الحور بعد الكور فحملني ذلك على ان صنعت أبياتا أثبتها في هذا الورق أعتذر فيها وأستغفر الله مما سبق وهي

كم بين ذا الفصل وما قبله * ذلك قصدير وهذا ورق
لكنني أعجبني ذا الكم * من أجل ذا أثبته في الورق

فالعين تلتذ ونفسي لما * تقذفه الأذن لها تسترق
فان يكن شرا فذا بعده * خير وفي أنواره يغترق
والعبد ان تاب الى ربه * فذنبه في عفوه يحترق
يارب ذا عبدك مستغفر * داع بقلب منضج محترق
فاجعل الهي ما دعا كم به السبع السموات العلى يخترق
وفرق الشر الذى فيه قد * جمع واجمع خيره المفترق
حتى ينال التوب مما جنى * ويستفيد الأمن مما فرق

(فصل وتقدم الفالية) والفالية المرأة التى تفلى الرأس ومنه قول اعرابى أيضا عير ببنت ولدت له

ماذا على ان ولدت جاريه * تمشط رأسى وتكون فاليه
خير من ابن عاره علانيه * يجر فى كل أوان داهيه

وعلى هذا المعنى قول قتادة رضى الله عنه رب جارية خير من غلام ورب غلام كان هلاك أهل بيته على يديه وذكر عن بعض التابعين انه قال رب جارية محمودة الاخلاق طاهرة الثياب سعيدة العواقب جامعة شمل أهلها يخلق الله تعالى منها النسل الزكى والذرية الطيبة ورب غلام طالعه النحوس ومنشؤه الريب عاق لوالديه حياته داء وموته شفاء وعيرت امرأة بمثل ذلك فقالت

وما على ان تكون جاريه * تحفظ بيتى وتضى عاريه
وترفع الساقط من خماريه * حتى اذا تمت لها ثمانيه
أو تسعة من السنين الوافيه * زوجتها مروان أو معاويه
أزواج صدق ومهور غاليه

وعاب اعرابى امرأة له ببنت ولدتها له وكان اسمه عروة فقالت

تلومنى ان لم ألد غلاما * نجدا هزبرا بطلا مقداما
يمارس الصعدة والحساما * عروة مه لا تكثر الملاما
الا أكن ولدته قماما * مواتيا مقدما اماما
فانها تقتنص الضرغاما * والملك المتوج الهماما
وتأسر العقول والاحلاما

وغاضب آخر امرأته واعتزل عنها فى بيت وجفاها من أجل ذلك وكان يكنى

ابا

أباحمزة فقالت

مالأبي حمزة لا يأتينا * يظل في البيت الذي يلينا
غضبان أن لا نلد البنينا * وانما نأخذ ما أعطينا
* وباختيار الله قد رضينا *

فسمع ذلك فاتعظ ورضي عنها وقال آخر لامرأته ولدتيها تمات ولا تموت وتصان ولا تصون وتزدريها العيون فقالت بل ولدتها تنفج مال اهلها وتعمر بيت بعلها وتسره بدلها معنى تنفج مال أهلها اى تعظمه وتكثره وكانت العرب يأخذ الرجل مهر ابنته ابلا فيدخلها في ماله فينفجه ولذلك كانوا يقولون للرجل تولد له الجارية هنيئا لك بالنافجة (قلت) وقد قيل في النساء كثير منهم من يذمهن ومنهم من يضمهن وكل ينفق من ماله وينطق عن حاله فمن استغنى مدح ومن استغنى قدح وليس ذو الشرخ في هذا الفن الساحب الذيل الرفن كمثل الشيخ اليفن هذا يباح له في الصيام التقبيل وذاك يزاح عن الكلام الا في قيل وهل يستوى الشبان ومن ذهب منه الاطيبان *(فصل وقد ذم جماعة النساء بعض الحكماء من القدماء قال)* هن نار توهج وسلم الى كل بلاء وهن مثل شجرة الدفلى لها رونق وبها فاذا أكله البعير أداه الى التوى ومن أمثالهم طاعة النساء تردى العقلاء وتذل الاعزاء ونظر بعض الصالحين الى امرأة تتزين وتتعطر فلما فرغت من زينتها ظهرت محاسنها وزاد جمالها فقال لمن حوله انما المرأة مثل النار اذا زيد في حطبها تأججت واشتد حرها واضاءت للناس فهي حسنة المنظر تحرق من دنا منها * وقال بعض الحكماء الكيس من لم تضطره النساء وقال أيضا من كانت لذته في النساء وقع في أعظم البلاء وقال من أراد أن يعيش عيشا رغدا ويحيا حياة بلا نكد فلا يشغل فكره بشهوة النساء ولا يومي اليهن بطرفه ولا يده وقال كل أسير يفتك الا أسير النساء فانه غير مفكوك وكل مالك يملك الا مالك النساء فانه مملوك وما استرعين شيئا قط الا ضاع ولا استؤمن على شيء الا ذاع ولا أطعن شرا فقصرن عنه ولا حوين خيرا فأبقين منه فقيل له كيف تذمهن ولولاهن لم تكن أنت ولا امثالك من الحكماء فقال مثل المرأة مثل النخلة الكثيرة السلاء لا يلامسها جسد الا اشتكى وحملها مع ذلك الرطب

مبحث ذم النساء

الطيب الجنا والسلاء جمع سلاة وهي شوك النخل وسيأتي في باب السين واللام وروى فهن انهن محملو الآصار ومكافو الأوزار وأكثر أهل النار ولا يصبر عليهن الا الاخيار وانهن يسرعن اللعن ويكثرن الطعن وفي صحيح الحديث ويكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا قالت ما رأيت منك خيرا قط * وقال لقمان استعذ بالله من شرار النساء وكن من خيارهن على حذر وقيل لبقراط أي السباع أحسن سورة فقال النساء ورأى امرأة قد ذهبت احدى عينيها فقال قد ذهب نصف الشر ورأى البحر قد حمل امرأة فقال شر يحمل شرا ورأى رأس امرأة على شجرة فقال ليت كل الشجر يثمر مثل هذا الثمر ونظرت عجوز من الفلاسفة الى رجل يريد أن يعرس وقد زين داره وزوقها وكتب على الباب لا يدخل على هذا الباب شئ من الشر فقالت له العجوز فامرأتك من أين تدخل وقيل ان الاسكندر خرج اليه في بعض حروبه نساء يحاربنه فقال لاصحابه كفوا عنهن فان ذلك جيش ان غلبناه لم يكن لنا بذلك ذكر ولا فخر وان غلبنا فهي الفضيحة الباقية مع الدهر ورأيت في بعض الكتب ان هؤلاء النسوة لا يسكن مع الرجال وان أزواجهن يسكن ناحية منهن فتى احتاج الرجل الى امرأته أتاها فقضى حاجته منها وانصرف فاذا ولدت ولدا ربته حتى يكبر وأرسلته الى أبيه وان كانت جارية طمست ثديها الأيمن حتى ييبس لئلا يمنعها الطعن بالرمح وتركت الآخر الايسر لترضع به ولدها ومع هذا فلا بد من صحبتهن ولكن لا بد من الادب في ذلك قال عمر رضي الله عنه عوّدوا نساءكم لا فان نعم تجريهن على الالسنة وفي الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاوروهن وخالفوهن وقال علي رضي الله عنه لابنه محمد بن الحنفية اياك ياني ومشاورة النساء فان رأيهن الى الافن وعزمهن الى الوهن واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك اياهن وان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل ولا تطل الجلوس معهن فيملكنك ويملهن واستبق من نفسك بقية وقال النبي عليه السلام كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا امرأتان آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومريم ابنة عمران وخالطهن فقال انكن اذا جعتن دقعتن واذا شبعتن أشرتن أو قال خجلتن أو كما قال عليه الصلاة والسلام معنى دقعتن خضعتن ولصقتن بالدقعاء وهي

غبرة التراب ويقال في الدقعاء أيضا الدقم بكسر الدال والميم زائدة كما قالوا للدرداء دردم ويقال فقر مدقع أي ملصق بالدقعاء وقالوا رماه الله بالدوقعة وهي الفقر والذل وجوع ديقوع أي شديد وقد شبهن بالقوارير لسرعة الكسر اليهن ولا يمكن فيهن الجبر وفيهن قال النبي صلى الله عليه وسلم رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير يعني ضعفة النساء يقوله عليه السلام لأنجشة وكان حاديا حسن الصوت وسيأتي في باب الراء عند تفسير كلمات من القرآن وقال النبي عليه السلام في النساء ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء وفي الشهاب النساء حبائل الشيطان وقال سعيد بن المسيب رحمه الله ما أيس الشيطان من شئ الا أتاه من قبل النساء وقال وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهب بصره ما شئ أخوف عندي من النساء وتكلم نسوة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال لهن اسكتن فانما أنتن لعب اذا فرغ لكن لعب بكن ولي أنا في هذا المعنى ولكن متى قلته قلته بعد أن ذهبت الشهوة وضعفت القوة وحين قرت المرة وسدت الكوة

أضر شئ على الانسان خصيته * تلك التي أوردته لجة النكد
ان الفضول لعمر الله أدخله * في أن يكابدهم الأهل والولد
يحتاج دارا وأهل الدار يطلبه * كل بشهوته فليعط أو يعد
فاضطره الحال أن يسعى ليرضيهم * فظل من بلد يسري الى بلد
كأنه حجر يرمى به ورق * من ها هنا لهنا ومن يد ليد
ما همه الدهر الا ما يؤلفه * وما يجمعه من جيد وردي
وما يبالي أحل أم حرام أتي * فعل امرئ ليس في الاخرى بمعتقد
حتى اذا اجتمعت تلك المكاسب من * تلك الهاوش بعد الأين والجهد
أمسى يفرقها فيهم ونيته * في كسب أخرى كذا دأبا بلا أمد
وربما أسخط المسكين خالقه * اذ ليس في فعله هذا بمقتصد
الفرض ضيعه والدين أتلفه * بالمكر والغش ثم الغل والحسد
وكل ذلك من أجل النساء فلا * أهلا بهن ولا قربن من خلد
يسلبن لب ذوي العقل الرصين كما * يصرعن من كان ذا أيد وذا جلد
يارب شهوة وقت أورثت غصصا * وأعقبت حسرات آخر الامد

القبقب البطن والدبذب الذكر

قد كان في شغل بهم قبقبه * عن همّ ذبذبه لو كان ذا رشد
لكنه عميت عن ذا المقلته * حتى هوى مكرها في هوّة الاسد
عسى تقول رسول الله حض على النكاح يعني بذا كم كثرة العدد
نعم وقال لنا أيضا عليك بذات الدين فاليوم فاطلب ضدّها تجد
قد كان يصلح ذاك الامر في زمن * أخنى عليه الذي أخنى على لبد
ذاك الزمان مضى وأهله معه * فاليوم ياليت أمّ المرء لم تلد
يكلف المرء مالا يستطيع له * حملا وليس على شرع بمطرد
عرس بدف وطبل واصطفاق مزامير ورقص الى أنواع كل دد
الى أمور سواها سوف تعلمها * اذا أردت الزواج اليوم ياسندي
ولست تسمع من بعد الدخول سوى * سق سق وهات وعجل غير متئد
ان قلت قد سقت قالوا تم ذلك في * أمس سق اليوم ما يكفي لبعد غد
ان كنت تقوى على هذا والا فرح * يجىء غيرك فاصدر بعد أو فرد
فيحوج المرء أن يلقى هنالك ما * ذكرت قبل من الأحزان والنكد
ياخائفا فرهن اسمع وصية من * قد جرّب الامر لم يحتج الى أحد
عليك بالصوم واترك ذكرهن ولا * تنظر اليهن ينج القلب من كمد
واقنع بثوب وبيت تستتر بهما * واجعل طعامك عند الفطر ملء يد
واعكف على طاعة الرحمن مجتهدا * فليس يخلص الا كل مجتهد
وعن قريب يجىء الموت وهو كما * علمت يفرق بين الروح والجسد
فان تكن صالحا تفرح وتحظ غدا * بجنة الخلد دار السيد الصمد
مجاورا لجميع الانبياء بها * مكلما ناظرا للواحد الاحد

ومن شعر أبي عمران الميرتلي رضي الله عنه

يقولون زوج فنعم الفتاة * عرضنا عليك تنل خيرها
ولو أستطيع لطلقت نفسي * فكيف أضيف لها غيرها
أأشقى بها دون ماضرة * وآمن معضرة ضيرها
وماتقنع العرس مني بشيء * سوى أن تصير نفسي غيرها
فنفسي أولى بنفسي ودع * سواها تسرو تصل سيرها

وقال يوسف عفا الله عنه وقد سألني تذييل ذا البيت صاحبي

وكنّ اذا أبصرنني أوسمعن بي * بدرن فرقعن الكوى بالحواجب
مشيبي يشي بي فاغتديت مبغضا * لدى قاصرات الطرف عين ربائب
وعهدي في غضن الشباب وانني * لكالشمس في حسن وهنّ صواحبي
وكنّ اذا أبصرنني أوسمعن بي * بدرن فرقعن الكوى بالحواجب
يسلمن طورا بالبنان وتارة * بأنملة زينت بتخضيب خاضب
اذا غبت عن عين فاني حاضر * بقلب ففي التحقيق لست بغائب
فأضحيت لاشئ بأبغض يافتى * اليهن من شخصي ولكن حبائبي
ينادينني ياشيخ لاعن كرامة * كما قد ينادى الناس أهل المراتب
ولكنّ عيبا واحتقارا وذلة * ولو كنت ذا عقل لما كنت عائبي
فما ان يعيب المرء الاذنوبه * وذلك يردي لا ابيضاض الذوائب
فيارب ان أبغضنني فأحببني * فأنت وليي دونهن وصاحبي
ولا تحرق الشيب الذي قد جعلته * وقارا بنار يوم يكشف غائبي

وهذه المقطوعة قلتها على أن قافية البيت بالحواجب ثم رأيته بالمحاجر فدعت الضرورة الى أن بدلته أيضا على المحاجر فقلت

مشيبي يشي بي فاغتديت مبغضا * لدى قاصرات الطرف عين غرائر
وعهدي في عصر الشباب محببا * اليهن في بال أقيم وخاطر
وكنّ اذا أبصرنني أوسمعن بي * بدرن فرقعن الكوى بالمحاجر

الابيات وبدلته أيضا على قافية القاف فقلت

مشيبي يشي بي فاغتديت مبغضا * الى قاصرات الطرف عين عواتق
وعهدي في عصر الشباب محببا * اليهن لايقطعن وصل علائقي
وكن اذا أبصرنني قمن للكوى * فألقمنها سود العيون الروامق

مبحث مدح النساء

كذلك الى آخر الابيات أنظرها بكمالها في التكميل * ومن الناس من مدحهن قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مامرّض المرضى ولا ندب الموتى مثل النساء وقال بعض الحكماء ماآنس الانسان ولا عمر المكان ولا سلى الأحزان ولا أعان على الزمان مثل البيض الغوان وفي كتاب مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة وفي كتاب الاربعين للثقفي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي النساء خير فقال

التي تسره اذا نظر ولا تعصيه اذا أمر ولا تخالفه فيما يكره من نفسها ولا ماله وهذا الحديث من العوالي حدثني به الحافظ السلفي عن الثقفي عن الفضل بن عبد الله عن عبد الله بن جعفر عن مروان بن سليمان عن أبي عاصم عن أبي عجلان عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه قلت أنظر قوله عليه السلام تسره اذا نظر هل هو الا أن تكون من أحسن الصور وما زال الجمال اليه عيال ومن أمثالهم المرأة الوسيمة من المتن الجسيمة وفي الشهاب النظر الى المرأة الحسناء يزيد في البصر ولله در الذي يقول

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

وقول الناس في الملاح معلوم وهو الجمال مرخوم وقال الشاعر

ويقبح من سواك الفعل عندي * فتفعله فيحسن منك ذاكا

وقال الآخر

واذا الحبيب أتى بذنب واحد * جاءت محاسنه بألف شفيع

قلت فكما ان المرأة الصالحة خير متاع الدنيا فكذلك المرأة السوء شر متاع الدنيا هي الداء العضال والعثرة التي لا تقال وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث قاصمات للظهر فذكر منهن زوجة يأتمنها صاحبها وهي تخونه ذكر في هذا الحديث زوجة وأنكر الاصمعي أن يقال زوجتي وانما يقال زوجي وكذلك قال غيره واحتج بقول الله تعالى أمسك عليك زوجك واسكن أنت وزوجك الجنة قلت ولعلهما لغتان ورسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح العرب وقد قال زوجة في هذا الخبر وفي مسلم من كتاب الجنائز في الدعاء للميت وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من زوجته الحديث وسيأتي في الحديث بعد هذا و زوجة ومنة فهي اذا لغة مشهورة مذكورة وقال في حديث الاعتكاف للرجل الذي لقيه بالليل والنبي عليه السلام تشيع امرأته الى منزلها انها زوجتي وفي حديث ذكره النسائي عن معاوية بن حيدة قال قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر قال احفظ عورتك الا من زوجتك أو ما ملكت يمينك الحديث وخرج أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن عمر قال أتت امرأة الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما حق الزوج على زوجته قال لا تخرج من بيته الا باذنه فان فعلت لعنتها ملائكة الله عز وجل وذكر باقي الحديث

وذكر البزار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يامعشر النساء اتقين الله والتمسن مرضاة أزواجكن فان المرأة لو تعلم ماحق زوجها لم تزل قائمة ماحضر غداؤه وعشاؤه وخرج الترمذى رحمه الله عن معاذ بن جبل عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لا تؤذى امرأة زوجها فى الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك الينا قال هذا حديث حسن غريب وخرج أيضا عن طلق بن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا الرجل دعا زوجته لحاجته فلتأته وان كانت على التنور وقال هذا حديث حسن غريب وخرج مسلم رحمه الله بسنده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده مامن رجل يدعو امرأته الى فراشه فتأبى عليه الا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها وهذه فوائد فى المعنى واللفظ ينبغى ان تقيد بالحفظ وتتعاهد بالدرس كى لا تنسى ويحتج بها على النساء فى خروجهن بغير اذن أزواجهن ونرجع الى اللغة فى الزوج والزوجه فنفصل فيهما بالجمله قال بعض العلماء لغة أهل الحجاز زوج ولغة بنى تميم زوجة قال الفرزدق وهو تميمى

وان الذى يسعى ليفسد زوجتى * كساع الى أسد الشرى يستبيلها

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم كل قوم بلغتهم رجع الكلام الى ذكر النساء قال النبى صلى الله عليه وسلم فى النساء رأيتهن أكثر اهل النار ثم ذكر العلة فقال يكفرن العشير ويكفرن الاحسان لو أحسنت الى احداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئا تنكره قالت مارأيت منك خيرا قط وقد تقدم قوله صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا فليس الا المداراة فداراة الناس صدقة والناس يمكنك التخلص منهم وليست الزوجة كذلك الا فى القليل وقد قال عليه السلام هى كالضلع ان ذهبت تقيمه كسرته وان استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج وقال كسرها طلاقها وفى الخبران ابراهيم صلى الله على نبينا وعليه شكا الى الله عز وجل خلق سارة فأوحى الله عز وجل اليه انما المرأة كالضلع المعوج اذا أقمته كسرته فداره تعش به وقال بعض الشعراء فى هذا المعنى

أتجمع ضعفا واقتدارا على الفتى * أليس عجيبا ضعفها واقتدارها

هى الضلع العوجاء لست تقيمها * ألا ان تقويم الضلوع انكسارها

وقد كن ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم يراجعنه وتهجره احداهن حتى

الليل وكذلك كثير من الصحابة وسيأتى حديث ابى ذر رضى الله عنه عند ذكر المودة
ويروى عن انس بن مالك رضى الله عنه ان امرأته راجعته يوما فقال لتنتهين
اولأدعون الله عليك فقالت انت منذ عشرين سنة تدعو على الحجاج فما زاد عنقه
الا غلظا وبما عدوه من الحمق التماس مودة النساء بالغلظة والجفاء والتماس مودة
الاخوان بلا وفاء والآخرة بالرياء والعلم والفضل بالخفض والدعة ونفع النفس بضرر
الغير وقال المغيرة بن شعبة ملكت النساء على ثلاث طبقات كنت أرضيهن
فى شبيبتى بالباءة فلما اكتهلت كنت أرضيهن بالمداعبة والمفاكهة فلما شبت
أرضيتهن بالمال وفى رواية عن الحافظ بسنده الى النبى صلى الله عليه وسلم قال
المهاجرون لما أنزل فى الذهب والفضة ما أنزل وددنا انا علمنا اى المال خير فنتخذه
فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين
أحدكم على ايمانه خرجه فى أحد أجزاء المحاملى رحمه الله وخرج أبو داود هذا
الحديث بهذا المعنى على غير هذا اللفظ من قوله صلى الله عليه وسلم ألا أخبرك بخير
ما يكنز المرء المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا أمرها أطاعته واذا غاب عنها
حفظته قلت وينبغى كما يتخير الرجل الارض لغرسه كذلك فليتخير الزوجة لنفسه
ونجابة ولده بحول الله فى صلاح غرسه ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
تخيروا لنطفكم فان العرق دساس وقال اياكم وخضراء الدمن وقال عليه الصلاة
والسلام تنكح المرأة لجمالها ومالها وحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك
ويروى ان رجالا خطبوا لرجل مجوسى ابنة له كانت جميلة فقال لهم العجب من
طباعكم لا تمتثلون قول نبيكم ولا قول مشايخنا نبيكم يقول عليكم بذات الدين
ومشايخنا يقولون عليكم بمن له أصل وجوهر فان العرق يرجع الى أصله فأجمل
القوم وتركوا الخطبة وقال ابن عبدوس رحمه الله وذكر الجمال كفى بالوجه الحسن
ان يستمتع به فى كل حالة وانه ليخشع له القلب والبصر والانثى والذكر والشديد
والضعيف والفاجر والعفيف وقالت حكماء الهند بحسن الصورة تستمال أعنة
الابصار ثم قال ابن عبدوس بعد ذلك ألا ان الجمال من اكبر اسباب الفساد وقلما
تجد الجميلة عفيفة ولو كانت عفيفة لم تسلم من مراودة من ليس بعفيف وكم
عساها ان تمتنع وقد سئل بعض الحكماء عن التزويج فقال للسائل نعم ما تفعل تغض
طرفا وتحصن فرجا ولكن اياك والجمال الرائع قال ولم واتما يرغب الناس فيه

فقال أو ما سمعت قول القائل

ولن تمرّ بمرعى ممرع أبدا * الا وجدت به آثار مأكول

وفي الحديث لا تنكحوا النساء لحسنهن فعسى ان يرديهن ولا تنكحوهن لأموالهن فعسى أموالهن ان تطغيهن وانكحوهن على الدين ولأمة سوداء جذماء ذات دين أفضل من ذات جمال وليس لها دين قال ابن عبدوس والحسناء كثيرة المنّ على زوجها بحسنها والعفيفة أكثر منا عليه بعفتها حتى كان الواجب عندهن ان لا يكن عفائف وقال أكثم بن صيفي يا بني تميم لا يغلبنكم جمال النساء على صراحة الحسب فان المناكح الكريمة مدرجة للشرف وقال الشاعر

وأوّل خبث المرء خبث ترابه * وأوّل لؤم المرء لؤم المناكح

وقال الآخر

ألم تر أن الماء يخبث طعمه * وان كان لون الماء في العين صافيا

وفي هذا الشعر

على وجه ميّ مسحة من ملاحة * وتحت الثياب العار لو كان باديا

ودخل خيري بن أبي أوفى على هشام بدمشق ملفوفا في عباءة فسلم وانتسب فقال كيف أبوك قال كالخير لنفسه وكالشرّ لي قال وكيف ذاك قال كنت نطفة في صلبه يضعني حيث شاء فألقاني في رحم سوداء لو وقع القمر فيه لاسودّ ثم سماني بشرّ الاسماء واختار لي شر الاعمال رعية الابل فأعدني عليه قال أما لونك فلا تستطيع تغييره وأما اسمك فمن أسماء أبيك وأما عملك فقد أبدلك الله الفريضة السنية والجائزة الحسنة ففرض له ووصله أصاب خيري وصدق فيما به نطق هذه الأوصاف قد قالها غيره قبله قالوا من حق الولد على والده ان يستفره أمه ويحسن اسمه فان كان ذكرا يعلمه كتاب الله ويعلمه الرمي والسباحة وان كانت أنثى يعلمها سورة النور ولا يعلمها سورة يوسف عليه السلام ولا يسكنها الغرف ويعجل سراحها الى بيت زوجها وقال عروة بن الزبير رحمه الله ما عشقت من امرأة قط الا حسبها شرفها وفسره بعضهم واستشهد بقوله في موضع آخر اني لأعشق الشرف كما أعشق الجمال فعل الله بفلانة ألفت بني فلان وهم بيض طوال فقلبتهم سودا قصارا وقال غيره انما أراد الحسب وصراحة النسب واحتج بقول عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ما عشقت من امرأة قط الا حسبها ولعل قائلا يمدح القصار ويستشهد بقول كثير

قوله خيري هكذا في النسخ ولعله حرب أو جزى كما يقتضيه سياق الحكاية

الشاعر وأنت التي حببت كل قصيرة * الى وما تدرى بذاك القصائر

فلم يرد القصيرة القدّ وانما أراد المقصورة فى الحجال من قولك قصره اذا حبسه يقال منه قصيرة وقصورة كما يقال مقصورة اذا كانت محجوبة ومنه قول الله تعالى حور مقصورات فى الخيام أى محبوسات وقوله تعالى قاصرات الطرف أى قصرن نظرهن على أزواجهن فلا يبغين بهم بدلا وقال الشاعر

تراها عند قبتنا قصيرا * ونبذلها اذا باقت بؤوق

أى مقصورة مقربة لا تترك تتردد لنفاستها عند أهلها ويدل على انه أراد هذا المعنى قوله فى البيت الذى بعده

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطى شر النساء البحاتر

والبحاتر القصار ورواه الفراء وأنشده البهاتر بالهاء وقال بحتر بالحاء وبهتر بالهاء لغة فيه وهو القصير كما تقدم والهاء تبدل من الحاء كثيرا وسيأتى ذلك وقد يحتمل أن يريد بقوله كل قصيرة أى قصيرة النسب وتلك صفة الأشراف ومعناه أن يقال بنت فلان فيعرف ولا يحتاج الى تطويل فى النسب كما يحتاج من ليس بشريف أن ينتسب حتى يبلغ الى رأس القبيلة وبالحرى أن يعرف ان عرف قال رؤبة قال لى النسابة من أنت انتسب فقلت رؤبة بن العجاج فقال قصرت وعرفت وقد بين الشاعر هذا المعنى فى قوله

أحب من النسوان كل طويلة * لها نسب فى العالمين قصير

وقال الطائى

أنتم بنو النسب القصير وطولكم * باد على الكبراء والاشراف

ومع هذا فان نجابة الولد انما هو فى النسب لا فى الطول ولا فى القصر وقال ابن الزبير لا يمنعكم من تزوج المرأة القصيرة قصرها فان القصيرة تلد الطويل والطويلة تلد القصير واياكم والمذكرة فانها لا تنجب وسيأتى خبر الاعرابى القبيح الطويل الذى تزوج امرأة قصيرة جميلة لتلد له بزعمه غلاما يشبه أمه فى الحسن وأباه فى الطول فولدت له ضد ذلك والعرب تقول ان الغيرى لا تنجب واذا أكره الرجل المرأة وأصابها وهى مذعورة فان أذكرت أنجبت ولذلك قال عبيد الله ابن الحسن اذا أردت أن تذكر المرأة فأغضبها ثم قع عليها ولذلك قالوا أنجب النساء الفروك لان الرجل يغلبها على الشبه لزهدها فى الرجل وقالوا أنجب النساء

النزائع الواحدة نزيعة وهى التى زوّجت فى غير قبيلتها قال الشاعر

نمت بى من شيبان ام نزيعة * كذلك ضرب المنجبات النزائع

واولاد الغرائب عندهم أشد وأقوى قال الشاعر

فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى وليد القرائب

ومنه قول عنترة * أنا الهجين عنترة * افتخر بأنه هجين لانه أقوى من الصريح وأجلد ذكر هذا الخطابى رحمه الله فى تفسير قوله عليه السلام طوبى للغرباء فقيل من هم يارسول الله قال النزاع من القبائل ثم فسره قال النزاع جمع نزيع وهو الغريب الذى نزع عن أهله وعشيرته وجاء فى حديث آخر بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبى للغرباء قيل من الغرباء يارسول الله قال الذين يصلحون ما أفسد الناس وقال الحارث بن كلدة اذا أردت ان تحبل المرأة فشها فى عرصة الدار عشرة أشواط فان رحمها تنزل ولا تكاد تخلف وكانت العرب تقول اذا المرأة لقحت قبل الطهر فى أوّل الشهر عند تبلج الفجر ثم أذكرت جاءت به لا يطاق قال الشاعر

لقحت فى الهلال عن قبل الطهر * وقد لاح للصباح بشير

ذكر أوقات حمل المرأة

وأوّل أوقات حمل المرأة تسع سنين وهو أوّل وقت الوطء وتزوّج رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رضى الله عنها وهى بنت ست وبنى بها وهى بنت تسع وتوفى عنها وهى بنت ثمان عشرة سنة وتوفيت وهى بنت ثمان وخمسين سنة وتحمل المرأة وهى بنت عشر وفى البخارى عن بعضهم رأيت امرأة جدة وهى بنت احدى وعشرين سنة وبضده خرج ثابت ان هند بنت ابى عبيدة حملت بابنها موسى بن عبد الله بن حسن لستين سنة ويقال لا تحمل لستين الا قرشية ولا لخمسين الا أعرابية ويقال ان امرأة من عجلان أقامت خمس سنين حاملا ثم ولدت وحملت مرة أخرى ثلاث سنين قال الليث وحملت مولاة لعمر بن عبد الله ثلاث سنين ويقال ان الضحاك ولد لسنتين وقالت عائشة رضى الله عنها ما حاضت امرأة بعد خمسين سنة ويقال ان الرجل يستفرغ ولدا مرأتين يولد له وهو ابن تسعين سنة وولدت مريم عيسى عليهما السلام لثمانية اشهر وتلك آية لانه لا يعيش مولود لثمانية اشهر وأتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بامرأة ولدت لستة أشهر فهم بها فقال له على بن أبى طالب رضى الله عنه ان الله تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا ثم قال والوالدات يرضعن

حمل مريم بعيسى عليه السلام

اولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة فالحمل يكون ستة اشهر وذكر مالك تلك القصة لعثمان رضي الله عنه تقدم في هذا الخبر ان عيسى عليه السلام ولدته أمه لثمانية أشهر وقد اختلف في ذلك فروى عن الحسن انه قال حملته تسع ساعات وولدته من يومها وقال بعضهم حملته تسعة أشهر كما تحمل النساء والله اعلم وحديثها مذكور في القرآن وجاء في الخبر انه كان معها في المحراب ابن خال لها يقال له يوسف كان يخدمها من وراء حجاب ويكلمها كذلك وكان أول من اطلع على حملها فاهتم لذلك وأحزنه وخاف أن يقع في الاثم وسوء الظن فقال لها يا مريم هل يكون زرع من غير بذر قالت نعم قال وكيف ذلك قالت ان الله خلق البذر الاول من غير نبات فلعلك تقول لولا انه استعان بالبذر لغلبه قال يوسف أعوذ بالله ثم قال لها وهل ينبت الشجر من غير ماء ولا مطر قالت ألم تعلم ان للبذر والزرع والماء والمطر والشجر خالقا واحدا ثم قال لها هل يكون ولد أو حمل من غير ذكر قالت نعم قال وكيف ذلك قالت ألم تعلم ان الله خلق آدم وحواء امرأته من غير حبل ولا ذكر ولا أم قال بلى قال فأخبريني خبرك قالت فان الله بشرني بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم الى قوله ومن الصالحين فسكت عنها وممن ولد له وهو صغير عبد الله بن عبد المطلب وهو والد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزيد عليه ثمانية عشر عاما وسيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وكان لأيوب بن سلمة وهو من ولد الوليد المخزومي ابن يسمى اسماعيل كان أيوب يزيد عليه في المولد ثلاث عشرة سنة وكان له من الولد اثنا عشر ولابنه اسماعيل كذلك اثنا عشر فوقع بينهم كلام وكانوا في المدينة في دار واحدة فأغلقوا عليهم الباب واقتتلوا واجتمع أهل المدينة فلم يقدروا على فتح الباب حتى تسوروا عليهم الجدار فوجدوا اصرعى ذكره ثابت وأغرب من هؤلاء عبد الله بن عمرو بن العاص يزيد عليه أبوه في السن اثني عشر عاما هذا نادر والمعروف الا كثر الأشهر ماقاله بعض العلماء يستدل على بلوغ الصبي بالانبات والاحتلام وبلوغ خمسة عشر عاما والجارية كذلك وتزيد على الغلام بالحمل والحيض وأقوى ما في الغلام الاحتلام وفي الجارية الحمل والحيض ويستشهد على الانبات بأهل قريظة اذ قتل منهم من أنبت ومن لم ينبت خلى سبيله ويستدل على بلوغ خمسة عشر عاما بما خرجه مسلم رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنهما قال عرضني رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في القتال وأنا ابن أربع عشرة سنة فلم يجزني وعرضني يوم الخندق وأنا

ابن

ابن خمس عشرة سنة فأجازني قال نافع فقدمت على عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ خليفة فحدثته هذا الحديث فقال ان هذا الحد بين الصغير والكبير وكتب الى عماله أن يفرضوا لمن كان ابن خمس عشرة سنة فما دون ذلك فاجعلوه في العيال واذ قد وقع ذكر عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما فلنذكر بعض فضائلهما أما عبد الله بن عمر فلا خفاء بفضله وورعه وعلمه وسابقته أسلم مع أبيه وهو صغير لم يبلغ الحلم وبلغ ستا وثمانين سنة وأفتى في الاسلام ستين سنة وكان كثير الاحتياط والتوقي في فتاواه وكان لا يتخلف عن السرايا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم كان بعد موته عليه السلام مولعا بالحج قبل الفتنة وبعد الفتنة الى أن مات وكان قد أشكلت عليه حروب علي رضي الله عنه فقعد عنها وندم على ذلك حين حضرته الوفاة قال ما آسى على شئ الا تركي قتال الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه وعلى صوم الهواجر وكان يقول الحق لا تأخذه في الله لومة لائم خطب الحجاج يوما وأخر الصلاة فقال له ابن عمر ان الشمس لا تنتظرك والحق لا يعذرك فقال له الحجاج لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك فقال ان تفعل فانك سفيه مسلط فأمر الحجاج رجلا معه حربة يقال انها كانت مسمومة فلما دفع الناس من عرفة لصق به ذلك الرجل فأمر الحربة على قدمه وهي في غرز راحلته فرض منها أياما فدخل عليه الحجاج يعوده فقال له من فعل بك يا أبا عبد الرحمن فقال وما تصنع به قال قتلني الله ان لم أقتله قال ما أراك فاعلا انت الذي امرت من نخسني بالحربة فقال لا تفعل يا أبا عبد الرحمن وخرج عنه فلبث اياما ثم مات رضي الله عنه وصلى عليه الحجاج وأما عبد الله بن عمرو فكان ايضا من الفضلاء العلماء يكنى ابا محمد وقيل ابا عبد الرحمن توفي بمصر سنة خمس وستين وهو ابن اثنتين وسبعين سنة وقيل مات بمكة وهو الذي استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في كتب الحديث فأذن له وهو الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم صم وأفطر وقم ونم حين بلغه انه قال لأصومن النهار ولأقومن الليل ما عشت فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال له ما تقدم وهو الذي كان يقول مالي ولصفين وقتال المسلمين والله لوددت اني مت قبل هذا بعشر سنين ثم يقول أما والله ما ضربت فيها بسيف ولا طعنت فيها برمح ولا رميت فيها بسهم ولوددت اني لم أحضر شيئا منها وأستغفر الله من ذلك وأتوب اليه

خرجت من شئ الى غيره * لكنني لم أعد عين الصواب

ومنى الجمع ومنك ابنى الحفظ ومن ربى الكريم الثواب

ثم البنات ومدحهن

وأما البنات فمن الناس من كرههن لا لذاتهن لكن لما يتخوف عليهن كما قال بعضهم

ألا يا موت كنت بنا رؤفا * فجددت الحياة لنا بزوره

شكرنا فعلك المحمود لما * كفيت مؤنة وسترت عوره

فأنكحنا الضريح بغير مهر * وزوجنا الفتاة بغير شوره

وقال آخر

أحب بنيتى و وددت انى * وضعت بنيتى فى قعر لحد

ومابى بغضها غرضا ولكن * أخاف بأن تذوق الذل بعدى

وتسلم ان فقدت الى لئيم * فيشتم والدى ويسب جدى

فليت الله عاجلها بموت * وان كانت أعز الناس عندى

وقال آخر

تهوى حياتى وأهوى موتها شفقا * والموت أكرم نزال على الحرم

وأوله لولا أميمة لم أجزع من العدم * ولم أجب فى البلاد حندس الظلم

و زادنى رغبة فى العيش معرفتى * ذل اليتيمة يجفوها ذووا الرحم

أحاذر الفقر يوما أن يلم بها * فيهتك الستر عن لحم على وضم

وقال آخر

لقد زاد الحياة الى حبا * بناتى انهن من الضعاف

مخافة أن يرين البؤس بعدى * وان يشربن رنقا بعد صافى

وأن يعرين ان كسى الجوارى * فتنبو العين عن كرم عجاف

الماء الرنق هو الكدر

الكرم فى هذا البيت مصدر يقال رجل كرم وقوم كرم وامرأة كرم ونسوة كرم وقال عبد الله بن طاهر

لكل ابى أنثى اذا ماترعرعت * ثلاثة أصهار اذا ذكر الصهر

فبيت يغطيها وبعل يصونها * وقبر يواريها وخيرهم القبر

وجاء فى الشهاب دفن البنات من المكرمات وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم لما عزى فى بنته رقية قال الحمد لله دفن البنات من المكرمات وأنشدنا الحافظ ابو الطاهر رحمه الله ولم يسم قائله فقال

القبر مستر لجميع البنات * وهو كما يروى من المكرمات

أمارأيت الله سبحانه * قد وضع النعش بجنب البنات

وبنات نعش سبع كواكب أربعة نعش وثلاث بنات ويقال للواحد منها ابن نعش لأن الكوكب مذكر قاله ثابت وقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اللهم رب هرز ن سهيه أعوذبك من كل عقرب وحيه وقال في تفسيره نجم صغير يكون في بنات نعش وفيه يقول القائل * أريها السها وتريني القمر * ومن أحسن ما سمعت في هذا قول بعضهم في الحجاج وكان قد أراد أن يزيد في جباية السواد فمنع أهل السواد من ذبح البقر ليكثر الحرث والزرع فيما زعم فقال شاعرهم

شكونا اليه خراب السواد * فحرم فينا لحوم البقر

وكان كما قال من قبلنا * أريها السها وتريني القمر

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفقدون أبصارهم فيه وخرج عياض رحمه الله في كتاب شرف المصطفى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثريا أربعة عشر نجما لحدة بصره صلى الله عليه وسلم وأخبرني بعض العلماء ان أسماء بنات نعش النجم الاول الذي يلي النعش القائد والثاني العناق وهو الذي الى جنب السها والثالث الحوار وفي هذه النجوم أعني بنات نعش فائدة أنها بها يستدل على القبلة اذا جعلتها على كتفك الايسر في بلادنا هذه وذلك على الدوام لانها لاتدور ولا تغيب وهذه بنات نعش الكبرى وبقربها بنات نعش الصغرى وهي على مثل تأليفها وفيها الفرقدان والجدي وفي وسطها القطب وعليه مدار الفلك شبيه بقطب الرحا تدور عليه جميع الافلاك وهو ثابت على موضعه لا يتحرك وكان لمعاوية رضي الله عنه بنت تحبه وكان يدنيها ويلزمها حجره ويعانقها ويقبلها فرآه بعض خواصه يوما فقال له اف لهذه ابعدها عنك ونحها فوالله ما علمتهن الا يلدن الأعداء ويورثن البعداء فقال له معاوية أجل ثم سكت ساعة فقال أما انهن بضعة منا ربيهن ربينا ويشيبهن شيبنا وأيم الله مع ذلك ما عللٌ ذوى العلات بلا عظم المصيبات ولا بكى الأموات مثلهن وقال بعض الشعراء في هذا المعنى

رأيت اناسا يكرهون بناتهم * وفيهن لا تكذب نساء صوالح

وفيهن والايام يعثرن بالفتى * عوائد لا يمللنه ونوائح

فمن صالحات النساء وفصحائهن ما يروى ان أسماء بنت يزيد الانصارية من بني عبد الاشهل أتت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت بأبي أنت وأمي يارسول الله

أنا وافدة النساء اليك واعلم ان نفسي لك الفداء انه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بخروجي هذا أولم تسمع الا وهي على مثل رأيي ان الله عز وجل بعثك بالحق الى الرجال والنساء آمنا بك وبالذي أرسلك وانا معشر النساء محظورات مقصورات وانا قواعد بيوتكم ومقضى شهواتكم وحاملات أولادكم وانكم معشر الرجال فضلتم علينا بالجمعة والجماعات وعيادة المرضى وشهود الجنائز والحج بعد الحج وأفضل من ذلك كله الجهاد في سبيل الله وان الرجل منكم اذا خرج حاجاً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا لكم أثوابكم وربينا لكم أولادكم أفانشاركم في الأجر يارسول الله فالتفت النبي صلى الله عليه وسلم بوجهه كله الى أصحابه فقال لهم هل سمعتم مقالة امرأة أحسن من مقالتها وسؤالها عن أمر دينها فقالوا يارسول الله ماظننا ان امرأة تهتدي في دينها الى مثل مقالتها ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفي أيتها المرأة وأعلمي من خلفك من الرجال والنساء ان حسن تبعل احداكن لزوجها وطلبها المرضاته واتباعها الموافقته يعدل ذلك كله فأدبرت المرأة تهلل وتكبر سروراً واستبشاراً بما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر هذا الخبر ابو القاسم علي بن محمد بن عبدوس الكوفي رحمه الله في كتاب التسلي عن الدنيا * وفي كتاب من حزم النساء مايروى أن أحد الامراء شتم امرأة فأفحش في القول فقالت لاصحابه أهكذا كلام الامراء قالوا الا فقالت له خذ اليك العزل الحق وجاء في خبر ولم أره ولا تكرهوا البنات فاني أبو البنات وقال أيضاً لا تكرهوا البنات فانهن المؤنسات المجهزات والمربيات المبكيات وأنشدوا في هذا المعنى

نخير الناس كلهم جميعا * رسول الله كان أبا البنات
وهن المؤنسات وهن أيضا * بعيد الموت أحرق باكيات

ومن أحسن ماقيل في تفضيلهن

فما التأنيث في اسم الشمس عيب * ولا التذكير فخر للهلال

وأنشد في بعض أصحابي ولم يسم قائله

أحب البنات فحب البنا * ت فرض على كل نفس كريمه
فان شعيبا من اجل البنا * ت أخدمه الله موسى كليمه

صلى الله عليهما وعلى نبينا محمد وسلم وزادفيهما أبو عمران الميرتلي رحمه الله

ودفن البنات من المكرمات * وأجر وذخر ونعمى جسيمه

وجاء في الحديث من يمن المرأة تبكيرها بأنثى قبل الذكر وذلك ان الله تعالى يقول يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور وجاء في تفسير قوله تعالى فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما قال ابن عباس بدلا منه جارية ولد من نسلها سبعون نبيا وقال ابن جبير كانت أمه حاملا فولدت غلاما مسلما وجاء في التفسير ان الغلام كان كافرا وكان اسمه حيسور وفي الصحيح من ابتلى من البنات بشئ فأحسن اليهن كن له سترا من النار وفي آخر من عال جاريتين حتى يبلغا جاء يوم القيامة أنا وهو وضم أصابعه صلى الله عليه وسلم وينبغي ان تفضل البنات على البنين فيما يدخل به من السوق لانهن محجوبات لا يرين الا ما دخل به عليهن ولان الكفار كانوا يقتلونهن بالوأد وقد أمرنا بمخالفتهم فاذا كان الواجب علينا حبهن فنفضلهن ويروى ان رجلا ولدت له بنت فاغتم لذلك فدخل عليه رجل صالح عالم فقال له مالي أراك مغموما فقال له ولدت لي بنت فقال له على الله عز وجل رزقها وعلى الارض ثقلها تعيش في غير أجلك وتأكل من غير رزقك ما سميتها فقال فاطمة فقال آه آه أما اذ سميتها فاطمة فلا تشتمها ولا تضربها قال الشاعر

خرجت من الفلا جميع الفلاة * لغالية فتاة كالمهاة
وأفضى القول في مدح وقدح * الى ذكر البنات والامهات
ولم أقنع بمن في الارض حتى * صعدت لذكر نعش والبنات
ولكن كله علم وان كنت لا تبغي سوى ذكر اللغات
فها أنا سوف أرجع بعد هذا * لها فاسمع فان القول يأتي

(فائدة) تقدم ذكر المهاة وهي البقرة الوحشية تسكتبها بالتاء اذا وصلتها بخلاف المهاه الذي هو الطراوة والحسن قال عمران بن حطان

فليس لعيشنا هذا مهاه * وليست دارنا الدنيا بدار

وقال جرير كفى حزنا ان لا مهاه لعيشنا * ولا عمل يرضى به الله صالح

صلة الرحم وذكر الجار

(فصل وتقدم في الحديث بلوا أرحامكم ولو بالسلام) معناه والله أعلم صلوا أرحامكم بما أمكن وان عدمتم فأقل شئ يكون بالسلام وهو بأن تزور ذا رحمك فتسلم عليه وتؤنسه بالقول وتلين له القول ويمثل هذا يستمال الغريب فكيف بالقريب ألم تسمع الى قوله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على شئ اذا أنتم فعلتموه

تحابيتم أفشوا السلام بينكم وقد جاء في صلة الرحم مايكاد لكثرة الامر يذلك أن يكون فرضا وجاء في قطيعة الرحم كذلك مايكاد يلحق بالكبائر واذا كان الجار يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وقد جاء في حق الجار كثير قالوا الجار القريب المسلم ثلاثة حقوق حق الجوار وحق القرابة وحق الاسلام وللجار المسلم حقان ولغيره حق واحد وخرج الترمذي ان عبد الله بن عمر ذبحت له شاة في اهله فلما جاء قال أهديتم لجارنا اليهودي أهديتم لجارنا اليهودي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه وفي البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت قلت يارسول الله ان لي جارين فالى أيهما أهدي قال الى أقربهما منك بابا وعن ابن شريح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يارسول الله قال الذي لا يأمن جاره بوائقه وفي حديث آخر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذي جاره وفي آخر فليكرم جاره ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ومن أحسن ماقيل في حسن الجوار

ناري ونار الجار واحدة * واليه قبلي تنزل القدر
ماضر جارا لي أجاوره * أن لا يكون لبابه ستر

هذان البيتان لمسكين الدارمي واسمه ربيعة بن عامر ومسكين لقب له ولذلك قال

وسميت مسكينا وكانت لحاجة * واني لمسكين الى الله راغب

وفي الشعر الاول بيت خرجه أبو علي في النوادر وهو

لا آخذ الصبيان ألثمهم * والامر قد يغرى به الامر

قال أبو عبيد البكري في شرح الامالي المسمى باللآلي ويروى يغزى أي يقصد من قولك عرفت مغزالك ويروى يعنى به قال وأنشد صاعد في هذا المعنى

اذا رأيت صبي القوم يلثمه * ضخم المناكب لا عم ولا خال
فاحفظ ثيابك منه أن يدنسها * ولا يغرنك حسن الحال والمال

ذكر هذا المعنى في معنى عفة الجار عن جاريه وفيه أنشد أبو علي

ولست بسائل جارات بيتي * أغياب رجالك أم شهود
ولست بصادر عن بيت جاري * صدور العير غمره الورود
ولا ألقي لذي الودعات سوطي * لألهيه وزينته أريد

قال أبو عبيد ويروى وبته أريد قال وهذا أحسن يعني أمه وفسر غمزه الورود بشئ حسن قال ان الحمار اذا لم يرو صدر متلفتا الى الماء فيقول لست ألتفت الى بيت جاري كذلك انظر في التكميل البيت الذي للخطيب ابي محمد رضي الله عنه

باحدى هذه الخيمات جاره * ترى هجري وتعذيبي تجاره

وكيف ذيله جماعة من أهل الادب وجوابه على كلامهم بأبرع كلام وأبدع نظام وجاء في الحديث أيضا يقول عليه الصلاة والسلام لابي هريرة رضي الله عنه يا أباهريرة كن ورعا تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن من أغنى الناس وأحب للمسلمين والمؤمنين ماتحب لنفسك وأهل بيتك وتكره لهم ماتكره لنفسك وأهل بيتك تكن مؤمنا وجاور من جاورت من الناس باحسان تكن مسلما وقال لابي ذر رضي الله عنه يا أباذر اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها وتعاهد جيرانك وفي حديث آخر ان الجار الفقير يتعلق بالجار الغني يوم القيامة ويقول يارب سل هذا لم منعني معروفه وسد بابه دوني وفي حديث آخر انه يقول يارب سل هذا لم بات شابعا وبت الى جنبه طاويا ومما يصدق هذا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسامة بن زيد في وصيته يا أسامة اياك وكل كبد جائعة تخاصمك عند الله فانه ما آمن بي من بات شبعانا وجاره طاو الى جنبه (قلت) هذا في الجار أفليس أولوا الارحام أحق بهذا الاكرام مع قوله عليه الصلاة والسلام لا يدخل الجنة قاطع رحم ومع قوله عليه الصلاة والسلام ان الله خلق الخلق حتى اذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين ان أصل من وصلك وأقطع من قطعك قالت بلى قال فذاك ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرأوا ان شئتم فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم وفي رواية قامت الرحم فأخذت بحقوى الرب فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة وسيأتي تفسير قوله بحقوى الرب ان شاء الله تعالى وقال عليه الصلاة والسلام في الحض على ذلك من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه وقال عليه الصلاة والسلام صلة الرحم تزيد في العمر وقال عليه الصلاة والسلام ليس الواصل بالمكافئ ولكن الواصل الذي اذا قطعته رحمه وصلها وسأله رجل فقال له ان لي قرابة أصلهم ويقطعونني وأحسن اليهم ويسيئون الي وأحلم عنهم ويجهلون علي فقال لئن كنت كما قلت فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير عليهم مادمت على ذلك قوله في هذا

ذكر السلام

الحديث المل قال الخطابي هو الرماد الحار وسيأتي الكلام على هذه اللفظة في باب الميم ان شاء الله تعالى ما اتقى الله عبد قطع رحمه وقطع كلمه ورحم الله عبدا أطاب كلامه وأطال سلامه وانتهى به الى البركات فبذلك تحصل له الحسنات المباركات كما روى عن عمران بن حصين قال كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجاء رجل فسلم فقال السلام عليكم فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عشر ثم جلس ثم جاء آخر فقال السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عشرون ثم جلس ثم جاء آخر وقال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ثلاثون خرجه النسائي رحمه الله وقال في حديث آخر وجاء آخر فزاد ومغفرته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعون وقال هكذا تكون الفضائل أو كما قال صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم وان انتهى الى ورحمة الله فحسن أيضا قد فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجه الترمذي عن أبي تميمة الهجيمي واسمه طريف بن مجالد عن رجل من قومه قال طلبت النبي صلى الله عليه وسلم فلم أقدر عليه فجلست فاذا نفر هو فيهم ولا أعرفه وهو يصلي بينهم فلما فرغ قام معه بعضهم فقالوا يا رسول الله فلما رأيت ذلك قلت عليك السلام يا رسول الله عليك السلام يا رسول الله عليك السلام يا رسول الله قال ان عليك السلام تحية الميت ثلاثا ثم أقبل علي فقال اذا لقي الرجل أخاه المسلم فليقل السلام عليكم ورحمة الله ثم رد علي النبي صلى الله عليه وسلم قال وعليك ورحمة الله وعليك ورحمة الله وعليك ورحمة الله * وبركة السلام كثيرة ألم تر أن عبد الله بن عمر كان يغدو الى السوق وما كان غدوه الا ليسلم ويسلم عليه فيذكر الله وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على صبيان فسلم عليهم ومن بركة السلام انك تسلم على الميت فيرد عليك وذكر أبو عمر بن عبد البر رحمه الله في الاستذكار من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام وقال فيه اسناده صحيح وقال ابن عباس رضي الله عنهما من سلم عشر مرات فله أجر عتق رقبة وكذلك لو ردا السلام وقد ورد في ردا السلام واين الكلام حديث جامع لمن حفظه وعمل به نافع وهو ما خرج أبو نعيم الحافظ في كتاب حلية الاولياء عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معاذ بن جبل

انطلق

انطلق فرحل راحلتك ثم ائتني أبعثك الى اليمن قال فانطلقت فرحلت راحلتي
ثم جئت فوقفت بباب المسجد حتى يأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ
بيدي ثم مشى معي فقال يا معاذ عليك بتقوى الله وصدق الحديث ووفاء العهد وأداء
الامانة وترك الخيانة ورحمة اليتيم وحفظ الجار وكظم الغيظ وخفض الجناح
وبذل السلام ولين الكلام ولزوم الايمان والتفقه في القرآن وحب الفكرة
والجزع من الحساب وقصر الأمل وحسن العمل واياك ان تشتم مسلما أو تكذب
صادقا أو تصدق كاذبا أو تعصي اماما عادلا يا معاذ اذكر الله عند كل حجر وشجر
وأحدث مع كل ذنب توبة السر بالسر والعلانية بالعلانية قلت هذا حديث ذكر
فيه انالة السلام ولين الكلام فمن استعمله ألان كلامه وأنال سلامه ولا أقل في الصلة
من السلام لاهل الاعدام وأما أهل الايسار فلا يسعهم الا الاكثار والله أعلم

(فصل تقدم ذكر البول) قد كره قوم ان يقول الرجل عوض بلت أرقت الماء | البول
وقالوا هذا كذب ليس بماء ولكنه بول ورووا عن أبي هريرة رضي الله عنه انه
قال لا تقل أهريق الماء ولكن قل أبول وسمع ابن عباس رضي الله عنهما رجلا
يقول أهريق الماء فقال لا تقل أهريق الماء ولكن قل أبول وأجاز ذلك قوم ورووا
عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه انه قال لابي ذر رحمه الله حين قدم مكة ليسلم
فادخله على النبي صلى الله عليه وسلم وقال له علي ادخل معي فان رأيت شيئا أخافه
عليك فاني أقوم كاني أريق الماء فاذهب أنت وجاء في حديث اسامة بن زيد ذكر
البول غير مكني ان النبي صلى الله عليه وسلم حين أفاض من عرفة اتى الشعب
فبال وفي تفسير الحديث قال عكرمة روى الحديث ولم يقل أراق الماء وأكثر
ما يكنى عن الغائط ويصرح بذكر البول كما جاء في الحديث في شأن القبلة نهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان تستقبل بغائط أو بول قلت وانما كني عنه والله أعلم لانه
لما كره مرآه كره النطق به وليس مرآى البول كذلك على انه قد جاء في الحديث
غير مكني عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم لينتهين أقوام يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا
انما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعل الذي يدهده الخرء
بأنفه ان الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء انما هو مؤمن تقي وفاجر
شقي كلهم بنو آدم وآدم من تراب وكما قال سلمان الفارسي رضي الله عنه وقيل
له علمكم نبيكم كل شئ حتى الخراءة فقال أجل لقد نهانا أن نستقبل القبلة بغائط

أو بول وان نستنجي باليمنى وذكر الحديث فذكر الخراءة وحسن هنا ذكرها على جهة الاغياء كما قال أبو ذر رضي الله عنه ولقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علماً صلى الله عليه وسلم وعلى آله وقال حذيفة رضي الله عنه قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الا حدث به حفظه من حفظه ونسيه من نسيه علمه أصحابي ألا وانه ليكون منه الشئ فأعرفه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه صلى الله عليه وسلم ورضي الله عن جميع العلماء الذين لم يغفلوا من العلم شيئاً حتى هذه اللفظة فانهم قالوا خرئ خراءة والاسم الخرء والمكان المخرأة بالقصر وقال أبو عبيد خرء الفأرة بالضم كذا رأيته بالضم وكذا وقع في كتاب تاج اللغة خرء الكلاب بالضم أيضاً ونوع مما تقدم من يعلم كل شئ حتى الخراءة ما روى ان رجلاً من بني بكر بن كلاب كان يعلم بني أخيه العلم فيقول لا فعلوا كذا وافعلوا كذا فثقل عليهم فقال له بعضهم قد علمتنا كل شئ وما بقي علينا الا الفعالة لا يكني فقال يا بني والله ما تركت ذلك من هوان بكم على اعلموا الضراء وابتغوا الخلاء واستدبروا الريح وخوّوا تخوية الظليم وامتشوا بأشملكم ذكره البكري وفسره الضراء هو ما وارى من الشجر ويقال خوّى الظليم اذا جافى بين رجليه ويديه وقوله امتشوا يريد امسحوا واستنجوا بأشمال أيديكم ولذلك سمي المنديل المشوش وانشد * نمش بأعراف الجياد أكفنا * البيت خرج البكري ما تقدم على قول أبي عبيدة في الامثال لا تفا كفأمه ولا تبل على أكمه والنهي عن البول على الاكمة خشية ان يرجع بوله عليه لانصبابها وان بال بأعلاها ردّت عليه الريح بوله ولذلك قال قبل هذا واستدبروا الريح والله أعلم قلت وما أحسن العلم وأفضل من اكتسى به وأنبل من جد في اكتسابه لا أقول في فن واحد بل في جل فنونه وكل عيونه ذكر ابن قتيبة ان الحسن بن علي رضي الله عنهما الما قدم على معاوية بالشام اشار عمرو بن العاص على معاوية ان يأمره ان يصعد المنبر فيتكلم على الناس والغرض ان يخجل فيخطئ فيعاب وأبى الله ان ينطقه الا بالصواب فلما صعد كان أول كلامه أن قال أيها الناس لو طلبتم ابناً لنبيكم من جابلص الى جابلق لم تجدوا غيري وغير أخي وان أدري لعله فتنة لكم ومتاع الى حين فساء ذلك عمرو وأراد أن يقطع كلامه فقال يا أبا محمد هل تنعت الخراءة قال نعم تبعد المشي في الارض

ابن حصاد

الصحيح حتى تتوارى من القوم ولا تستقبل القبلة ولا تستدبرها ولا تستنج بالروثة
ولا بالعظم ولا تبل فى الماء الراكد وأخذ فى كلامه رضى الله عنه وقد اعترى نوع
من هذا لواعظ كان يتكلم على الناس فسأله رجل وأراد ان يبكته عن صفة الغائط
وطعمه فقال على الفور ولم يتوقف سأل هذا السائل عن طعم العذرة صفة
نفسه القذرة فأقول طعمها أولا حلو دليله ان الذباب ينزل عليه ولا ينزل الا على حلو
ثم بعد ذلك حامض دليله ان البعوض ينزل عليه ثم بعد ذلك مر دليله ان لا يقرب
منه حيوان ومن كذبنى فليذقه ثم رجع الى كلامه رضى الله عنه وعن
العلماء (قلت) ومن ملح ما رأيت فى هذه اللفظة على شناعة ذكرها ما قال
عمر بن الخطاب لابى سفيان بن الحارث رضى الله عنهما خرج عبد بن حميد ان أبا
سفيان قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين عرض عليه الاسلام كيف أصنع بالعزى
فسمعه عمر رضى الله عنه من وراء القبة فقال له تخرأ عليها فقال له أبو سفيان
ويحك يا عمر انك رجل فاحش دعنى مع ابن عمى فاياه أكلم انتهى كلامهما رضى
الله عنهما تقدم ذكر الصاحبين الحسن وأبى سفيان رضى الله عنهما وأرضى وجعل
خدى لاخمص اقدامهما أرضا أما الحسن بن على فمكانه العلى وكلامه الذى أراد
عمرو ان يخجله ليخجله كان زائدا على ما فى الكتاب بعد ان حمد الله تعالى واثنى عليه
ثم قال أما بعد فان أكيس الكيس التقى واحمق الحمق الفجور وان هذا الامر
الذى اختلفت فيه أنا ومعاوية اما ان يكون حقه فهو أحق به منى واما ان يكون
هو حقا لى وقد تركته ارادة اصلاح الامة وحقن دمائها وآخر ما قال وان أدرى
لعله فتنة لكم ومتاع الى حين وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد
وعسى الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين فكان كما قال عليه السلام اصلح به بين
الناس ورفع عنهم الباس وقيل له فى ذلك فقال قد كانت جماجم العرب فى يدى
يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت فتركتها ابتغاء وجه الله تعالى وحقن
دماء أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومن فضله رضى الله عنه انه قال انى لأستحيى من
ربى ان ألقاه ولم أمش الى بيته فمشى عشرين مرة من المدينة على رجليه وقسم
ماله نصفين حتى تصدق بفرد نعله وفى رواية خرج الحسن من ماله مرتين وقاسم
الله تعالى ماله ثلاث مرات حتى ان كان ليعطى نعلا ويمسك نعلا ويعطى خفا
ويمسك خفا وكان آخر أمره ان مات شهيدا رحمه الله سقى السم حتى قتله حدث

عمير بن اسحاق قال دخلت انا ورجل على الحسن بن على رضى الله عنهما نعوده فقال يا فلان سلنى قال لا والله لا أسألك حتى يعافيك الله ثم أسألك قال قد ألقيت طائفة من كبدى وانى قد سقيت السم مرارا فلم أسق مثل هذه المرة ثم دخلت عليه من الغد وهو يجود بنفسه والحسين عند رأسه فقال يا أخى من تتهم قال لم لتقتله قال نعم قال ان يكن الذى أظن فالله أشد بأسا وأشد تنكيلا وان لم يكن فما أحب أن يقتل بى برىء ثم قضى وفى رواية لما احتضر قال أخرجونى الى الصحن لعلى أنظر فى ملكوت السماء يعنى الآيات فلما خرج قال اللهم انى أحتسب نفسى عندك فانها أعز الانفس على فكان مما صنع الله تعالى له ان احتسب له نفسه رضى الله عنه وأما أبو سفيان رضى الله عنه فكان رضيع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرضعتهما حليمة وكان آلف الناس له قبل النبوة لا يفارقه فلما نبئ كان أبعد الناس عنه وأهجاهم له واياه عنى حسان بن ثابت بقوله

الا أبلغ أبا سفيان عنى * مغلغلة فقد برح الخفاء

هجوت محمدا الابيات فلما أسلم كان أصح الناس ايمانا وألزمهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقال انه ما رفع رأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حياء منه رضى الله عنه وفيه قال النبى عليه السلام أبو سفيان خير أهلى أو من خير أهلى وله قال النبى عليه السلام أنت يا أبا سفيان كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا وقيل بل قالها لابى سفيان بن حرب والاول أصح ومات أبو سفيان بن الحارث رضى الله عنه بالمدينة فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقال عند موته لا تبكين على فانى لم أنطق بخطيئة منذ أسلمت ومات من ثؤلول كان فى رأسه حلقه الحلاق له فى حج فقطعه مع الشعر فنزف دم منه واسمه المغيرة وقيل بل اسمه كنيته والمغيرة أخوه قال القتيبى اخوته المغيرة ونوفل وعبد شمس وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب نقلت أكثر هذا من كتاب الصحابة لابن عبد البر وكان أبو سفيان هذا يشبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يشبهه أيضا جعفر بن أبى طالب والحسن بن على وقثم بن العباس والسائب بن عبيد وكان أبو سفيان من الشعراء المطبوعين وله مقطوعات من شعر يبكى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم منها

أرقت فبات ليلى لا يزول * وليل أخى المصيبة فيه طول

وأسعدنى البكاء وذاك فيما * أصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت * عشية قيل قدمات الرسول
وأضحت ارضه مما عراها * تكادبها جوانبها تزول
فقدنا الوحي والتنزيل فينا * يروح به ويغدو جبرئيل
وذلك أحق ماسالت عليه * نفوس الناس أوكادت تسيل
نبي كان يجلوالشك عنا * بما يوحى اليه ومايقول
ويهدينا فلانخشى ضلالا * علينا والرسول لنا دليل
أفاطم ان جزعت فذلك عذر * وان لم تجزعي ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

أسلم أبو سفيان هذا يوم الفتح قال له علي بن أبي طالب ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل وجهه فقل له ماقال اخوة يوسف ليوسف تالله لقد آثرك الله علينا وان كنالخاطئين فانه لا يرضى أن يكون احد أحسن قولا منه ففعل ذلك أبو سفيان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين مات رضي الله عنه بعد أخيه نوفل بأربعة أشهر الا ثلاث عشرة ليلة سنة عشرين وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالمدينة وقد حفر قبر بنفسه قبل أن يموت بثلاثة أيام ذكره هذا كله أبو عمر رحمه الله *(فصل تقدم قوله تعالى وتله للجبين والجبين الجبهة والوجه في الآية أحسن لانه جاء في التفسير انه قال لابيه يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شئ من دمي فتراه أمي فتحزن وانزع هذا الثوب الذي علي لئلا يصيبه الدم وكفني فيه وأسرع مر السكين على حلقي ليكون الموت أهون علي واقذفني للوجه لئلا تنظر الى وجهي فترحمني ولئلا انظر الى الشفرة فأجزع واذا أتيت أمي فأقرئها مني السلام وكان حينئذ بن ثلاث عشرة سنة فلما جر ابراهيم السكين ضرب الله عليه صفيحة من نحاس فلم تعمل السكين شيئا ثم ضرب به على جبينه وجر في قفاه فلم تعمل شيئا قال ابن عباس كبه على جبهته فنودي يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا فالتفت فاذا بكبش وهو الذبح العظيم كان قد رعى في الجنة أربعين سنة وقيل فدى بوعل قال ابن عباس كان ذبح الكبش بالشأم وقال مجاهد معنى عظيم كبير متقبل واختلف في الذبيح فقيل اسحاق وقيل اسماعيل فمن قال اسماعيل احتج بقول معاوية بن أبي سفيان كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه اعرابي

قصة الذبح وتعيين الذبيح

فتكلم فقال فى كلامه يا ابن الذبيحين فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكره قال معاوية فالذبيح الاول اسماعيل والثانى عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصته مع أبيه عبد المطلب وهذا هو الاصح لانه قال تعالى بعد ان فدى ابنه من الذبح وبشرناه باسحاق وقال من جعله اسحاق انما بشر بأن يكون نبيا من الصالحين والله أعلم بما أراد من ذلك وجواب لما عند البصريين محذوف ٣ وهو عند الكوفيين تله والواو عندهم زائدة صلة فى الكلام والله أعلم واختلف العلماء فى سبب رؤيا ابراهيم عليه السلام حين أمر بذبح ولده فقيل انه ادعى المحبة ثم التفت الى الولد فلم يرض حبيبه محبة مشتركة فأمر بذبح الولد ليرجع عن محبته فتكون المحبة خالصة لله عز وجل فلما فرغ قلبه عن محبة ولده ووطن نفسه على ذبحه وتشمر لذلك نودى يا ابراهيم لم يكن المراد ذبح ولدك انما المراد تخلية قلبك عن كل محبة سوى محبتنا فلما رددت قلبك بكليته الينا رددنا ولدك عليك وقيل كان سبب ذلك انه كان عليه السلام يعرج به كل ليلة الى السماء وهو قوله تعالى وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض فعرج به ذات ليلة فاطلع على مذنب مصر على فاحشة فقال اللهم أهلكه يأكل رزقك ويمشى على أرضك ويخالف أمرك فأهلكه الله فاطلع على آخر فقال اللهم أهلكه فنودى كف عن عبادى رويدا رويدا فانى طالما رأيتهم عاصين فلما أهبط رأى فى المنام ما ذكره الله تعالى حيث يقول انى أرى فى المنام أنى أذبحك فلما تشمر لذلك وأخذ السكين بيده قال اللهم هذا ولدى وثمرة فؤادى وأحب الناس الى فسمع قائلا يقول أما تذكر الليلة التى سألتنى اهلاك عبدى أوما تعلم انى رحيم بعبادى كما أنت شفيق بولدك فاذا سألتنى اهلاك عبدى أسألك ذبح ولدك واحدا بواحد والبادى أظلم ذكر هذا كله الفقيه الحافظ أبو منصور نصر بن منصور بن مهران الهمدانى الكوفى رحمه الله فى تفسير قصة يوسف عليه السلام وتقدم اللات قال ابن عباس رضى الله عنهما اللات رجل كان يلت السويق بالسمن عند صخرة ويصب عليها فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة اعظاما لصاحب السويق قاله المهدوى وقال غيره زعموا ان عمرو ابن لحى لما غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة لانه كان يطعم الناس ويكسوهم فى المواسم فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة وكسا عشرة آلاف حلة حتى قيل انه اللات الذى كان يلت

٣ قال البيضاوى تقريره كان ما كان مما ينطق به الحال ولا يحيط به المقال من استبشارهما وشكرهما الله على ما أنعم اه

خبر اللات

السويق الى الحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذى كان
يلت كان من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو انه لم يمت ولكن دخل فى الصخرة
ثم أمرهم بعبادتها وان يبنوا عليها بيتا يسمى اللات ويقال دام أمره وأمر
ولده من بعده ثلثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة التاء
واتخذت صنما يعبد وعمرو بن لحى هذا هو أوّل من سيب السائبة ونصب النصب
وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم رأيته يؤذى أهل النار بريح قصبه وعمرو هذا هو
أوّل من أدخل الاصنام أرض العرب قدم بهبل من مآرب من أرض البلقاء
فنصبه فى الكعبة وأمر الناس بعبادته ثم صار أمر اللات الى أن بنيت بيتا يعبده
أهل الطائف وهم ثقيف ويسترونه بالثياب ويهدون له الهدى ويطوفون حوله
ويسمونه الربة يضاهون به بيت الله الحرام بمكة فلما قدم وفد ثقيف على رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعد ان فتحت مكة يريدون الصلح وتيقنوا انهم لا طاقة لهم بقتال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم عليه منهم بضعة عشر رجلا من اشرافهم فيهم
كنانة وعبد ياليل وكان رئيسهم يومئذ كرابن اسحاق عبد ياليل هذا وقال فيه هو ناب
القوم وصاحب أمرهم وقد تقدّم ناب وفسر انه السيد فرض عليهم النبى صلى الله
عليه وسلم الاسلام فقالوا له أرأيت الزنا فانا قوم نغترب ولا بدّ لنا منه قال هو عليكم
حرام قالوا فالربا فانه أموالنا كلها قال والربا حرام ولكم رؤس أموالكم قالوا فالخمر
فانها عصير ارضنا ولا بدّ لنا منها قال ان الله قد حرمها وتلى عليهم بذلك كله قرآنا فقالوا
أرأيت الربة ماذا نصنع فيها قال اهدموها قالوا هيهات لو تعلم الربة انك تريد هدمها
قتلت أهلها فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ويحك يا عبد ياليل ما أحمقك انما
الربة حجر قالوا انا لم نأتك يا ابن الخطاب ثم قالوا يا رسول الله تول أنت هدمها فأما نحن
فلا نهدمها أبدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سأبعث اليكم من يكفيكم
هدمها فرجعوا الى بلادهم وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم رسه وفيهم
المغيرة بن شعبة وأمر عليهم خالد بن الوليد رضى الله عنه فلما قدموا عليهم عمدوا
الى اللات ليهدموها وانكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج
العوائق من الحجال وهم لا يرون انها تهدم ويظنون انها ستمتنع فقام المغيرة بن
شعبة فأخذ الكرزين وقال لاصحابه لأضحكنكم من ثقيف فضرب بالكرزين
ثم أخذ يرتكض فارتج أهل الطائف بصيحة واحدة وقالوا أبعد الله المغيرة قد

الكرزين فاس كبير

قتلته الربة وفرحوا حين رأوه ساقطا وقالوا من شاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها فوالله لا تستطاع أبدا فوثب المغيرة فقال قبحكم الله يا معشر ثقيف انما هي لكاع حجارة ومدر ثم ضرب الباب فكسره ثم علا على سورها وعلا الرجال معه فما زالوا يهدمونها حجرا بعد حجر حتى سووها بالارض وجعل صاحب المفاتيح يقول ليغضبن الاساس فليخسفن بهم الارض فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد دعني احفر أساسها فحفروا حتى أخرجوا ترابها وأخذوا حليها وثيابها وكسوتها فقدموا به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه من يومه وحمدوا الله عز وجل على نصر نبيه واعزاز دينه وذكر ابن اسحاق ان الذي أرسل مع المغيرة أبو سفيان بن حرب وهو كان الامير والله أعلم * وأما العزى فكانت نخلات مجتمعات أخبرهم عمرو بن لحي أن الرب يشتي بالطائف ويصيف بالعزى فعظموها وبنوا لها بيتا وأهدوا لها كما يهدون الى الكعبة وكان آخر أمرها ان بعث اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه فهدمها * ومما يحسن ذكره هنا من حديث اللات والعزى من سرعة الجواب واصابة المعنى ما يروى ان قريشا قالت قيضوا لابي بكر رجلا يأخذه فقيضوا له طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم فقال يا أبا بكر قم الي فقال الام تدعوني قال أدعوك الى عبادة اللات والعزى فقال أبو بكر من اللات والعزى قال بنات الله قال فمن أمهم فسكت طلحة وقال لاصحابه أجيبوا صاحبكم فسكتوا فقال طلحة قم يا أبا بكر فاني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله فأخذ أبو بكر بيده فأتى به النبي صلى الله عليه وسلم ونوع من حديث أبي بكر مع طلحة رضي الله عنهما حديث ذي الكفل مع ملك كان في زمانه كان أهله يعبدونه من دون الله تعالى قال له ذو الكفل تزعم انك اله أفاله من تملكه أنت أو اله جميع الخلق فان كنت اله من تملك فان لك شريكا فيما لا تملك وان كنت اله جميع الخلق فمن الهك قال فمن الهي قال اله السموات والارض * تقدم ذكر طلحة بن عبيد الله وهو احد العشرة المشهود لهم بالجنة وهو من المهاجرين الاولين ولما أسلم على يد أبي بكر كما تقدم عدا عليهما عثمان بن عبيد الله أخو طلحة وكان له قرن في الجاهلية فقرنهما بحبل فلذلك سميا القرينين ويقال ان الذي عدا عليهما هو نوفل بن خويلد وهو ابن العدوية والله أعلم وكان طلحة هذا أحد المياسير كانت غلته كل يوم ألف دينار وافية وكنى أبا محمد قتل شهيدا رضي الله عنه فدفن بقنطرة قرة فرأته

ابنته عائشة بعد موته بثلاثين سنة في المنام انه يشكو اليها النزفأمرت به فاستخرج طريا فدفن في داره بالبصرة فقبره هنالك مشهور وكان اخراجه من قبره بعد ثلاثين سنة ولا يستغرب هذا فان حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حين حفر معاوية العين وجد صحيحا لم يتغير وأصابت الفاس اصبعه فدميت وانظر حديثه في الموطأ وتزوج عائشة هذه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنه ثم تزوجها مصعب بن الزبير فأعطاها ألف درهم ومن مواليه مسلم بن يسار أحد العلماء وكان لا يفضل عليه أحد في زمانه وكان يقول اني لا كره ان امس فرجي بيميني وأنا أرجو ان آخذ بها كتابي وكان لا يلعن شيئا فاذا غضب على البهيمة قال أكلت سماقا ضيارضي الله عنه وعن جميعهم وجزاهم خيرا على صنيعهم وقد فعل مثل مافعل مسلم هذا من كان أفضل منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه قال مابلت قائما منذ اسلمت ولا مسست فرجي بيميني ومثله ماروى عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال مامسست فرجي بيميني منذ بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ولو لم يكن هذا فقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يمس الرجل ذكره بيمينه وهو يبول ولا يتمسح من الخلاء بيمينه وعن عائشة رضي الله عنها قالت كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم اليمنى لطهوره وطعامه وكانت يده اليسرى لخلائه وما كان من أذى فالموفقون من أرباب الحقائق قد استعملوا هذه الطرائق وألفوا هذه الخلائق ولقد جعلت بالى لهذه الاعمدة التي في الابواب لا تجد الذكر منها الا من جهة الشمال لبيتنا وله الذي يفتحه بشماله وان كان من حديد فان اسمه ذكر والذي ركبه أولا في الباب كان فقيها أو أمره عالم موفق بذلك وضع الاشياء مواضعها واعطى لكل ذي حق حقه وأقام الوزن بالقسط لقوله عليه الصلاة والسلام كلكم راع وكل راع مسؤل عن رعيته فالامام الذي على الناس راع وهو مسؤل عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤل عنهم والمرأة راعية على بيت بعلها وولدها وهي مسؤلة عنهم والعبد راع على مال سيده وهو مسؤل عنه ألا فكلكم راع ومسؤل عن رعيته قلت فان لم يكن للانسان أهل ولا مال ولا كان واليا على أحد ولا له من يلي عليه فان له جوارح هو راع لها ومسؤل عن رعيتها كاليدين والرجلين والعينين والاذنين فعليه أن يرعاها ولا يستعملها الا فيما ينبغي كما ينبغي وهنا يحتاج الى العلم ليقدم

من يجب تقديمه ويؤخر من يستحق التأخير ويؤتي كل ذي حق حقه فلا يستنجي باليمين ولا يأكل بالشمال ولتكن اليمنى للفضائل واليسرى للرذائل ألم تسمع قول عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التيامن ما استطاع في ترجله اذا ترجل وفي انتعاله اذا انتعل وفي طهوره اذا تطهر وفي شأنه كله كذلك وقد تقدم قولها كانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وكذلك أمر عليه السلام أمته فقال اذا انتعل أحدكم فليبدأ باليمين واذا خلع فليبدأ بالشمال ولتكن اليمنى أولها تنعل وآخرها تنزع والحكم في ذلك ان اليمنى أفضل واللباس أفضل من التعري فيبدأ بالزينة للأفضل أولا وبتركها من زينة آخرا ومراعاة هذا القدر وان دق هو من اقامة الوزن بالقسط وكذلك يفعل في دخول المسجد يبدأ بادخال رجله اليمنى فيه لانه أفضل من الزقاق فيدخل الافضل في الافضل واذا خرج يبدأ بالشمال فأخرجها أخرج الادون الى الادون وترك الافضل في الافضل وبضد ذلك في دخول الخلاء يدخل الشمال قبل لانها الادون الى الادون واذا خرج قدم الافضل في الخروج الى الارض التي ليست موضع الخلاء لانها أفضل ولهذا يحتاج العلم فيستعمله صاحبه فيكون طول عمره في عبادة يأكل ويشرب ويلبس وينام ويتصرف وحسناته تكتب *(فصل تقدم الاحتكار)* وجاء في بعض الاخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الاحتكار في عشرة أشياء في البر والشعير والتمر والزبيب والذرة والسمن والعسل والجبن والجوز والدخن وقد ذكر أبو الحسن علي بن مهدي الطبري في كتاب المجالس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من تمنى الغلاء على أمتي ليلة واحدة أحبط الله عمله أربعين سنة وفيه أن محتكر الطعام يحشر مع قتلة الانبياء عليهم الصلاة والسلام وذكر عن الحسن أنه قال من تربص بطعام أربعين يوما يريد الغلاء ثم تصدق به لم يكن ذلك كفارة لما صنع وقال الحسن المحتكر ملعون ينقص من عقله ويزاد في وسوسته في صلاته نقلت هذا من شرح الشهاب لابي القاسم بن ابراهيم الوراق رحمه الله ومنه أيضا ان المسور بن مخرمة رضي الله عنه احتكر طعاما كثيرا فرأى سحابا من الخريف فكرهه فقال ما أراني الا قد كرهت ما ينتفع به المسلمون من جاءني وليته كما اشتريته فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأرسل فيه فقال يا أمير المؤمنين كان من أمري كذا

فآليت أن لا أربح فيه شيئا فقال له عمر جزاك الله خيرا وتقدم ما بين لابتيها وانه لا يقال ذلك الا فى المدينة وفى الكوفة سمع رجل بالبصرة شبيب بن شيبة يقول فى حديث السقط انه يظل محبنظئا على باب الجنة بالظاء المنقوطة فقال له الرجل أخطأت انما هو بالطاء قال الراجز

انى اذا استنشدت لا أحبنطى * ولا أحب كثرة التمطى

فقال له شبيب أتلحننى وما بين لابتيها أفصح منى فقال له الرجل وهذه لحنة أخرى أو للبصرة لابتان انما اللابتان للمدينة والكوفة ومعنى المحبنطى المتغضب المتكره يقال منه رجل حبنطأ وحبنطأة سمين ضخم البطن والمحبنطى يهمز ولا يهمز وهو الممتلى غيظا اخرج الخطابى عن ابن دريد قال أبو زيد قلت لاعرابى ما المحبنطئ قال المتكأكئ قلت ما المتكأكئ قال المتآزف قلت ما المتآزف قال اذهب فأنت أحمق *(فصل وتقدم قوله تعالى ألست بربكم قالوا بلى)* وهذا القول والاشهاد حقيقة أعنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم لانه روى ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده فاستخرج منه من هو مولود الى يوم القيامة كهيئة الذر فقال يا آدم هؤلاء ذريتك أخذت عليهم العهد بأن يعبدونى ولا يشركوا بى شيئا وعلى رزقهم قال نعم يارب فقال الله تعالى ألست بربكم قالوا بلى فقال للملائكة اشهدوا فقالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين الى قوله بما فعل المبطلون هذا كله من قول الملائكة ومعنى أن تقولوا لئلا تقولوا كما قال تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أى لئلا تضلوا وقال ابن عباس رضى الله عنهما أشهد بعضهم على بعض فالمعنى على هذا قالوا بلى شهد بعضنا على بعض كى لا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فيوقف على القول الاول على بلى ولا يحسن الوقف عليه على الثانى وفى بعض الروايات أنهم أجابوا الله بالتلبية فقالوا أطعناك لبيك اللهم لبيك فأعطيها آدم عليه السلام فى المناسك *(فصل فيما ورد فى هذا الفصل من اللغات)* تقدم الضيون وهو السنور الذكر والجمع الضياون واحذر أن يصحف الضيون بالضيزن فتخزن وتحزن والضيزن الذى يزاحم أباه فى امرأته وأصله الذى يزاحمك عند الاستقاء فى البئر وضيزن اسم صنم والضيزن الشريك والضيزن الحاس نقلته من تاج اللغة وتقدم فى الاخبار عن الفقيه أبى محمد حذقه بالادب أصل الحذق القطع يقال حذقت الحبل

أحذقه بفتح الذال اذا قطعته قال الشاعر * يكاد منه نياط القلب يحذق * ومنه قيل خل حاذق أى قاطع من شدته وعتقه ومنه قيل حذق الغلام القرآن أى قطع العمل عنه فهو حاذق وقال أبو عبيد الحذاق الفصيح اللسان البين اللهجة والفعل منه حذق يحذق حذقا وحذقا وحذاقة وحذاقا وقد حذق يحذق لغة وقد حذقت الحبل أحذقه اذا قطعته بالفتح لا غير كما تقدم خرج ذلك كله ثابت فى حديث [illegible] عن أبى مسعود انه اشترى جوزا بأربعة دراهم فأنهبه على ابن له فى حذاق أو ختان قال غيره والحذيق المقطوع أيضا وأنشد

أنور أشرع ماذا يا فروق * وحبل الوصل منتكث حذيق

ويقال لليوم الذى يختم فيه الغلام القرآن هذا يوم حذاقه ويقال فلان فى صنعته حاذق باذق وهو اتباع له والحاذق القاطع كما تقدم قال أبو ذؤيب

يرى ناصحا فيما بدا واذا خلا * فذلك سكين على الحلق حاذق

وتقدم اليفن وهو الكبير والصغير وهو من الاضداد فاذا قلت شيخ يفن فهو الكبير واذا قلت صبى يفن فهو الصغير قال الاعشى

وما ان أرى الدهر فيما مضى * يغادر من شارف أو يفن

والساحب الذيل الرفن وهو الذى يجر أذياله من الخيلاء ويوصف به الفرس الطويل الذيل ويقال فيه أيضا رفل باللام وهو مما يتعاقب فيه النون مع اللام وله نظائر سترى منها كثيرا فى باب النون ان شاء الله وتقدم فى الشعر * أضر شئ على الانسان خصيته * قال ثابت فى الدلائل قال يعقوب يقال فى الواحد خصية وخصية وقال أبو عبيدة خصية ولم أسمع خصية وسمعت خصياه ولم يقولوا خصى للواحد وقال غيره ربما حذفوا الهاء من بعض الكلام فى التثنية وأقاموا زيادة التثنية مقام الهاء المحذوفة فيقولون لدان تثنية لدة وأليان تثنية ألية وخصيان تثنية خصية قال الراجز

قد حلفت بالله لا أحبه * ان طال خصياه وقصر زبه

وأنشد كأنما عطية بن كعب * ظعينة واقفة فى ركب

ترتج ألياه ارتجاج الوطب

وربما حذفوا الهاء وجعلوا المضاف اليه عوضا من الهاء قال الشاعر

بان الخليط بليلى منك فانجردوا * وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا

أرادعدة الامر ومثله * قام ولاها فسقوه صرخدا * أراد ولاتها قال ثابت وقد جاء عن بعضهم خصيتان وأورد حكاية قال بسنده ان فتى من أهل الكوفة أتى حمادا الراوية فعرض عليه شعرا قاله فقال له ليس هذا بشعرك انما اجتلبته فقال لا والله انه لشعري قال فان كان شعرك فاهجني وكان حماد ضخم البطن فتنحى الفتى ناحية ثم رجع اليه فقال قد قلت قال هات فأنشأ يقول

سيعلم حماد اذا ما هجوته * أكنت اجتلبت الشعر أم أنا شاعر

ألم تر حمادا تقدم بطنه * فجاوز منه ما تجن المآزر

فليس يرى خصيتيه ولو حنى * لركبته ما دام للزيت عاصر

فقال له حماد أشهد انه شعرك قال أبو عمرو الخصيتان البيضتان والخصيتان الجلدتان اللتان فيهما البيضتان وينشد

كان خصييه من التدلدل * ظرف عجوز فيه ثنتا حنظل

أراد فيه حنظلتان وقوله في الشعر المتقدم ولو حنا معناه انحنى واكب وفي الموطأ في شأن اليهوديين المرجومين قال فرأيت الرجل يحنى على المرأة يقيها الحجارة وفسر معنى يحنى يكب عليها وقال الشاعر وبدلتني بالشطاط الحنا * وتقدم البحتر القصير ومثله في القصر الجعبر والدحدح ويقال أيضا في هذا دحداح ودحداحة وكذلك الجحدر والحنبل والجحذر والكهمس والأصمع القصير الاذن والنفاش القصير الناقص وذكره الخطابي في حديث النبي صلى الله عليه وسلم انه مر برجل نفاش فخر ساجدا ثم قال أسأل الله العافية وفسره بما تقدم وقال قال النضر بن شميل يقال رجل نفاش أي قصير وملطي وهو فوق النفاش وسئل رجل من أهل اللغة عنه وكان قصيرا ففطن ان السائل يعرض به فقال هو أقصر مني ولم يزده على ذلك ويقال لكل شئ من الطير والهوام اذا خف وتحرك من مكانه فقد تنفش قال ذو الرمة يصف القردان

اذا سمعت وطء المطي تنفشت * حشاشتها في غير لحم ولا دم

وأما الطوال فالمشعان وجاء في الحديث فاذا رجل مشعان يسوق غنما والعطبول ومن صفة النبي صلى الله عليه وسلم ليس بعطبول ولا قصير ويقال رجل عطبول وامرأة عطبول سواء والمشذب الطويل ووصف هند بن أبي هالة النبي صلى الله عليه وسلم فقال كان أطول من المربوع واقصر من المشذب والمغط أيضا الطويل

الفاب القصار والطوال

مبحث الثريا

ومنه في صفة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن بالطويل الممغط * وتقدم ذكر الثريا ولعلك لا تدري مكبرها يقال للمال الكثير ثرى على فعيل وفي حديث أم زرع وأراح علي نعماً ثرياً ومنه قيل رجل ثروان وامرأة ثروى وتصغير ثروى ثريا وبذلك سميت المرأة قال صاحب كتاب تاج اللغة ويقال للثريا النجم معرفا بالالف واللام وسواء نجم وفي القرآن العظيم والنجم اذا هوى قال مجاهد والثريا اذا سقطت مع الفجر وقيل والقرآن اذا نزل وقيل المراد بالنجم النجوم اذا سقطت يوم القيامة وقيل في قوله تعالى النجم الثاقب انه الثريا وقيل زحل ومعنى الثاقب المضيء وقيل العالي وأما في قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان فقيل نجم السماء وقيل النجم ما لا ساق له والشجر ماله ساق وسجودهما دوران ظلهما وسمي النجم من نجم اذا طلع وظهر ومنه نجم ثدي المرأة وضده أنجم بالالف معناه استتر قال الشاعر

فسد الزمان فلا رشاد ناجم * بين الانام ولا ضلال منجم

وتقدم الفرأ وهو الحمار الوحشي قال البطليوسي رحمه الله يمد و يقصر والاشهر القصر وجمعه فراء مثل جبل وجبال قال الشاعر

بضرب كآذان الفراء فضوله * وطعن كايزاغ المخاض تبورها

أي تختبرها ومن قصر الفرا احتج بقولهم في المثل أنكحنا الفرا فسترى ومعنى قوله كل الصيد في جوف الفرا أن من اصطاد شيئاً من الصيد كائناً ما كان فانه صغير بالنسبة للفرا فكأنه في جوفه ومن صاد الحمار الوحشي فكأنه صاد جميع الصيد

* (فصل من الملح أيضا) * تقدم الوثاب قال ابن قتيبة قال ابن أبي عتيق لرجل ما اسمك قال وثاب قال فما اسم كلبك قال عمرو فقال واخلافاه ويروى أن الشعبي قال كذلك لرجل ما اسمك قال وردان قال وما اسم حمارك قال عمران فقال واخلافاه وتقدم القائلة وأنشدني الخطيب أبو محمد عبد الوهاب لنفسه وكتب به ملغزا الى بعض الاصحاب

قل للفتى اللوذعي * محمد بن علي * ما قائل ولعمري

ما ان يفوه بشي * وانه لمصيب * بذلك قول النبي

فأجابه المكتوب اليه

يا من يرى سيبويه * يحار بين يديه

نوم الهواجر تعني * بما أشرت اليه * ومن ينم لا يفدما * خاط الكرام قلتيه *

أراد الفقيه وفقه الله وانه لمصيب بذلك قول النبي عليه السلام قيلوا فان الشياطين

لا تقيل ومن القائلة أيضا حديثه عليه السلام في ذكره في القيامة من هول يحشر الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسي معهم حيث أمسوا وفي الحديث أيضا من مات غدوة فلا يقيلن الا في قبره ومن مات عشية فلا يبيتن الا في قبره وتقدم تلتلة ومقلوبها التلتلة

بني أخرجت من تلتله * خبيثا وما ان تفطنت له
فان قلت ماهو فاعلم بأن لتلتة عكسها تلتله
فان قلت أخرجت شيئا عظيما * تلهى وتهزأ قل لا تله
فان الاديب الموفق لا * يضيع من أدب خردله
وقد قيل في مثل قبل ذا * تقدم ما خاب من قصد له

ومن الملح أيضا أخرت فيه القول لان فيه ذكر البول كان الفقيه أبو محمد عبد الوهاب رحمه الله من أظرف الناس وأعلاهم وأحسنهم خلقا وأحلاهم فكان يتصرف في حاله بيده في حفير وزبير وغير ذلك وأنا كذلك فقلت له يوما ربما أحفر فأرى حيوانا في الارض فأكره أن أدفنه في التراب فقال لي وأنا يعتريني ذلك فأقول له تبوأ وأترك ذلك الموضع ثم أرجع اليه فأجده قد ذهب فصنعت أنا ذلك أيضا فوجدت مرة ضفدعا في موضع فقلت له كذلك ثم عدت الى الموضع فوجدته في موضعه فأزحته عن مكانه فوجدت موضعه مبلولا وهذا شأنه أبدا فقلت أخاطبه انما قلت لك تبوأ ولم أقل لك تبول فذكرت الخبر لابي محمد رحمه الله فضحك على ذلك وقال لي أساء سمعا فأساء جابة لعلك أن تقول يا قارئ هذا السخف مثل هذا يعلق في الصحف فانظر أيها الحر ما يجيء بعد من الدر قوله رضي الله عنه أساء سمعا فأساء جابة هذا المثل ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله وقال هكذا تحكى هذه الكلمة بغير ألف وذلك لانه اسم موضوع يقال أجابني فلان جابة حسنة واذا أرادوا المصدر قالوا أجاب اجابة بالالف انتهى كلامه وقال أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري في فصل المقال في شرح كتاب الامثال قال أبو عمرو المطرز ناديت فلانا فأجابني اجابة وجوابا وجابة وجيبة وجيبا فالجابة اسم للجواب كالطاعة والطاقة فاذا أردت المصدر قلت اجابة والطاعة والطاقة قال الشاعر

وما من تهتفين به لنصر * بأسرع جابة لك من هذيل

وقال أبو العتاهية فنظم هذا المثل

اذا ما لم يكن لك حسن فهم * أسأت اجابة فأسأت سمعا

ولست الدهر متسعا لفضل * اذا ما ضقت بالانصاف ذرعا

وقد ذكر الزبير فيما ثبت عنه فى الكتاب ان المثل لسهيل بن عمرو وذكر خبره قال ابن درستويه أصل الجابة من قولهم جاب يجوب البلاد اذا قطعها طوافا لأن الجواب هو ما يرجع الى السائل ومنه جواب الأخبار وقولهم هل من جائبة خبر وهى الواحدة من الجوائب التى تئوب وترجع

خرجت من شئ الى غيره * من واحد لاثنين زد ثالثا

لكنه علم ولو أننى * أحلف فيه لم أكن حانثا

باب الجيم مع أختيها الحاء والخاء

وأج وأج وأح وأخ * وأخ واخ وجل وجل

أما أج تقول أج الظليم يئج أجا اذا سمعت حفيفه فى عدوه وكذلك أجيج الكير من حفيف النار ومنه قول الشاعر يصف ناقته * تئج كما أج الظليم المفزع * والظليم ذكر النعام والحفيف الصوت وكذلك حفيف الماء صوت جريه واما أج فصدر أج تقول سمعت أجة القوم يعنى حفيف مشيهم واختلاط كلامهم وكذلك تقول أجت النار أجيجا وائتج الحر والأجاج الماء المر أو الملح كما قال تعالى وهذا ملح أجاج وقراءة طلحة بن مصرف هذا ملح بفتح الميم وكسر اللام أراد مالح فحذف الالف ويقال للماء الملح ماج وقد أج يئج مؤوجة وقال الجوهرى موج الماء يموج مؤوجة فهو مأج اذا صار أجاجا والمأج الاحمق المضطرب كان فيه ضوى (ع) ويقال ماء ملح وسمك مالح وقد قيل فى الماء أيضا مالح والأفصح ملح وفى حديث موسى عليه السلام مع الخضر حين سأل السبيل الى لقيه فقيل له تزود حوتا مالحا خرجه مسلم والملح والملح الرضاع كما قال الشاعر * وانى لأرجو ملحها فى بطونكم * وسيأتى أكثر من هذا ويقال فى وج أج وهى أرض الطائف قال يعقوب فى كتاب الامثال ويقال له وج بالواو وهو المشهور قال أمية بن أبى الصلت

ان وجا وما يلى بطن وج * دار قومى بربوة ورتوق

فى الحديث ان آخر وطأة وطئها الرب بوج معناه آخر غزوة وآخر وقعة كانت

بارض

بأرض العرب بوج لانها آخر غزوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل غير هذا وهذا أحسن والله أعلم وان كانت آخر غزواته صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك فانما أراد الروم وقال فى هذا الحديث بوج وهى آخر غزواته للعرب صلى الله عليه وسلم ويأجوج ومأجوج قبيلة من قرأهما بالهمز فاشتقاقه من أج الحر كما تقدم ومن لم يهمزهما جاز أن يكون من يجج ومجج وجاز أن يكونا أعجميين وجاء فى السيرة ان على بن أبى طالب رضى الله عنه انطلق بالراية يأج وفى غير رواية ابن اسحاق يؤج ومعناه يسرع يقال أجت الناقة تؤج اذا أسرعت فى مشيها ومن رواه يأنح فهو من الأنيح وهو علو النفس يقال أنح يأنح أنوحا اذا تأذى من مرض أو بهر فتنحنح ولم يئن وقال غيره فى مصدره أنحا وأنيحا وأنوحا وقوم أنح مثل راكع وركع واسم الفاعل آنح وفى حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه رأى رجلا يأنح ببطنه فقال ماهذا فقال بركة من الله تعالى فقال بل هو عذاب عذبك الله به وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه

لاطائش رعش ولا * ذو علة بالحمل آنح

وأما أح فحكاية تنحنح أو توجع وأح الرجل اذا ردد التنحنح فى حلقه وأح أيضا يؤح أحا اذا سعل قال الشاعر

ما أبتغى سب اللئيم القح * يكاد من تنحنح وأح * يحكى سعال الشرق الأبح *

وتقول سمعت لفلان أحة وأحاحا وأحيحا اذا رأيته يتوجع من غيظ أو حزن وفى قلبه أحاح وأحيح ومنه اشتقاق أحيحة بن الجلاح قال الشاعر الراجز

* يطوى الحيازيم على احاح * والاحاح العطش والاحاح أيضا الغيظ والاحاح والأحيحة والاحة الطعن والحيازيم جمع حيزوم وهو ما اشتملت عليه الاضلاع من الصدر والوحوحة الصوت والوحواح الحديد النفس والوحوحة أيضا صوت الذى يصيبه البرد وهو أن يقول أح أح يقال سمعت له وحاوح ووحوحة أيضا وكذلك تقول سمعت له قعقعة وزقزقة ومنه الحديث مالك ترزقين وقد تقدم وجاء فى كتاب الاصوات لابن السكيت يقال للتيس بس بس وللبقر وح وح وأما أخ مثقل وأخة فلغة لبعض العرب فى الأخ المخفف ذكر ذلك ابن الكلبى والمستعمل المخفف كما قال الله عز وجل وله أخ أو أخت ولكن قد روى أبو بكر بن أبى أويس عن نافع انه قرأ الأخ مثقلا اذا كان معرفا بالالف واللام وقال

الشاعر فى الاخ وان لم يكن من القدماء فهو من الحكماء

احصب الناس على * ما كان فيهم وتوخى
كل ذى عقل ودين * فاتخذه لك أخا

وهذا الشاعر هو ابراهيم الشامى رحمه الله ومن معنى البيت الأخيخة وهو حساء رقيق من دقيق بزيت أو سمن قال الراجز

يصفر فى أعظمه المخيخه * تجشؤ الشيخ عن الأخيخه

شبه صوت مصه العظام التى فيها المخ بجشاء الشيخ لانه مسترخى الحنك وسيأتى الكلام فى المخ وأما المخ بالحاء غير المعجمة فهو صفرة البيض وجمع أخ اخوان واخوة واخوة واخاء وتأخيت الرجل اتخذته أخا وآخيته وواخيته لغة ويجوز أن تصنع بأخ ماصنعت بأب وقد تقدم فتقول فى تثنيته أخان وفى جمعه أخون كما قال الشاعر

وكان بنو فزارة شر قوم * وكنت لهم كشر بنى الأخينا

ويجمعه أيضا اخوة عن الفراء والاخوات أكثر ما استعمل فى الاصدقاء قال الله تعالى اخوانا على سرر متقابلين والاخوة فى الولادة وقد جاء فى ان الاخوة اثنان على مذهبهم ان الاثنين جماعة قال الله تعالى فان كان له اخوة قال العلماء هم الاثنان فما فوق وهذا أيضا على حد قولهم نحن فعلنا ونحن صنعنا يقوله الاثنان فما فوق نعم والواحد العظيم وقد تقدم وأصل أخ أخو لانه جمع على آخاء مثل أب وآباء فالذاهب منه واو والنسبة اليه أخوى وللاخت كذلك لانك تقول أخوات وقال يونس أختى وليس بقياس والأخية عود يعرض فى الحائط تشد اليه الدابة والجمع أواخى ومنه حديثه عليه الصلاة والسلام مثل المؤمن والايمان كمثل الفرس فى أخيته يجول ثم يرجع الى أخيته وان المؤمن يسهو ثم يرجع الى الايمان فسره أبو عبيد رحمه الله قال الاخية العروة التى تشد بها الدابة وتكون فى وتد أو سكة مثبتة فى الارض وقال غيره يقال أخية وأخون وجمعها أخايا وأخاوين وأواخى قال والاخية أيضا الحرمة والذمة تقول فعلت ذلك به لأواخى وأسباب تدعوله * وأما أخ فكلمة تقال عند التأوه قال ابن دريد وأحسبها محدثة قد جاءت فى الشعر الذى فيه * لاخير فى الشيخ اذا ما اجلخا * وسيأتى وفيه * وقال للوصل الغوانى أخا * ومعنى اجلخ سقط حاجباه على عينيه من الكبر وأما اخ فان ابن دريد قال يقال للجمل اخ ليبرك ولا يقولون أخخت الجمل انما يقولون

أنخته قال (ع) نخخت الابل اذا زجرتها فقلت لها اخ اخ والنخ من الزجر للابل يقال نخها ونخ بها وهو السوق الشديد وأنشد

أكرم أمير المؤمنين النخا * فالنخ لم يبق لهن مخا

والنخ بالضم ان تناخ النعم قريبا من المصدق وأنخه والنخة الحمر وجاء من هذا الحديث ليس فى النخة صدقة والنخ أيضا بالضم بساط طويل جمعه نخاخ وجاء من هذه اللفظة فى الحديث من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لجمله أو ناقته اخ اخ انتهى *(فصل من الفوائد)* قد تقدم فى على بن أبى طالب رضى الله عنه انه انطلق بالراية يأنج وكان هذا الفعل منه يوم خيبر اذ أرسل اليه النبى صلى الله عليه وسلم فجاء وهو أرمد فتفل فى عينيه النبى صلى الله عليه وسلم فبرئ قال فما وجعت عينه حتى مضى لسبيله قال وكان يلبس القباء المحشو الثخين فى شدة الحر فلا يبالى الحر ويلبس الثوب الخفيف فى شدة البرد فلا يبالى البرد وسئل عن ذلك فأخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا له يوم خيبر حين رمدت عينه أن يشفيه الله وأن يجنبه الحر والبرد فكان ذلك وإذ ذاك قال لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه رضى الله عنه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم وتقدم ذكر يأجوج ومأجوج وانها قبيلة وقع فى كتاب الطاعة لعلى بن معبد رحمه الله بسنده الى جبير بن نفيل قال ان يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف صنف طولهم كالأرز وصنف طولهم وعرضهم سواء وصنف يفترش الرجل اذنه ويلتحف الأخرى فتغطى سائر جسده وعن حسان بن عطية رضى الله عنه قال يأجوج ومأجوج أمتان كل أمة أربعمائة ألف ليس منها أمة تشبه الأخرى وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال الأرض ستة أجزاء خمسة فيها يأجوج ومأجوج وجزء فيه سائر الخلق اه وهم من ولد يافث ابن نوح عليه السلام وعن ارطاة بن المنذر قال هم ذر جهنم ما كان منهم صديق قط وفيما قرأته بالاسكندرية على الحافظ رحمه الله بالاسناد المتصل الى حذيفة رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن يأجوج ومأجوج فقال يأجوج أمة ومأجوج أمة كل أمة أربعمائة ألف لا يموت الرجل حتى ينظر الى ألف ذكر بين يديه من صلبه كلهم قد حملوا السلاح قلت يارسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز قلت وما الأرز قال شجر بالشأم

طول كل شجرة عشرون ومائة ذراع في السماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الذين لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترش اذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير الا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشأم وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية وذكر أبو عبيد البكري أن الذي وجهه الواثق بالله الى السد سأل من هناك هل رأوا أحدا من يأجوج ومأجوج فذكروا انهم رأوا مرة منهم عددا فوق شرف السد مقدار الرجل منهم في رأى العين شبر ونصف ثم هبت ريح سوداء فألقتهم الى ناحيتهم وسيأتي ذكر السد في تفسير ألفاظ القرآن عند قوله تعالى زبر الحديد في باب الراء والزاي ان شاء الله تعالى وتقدم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في جملة أوناقه اخ اخ خرجه البخاري عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أخت عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم وزوج الزبير بن العوام رضي الله عنهم وأسوقه هنا بسندي اعظاما لما فيه من العلم وصنيع الله تعالى بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتعريف بحالهم أولا وآخرا ولأطرز به هذا الكتاب لعل الله تعالى ينفع به الكاتب والجامع والقارئ والسامع قرأت على الشيخ الفقيه الحافظ أبي عبد الله محمد بن ابراهيم المعروف بابن الفخار رحمه الله تعالى قال حدثني الفقيه الامام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي رحمه الله قال حدثني أبي عن أبي عبد الله بن منظور عن أبي ذر قال أبو ذر أخبرنا أبو محمد الحموي وأبو اسحاق المستملي وأبو هاشم الكشميهني عن الفربري عن الامام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري رضي الله عنه قال حدثني محمود قال حدثني أبو أسامة قال حدثنا هشام قال أخبرني أبي عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت تزوجني الزبير وماله في الارض من مال ولا مملوك ولا شئ غير ناضح وغير فرس فكنت أعلف فرسه وأسقي الماء وأخرز غربه وأعجن ولم أكن أحسن الخبز وكان يخبز لي جارات من الانصار وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي وهي مني على ثلثي فرسخ فجئت يوما والنوى على رأسي فلقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الانصار فدعاني ثم قال اخ اخ ليحملني خلفه فاستحييت ان أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد استحييت فمضى

اسماء بنت أبي بكر زوج الزبير وبعض سيرتها

بحثت الزبير فقلت لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رأسي النوى ومعه نفر
من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك فقال والله لحملك النوى
كان أشد علي من ركوبك معه قالت حتى أرسل الي أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني
سياسة الفرس فكأنما أعتقني هذا كان أمر الزبير أولا ثم انظر ما كسب بعد
ذلك من المال وما أنفق في سبيل الله وفي وجوه البر وما أفاء الله عليه في غزواته مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم خرج
البخاري بسنده الى عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وأمه هي أسماء ابنة أبي بكر
المتقدمة الذكر قال عبد الله لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني فقمت الى جنبه فقال
يا بني انه لا يقتل اليوم الا ظالم أو مظلوم واني لا أراني الا سأقتل اليوم مظلوما وان
من أكبر همي لديني أفترى ديننا يبقي من مالنا شيئا فقال يا بني بع مالنا واقض ديني
وأوصى بالثلث وثلثه لبنيه يعني لبني عبد الله بن الزبير يقول ثلث الثلث فان فضل
من مالنا فضل بعد قضاء الدين فثلثه لولدك قال هشام وكان بعض ولد عبد الله قد وازى
بعض بني الزبير خبيب وعباد وله يومئذ تسعة بنين وتسع بنات قال عبد الله فجعل
يوصيني بدينه ويقول يا بني ان عجزت عن شئ منه فاستعن عليه بمولاي قال فوالله
ما دريت ما أراد حتى قلت يا أبت من مولاك قال الله قال فوالله ما وقعت في كربة
من دينه الا قلت يا مولى الزبير اقض عنه دينه فيقضيه فقتل الزبير ولم
يدع دينارا ولا درهما الا أرضين منها الغابة وأحد عشر دارا بالمدينة ودارين
بالبصرة ودارا بالكوفة ودارا بمصر قال وانما كان دينه الذي عليه ان الرجل كان
يأتيه بالمال فيستودعه اياه فيقول الزبير لا ولكنه سلف فاني أخشى عليه
الضيعة وما ولي امارة قط ولا جباية خراج ولا شيئا الا أن يكون في غزوة مع النبي
صلى الله عليه وسلم أو مع أبي بكر وعمر وعثمان قال عبد الله بن الزبير فحسبت
ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف قال فلقي حكيم بن حزام عبد الله
ابن الزبير فقال يا ابن أخي كم على أخي من الدين فكتمه وقال مائة ألف قال حكيم
والله ما أرى أموالكم تسع لهذه فقال له عبد الله أفرأيتك ان كان ألفي ألف
ومائتي ألف قال ما أراكم تطيقون هذا فان عجزتم عن شئ منه فاستعينوا بي قال
وكان الزبير اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة
ألف ثم قام فقال من كان له على الزبير حق فليوافنا بالغابة فأتاه عبد الله بن جعفر

وكان له على الزبير اربعمائة ألف فقال لعبد الله ان شئتم تركتها لكم فقال عبد الله لا فقال ان شئتم جعلتها فيما تؤخرون ان أخرتم فقال عبد الله لا قال فاقطعوا لى قطعة قال عبد الله لك من هاهنا الى هاهنا قال فباع منها فقضى دينه فأوفاه وبقى منها أربعة أسهم ونصف فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة فقال معاوية بكم قومت الغابة قال كل سهم مائة ألف قال كم بقى قال أربعة أسهم ونصف قال المنذر قد أخذت سهما بمائة ألف وقال عمرو بن عثمان قد أخذت سهما بمائة ألف وقال ابن زمعة قد أخذت سهما بمائة ألف فقال معاوية كم بقى قال سهم ونصف قال قد أخذته بخمسين ومائة ألف قال وباع عبد الله ابن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف قال فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه قال بنو الزبير اقسم بيننا ميراثنا قال والله لا أقسم بينكم حتى أنادى بالموسم أربع سنين ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه قال فجعل كل سنة ينادى بالموسم فلما مضى أربع سنين قسم بينهم قال وكان للزبير أربع نسوة ودفع الثلث فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف قلت ذكر فى هذا الحديث وما ولى امارة قط قد ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الامارة ولكنه مات وعليه من الدين ثمانية وعشرون ألف ألف يأكل منها خبيصا ولا لبس منها قميصا بل كانت جبته مرقعة بالجلود وباب منزله من الجريد لكنه أنفق هذا المال فى سبيل الخير لا غير فلما فرغت حياته وحانت وفاته قال لابنه عبد الله ولابنته حفصة رضى الله عنهما انى قد أصبت من مال الله شيئا وانى أحب ان ألقى الله عز وجل وليس فى عنقى منه شئ فبيعا فيه حتى تقضياه فان عجز عنه مالى فسلا فى بنى عدى فان بلغ والا فلا تعدوا قريشا فباع عبد الله من معاوية دار عمر التى يقال لها دار القضاء بالمدينة وباع ماله بالغابة فقضى دينه فلذلك قيل لداره دار القضاء رضى الله عنه وقد فعل مثل هذا من هو فوقهما أبو بكر الصديق رضى الله عنه قال لابنته عائشة رضى الله عنها انظرى يابنية فما زاد فى مال أبى بكر منذ ولينا هذا الأمر فرديه على المسلمين فوالله ما نلنا من أموالهم الا ما أكلنا فى بطوننا من جريش طعامهم ولبسنا على ظهورنا من خشن ثيابهم فنظرت فاذا بكر وجردة قطيفة لا تساوى خمسة دراهم وحبشية فلما جاء بها الرسول الى عمر قال له عبد الرحمن بن عوف ياأمير المؤمنين أتسلب هذا ولد أبى بكر قال كلا ورب الكعبة لا يتأثم بها أبو بكر

فى حياته وأتحملها من بعد موته رحم الله أبا بكر لقد كلف من بعده تعبا ومعنى تأثم طرح الاثم عن نفسه وقد تقدم شرح ذلك * انظر رحمك الله هذه الأخبار بعين الاعتبار وكيف كانت سيرة القوم ومعاملاتهم وأماناتهم ودياناتهم هذا كله ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ودعائه لهم بالخير كما دعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة وكان قدم المدينة وليس عنده شئ فقال دلونى على السوق وحديثه مشهور وقيل له ما سبب يسارك قال ثلاث مارددت ربحا قط ولا طلب منى حيوان فأخرت بيعه ولا بعت بنسأة ويقال انه باع ألف ناقة بربح عقلها باع كل عقال بدرهم قال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بعد دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو رفعت حجر الرجوت ان أصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته بالفوس حتى كلت فيه الايدى وأخذت كل زوجة ثمانين ألفا وكن أربعا وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها فى مرضه على نيف وثلاثين الفا وأوصى بخمسين ألفا هذا كله بعد صدقاته الفاشية العميمة وعوارفه العظيمة أعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شئ فتصدق بها وبما عليها وبأقتابها وأحلاسها * ويروى عن قتادة قال ذكر لنا أن عبد الرحمن ابن عوف جاء بنصف ماله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هذا نصف مالى وتركت نصفه لعيالى فدعا له النبى عليه السلام أن يبارك الله له فيما أعطى وفيما أمسك زاد فى الرقائق ثم تصدق بأربعين ألف دينار ثم حمل على خمسمائة فرس فى سبيل الله ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة فى سبيل الله وذكر أبو عمر رحمه الله أن النبى صلى الله عليه وسلم حض يوما على الصدقة فأتى عبد الرحمن بن عوف بنصف ماله أربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار واتى عاصم بن عدى بمائة وسق من تمر فلمزهما المنافقون وقالوا هذا رياء وجاء أبو عقيل بصاع تمر فقال مالى غير صاعين نقلت بهما الماء على ظهرى حبست أحدهما لعيالى وجئت بالآخر فقال المنافقون وتضاحكوا به ان الله لغنى عن صاع أبى عقيل فنزلت الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم وكان طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه من المياسير قال عمرو بن العاص رضى الله عنه ان ابن الصعبة يعنى طلحة ترك مائة بهار كل بهار ثلاثة قناطير ذهبا واذ وقعنا فى هذا الباب فاسمع مافيه تلقيح للالباب

خرجت من اج فهو يؤج اجا * ومن يأجوج والملح الاجاج
وتصريفي لذلك واشتقاقي * لغات ذكرها للقلب راج
فالآن أمد باعي باتباعي * لسبل الجود في سبل الفجاج

قد يستحسن الكلام في ذكر الكرام وان كانت طريقهم اليوم قفرا مابها أنيس ففي المرور بالذكر عليها للقلوب تأنيس وللنفوس تنفيس لا تلفى في ارتيادي للأنفس من فعال الناس الأعلى والانفس فصفات الجود له تثبت وتدرس وصفات البخل تنسى وتدرس * الاجواد في الجاهلية ثلاثة حاتم بن عبد الله وهرم ابن سنان وكعب بن مامة ولكل واحد منهم مكارم واخبار ولا حاجة لنا في ذكرها الاعلى جهة الاعتبار اذ أربابها كفار وسكان النار فلنذكر أجواد الاسلام سكان دار السلام أما الصحابة رضي الله عنهم فأجودهم على التحقيق أبو بكر الصديق رضي الله عنه أتى بماله كله صدقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك لنفسه ثمن درهم وأما عمر رضي الله عنه فأتى بنصف ماملك ولم يتلبس بشئ من الدنيا حين ملك حتى هلك وقلت

ذكر الاجواد

وقد فتحت عليه كنوز كسرى * وجبته ترقع بالجلود
خطام بعيره من حبل ليف * ومسكنه بباب من جريد

وهذان البيتان من قصيد لي مطول يزيد على المائة انظره في التكميل هذا والله هو الزهد ومبلغ الجهد وسيأتي من ذكره وفضائله في هذا الكتاب كثير ان شاء الله تعالى وأما عثمان رضي الله تعالى عنه فجهز جيش العسرة وهي غزوة تبوك انفق فيها فيما قال ابن هشام ألف دينار وقال قتادة حمل في جيش العسرة على ألف بعير الا خمسين فكملها بخمسين وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم اللهم ارض عن عثمان فاني عنه راض رضي الله عنه وارضاه وقال فيه أيضا وقد أتى بدنانير في غزوة تبوك ماعلى عثمان ماعمل بعد هذا وروى عن عبد الرحمن بن سمرة جاء عثمان بألف دينار في كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها في حجره قال فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره و يقول ماضر عثمان مافعل بعد اليوم مرتين واشترى بئر رومة وكانت ركية ليهودي يبيع للمسلمين ماءها بالمدينة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين يضرب بدلوه في دلائهم وله بذلك مشرب في الجنة فأتى اليهودي فساومه بها فأبى أن يبيعها كلها فاشترى

نصفها باثني عشر ألف درهم فجعله للمسلمين فقال عثمان ان شئت جعلت على نصفي قرنين وان شئت فلي يوم ولك يوم فكان اذا كان يوم عثمان استقى الناس ما يكفيهم يومين فلما رأى ذلك اليهودي قال لعثمان افسدت على ركيتي فاشتر النصف الآخر فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف درهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم من يزيد في مسجدنا فاشترى عثمان رضي الله عنه موضع خمس سواري فزاده في المسجد وفيه يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان عثمان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين وفيه قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما في قوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قال هو عثمان بن عفان رضي الله عنه وبلغ من شدة حيائه انه كان يكون في البيت والباب عليه مغلق فما يضع عنه الثوب ليفيض عليه الماء فيمنعه الحياء ان يقيم صلبه وسيأتي في باب الميم من ذكر الحياء من هذا النوع كثير ان شاء الله تعالى وهذه بعض فضائل عثمان صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم الحائز منتهى المنى وغاية السؤل بما أنفق من المال الجزيل في كل وجه جميل من البر والسبيل وأما علي رضي الله عنه فمكانه علي وشرفه سني أول من دخل في الاسلام وزوج فاطمة عليها السلام بنت النبي صلى الله عليه وسلم وقد نظم في أبيات المفاخرة وذكر فيها ما آثره حين فاخره بعض عداه ممن لم يبلغ مداه فقال رضي الله عنه يفخر بحمزة عمه وبجعفر ابن أمه رضي الله عن جميعهم

محمد النبي أخي وصهري * وحمزة سيد الشهداء عمي
وبنت محمد بيتي وعرسي * منوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها * فأيكم له سهم كسهمي
وجعفر الذي يمسي ويضحي * يطير مع الملائكة ابن أمي
سبقتكم الى الاسلام طفلا * صغيرا ما بلغت أوان حلمي
وأوجب لي الولا حقا عليكم * رسول الله يوم غدير خم

يريد بذلك قوله عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ولما ولي الخلافة كان يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقى فيه شيئا ثم يرشه ويقيل فيه وفي رواية ثم يصلي فيه رجاء ان يشهد له يوم القيامة ويتمثل بهذا البيت

هذا جناى وخيره فيه * اذ كل جان يده الى فيه

وكان يقول اذا نظر الى مافيه من الذهب والفضة ابيضى واصفرى وغرى غيرى انى واثق من الله بكل خير وقدم عليه مال من أصبهان فقسمه سبعة أسباع وكان فيه رغيف فقسمه سبعة كسر وجعل على كل جزء كسرة ثم أقرع بينهم أيهم يأخذ أولا وفضائله رضى الله عنه لاتحصى ومن يعد الحصى وجوده وكرمه أكثر من ان يعد وفضله أكبر من أن يحد فن جوده وفضله انه عمل خصلتين لم يعملهما أحد قبله احداهما انه لما أنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا اذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدى نجواكم صدقة أشفق المسلمون من ذلك وشق عليهم لضعف مقدرة كثير منهم عن الصدقة فعمد على رضى الله عنه فتصدق بدينار وناجى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رحم الله المسلمين ونسخ ذلك عنهم بقوله تعالى أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات فهذه آية نسخها العلى ولم يعمل بها غير على رضى الله عنه وكان سبب نزول الآية ان المسلمين كانوا يكثرون المسائل على النبى صلى الله عليه وسلم حتى شقوا عليه فأراد الله التخفيف عنه فكف كثير من الناس ثم وسع الله عليهم بالآية التى بعدها قاله ابن عباس وقيل نزلت بسبب ان المنافقين واليهود كانوا يناجون النبى عليه السلام ويقولون انه أذن يسمع كل ماقيل له وكان لايمنع أحدا من مناجاته فكان ذلك يشق على المسلمين فلما أنزل الله ذلك انتهى أهل الباطل عن النجوى لانهم لم يقدموا بين يدى نجواهم صدقة وشق ذلك على المسلمين لضعف مقدرتهم كما تقدم فخفف الله عنهم بالآية الناسخة والله أعلم والخصلة الأخرى التى لعلى وحده رضى الله عنه انه أعطى مسكينا خاتما من فضة وهو رضى الله عنه راكع فأنزل الله تعالى فى ذلك الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون قال مجاهد والسدى رضى الله عن جميعهم قيل خرج النبى صلى الله عليه وسلم ومسكين يسأل فى المسجد فسأله عليه الصلاة والسلام هل أعطاك أحد شيئا قال نعم قال ماذا قال خاتم من فضة قال من أعطاكه قال ذلك الرجل القائم فاذا هو على بن أبى طالب رضى الله عنه فكبر رسول صلى الله عليه وسلم عند ذلك ونزلت الآية بدأت بذكر الاربعة الخلفاء الكرام الشرفاء الذين قال فيهم الشاعر ذو الوفاء

خيار الناس بعد المصطفى المفضال ذو اللسن

أبو بكر أبو حفص * أبو عمرو أبو الحسن

رضى الله عن جميعهم وقد تقدم حديث عبد الرحمن بن عوف والزبير وما أنفقا فى وجوه البر وسبل الخير ومنهم من جاد بأكثر من المال وهى النفس التى لها يكسب المال كما قال الشاعر

يجود بالنفس اذ ضن الجواد بها * والجود بالنفس أقصى غاية الجود

قال بعض العلماء هذا أمدح بيت قالته الشعراء وكذلك الصحابة رضى الله عنهم من عدم منهم المال الذى هو فى الحقيقة كالآل جاد بالنفس فى الجهاد الذى هو أفضل الاعمال ولى فيهم رضى الله عن جميعهم

أولئك قوم أتلفوا مهجاتهم * لاحياء دين الله بالطعن والضرب
بكل طويل من رماح ردينة * وكل حسام مرهف ذكر عضب
على كل محاص من انسال أعوج * يمر كمر الريح فى أثر السحب
غيوث اذا أعطوا ليوث اذا التقوا * معانون منصورون بالرهب والرعب

ذكر أجواد الزهاد

من شعر لى طويل وهو فى حقهم قليل ان أردته انظره فى التكميل ومن أجواد الزهاد من اذا أعطى آثر غيره حدبا على فقره وغيره مثل عائشة رضى الله عنها وجه اليها معاوية رضى الله عنهم مائة ألف درهم ففرقتها فى يومها وان درعها المرقوع وقالت لها الخادم وكانت صائمة لو اشتريت لنا لحما بدرهم فقالت لو ذكرتينى فعلت * فعلت هذا رضى الله عنها طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أوصاها فقال ان أردت اللحوق بى فعليك بعيش الفقراء واياك ومخالطة الاغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعيه وتمادت على فعلها الى ان ماتت رضى الله عنها أخرج البخارى عن أيمن الحبشى قال دخلت على عائشة وعليها درع قطن ثمنه خمسة دراهم فقالت ارفع بصرك الى جاريتى انظر اليها فانها تزدهى ان تلبسه فى البيت وقد كان لى منه درع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كانت امرأة تقين بالمدينة الا أرسلت الى تستعيره وقد فعل مثل فعل عائشة رضى الله عنها ابراهيم التيمى دفع اليه ستون ألفا وكان عليه دين وبه حاجات فأخرجها من يومه فعوتب فى ذلك فقال كرهت ان أمحو اسمى من ديوان الفقراء بستين ألفا ويروى عن سعيد بن عامر بن حذيم لما بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه واليا على حمص اشتدت فاقته حتى تحدث الناس بفقره فبلغ ذلك عمر فأرسل اليه بأربعمائة دينار وكتب اليه يعزم عليه لينفقها على نفسه وأهله فلما قرأ الكتاب اهتم هما شديدا حتى تبين ذلك

عليه فقالت له امرأته نفسي فداك مالي أراك مهتماً أبلغك موت أمير المؤمنين قال أعظم من ذلك فقالت أبلغك عن ثغور المسلمين شئ قال أعظم من ذلك قالت وما هو قال ابتليت بالدنيا وقد كنت صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أبتل بها وصحبت أبا بكر فلم أبتل بها وابتليت بها في صحبة عمر الا فشر أيامي أيام عمر قالت وماذا لك بأبي أنت وأمي قال اني أخاف قالت اياي تعني قال نعم قال فأذنت آمن من هذا قال بلغت أمير المؤمنين أو رسل الي بأربعمائة دينار وعزم علي أن أنفقها علي وعليك واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا والله ما أحب أن لي حمر النعم واني أحبس عن الفوج الاول قالت قد ونكها فاصنع بها ما شئت فقال هل من خرق فأعطته درعاً لها خلقا فزقه خرقا ثم صر فيه ما بين أربعة الى عشرة ثم طرحها في مخلاة ثم خرج الى باب الرستق من حمص فجعل يعطى الناس صرة صرة حتى بقيت صرة في المخلاة فدفعها والمخلاة الى رجل ثم رجع فذهب عنه واستراح * وذكر أبو نعيم الحافظ رحمه الله في كتابه الحلية قال خالد بن معدان استعمل علينا عمر بن الخطاب بحمص سعيد بن عامر بن حذيم الجمحي فلما قدم عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمص قال يا أهل حمص كيف وجدتم عاملكم فشكوه اليه وكان يقال لاهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال قالوا نشكو أربعا لا يخرج الينا حتى يتعالى النهار قال أعظم بها قال وماذا قالوا لا يجيب أحدا بليل قال وعظيمة قال وماذا قالوا له يوم من الشهر لا يخرج فيه الينا قال وعظيمة قال وماذا قالوا يغط الغطة بين الأيام حتى تأخذه موتة قال فجمع عمر بينهم وبينه وقال اللهم لا يفيل فيه رأيي اليوم ما تشكون منه قالوا لا يخرج الينا حتى يتعالى النهار قال والله ان كنت لأكره ذكره ليس لاهلي خادم فأعجن عجيني فأجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزي ثم أتوضأ ثم أخرج اليهم فقال ما تشكون منه فقالوا لا يجيب أحدا بالليل قال ما يقولون قال ان كنت لأكره ذكره اني جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل قال وما تشكون قالوا ان له يوما من الشهر لا يخرج الينا فيه قال ما يقولون قال ليس لي خادم يغسل ثيابي ولا لي ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم ألبسها ثم أخرج اليهم آخر النهار قال وما تشكون منه قالوا يغط الغطة بين الايام قال ما يقولون قال شهدت مصرع خبيب الانصاري وقد بضعت قريش لحمه

ثم حملوه على جذعه ثم قالوا أتحب أن محمدا مكانك فقال والله ما أحب انى فى أهلى وان محمدا يشك بشوكة ثم نادى يا محمد فاذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته فى تلك الحالة وانا مشرك لا أومن بالله العظيم الا ظننت ان الله لا يغفر لى بذلك الذنب أبدا. قال فتصيبنى تلك الغنطة فقال عمر الحمد لله الذى لم يفل رأيى فيك فبعث اليه بألف دينار وقال استعن بها على فقرك فقالت امرأته الحمد لله الذى أغنانا عن خدمتك فقال لها فهل لك فى خير من ذلك ندفعها الى من يأتينا أحوج ما يكون اليها قالت نعم فدعا رجلا من أهله يثق به فصرها صررا شديدا ثم قال انطلق بهذه الى أرملة آل فلان والى يتيم آل فلان والى مسكين آل فلان والى مبتلى آل فلان فبقيت منها ذهبية فقال أنفق هذه ثم عاد الى عمله فقالت ألا تشترى لنا خادما ما فعل ذلك المال قال سيأتيك أحوج ما تكونين اليه كذا رواه حسان وأبو خالد بن معدان وشبيه بقصة سعيد هذا أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب الى أهل حمص اكتبوا الى فقراءكم فكتبوا اليه أسماء الفقراء وذكروا فيهم عمير بن سعيد وكان واليا عليهم فلما قرأ اسمه قال من عمير بن سعيد قالوا أميرنا قال أوفقير هو قالوا ليس أهل بيت أفقر منه قال فأين عطاؤه قالوا يخرجه كله لا يمسك منه شيئا قال فوجه اليه بمائة دينار فأخرجها كلها فقالت له امرأته لو كنت حبست لنا منها دينارا واحدا فقال لو ذكرتينى فعلت ذكر هذه الحكايات أبو طالب رحمه الله فى باب الزهد من كتابه *وذكر من زهد عيسى ابن مريم عليه السلام انه وضع تحت رأسه حجرا فكأنه لما ارتفع رأسه من الارض استراح بذلك فعارضه ابليس فقال يا ابن مريم أليس تزعم انك قد زهدت فى الدنيا قال نعم قال فهذا الذى قد وطأته تحت رأسك من أى شئ هو قال فرماه عيسى بالحجر وقال هذا لك مع ما تركت من الدنيا ثم وضع رأسه على التراب وقد كان من الزهاد من لا يأخذ اذا أعطى * أمر بعض الامراء لأحد الفقراء بعطاء فقال لا حاجة لى به قال فنجرى عليك ما يكفيك طول عمرك قال له يا أمير المؤمنين أنا وأنت فى عيال الله تبارك وتعالى فمحال أن يذكرك وينسانى وهذا رأس الزاهدين رسول رب العالمين اختار الفقر على الغنى والضيق على السعة وكان من دعائه عليه السلام اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكينا واحشرنى فى زمرة المساكين فقالت عائشة لم يا رسول الله قال انهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا يا عائشة لا تردى المسكين ولو بشق تمرة يا عائشة أحبى المساكين

وقربهم فان الله يقربك يوم القيامة خرجه الترمذي وقال عن أبي هريرة يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام وقال حديث صحيح وخرج أيضا قال قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله اني لأحبك فقال انظر ماذا تقول فقال والله اني لأحبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فأعدّ للفقر تجفافا فان الفقر أسرع الى من يحبني من السيل الى منتهاه وفى الخبر ما اتضع امرؤ لآخر يريد عرض الدنيا الاذهب ثلثا دينه وقالت عائشة رضي الله عنها ماشبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز شعير يومين متتابعين حتى قبض وكان عليه الصلاة والسلام لا يدّخر شيئا لغد رواه أنس رضي الله عنه وقال ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا أكل خبزا مرققا حتى مات وعن سهل بن سعد قال ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النقي حتى لقي الله فقيل له هل كانت لكم مناخل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كانت لنا مناخل قيل فكيف كنتم تصنعون بالشعير قال كنا ننفخه فيطير ماطار ثم نثريه فنعجنه ولذلك كان أبوذر رضي الله عنه يقول للصحابة أنا أقربكم مجلسا يوم القيامة من النبي صلى الله عليه وسلم قيل وكيف ذلك قال انه قال أقربكم مني مجلسا يوم القيامة من تركته على حال فلم يتغير عنها وكلكم قد تخلل الشعير غيري فأقرب الناس من النبي صلى الله عليه وسلم أقربهم من الله وأقربهم من الله ومن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسبقهم بالخيرات وأغرب من هذا ماخرج مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت انا كنا ننظر الى الهلال ثم الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ان هو الا الأسودان التمر والماء ومما قرأته على الحافظ رحمه الله بسنده الى بلال رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا قال قلت كيف لي بذلك يارسول الله فقال اذا رزقت فلا تخبأ واذا سئلت فلا تمنع قال قلت كيف لي بذلك يارسول الله قال هو ذاك والا فالنار وتجشأ رجل عنده فقال له عليه الصلاة والسلام كف عنا جشاءك فان أكثر الناس شبعا في الدنيا أطولهم جوعا في الآخرة أو كما قال * يروى ان أبا جحيفة قال فما أكل أبو جحيفة ملء بطنه حتى فارق الدنيا كان اذا تغدى لا يتعشى واذا تعشى لا يتغدى ومن بعض فضائل أبي سعيد الحسن بن أبي الحسن الكثير الخوف والحزن القليل النوم والوسن كان رحمه الله له كلام حرّ يشبه الدرّ يشفي من الضر ويبرى من

قوله نثريه أي نصب عليه الماء

العز وحق ذلك له فانه ارتضع ثدي أم سلمة رضي الله عنها ونفعه بالبركة التي نال منها حدث عوف بن أبي جميلة الاعرابي قال كان الحسن ابنا لجارية لام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فبعثت أم سلمة جاريتها في حاجتها فبكى الحسن بكاء شديدا فرقت عليه أم سلمة فأخذته فوضعته في حجرها وألقمته ثديها فادرّ عليه فشرب منه فكان يقال ان المبلغ الذي بلغه الحسن من الحكمة بذلك اللبن الذي شرب من أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وممن وصفه بالحزن علقمة بن مرثد رحمه الله قال أما الحسن بن أبي الحسن فما رأينا أحدا من الناس كان أطول حزنا منه ما كنا نراه الا انه حديث عهد بمصيبة وكان يقول نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا فقال لا أقبل منها شيئا ويحك يا ابن آدم هل لك بمحاربة الله طاقة انه من عصى الله فقد حاربه والله لقد أدركت سبعين بدريا أكثر لباسهم الصوف لو رأيتهم قلت مجانين ولو رأوا أخياركم قالوا ما لهؤلاء من خلاق ولو رأوا شراركم لقالوا ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب ولقد رأيت أقواما كانت الدنيا أهون على أحدهم من التراب تحت قدميه ولقد رأيت أقواما يمسي أحدهم ولا يجد عنده الا قدر ما يكفيه فيقول لا أجعل هذا كله في بطني لأجعلن بعضه لله عز وجل فيتصدق ببعضه وان كان هو أحوج ممن تصدق عليه زاد غيره والله لقد أدركت أقواما ما طوى لأحدهم في بيته ثوب قط ولا أمر في أهله بصنيعة طعام قط وما جعل بينه وبين الارض شيئا قط وان أحدهم ليقول وددت اني آكل أكلة تصير في جوفي مثل الآجرة قال ويقول بلغنا أن الآجرة تبقى في الماء ثلثمائة سنة ولقد أدركت أقواما ان كان أحدهم ليرث المال العظيم قال وانه لمجهود شديد الجهد قال فيقول لاخيه يا أخي اني قد علمت ان ذا ميراث وهو حلال ولكني أخاف أن يفسد علي قلبي وعملي فهو لك لا حاجة لي فيه قال فلا يرزأ منه شيئا أبدا زاد غيره والله لقد صحبنا أقواما كانوا يقولون ليس لنا في الدنيا حاجة ليس لها خلقنا وكان يقول أدركت سبعين من الاخيار ما لأحدهم الا ثوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الارض ثوبا قط قال وكان اذا أراد النوم باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه ثم ذكر تفاوت الزاهدين ولأي شئ زهدوا فقال منهم من زهد حياء من الله تعالى ومنهم من زهد خوفا من الله ومنهم من زهد رجاء موعود الله ومنهم من زهد مسارعته لامر الله ومنهم من زهد حبا لامر الله ومنهم من زهد حبا لله وهو أعلاهم وأدناهم من زهد

مخافة لطول الوقوف ومناقشة الحساب كما قيل ذو الدرهم يوم القيام أشد حسابا من ذي الدرهم وان طريق المقربين لا يسلكه من ملك من الدنيا زوجين من شئ وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه لا يصيب عبد من الدنيا شيئا الا نقص من درجاته عند الله وان كان عند الله كريما وقيل له رضي الله عنه توفى فلان فقال رحمه الله قيل له يا أبا عبد الرحمن ترك مائة ألف فقال لكن هي لم تتركه وسمع رجلا يقول أين الزاهدون في الدنيا الراغبون في الآخرة فأراه قبر النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر فقال عن هؤلاء تسأل وقال عمران القصير للحسن ان الفقهاء يقولون كذا وكذا فقال وهل رأيت فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا البصير بدينه المداوم على عبادة الله عز وجل ويقال ما أحد يعطى من الدنيا شيئا الا ويقال له خذه على ثلاثة أثلاث ثلث هم وثلث شغل وثلث حساب وان الرجل من الاغنياء ليوقف للحساب مالو ورد عليه مائة بعير عطاشا على عرقه لصدرت رواء وانه ليرى منازله من الجنة وقال يوسف بن اسباط لو أن رجلا ترك الدنيا مثل أبي ذر وأبي الدرداء وسلمان رضي الله عنهم ماقلنا له انك زاهد لان الزهد لا يكون الا على ترك الحلال المحض والحلال المحض لا نعرفه اليوم وانما الدنيا حلال وحرام وشبهات فالحلال حساب والحرام عذاب والشبهات عتاب فأنزل الدنيا منزلة الميتة خذ منها ما يقيمك فاذا كانت حلالا كنت زاهدا فيها وان كانت حراما لم تكن أخذت منها الا ما يقيمك كما يأخذ المضطر من الميتة وان كانت شبهات كان العتاب يسيرا ومثله قول بعضهم ليس الزهد ترك كل الدنيا ولكن الزهد التهاون بها وأخذ البلاغ منها قال الله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين فأخبرانهم زهدوا فيه وقد أخذوا له ثمنا وقد تكلم في الزهد في أي شئ هو فقال بشر الحافي ابن الحارث الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس من زهد فيهم فقد زهد في الدنيا وقال غيره الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف لانه دنياك فبقدر ما تملك من بطنك تملك من الزهد وقال الفضيل الزهد القناعة فكن لدنيا عنده الحرص وقال سفيان الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس بأكل الغليظ ولبس العباءة قلت عجبا للمرء كيف لا يقصر أمله ودونه اجله ألم تسمع قول الشاعر

الكلام على الزهد

املي من دونه اجلي * فتى افضي الى أملي

وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا مربعا وجعل في وسطه

خطا

خطا وجعل خطا آخرخارجا من المربع وجعل حول هذا الخط من داخل خطوطا كثيرة ثم قال هذا الانسان وهذا أجله قد أحاط به فى كل جانب وهذا أمله الخارج من المربع يعنى فتى ينتهى اليه والاجل قد أحاط به من كل جانب وقال لهذه الخطوط الكثيرة حوله وهذه الاعراض والاسقام ان أخطأه هذا أصابه هذا قلت سقت معنى الحديث لا لفظه وأقول أوكما قال صلى الله عليه وسلم ولى فى الامل

أؤمل آمالا ولست بعارف * أأبلغها أم يقطع الموت قبلها

وللمرء نفس لا تزال بحرصها * تمنى وتهوى أن تبلغ سؤلها

وليست تبالى من سفاهة رأيها * أكان عليها ذلك الامر أم لها

لكن مما رويته بالاسناد عن الحافظ رحمه الله عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انما الامل رحمة من الله لولا الامل ما غرس غارس شجرا ولا جنى جان ثمرا وقال أبو سليمان الداراني الدنيا كل ما شغل عن الله فكان الزهد عنده التفرغ لله وكان يقول من تخلى من الدنيا واشتغل بالعبادة والاجتهاد فهو الزاهد فأما من تركها وتبطل فانما طلب راحة نفسه * وقال ابراهيم بن أدهم رضى الله عنه الزهد على ثلاث مقامات زهد فرض وهو الكف عن المحارم وزهد سلامة وهو ترك المشتبهات وزهد فضل وهو الزهد فى الحلال * وقال غيره الزهد اخفاء الزهد والزهد ترك ما يشغلك عن الله عز وجل وقال بعض الحكماء الزاهد من لم يطلب المفقود حتى يفقد الموجود وفى الترمذى عن النبى عليه الصلاة والسلام أنه قال الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا اضاعة المال ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق مما فى أيدى الناس وأن تكون فى ثواب المصيبة اذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك * قال تكلم فى اسناد هذا الحديث وخرج أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم من أصبح منكم آمنا فى سربه معافى فى جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا وفيه عنه عليه الصلاة والسلام قال عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا قلت لا يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وقال يا ابن آدم ان تبذل الفضل خير لك وان تمسكه شر لك ولا تلام على كفاف * أخذ هذا المعنى شيخى أبو محمد عبد الحق رحمه الله فقال وأنشدنيه

دع الدنيا لطالبها وجانب * بنفسك عن مزاحمة العوافى
وخذ منها كفافا من حلال * فانك لا تسلام على كفاف

وفى الحديث أيضا طوبى لمن هدى للاسلام وكان عيشه كفافا وقنع ولما قدم عمر ابن الخطاب رضى الله عنه الشأم صنع له طعام لم يرقبله مثله فقال هذا لنا فما لفقراء المسلمين الذين ماتوا وهم لا يشبعون من خبز الشعير فقال خالد بن الوليد لهم الجنة فاغرورقت عينا عمر وقال لئن كان حظنا فى هذا الحطام وذهبوا بالجنة لقد باينونا بونا بعيدا وقال لأبى عبيدة رضى الله عنه اذهب بنا الى منزلك قال ماتريد الا أن تعصر عينيك على قال فدخل منزله فلم يرشيئا فقال عمر أين متاعك لا أرى الا لبدا وشنا وصحفة وأنت أمير أعندك طعام فقام أبو عبيدة الى جونة فأخذ منها كسيرات فبكى عمر فقال أبو عبيدة قد قلت لك لا تعصر عينيك على يا أمير المؤمنين يكفيك من الدنيا ما بلغ المقيل فقال عمر غرتنا الدنيا غيرك يا أبا عبيدة وقال الثورى وفضيل رضى الله عنهما جعل الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله فى بيت وجعل مفتاحه الزهد فى الدنيا وجاء فى الخبر حب الدنيا رأس كل خطيئة فيخرج من دليل الخطاب ان بغضها رأس كل طاعة فعلى هذا ينبغى أن لا يؤخذ منها الا ما لا بد منه كما يروى عن عمير بن سعيد الذى تقدم ذكره انه قدم على عمر بن الخطاب رضى الله عنهما من حمص اذ كان أميرا عليها فقال له عمر ما معك من الدنيا يا عمير قال معى عصاى أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها ومعى جرابى أحمل فيه طعامى ومعى قصعتى آكل فيها وأغسل فيها ثوبى ورأسى ومعى مطهرتى أحمل فيها شرابى ووضوئى للصلاة فما كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معى فقال عمر صدقت رحمك الله رضى الله عنهما تقدم فى الشعر الذى لى * وجبته ترقع بالجلود * قال أبو عثمان النهدى رأيت عمر بن الخطاب يطوف حول البيت وعليه ازار فيه ثنتا عشرة رقعة احداهن أدم أحمر وقد فعل مثل هذا على بن أبى طالب رضى الله عنه قال سعيد ابن جبير ان عليا قدم الكوفة وهو خليفة وعليه ازاران قطريان قد رقع ازاره برقعة ليست بقطرية من ورائه فجاء اعرابى ينظر الى تلك الخرقة مخالفة فقال يا أمير المؤمنين كل من هذا الطعام والبس واركب فانك ميت أو مقتول قال ان هذا خير لى فى صلاتى وأصلح لعملى وأشبه بهيئة الصالحين قبلى وأجدر أن يقتدى

بي من أتى بعدي وكان علي رضي الله عنه أنه مقتول اذ كان قد أخبره بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ويروى أنه أتى بابن ملجم اليه وقيل له انا قد سمعنا من هذا كلاما ولا نأمن قتله اياك فقال ما أصنع به ثم قال رضي الله عنه

أشدد حيازيمك للموت فان الموت لاقيك
ولا تجزع من الموت اذا حل بواديك

وقد تقدم القول في هذا البيت وان أوله حيازيمك وان اشدد انما هو ابتداء كلام ليس من البيت * قال بعض العلماء ان لله عبادا جعلوا ما رزقهم الله في بطونهم وعلى ظهورهم كما يروى ان هشام بن عبد الملك كانت كسوة نفسه دون كسوة عياله وحشمه وقر سبعمائة جمل وعشرين جملا كان فيها اثنا عشر ألف قميص وسبعمائة تكة طول كل تكة سبعة أذرع وكان عمرو بن عامر ملك من ملوك اليمن يلقب مزيقيا لانه كان يلبس كل يوم حلة ثم يمزقها بالعشي يكره أن يعودها ويأنف أن يلبسها أحد غيره (قلت) أين هذا من الذي قيل له عند الموت أوص قال اذا مت تصدقوا على بقميصي قيل له أين ندفنك قال الذي يختار موضعي يدري حيث ينقلني أو كما قال * وقد تقدم كيف كان لباس الصحابة رضي الله عنهم وكان سالم بن عبد الله يلبس العباءة ثمنها نحو الدرهمين وكان يحيى بن اليمان أحد العلماء الفضلاء وهو الذي قال فيه شريك أو بالكوفة أحد يشبه يحيى بن اليمان قال يحيى تزوجت أم داود وما كان عندنا ليلة العرس الا بطيخة أكلت أنا نصفها وهي نصفها وولد لنا داود وما كان عندنا شيء نلفه فيه حتى اشتريت له كسوة بحبتين فلففناه فيه ويروى ان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كانت له نفس تواقة الى الكسوة والدنيا في حداثة سنه فلما ولي الخلافة تخلى عن ذلك روى مالك قال بلغنا ان عمر بن عبد العزيز أمر رجلا أن يشتري له حلة بستمائة درهم فلما جاءه به تسخطه فلما ولي الخلافة أمر ذلك الرجل أن يشتري له كساء بسبعة دراهم فلما جاءه به لبسه ثم تعجب لحسنه قال فضحك الرجل فقال له عمر اني لأظنك أحمق تضحك من غير شيء قال انما ضحكت لمكان الصاف الذي أمرتني أن أشتريه لك بستمائة درهم قال فصمت ساعة ثم قال اخشى ان لا يشتري أحد ثوبا بستمائة درهم وهو يخاف الله زاد غيره كانت لي نفس تواقة الى الدنيا فلما وليت الخلافة تاقت نفسي الى الجنة وكان يلبس الثوب المرقوع بعد ذلك يروى انه قومت ثيابه وهو يخطب باثني عشر درهما

وكانت قباء وعمامة وقميصا وسراويل وبردا وخفين وقلنسوة قلت هكذا يكون الزهد كما قيل لبعض الزهاد زهدت في الدنيا قال وفي أي شئ زهدت انما الزاهد عمر بن عبد العزيز أتته الدنيا فزهد فيها وفي مثل هذا أنشدوا

يعف عن الدنيا اذا هي تودد * وان برزت في زي عذراء ناهد

اذا المرء لم يزهد وقد صبغت له * معصفرها الدنيا فليس بزاهد

وأنشد الحافظ رحمه الله قول الشاعر

والنفس راغبة اذا رغبتها * واذا ترد الى قليل تقنع

صدق في هذا المقال وهو لعمري كما قال أذكرني هذا البيت خبر بشر بن الحارث خرج أبو طالب مكي رحمه الله في القوت قال كان بشر بن الحارث قد اعتل فسأل عبد الرحمن الطبيب عن شئ يوافقه من المأكولات فقال له عبد الرحمن تسألني فاذا وصفت لك لم تقبل مني فقال له بشر صف لي حتى أسمع فقال تحتاج ان تستعمل ثلاثة أشياء فان فيهن صلاح جسمك قال وماهن قال تشرب سكنجبينا وتمص سفرجلا وتأكل بعد ذلك اسفناخ فقال له بشر أتعلم شيئا اقل ثمنا من السكنجبين يقوم مقامه قال لا قال فأنا أعرفه قال وماهو قال الهندبا بالخل تقوم مقامه ثم قال أفتعرف شيئا أقل ثمنا من السفرجل يقوم مقامه قال لا قال فأنا أعرفه قال وماهو قال الخروب الشامي في معناه ثم قال أتعرف شيئا أقل ثمنا من الاسفناخ يقوم مقامه قال لا قال فأنا أعرفه قال وماهو قال ماء الحمص بسمن البقر في معناه فقال له عبد الرحمن فأنت أعلم بالطب مني فلم تسألني قلت انظر هذا الموفق كيف استعمل زهده حتى في الدواء وأقل ماصنع انه زهد في الدواء رأسا والله أعلم هكذا الظن به كما فعل غيره وغيره * ومن الزهد أيضا ماروى ان ملك الهند أهدى الى المنصور تحفا وأرسل معها بفيلسوف طبيب فأنزله وأحسن اليه ثم دعاه بعد ذلك فقال له الفيلسوف جئتك يا أمير المؤمنين بثلاث خصال يتنافس الملوك فيها قال وماهي قال أخضب لحيتك بسواد لا ينصل أبدا او أعالجك بعلاج تتسع به في المأكل فتأكل ماشئت ومتى شئت ولا يؤذيك الطعام وأقوى صلبك بقوة تنشط الى الجماع فتجامع ماشئت لا تمل ولا يضعف بصرك ولا ينقص من قوتك فأطرق المنصور ثم رفع رأسه اليه وقال قد كنت اظنك أعقل مما أنت أما ماذكرت من السواد فلا حاجة لي به لانه غرور وزور والشيب هيبة ووقار ولم أكن لأغير نورا جعله الله في وجهي بظلمة السواد وأما ما

ذكرت من الاكل فوالله ما أباشره ومالى فى الاستكثار حاجة لانه يثقل الجسم ويشغل عن الواجب وأقل مافيه اختلافى الى الخلاء فأرى ما أكره واسمع مالا أحب وأما ماذكرت من النساء فان الجماع شعبة من الجنون وما أقبح بخليفة مثلى يجثو بين يدى صبية ارجع الى صاحبك مذموما مدحورا * انظر هذا الموفق الآخر كيف زهد مع الملك والقدرة فى الاشياء التى هى معنى الدنيا وجل شهواتها الاسيما البطن كما قال بعضهم وسئل عن الزهد فقال اعلم ان البطن دنيا العبد فبمقدار ماتملك من بطنك تملك من الزهد وكذلك قال وهب بن منبه لكل شئ وسط وطرفان فان أمسكت باحد الطرفين مال الآخروان أمسكت الوسط اعتدل الطرفان وكذلك البطن وسط بين الجوارح ان أمسكته اعتدلت الاطراف السمع والبصر واللسان والفرج والرجل وكذلك قال غيره اذا أعطيت البطن حظه من الشبع طلبت كل جارحة حظها من اللهو فجمعت بك النفس الى الهلكة واذا منعت البطن حظه قصرت كل جارحة عن حظها فاستقام القلب لذلك وقد تقدم لى فى هذا المعنى طرف وان لم يكن حجة فهو المحجة * تقدم فى أول الكتاب من كان همه بطنه وفرجه فلا ترجه والابيات بعده التى أولها

اذا أعطيت بطنك مشتهاه * وفرجك سؤله انت البهيمه

وتقدم أيضا * أضر شئ على الانسان خصيته * الابيات قلت ولعمر الله ان الزاهد لفى راحة وحال استراحة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهد فى الدنيا يريح القلب والبدن ولقد صدق القائل

لاعيش يصفو للملوك وانما * تصفو وتحمد عيشة النساك

لذلك قال بعضهم ان كنت تريد أن تكون ملكا فى الدنيا والآخرة فازهد فى الدنيا وقد تقدم لعبد الحق رحمه الله

فصرت غنيا بلادرهم * أتيه على الناس تيه الملك

وقال بعض من تزهد من الملوك لم أجد طيب العيش حتى استبدلت الخمص بالكظة ولم آكل مما أغسل يدى منه ولم ألبس من ثيابى ما أخدمه * وقال اياس بن معاوية لأن البس ثوبا أقى به نفسى أحب الى من أن ألبس ثوبا أقيه بنفسى وقال عون ابن عبد الله صحبت الاغنياء فلم أر أحدا أكثرهما منى أرى دابة خيرا من دابتى وثوبا خيرا من ثوبى وصحبت الفقراء فاسترحت وقالوا عيب الغناء انه يورث البله

الكظة شئ يعترى الانسان عن الامتلاء من الطعام

وفضيلة الفقر انه يبعث الجبلة وقالوا مع الحاجة تقع الفكرة ومع الكفاية يقع العجز والبلادة وقال اكثم بن صيفي مايسرني انني مكفي كل أمر الدنيا قيل ولم قال أكره عادة العجز قلت لقد صدق عون رحمه الله اذ يقول من ترك الفضول فقد استراح والفضول هي الشهوات ألم تسمع قول الشاعر هو أبو الطيب المتنبي

ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته * ماقاته وفضول العيش اشغال

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه أهل الاموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ويركبون ونركب ولهم فضول أموال ينظرون اليها وننظر اليها معهم عليهم حسابها ونحن منها براء وللفقيه الزاهد أبي عمران موسى

قنعت فنلت الغنى وادعا * وعشت هنيئا بستر الخمول
ونلت الذي نال منها الملوك * فلم يفضلوني بغير الفضول
وذاك الفضول متاع قليل * يكون عليه الحساب الطويل

وله أيضا ما الزهد ياقوم فلا تجهلوا * بلبس أسمال واخلاق
لكنه لبس ثياب التقى * مع حسن آداب وأخلاق

وله أيضا كفى بسليخة في البيت مرطا * معدا للشتاء وللمصيف
يكون وطاء جلد في مصيف * وفي زمن الشتاء وطاء صوف

وله أيضا ان السليخة والحصير كفاية * ولو اقتصرت على الحصير كفاني
ان القليل لمن يموت مبلغ * فان يبلغه قليل فاني
حسبي القليل وليتني أنجو غدا * عند الحساب عليه من دياني

وقال ورأى رجلا يبني ويشيد فذكر قول الرسول عليه الصلاة والسلام من بنى فوق سبعة أذرع أو تسعة نودي الى أين يا أفسق الفاسقين فقال

أطلت البناء وشيدته * وأنفقت ويحك فيه المئينا
وأنت تنادى ولا ترعوى * الى أين يا أفسق الفاسقينا
فهلا اقتصرت على قدر ما * يواري ويمنع عنك العيونا
فكنت على هدى من قد مضى * ووفرت وفرا وعرضا ودينا
ولم تك تحمله في غد * على الظهر شيدا وصخرا وطينا

ولبعض الزهاد

كسرة خبز وكوز ماء * ورقع ثوب مع السلامه

خير من الملك في نعيم * تكون عقباه للندامه

وقال بعض أبناء الملوك ممن أضربه الدهر ورؤى في هيئة رثة فرق له من رآه وقال الى هذا اصار أمرك فقال رحمك الله مافقدنا الا الفضول وجاء في الحديث ماعال من اقتصد والاقتصاد الاقتصار على القوت وقال القناعة مال لا ينفد وقال الشاعر

كفاهم أقل الزاد اذ قنعوا به * ومن قنع استغنى عن القيض بالقبص

القبص بالصاد غير المعجمة الأخذ بأطراف الاصابع والقبض بالضاد الأخذ بجميع الكف ومما أنشدنيه أبو محمد عبد الحق رحمه الله لنفسه من قطعة أولها

رأيت القناعة أغنى الغنى * فصرت بامساكها أمتسك

وأعتقت نفسي ولم أشرها * ببخس فملك فمن ملك

فصرت غنيا بلا درهم * أتيه على الناس تيه الملك

وقرأت على الحافظ السلفي رحمه الله بسنده لبعضهم

منزلي منزل الكرام ونفسي * نفس حر ترى المذلة كفرا

واذا ماقنعت بالقوت دهري * فلماذا أزور زيدا وعمرا

لعلك أن تقول سمعنا عن الزهاد ولم نرهم صدقت لو كنت منهم لرأيتهم ان في عصرنا هذا الذي هو سنة ثلاث وستمائة رجلا باشبيلية عالما عاملا زاهدا فقيها شاعرا أديبا مشهورا بذلك كله وهو الفقيه أبو عمران موسى بن عمران القيسي المرتلي رضي الله عنه وقد تقدم من شعره في هذا الكتاب كثير ومن شعره وما الزم نفسه به قوله رضي الله عنه

ألزمت نفسي والله المعين على * امضاء عزمي فما بعد أذكره

فمن تصفح ماأملي ويعذرني * فالله عني يجزيه ويشكره

والمعزوم عليه والله المستعان ان لا أشهد مشهدا ولا أبرح عن منزلي الا لفرض ان استطعت وأعجل الانصراف بمشيئة الله ولا أبايت ولا أخاطب مبتدئا ولا مجاوبا ولا أقبل هدية ولا دينارا ولا درهما لنفسي ولا لغيري ولا تلج يدي في طعام أحد ولا أدخل في وساطة ولا في حكومة ولا أقبل وديعة ولا أجيب لوليمة ولا أتعرف لمن لا يعرفني وأقلل ماأمكنني من معرفة كثير ممن يعرفني بالانقباض وحسن التلطف طلبا للسلامة لي وله ولا أجيب في مشورة الا بالدعاء ولا آمل غير مولاي لي أو لسواي ولا أتولى خطة ما كانت ولا أكون اماما ولا خطيبا ولا

أفعل شيئا من كل ما رسمته الا لحال ضرورة والله تعالى يغني من سعة فضله ويعين على هذا كله

فحسبي نفسي وما كلفت * وفي ذاك لي شغل شاغل
وحسبي مولاي من خلقه * لقد خاب من غيره يامل

عمر الله قلوبنا بذكره ولا شغلنا عنه بغيره انه منعم كريم * وله فصول من كلام الحكماء مثل كل ما يفني ماله معنى القناعة بالقوت واللباس خير من سؤال الناس من تقحم فيما لا يعنيه وقع فيما يتعبه ويعييه من خف قدمه كثر ندمه ومن تنبط اغتبط مالا ينفع لا يصنع ومن هذا النوع كثير * ومن أملح ما رأيت له وهو من الذي كلفت به من المعكوس رأى رجلا يكتب بطاقة فأشار الى القلم وقال احذر أن تلقى في مكتوبك من مقلوبه وذلك ان مقلوب قلم ملق قلت أعاننا الله على طاعته ووفقنا لاتباع طريقة الصالحين آمين بكرمه وفضله * وأما أجواد الاسلام بعد هؤلاء فأحد عشر رجلا في عصر واحد وبعضهم قريب من بعض لم يكن قبلهم ولا بعدهم مثلهم فأجواد أهل الحجاز ثلاثة عبد الله بن العباس وعبد الله بن جعفر وسعيد بن العاص وأجواد أهل البصرة خمسة في عصر واحد عبد الله بن عامر بن كريز وعبيد الله ابن يعمر القرشي ثم السلمي ثم التيمي وطلحة الطلحات وهو طلحة بن عبيد الله بن خلف الخزاعي وأجواد أهل الكوفة ثلاثة عتاب بن ورقاء الرياحي وأسماء بن خارجة الفزاري وعكرمة بن ربعي الفياض * فمن جود عبد الله بن عباس انه أتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه فقال يا ابن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره وصوّبه فلم يعرفه ثم قال له ما يدك عندنا فقال رأيتك واقفا بزمزم وغلامك يمتح لك من مائها والشمس قد صهرتك فظللتك بطرف كسائي حتى شربت فقال أجل اني لأذكر ذلك وانه ليتردد بين خاطري وفكري ثم قال لقيمه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم قال ادفعها اليه وما أراها تفي بحق يده عندنا قال له الرجل والله لو لم يكن لاسماعيل ولد غيرك لكان فيك ما كفاه فكيف وقد ولد سيد الاولين والآخرين محمدا صلى الله عليه وسلم ثم شفعه بك وبأبيك (قلت) والشئ يعرف بالضد كالوصل بالصد والعطاء بالرد انظر هذا السخي الجليل الحيي الحيي كيف استحيا أن يرد من سأله ويخيب من أمله وجعل يحدثه بما نصه انه يعرف تلك القصة ويحتمل أن يكون انما قال ذلك لهذا السائل خشية أن يخجل فيكدر عليه النائل

أجواد الاسلام

ابن

أين هذا مما أنشدني الحافظ رحمه الله لبعضهم بالاسكندرية وهو عندي في أجزائها المرويه قال رحمه الله

أتيت أخالي في حاجة * وكنت عليه خفيف المؤن
فأنكر معرفة لم تزل * وابدى عماذقة لم تكن
وقال وجاحدني حبه * أبو من وممن ومن وابن من

ومن جود عبد الله بن جعفر انه اعطى امرأة سألته مالا عظيما فقيل له انها لم تعرفك وكان يرضها اليسير فقال ان كان يرضها اليسير فانا لا أرضى الا بالكثير وان كانت لا تعرفني فانا أعرف نفسي * ولد عبد الله بن جعفر هذا بأرض الحبشة ووافق ان ولد للنجاشي رحمه الله مولود يوم ولد عبد الله فأرسل الى جعفر يسأله كيف سميت ابنك فقال سميته عبد الله فسمى النجاشي أيضا ابنه عبد الله وأرضعته أسماء بنت عميس امرأة جعفر مع ابنها عبد الله هذا فكانا يتواصلان حين كبرا بتلك الاخوة وولد لجعفر أيضا بأرض الحبشة محمد وعون الله رضي الله عن جميعهم ومن جود سعيد بن العاص انه كان يسمر معه ليلة قوم فانصرفوا وبقي رجل فعلم انه طالب حاجة ويمنعه الحياء من ذكرها فأمر سعيد باطفاء الشمعة وقال ما حاجتك يا فتى فذكر ان عليه دينا أربعة آلاف درهم فأمر له بها قال وكان اطفاؤه الشمعة أكثر من عطائه وعوتب في كثرة العطاء فقال ان الله تعالى عودني ان يتفضل علي وعودته ان أتفضل على عباده فأخاف ان قطعت أن يقطع وهو الذي أنشد له

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

فقال ان هذا البخل الناس ولكن امطروا المعروف مطرا فان أصاب الكرام كانوا له أهلا وان أصاب اللئام كنتم له أهلا * وقال الفضل بن سهل اذا لم أعط الا مستحقا فكأني انما أعطيت غريما * ومن السخاء ما روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي قريب من الله قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من النار ولجاهل سخي أحب الى الله من عالم بخيل * ومن جود عبد الله بن أبي بكرة رضي الله عنه ان رجلا أدلى اليه بحرمة فأمر له بمائة ألف درهم * ومن جود عبد الله بن عمر رضي الله عنه ان رجلا من أهل البصرة كانت له جارية وصف من حسنها وأدبها شيئا كثيرا وانه أملق فاحتاج الى بيع الجارية بعد ان استأذنها في ذلك واعتذر اليها

وكان لها محبا وهي له كذلك فأشارت اليه ان يهديها الابن يعمر بعد ان اصلحت من شأنها ففعل وأوقفها بين يديه وقال له أصلحك الله هذه جارية ربيتها ورضيت لك أدبها فاقبلها مني هدية فقال مثلي لا يستهدي مثلك فهل لك في بيعها فأجزل لك الثمن فيها حتى ترضاه قال الذي ترضاه قال يقنعك مني عشر بدر في كل بدرة عشرة آلاف درهم فقال ياسيدي والله ما امتد أملي الى عشر ماذكرت ولكن هذا من فضلك المعروف وجودك المشهور فامر عبد الله باخراج المال حتى صار بين يدي الرجل وقبضه وقال للجارية ادخلي الحجاب فقال سيدها أعزك الله لو أذنت لي في وداعها قال نعم فوقفت وقام وقال لها وعيناه تدمعان

أبوح بحزن من فراقك موجع * أقاسي به ليلا يطيل تفكري

ولولا قعود الدهر بي عنك لم يكن * يفرقنا شئ سوى الموت فاعذري

عليك سلام لا زيارة بيننا * ولا وصل الا أن يشاء ابن يعمر

فقال عبد الله بن يعمر قد شئت ذلك فخذ بيد جاريتك وبارك الله لك في المال فذهب بجاريته والمال وصار غنيا * ومن الاجواد من غيرمن ذكر أبو عمر ثدمدحه بعض الشعراء فقال والله ماعندي ما أعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادّع علي بعشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها فيحبسني على دينك فان أهلي لا يتركونني محبوسا ففعل فلم يمس حتى دفع اليه المال وكذلك كان عبد الله بن جدعان لما كبر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه من التصرف لفرط جوده فكان اذا أتاه الرجل يستعطيه يقول له ادن مني فاذا دنا منه لطمه وقال اذهب فاطلب بلطمتك أو ترضى فكانت بنو تيم ترضيه من ماله * ومن الاجواد أيضا من غيرمن ذكر عبد الله بن طاهر رضي الله عنه حدث بعض قواده انه فرق في مقام بخراسان ألف ألف دينار ومنهم عبد الله ابن المبارك رضي الله عنه كان يفرق ماله على اخوانه ويؤثرهم بأرباحه ويلبس ثوبا بثلث دينار ويعطي صاحب الحمام دينارا والحجام دينارا ومنهم الفضل بن يحيي رضي الله عنه ذكر أنه جاءه رجل فذكر أن بينهما نسبا فقال وماهو قال جوار قريب واسمي مشتق من اسمك وولادتي تقرب من ولادتك فقال له أما الجوار فممكن وقد يوافق الاسم الاسم فما أعلمك بالولادة فقال أخبرتني أمي أنها لما ولدتني قيل لها قد ولد الليلة ليحيي ولد وسمي الفضل فسمتني أمي فضيلا اكبارا لاسمك فتبسم الفضل وقال له كم لك من السنين قال خمس وثلاثون قال هو المقدار وأمر له

بالف

بألف لكل سنة * ومن الاجواد عروة بن الورد الذى يقول

أتهزأ منى أن سمنت وقد ترى * بجسمى مس الحق والحق جاهد
فانى امرؤ عافى انائى شركة * وأنت امرؤ عافى انائك واحد
أقسم جسمى فى جسوم كثيرة * وأحسو قراح الماء والماء بارد

كان عبد الله بن مروان يقول من قال ان حاتما أسمح العرب فقد ظلم عروة بن الورد وما يسرنى ان أحدا من العرب ولدنى الا عروة بن الورد لقوله هذه الابيات ومثله الذى يقول

أيا ابنة عبد الله وابنة مالك * ويا ابنة ذى البردين والفرس الورد
اذا ما صنعت الزاد فالتمسى له * أكيلا فانى لست آكله وحدى
قصيا كريما أو قريبا فاننى * أخاف مذمات الحديث لمن بعدى
وانى لعبد الضيف ما زال نازلا * وما من خلالى غيرها شيمة العبد

وكان يسمى عروة الصعاليك لانه كان يجمع الفقراء فى حظيرة ويرزقهم مما يغنمه * ومنهم الحكم بن حنطب وحنطب جده وهو الحكم بن المطلب بن عبد الله ابن المطلب بن حنطب وكان المطلب بن حنطب ممن أسر يوم بدر والحكم هذا كريم أهل زمانه وأسخاهم وتزهد فى آخر عمره ومات بمنبج وفيه يقول الراعى يرثيه

سألوا عن الجود والمعروف ما فعلا * فقلت انهما ماتا مع الحكم
ماتا مع الرجل الموفى بذمته * قبل السؤال اذا لم يوف بالذمم

حكاية ظريفة

ذكر الدارقطنى فى موته حكاية ظريفة قال حميد بن معروف حضرت وفاة الحكم فأصابه من الموت شدة فقال قائل فى البيت اللهم هون عليه الموت فقد كان وقد كان يثنى عليه فأفاق الحكم فقال من المتكلم فقال الرجل أنا فقال الحكم يقول لك ملك الموت أنا بكل سخى رفيق ثم كأنما كانت فتيلة فطفئت فمن جوده أنه سأله اعرابى فأعطاه خمسمائة دينار فبكى الاعرابى فقال ما يبكيك يا أعرابى لعلك استقللت ما أعطيتك قال لا والله ولكنى أبكى لما تأكل الارض منك وقيل لنصيب بن رباح خرف شعرك يا أبا محجن قال لا والله ولكن خرف الكرام لقد رأيتنى وقد مدحت الحكم بن حنطب فأعطانى ألف دينار ومائة ناقة وأربعمائة شاة وروى القتيبى قال أخبرنا رجل من أهل منبج قال قدم علينا الحكم ابن حنطب وهو مملق فأغنانا قلت له وكيف أغناكم وهو مملق قال علمنا المكارم

فعادغنينا على فقيرنا وكان الليث بن سعد يستغل كل سنة خمسين ألف دينار وكان قد أمر لمالك بخمسمائة دينار فبلغ ذلك الرشيد فشنع عليه وعابه فقال استحييت أن أنقصه عن غلة يوم وماوجبت عليه زكاة قط هكذا قرأته على الحافظ بالاسكندرية رحمه الله ورأيت في موضع آخر انه كان يستغل كل يوم ألف دينار ووصل مالك بن أنس بألف دينار وكان أبو شريح الخزاعي من عقلاء أهل المدينة وقال اذا رأيتموني أبلغ من أنكحته أو أنكحت اليه الى السلطان فاعلموا أني مجنون فاكووني وان رأيتموني أمنع جاري ان يضع خشبة في حائطي فاعلموا أني مجنون فاكووني ومن وجد لأبي شريح سمنا أو لبنا أو جداية فهو له حل فليأ كله وليشربه ويروى ان عبد الله بن عتبة باع غلة بثمانين ألفا فقيل له لو اتخذت بهذا المال ذخيرة لولدك قال انما أجعل هذا المال عند الله وأجعل الله ذخرا لولدي ثم أمر فقسم المال كله في أهل الحاجة * ونوع من هذا ماصنع عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يروى ان مسلمة بن عبد الملك دخل على عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي توفي فيه فقال له ياأمير المؤمنين انك فطمت أفواه ولدك من هذا المال فتركتهم عالة ولا بدلهم من شيء يصلحهم فلو أوصيت بهم من أهل بيتك من يكفيك مؤنتهم فقال عمر أجلسوني فأجلسوه فقال له يامسلمة أماماذكرت أني فطمت أفواه ولدي من هذا المال وتركتهم عالة فاني لم أمنعهم حقا هو لهم ولم أعطهم حقا هو لغيرهم وأماماسألت من الوصاة بهم فان وصيتي بهم الى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين انما بنو عمر أحد رجلين رجل اتقى الله فجعل الله له من أمره يسرا ويرزقه من حيث لا يحتسب أو رجل عنده فجور فلا يكون عمر أول من أعانه على المعصية ثم دعا عمر بنيه وهم يومئذ اثنا عشر غلاما فجعل يصعد فيهم بصره ويصوبه حتى اغرورقت عيناه بالدموع ثم قال بنفسي فتية تركتهم ولا مال لهم ثم قال يابني اني تركتكم من الله بخير انكم لا تمرون بمسلم ولا معاهد الا ولكم عليه حق واجب ان شاء الله يابني اني نظرت بين أن تفتقروا في الدنيا وبين ان يدخل أبوكم النار فكان ان تفتقروا خيرا من دخول أبيكم النار يابني عصمكم الله ورزقكم الله قالوا فما احتاج أحد من ولده ولا افتقر الى آخر الدهر وفي رواية انه قال لهم عصمكم الله من الشيطان الرجيم فلما ولوا قال بنفسي الفتية الذين تركتهم عيالا لا شيء لهم * ومنهم يزيد بن المهلب كان هشام بن حسان اذا ذكره قال والله ان كانت

السفن لتجرى فى جوده قيل ليزيد بن المهلب مالك لاتبنى قال مستزلى دار الامارة أو الحبس ودخل عليه الفرزدق فى السجن فأنشده

أصبح فى قيدك السماحة والمجد وفك العناق والأغلال

فقال له أتمدحنى وأنا فى هذه الحالة فقال أصبتك رخيصا فاشتريتك فأمر له بعشرة آلاف ومنهم يزيد بن حاتم الذى يقول فيه الشاعر

شتان ما بين اليزيدين فى الندى * يزيد سليم والأغرّ بن حاتم

فهمّ الفتى الأزدى اتلاف ماله * وهمّ الفتى القيسى جمع الدراهم

وبعد هذا * فلا يحسب التمتام انى هجوته * البيت وقد تقدم وكتب الى يزيد بن حاتم هذا بعض أصحابه يستوصله فبعث اليه بثلاثين ألفا وكتب اليه أما بعد فانى قد بعثت اليك بثلاثين ألفا لا أكثرها امتنانا ولا أقللها تحقرا ولا أستثنيك عليها ثناء ولا أقطع لك بها رجاء والسلام * ومنهم خالد بن عبد الله القسرى بينما هو جالس فى مظلته اذ نظر الى اعرابى يخب به بعيره مقبلا نحوه فقال لحاجبه اذا قدم فلا تحجبه فلما قدم أدخله الحاجب عليه فسلم وأنشأ يقول

أصلحك الله قلّ ما بيدى * فما أطيق العيال اذ كثروا

ألح دهرا ألقى بكلكله * فأرسلونى اليك وانتظروا

فقال خالد أرسلوك الىّ وانتظروا والله لا تنزل حتى تنصرف اليهم بما يسرهم وأمر له بجائزة عظيمة وكسوة شريفة * ومنهم عدى بن حاتم دخل عليه ابن دارة فقال له انى امتدحتك فقال له أمسك حتى آتيك بمالى ثم امدحنى على حسبه فانى أكره أن لا أعطيك ثمن ما تقول لى ألف شاة وألف درهم وثلاثة أعبد وثلاث اماء وفرسى حبيس فى سبيل الله فامدحنى على حسب ما أخبرتك فقال

وأبقى الليالى من عدى بن حاتم * حساما كنصل السيف سل من الخلل

أبوك جواد لا يشق غباره * وأنت جواد ليست تعذر بالعلل

فان تفعلوا شرّا فمثلكم اتقى * وان تفعلوا خيرا فمثلكم فعل

فقال له عدى أمسك لا يبلغ مالى أكثر من هذا * ومنهم معن بن زائدة الذى كان يقال فيه حدث عن البحر ولا حرج وحدث عن معن ولا حرج أتاه رجل يستحمله فقال يا غلام أعطه فرسا وبرذونا وبغلا وعيرا وبعيرا وجارية ولو عرفت مركوبا غير هؤلاء لأعطيتك وحدثنى بعض الطلبة ونحن على ظهر مركب فى النيل

الخلل جمع خلة بالكسر وهى جفن السيف

قف على سياحة المؤلف الى الصعيد

طالعين الى قوص سنة احدى وخمسين وستمائة قال يذكر أن اعرابيا دخل على معن يوم قعوده للناس فأنشده

أتذكر اذ لحافك جلد شاة * واذ نعلاك من جلد البعير

قال له معن أذكر ذلك ولا أنساه يا أخا العرب فقال له

فسبحان الذى أعطاك ملكا * وعلمك القعود على السرير

فقال له معن سبحانه لا اله الا هو فقال له

فلست مسلما مادمت حيا * عليك ولو لحونى بالامير

فقال له معن ذلك اليك ان شئت أن تسلم والا فلا تسلم فقال له

ولا أسكن بلادا أنت فيها * ولو نلت الشآم مع الثغور

فقال له معن ذلك اليك ان شئت أن تقيم وان شئت فارحل فقال له

فجدلى يا ابن ناقصة بشئ * فانى قد عزمت على المسير

فقال معن لخادمه يا غلام ادفع اليه ألف دينار فقال له الاعرابى

قليل ما امننت به فانى * لأطمع منك فى الشئ الكثير

فقال معن يا غلام ادفع له ألفا أخرى فقال

فثلث اذ ملكت الملك رزقا * بلا عقل ولا جاه خطير

فأمر له بألف فكان الاعرابى استحيا فقال

فأنت المرء ليس له كفاء * ومن جدواه كالبحر الكبير

قال معن قد أعطيناه على هجونا ثلاثة آلاف فأعطه على مدحنا ثلاثة آلاف فأخذ الاعرابى ستة آلاف وانصرف * تقدم ذكر عمرو مزيقيا وهو الذى خرج من اليمن بسيل العرم ومزيقيا لقب له وكان أبوه عامر بن حارثة الازدى من الاجواد أيضا وكان يلقب ماء السماء لانه كان اذا أجدب قومه مانهم حتى يأتيهم الغيث فقالوا ماء السماء لانه خلف منه وقيل لولده بنو ماء السماء وقد قال بعض الانصار فى شعر له يفتخر بذلك

أنا ابن مزيقيا عمرو وجدى * أبوه عامر ماء السماء

وجاء فى الحديث فى شأن هاجر فتلكم أمكم يا بنى ماء السماء وقالوا أفخر بيت قالته العرب قول الاحوص

مامن مصيبة نكبة أرمى بها * الا تشرفنى وترفع شانى

واذا سألت عن الكرام فاننى * كالشمس لا تخفى بكل مكان

وقال غيره

وقد شاع ذكرى فى البلاد فمن لهم * باخفاء شمس ضوءها متكامل

ومن الاجواد غيره من ذكر الجنيد الذى يقول فيه أبو جويرية

ذهب الجود والجنيد جميعا * فعلى الجود والجنيد السلام

أصبحا ثاويين فى بطن قبر * ماتغنى على الغصون الحمام

وقد احتجت أنا الى هذا المعنى فى حديث جرى فقلت فى قصيد مطوّل

صدق الشاعر المجيد الذى قا * ل يبكى خليله وصفيه

ذهب الجود والجنيد جميعا * فعلى الجود والجنيد التحيه

والشعر بكماله والحكاية بكمالها مذكورة فى التكميل والشئ يعرف بضده

وقال أبو على البصير

لعمر أبيك ما نسب المعلى * الى كرم وفى الدنيا كريم

ولكن البلاد اذا اقشعرت * وصوّح نبتها رعى الهشيم

ومما قلته فى الكرام

ذكرت الكرام وما منهم * أنا غير أنى أحب الكرام

وانى أروم لحاقا بهم * فغيرى ذا الدمع الملك رام

فنال مناه وكم رمية * قد اردت وما جالب الهلك رام

ودونك شعرا قوافيه طرّا * ثلاث مرار الكرام الكرام

وها أنا أرجع من بعد ذا * بعون الاله لباقى الكلام

أذكرتنى هذه القافيه شعرا قلته فى أحد الاصحاب

أيا عابد الله أنت الوفى * وعن مثلك الخلف قد ينتفى

وعدت بوعد فهل لك يا * خليلى بما قلته أن تفى

وانى أحبك مهما وفيت * فهل تشتهى أنت فى أن تفى

وقافية ان تأملتها * تجد ينبغى ان تفى ان تفى

وذلك فأل وحاشاك أن * تكون كذاك ولكن تفى

مبحث الصبر

واذا اجتمع الى الكريم الصدق والحلم وانضاف اليهما الصبر والعلم فقد تمت خصاله وتناهى كماله ويدخل تحت الصبر الشجاعه وما يحتاج اليه فى جميع أعمال الطاعه لان الطاعة عمل والصبر عليها بالمداومة عمل آخر وكفى بالصبر شرفا قول

النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل عن الايمان فقال الصبر وفى حديث آخر قال الصبر نصف الايمان واليقين الايمان كله ولن يفترقا والصبر صبران صبر على الطاعة كما تقدم وصبر عن المعصية وجاء فى الخبر الصبر على ثلاثة أوجه صبر على المصيبة وصبر على ما أمر الله به وصبر عما نهى الله عنه فمن صبر على المصيبة كان له بذلك ثلثمائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء الى الارض ومن صبر على ما أمر الله به كان له بذلك ستمائة درجة مابين كل درجتين كما بين السماء الى الثرى ومن صبر عما نهى الله عنه كان له بذلك تسعمائة درجة مابين كل درجتين كما بين العرش الى الارض السفلى ومما قيل فى الصبر

وانى اذا لم ألزم الصبر طائعا * فلا بد منه مكرها غير طائع

وفوق الصبر درجة أعلى منه وهو الرضاء بالقضاء فمن رضى رضى الله عنه وكذا جاء فى الحديث فمن رضى فله الرضا ومن سخط فله السخط ولا تصدر هذه الأخلاق الا عن الكرماء الحلماء وأشجع الناس وأقواهم من ردّ غضبه بحلمه وقال عليه الصلاة والسلام ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب وقال على رضى الله عنه الخير الذى لا شرّ فيه الشكر مع العافية والصبر عند المصيبة وكم من منعم عليه غير شاكر ومبتلى غير صابر * ومن أمثالهم الحلم مطية وطية وروى عن على رضى الله عنه انه قال لرجل ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يعظم حلمك ويكثر علمك وقال أيضا رضى الله عنه الحلم لا يظهر الا عند الغضب فمن أغضب ولم يحلم فليس بحليم وقال الشاعر

الصرعة بوزن همزة من يصرع الناس

ليست الأحلام فى حال الرضى * انما الأحلام فى حال الغضب

يروى ان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه أسمعه رجل كلاما محرجا فقال له عمر أردت أن يستفزنى الشيطان بعزة السلطان فأنال منك اليوم ما تنال منى غدا انصرف يرحمك الله وقال بعض العلماء اذا لم تكن حليما فتحلم ويروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن تحر الخير يعطه ومن توق الشرّ يوقه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم المنقرى رأيته يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه فاذا برجل مكتوف ورجل مقتول فقيل له هذا ابنك قتله أخوك قال فوالله ما قطع كلامه ولا حل حبوته حتى فرغ من حديثه وأنشأ يقول

أقول للنفس تأسيا وتعزية * احدى يدى أصابتنى ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

ثم التفت الى أخيه وقال له يا أخى أنت رميت نفسك بسهمك وقتلت ابن أخيك ثم قال لابن له آخر قم يا بنى فوار أخاك وحل كتاف عمك واحمل الى أمك مائة ناقة دية عن ابنها فانها غريبة منا * ونوع من هذا يحكى عن صلة بن أشيم انه دخل عليه رجل وبين يديه طعام فنعى اليه أخاه فقال له هلم فتعجب الرجل وقال هل سبقنى اليك بنعيه أحد قال نعم قول الله تعالى انك ميت وانهم ميتون وكل نفس ذائقة الموت وكان الاحنف يقول ما نازعنى أحد قط الا أخذت عليه فى أمرى باحدى ثلاث خصال ان كان فوقى عرفت قدره وان كان دونى أكرمت نفسى عنه وان كان مثلى تفضلت عليه وقيل للاحنف من أحلم أنت أو معاوية فقال معاوية قدر فحلم وأنا أحلم ولا أقدر فكيف أقاس به وجعل لرجل ألف درهم على أن يسفه الاحنف فقال منه والأحنف عنه معرض فلما رآه لا يرد عليه أقبل يعض أنامله ويقول واسوأتاه والله ما يمنعه من جوابى الا هوانى عليه وفى مثل هذا أنشدوا

أسمعنى عبد بنى مسمع * فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقارى له * ومن يعض الكلب ان عضا

ولى فى هذا المعنى وسمعت رجلا ينشد

اذا نطق السفيه فلا تجبه * ودعه فالسكوت له جواب
أيحمل باللبيب يعض كلبا * اذا ما عضه ماذا صواب

وقالوا فى هذا المعنى لا تعاقب شاتمك فما يعاقب الاحمق بمثل السكوت وأنشدوا

وما شئ أحب الى سفيه * اذا سب الكريم من الجواب
متاركة السفيه بلا جواب * أشد على السفيه من السباب

وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه أول ما يرى الحليم من بركة حلمه ان الناس كلهم أعوانه على الجاهل وقال أبو سليمان الدارانى أحضر الناس جوابا من لا يغضب * وشتم بعض السفهاء المهلب فلم يلتفت اليه فظن أنه لم يسمعه فقال اياك أعنى فقال له المهلب وعنك أعرض وينشد فى مثل هذا

ولقد أمر على اللئيم يسبنى * فأجوز ثم أقول لا يعنينى

ووقع بين أبى مسلم وبين بعض أصحابه كلام فأغلظ له فيه فأطرق أبو مسلم فلما

سكنت فورة الغضب عن الرجل ندم وعلم أنه قد أخطأ فقال له أيها الامير والله ما انبسطت حتى بسطتني ولا نطقت حتى استنطقتني فاغفر لي قال قد فعلت قال انى أحب ان استوثق لنفسي فقال أبو مسلم سبحان الله كنت تسيء فأحسن فحين أحسنت أسيء وما أحسن قول الشاعر في ذلك

فلم يرمني ضعفة متشدد * ولم يرمني شدة متلين

وقال رجل للاحنف ان قلت لي كلمة لتسمعن مني عشرا فقال له الاحنف لكنك لو قلت لي عشرا لم تسمع مني واحدة وقال عيسى عليه السلام احتملوا من السفيه كلمة تربحوا عشرا وقال رجل لابي بكر الصديق رضي الله عنه لأسبنك سبا يدخل معك في قبرك فقال معك والله يدخل لا معي وقال رجل لاخيه اني مررت بفلان وهو ينال منك ويذكر أشياء رحمتك منها قال فهل سمعتني أذكره بشيء قال لا قال فاياه فارحم وقال مساور الوراق

اني وهبت لظالمي ظلمي * وغفرت ذاك له على علم

مازال يظلمني وأرحمه * حتى رثيت له من الظلم

وقال محمود الوراق

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب * وان عظمت منه علي الجرائم

فما الناس الا واحد من ثلاثة * شريف ومشروف ومثل مقاوم

فأما الذي فوقي فأعرف فضله * وأتبع فيه الحق والحق لازم

وأما الذي دوني فان قال صنت عن * اجابته نفسي وان لام لائم

وأما الذي مثلي فان قال أو هفا * تفضلت ان الحلم بالفضل حاكم

ومر عيسى عليه السلام بقوم من اليهود فقالوا له شرا وقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وأنت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من خاف الله تعالى لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون وقال أبو الدرداء رضي الله عنه أقرب ما يكون العبد من غضب الله اذا غضب وقال عليه الصلاة والسلام لرجل سأله أن يعلمه كلمات يعيش بهن وقال له الرجل لا تكثر علي فأنسى فقال له لا تغضب * وقال بعض الحكماء الغضب يفسد الايمان كما يفسد العسل الصبر وشتم رجل الشعبي فقال له الشعبي ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك ومن

منثور الحكم اذا أردت أن تحتمل المكارم فاحتمل المكاره وشتم رجل يوما الحسن رضي الله عنه فبالغ في شتمه فقال له الحسن أما أنت فلم تبق شيئا وما يعلم الله أكثر وكذلك قال الاحنف لمن سبه الذي ستر الله علينا أكثر مما قلت وكان معاوية رضي الله عنه يقول لو كانت بيني و بين الناس شعرة ما انقطعت قيل وكيف قال اذا جبذوها أرسلتها واذا أرسلوها جبذتها وقال اني لآنف أن يكون في الارض جهل لا يسعه حلمي وذنب لا يسعه عفوي وحاجة لا يسعها جودي وقسم يوما قطفا فأعطى شيخا منها قطيفة فلم يرضها وأقسم أن يضرب بها رأس معاوية فأتاه واخبره بقسمه فقال له معاوية أوف بنذرك وليرفق الشيخ بالشيخ * الشيخ يقع على الكبير السن وكذلك الشيخة في المرأة المسنة ويقع على الثيب من قوله الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما البتة ويقال الشيخ أيضا للرجل العالم وان لم يكن مسنا وكذلك الرجل العظيم القدر ولي من قطعة

ينادينني ياشيخ لاعن كرامة * كما قد ينادى الناس أهل المراتب

يقال شاخ الرجل يشيخ شيخا وشيخوخة وشيخته دعوته شيخا للتعظيم والتبجيل وجمع الشيخ شيوخ وأشياخ وشيخة ومشيخة وشيخان ومشايخ ولي من قطعة عددها عشرة أبيات كل أحرفها منقوطة فيها ذكر الشيخ

تخضب شيبة تخضيب غش * شيخ نبذت نبذ شخ ضنين

وقبله خشيت تجنبي فخضبت شيبي * ففتنتي ببيت بتضييني

تخضب البيت أنظرها في التكميل مع أخرى * شيوخ ليس مثلهم شيوخا * وكيف أجيز هذا القسم بالمدح تارة و بالذم أخرى مع قسم آخر تشيخوا قبل أن تشيخوا وقال معاوية رضي الله عنه اني لأجد للعفو عن الذنب العظيم لذة وأريحية ما أجدها الشيء من لذات الدنيا وطاف يوما بالكعبة فزحم جنده السائب بن صيفي فسقط فوقف عليه معاوية وهو يومئذ خليفة فقال ارفعوا الشيخ فلما قام قال ماهذا يامعاوية تصرعوننا حول البيت أما والله لقد أردت أن أتزوج باملك فقال معاوية ليتك فعلت فجاءت بمثل أبي السائب يعني عبد الله بن السائب وقال له أبو مسلم الخولاني يوما وكان قد حبس العطاء عن الناس شهرين أو ثلاثة يامعاوية ان هذا المال ليس بمالك ولا مال أبيك فأشار معاوية الى الناس ان امكثوا ثم دخل فاغتسل ثم رجع فقال أيها الناس ان أبا مسلم قد ذكر ان هذا المال ليس بمالي

ولا مال أبي وصدق أبو مسلم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الغضب من الشيطان والشيطان من النار والماء يطفئ النار فاذا غضب أحدكم فليغتسل أغدوا على عطاياكم على بركة الله * ومن جوده وحلمه رضي الله عنه انه بعث عامل من عماله اليه بأحمال فرت الابل على الحسين بن علي رضي الله عنهما فأخذ منها عشرة أحمال فعزلها وقال هذا حقي وبقي لي أكثر منه فلما بلغ ذلك معاوية كتب اليه

يا حسين بن علي ذا الأمل * لك عندي وثبة لا تحتمل

ليس بعدي لك من يحملها * ليس بعد المال والوثب عمل

انما أحذر أن تبلى بمن * عذره قد سبق السيف العذل

وهذا المثل أول من قاله خزيم بن نوفل الهمداني في خبر طويل ذكره البكري أذكر معناه مختصرا قاله لسعيد بن النعمان كان له اخوان فأراد تجربتهم فعمد الى كبش فذبحه ثم أضجعه في قبته وغشاه بثوب ثم دعا أحد اخوانه وكان أوثقهم به في نفسه فقال يا أبا فلان اني قتلت فلانا فما عندك قال وما تريد قال أن تعينني عليه حتى أخفيه قال لست لك بصاحب وفعل ذلك مع ابن نوفل المذكور فقال له اهان ما فزعت فيه الى أخيك وحضر ذلك عبد لسعيد فقال له هل اطلع على هذا غير عبدك هذا قال لا فأهوى خزيم الى العبد بالسيف فقتله وقال ليس عبد بأخ لك فقال سعيد ما صنعت انما أردت تجربتك فقال خزيم سبق السيف العذل انتهى كلامه * وأما الذي ذكر أبو عبيد رحمه الله بأن قائل ذلك ضبة بن أد كان له ابنان سعد وسعيد فخرجا في طلب ابل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد فكان ضبة كلما رأى شخصا مقبلا قال أسعد ام سعيد فذهبت كلمته هذه مثلا وقد تقدم ذلك قبل فصل الحروف بيسير وجعل لرجل ألف درهم على ان يسأل عمرو بن العاص وهو على المنبر من أمه فسأله فقال له أمي سلمى بنت حرملة تلقب بالنابغة من بني عنزة أصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ فاشتراها الفاكه بن المغيرة ثم اشتراها عبد الله بن جدعان منه ثم صارت الى العاص فولدت فأنجبت فان كان جعل لك شيء فخذه * وقال بعض العلماء ثلاث من لم تكن فيه لم ينفعه الايمان حلم يرد به جهل الجاهل وورع يكفه عن المحارم وخلق حسن يداري به الناس * وقال الحسن رضي الله عنه من كان فيه أربع خلال حرمه الله على النار وأعاذه من الشيطان الرجيم من ملك نفسه عند الرغبة والرهبة والشهوة والغضب ويروى انه جرى بين الحسين بن علي بن أبي طالب وبين أخيه

أم عمرو بن العاص

محمد

محمد بن الحنفية رضي الله عن جميعهم كلام فافترقا متغاضبين فلما وصل محمد الى منزله كتب الى الحسين رضي الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن علي بن أبي طالب الى الحسين بن علي بن أبي طالب أما بعد فان لك شرفا لا أبلغه وفضلا لا أدركه أبونا علي لا أفضلك فيه ولا تفضلني وأمك فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان ملء الارض نساء مثل أمي ما وافين بأمك فاذا قرأت رقعتي فالبس رداءك ونعليك وتعال فترضني واياك ان أسبقك الى هذا الفضل الذي أنت أولى به مني والسلام فلبس الحسين رداءه ونعليه وجاء اليه فترضاه رضي الله عنهما وعمن اقتدى بهما * ومما يتعلق بهذا الباب العفو عن الجاني لاسيما مع المقدرة عليه كما روي عن علي رضي الله عنه اذا قدرت على عدوك فاجعل عفوك عنه شكرا للمقدرة عليه ومن أمثالهم في هذا المعنى لا تشن حسن الظفر بقبيح الانتقام * ويروى عن يحيى بن خالد أن رجلا جفاه فأمر باحضاره وقال له أتعلم اني قادر على اساءتك قال بلى قال فانصرف فانما يمنعني منك قدرتي عليك ومن أمثال الحكماء الاقتدار يمنع الحر من الانتصار وقيل لبعض الحكماء وكان من أهل المقدرة ان فلانا ينتقصك فلو عاقبته قال ذلك أعذر له في انتقاصي هذا كله مع ترك اعتذار الخاطئ وأما اذا اعتذر وأقر بالذنب فالعفو عنه في حكم المروءة واجب أو قريب منه ألم تسمع قول الشاعر

اذا اعتذر الجاني محا العذر ذنبه * وكل امرئ لا يقبل العذر مذنب

آخر اذا ما امرؤ من ذنبه جاء تائبا * اليك ولم تغفر له فلك الذنب

وقال بعضهم العفو عن الذنوب لذة لا يبلغها بل العليل من الاسقام ويحكى ان المأمون عتب على ابراهيم بن المهدي فلما دخل عليه أنشده

ذنبي اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بفضلك عنه
ان لم أكن في فعالي * من الكرام فكنه

ومثل هذا حكى ابن أبي داود قال ما رأيت رجلا عاين الموت ملء عينيه فلا أذهله ولا أشغله عما كان يجب أن يفعله غير تميم بن جميل أتي به الى المعتصم بالله في جناية جناها فدعا بالسيف والنطع وكان تميم رجلا وسيما يملأ العين فلما رآه المعتصم أراد أن يعلم أين لسانه وجنانه من منظره فقال له يا تميم تكلم وان كان لك عذر فأت به وان

مبحث العفو

كان لك حجة فأدل بها فقال أما وقد أذن أمير المؤمنين في الكلام فاني أقول وذكر خطبة بليغة يقول فيها بعد كلام حسن * ان الذنب يخرس الألسنة ويصدع الأفئدة وأيم الله لقد عظمت الجريرة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا العفو أو الانتقام وأرجو أن يكون العفو أقربهما منك وأسرعهما اليك وأولاهما بك وأشبههما بخلائقك ثم أنشأ يقول

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظني من حيث لا أتلفت
وأكبر ظني انك اليوم قاتلي * وأي امرئ مما قضى الله يفلت
وأي امرئ يدلي بعذر وحجة * وسيف المنايا بين عينيه مصلت
يعز على الاوس بن تغلب موقف * يسل علي السيف فيه فأسكت
وما جزعي من أن أموت وانني * لأعلم ان الموت شئ موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم * وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى اليهم * وقد خمشوا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا خافضين بغبطة * أذود الردى عنهم وان مت موتوا
وكم قائل لا يبعد الله داره * وآخر جذلان يسر ويشمت

فضحك المعتصم وقال كاد والله يا تميم أن يسبق السيف العذل اذهب فقد وهبتك للصبية وعفوت عن الهفوة وخلع عليه وعقد له على شاطئ الفرات وأحسن وأجمل السيرة ومثل قول تميم * وما جزعي من أن أموت وانني * قول الدراج الضبابي

فلا السجن أبكاني ولا القيد شفني * ولا انني من خشية الموت أجزع
بلى ان قوما قد أخاف عليهم * اذا مت ان يعطوا الذي كنت أمنع

ذكر البيتين ثابت في الدلائل وساق عليهما حكاية شريفة حدث عن بعض القرشيين انه قال لما قدم علينا عبد الرحمن بن الضحاك واليا بالمدينة اجتمع اليه القرشيون فقال يا معشر قريش لكم عندي ثلاث لعلي أن أقصر قالوا فاهن قال والله لا يأتيني فيكم خير الا عجلته ولا شر الا أخرته ولا أطلع على سر منكم من وراء حجاب وكان والله على أكثر مما قال وولينا سنتين وبعض أخرى ثم أتاه العزل فاجتمعنا اليه كاجتماعنا له قبل ولايته فاستعبر وانتحبنا حوله فقال أيكم ينشد قول الدراج الضبابي وذكر البيتين ثم قال والله ما بكائي جزعا من العزل ولا أسفا على الولاية غير اني أخاف

أن يلى هذه الوجوه من لا يرعى لها حقا قلت هـذا والله هو الوفاء لا الجفاء وعلى الناكث العفاء واللفاء ان الحجاج على ما كان عليه من قلة الحياء وكثرة سفك الدماء قد كان ينفع عنده الصدق أحيانا فيعقب الاساءة احسانا قال المدائنى حبس الحجاج رجلا فى مائة ألف فأخذ فأتى به اليه فقال لقتيبة احتفظ به ليلتك ثم بكر به على فانصرف به قتيبة الى منزله فأحضر له العشاء فامتنع منه فقال له قتيبة مالك لا تتعشى قال للذى فى صدرى أصلحك الله من البلبال والذى أشفيت عليه من الهلكة وان أخالى هالك وأوصى الى فلست آمن على تركته الضياع وأنا محتاج الى ان أوصى فيها قال له قتيبة لو كان لك من يضمنك لتركتك تأتى منزلك وتحكم أمرك قال الله كفيلى قال قتيبة كفى بالله كفيلا انطلق فانطلق الرجل وخشى قتيبة أن يؤخذ به فجعل لا يتقار ليله حتى أصبح فأتاه الرجل مصبحا فقال له قتيبة ما الذى خلفك الى هذا الوقت قال التجهز للموت أخرني فركب قتيبة الى الحجاج وانطلق به معه فلما رآه الحجاج قال أين صاحبك قال قد جئت به أيها الامير وأخبره خبره فقال له الحجاج فانى قد وهبته لك فخرج اليه قتيبة فقال له ان الامير قد وهبك لى وقد وهبتك لله عز وجل فقال الرجل نعم القادر الله ولم يزد عليها وانطلق الى المسجد فصلى ركعتين ثم أقبل الى قتيبة فقال له قتيبة أعلمتك انى قد مننت عليك وأعتقتك فلم تشكرنى الشكر الذى يشبه ما كان منى فقال أحببت ان أبدأ بشكر الله تعالى فأخلصه ولا أشرك به أحدا فقلت ما سمعت ودخلت المسجد فصليت ركعتين وحمدت أمرك الى الله عز وجل فكتب قتيبة على خاتمه من يومئذ نعم القادر الله * وشبيه بهذا الخبر ما يحكى ان ملكا من الملوك كان له يوم بؤس اذا خرج فيه ولقى أحدا على صورة يكرهها حبسه أياما معلومة ثم أمر بضرب عنقه فخرج يوما من تلك الايام فلقى رجلا غريبا قاصيا لم يكن عنده علم بشأنه على الصفة التى كان يكرهها فأمر بحبسه وأعلم الرجل بالامر فحمد الله وسلم للقدر فلما قرب الامر كتب الى الملك يرغبه فى تخلية سبيله ليودع أهله ويوصى فى ماله فأحضره وقال له هـذا أمر لا يكون الا بضامن آخذه بما أطلبك به فنظر الرجل فى الحاضرين يمينا وشمالا ثم مد يده الى رجل منهم وقال هذا يضمننى فقال الملك أتضمنه وقد عرفت ما يراد به قال نعم فأمر بحبسه مكانه ونهض المضمون الى بلده فأوصى فى ماله وودع أهله وانصرف وقد وافق قدومه يوم تمام المدة فلما استأذن على الملك امر باحضارهما معا وقال للضامن ما حملك على ضمانه والمخاطرة بنفسك

فى شأنه ولو تأخر ساعة لسبق السيف العذل قال له أيها الملك ما رأيت وقد وثق بى ان أخالف ظنه فى فرجع الى المصمون وقال له ما حملك بعد تخلصك على المجىء وقد علمت المراد بك قال له لم يكن يحمل بى ان أراه بمكان الثقة فيرانى بمكان الغدر فعجب من وفائهما جميعا وعفا عنهما ورفع بؤس ذلك اليوم فلم يقصده بعد * وكان يذكر أن ربعى بن خراش رضى الله عنه لم يكذب قط فأقبل ابناه من خراسان وكان الحجاج يجد فى طلبهما فأعلمه بعض العرفاء بوصولهما فبعث الحجاج الى ربعى ليختبر حقيقة ما وصف به فلما جاءه قال له أيها الشيخ قال له ما تريد قال له ما فعل ابناك قال الله المستعان هما فى البيت قال الحجاج لا جرم والله لا أسوءك فيهما أيداهما لك وربعى هذا هو الذى آلى أن لا يضحك حتى يعلم أفى الجنة هو أم فى النار قال الحارث الغنوى وهو الذى روى هذا الحديث عنه فلقد أخبر فى غاسله عنه انه لم يزل متبسما على سريره وهو يغسله حتى فرغنا منه وكذلك كان أخوه ربيع بن خراش آلى أيضا أن لا تفتر أسنانه ضاحكا حتى يعلم أين مصيره قال فما ضحك الا بعد موته وكان لهما أخ تكلم بعد موته بكلام حسن فيه رجاء وخير والحمد لله * ذكر هذه الاخبار الامام أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أبى الدنيا فى كتاب الآيات ومن تكلم بعد الموت والكتاب قرأته على أبى الحسن على بن مؤمن القرطبى لقيته بمكة شرفها الله تعالى وقرأت عليه وأجازنى رضى الله عنه أذكرنى حديث ربعى رضى الله عنه قول الله تعالى وكان أبوهما صالحا انظر كيف أنجى الله الابنين بصلاح أبيهما ولم يسؤه فيهما وقد كان حصلا من الاسد فى شدقه فخلصهما الله بصدقه اذا فلا سلاح أحسن من الصلاح ولا جنة أوقى من التقى وانظر ماذا حصل لذلك النمام من الآثام ولم ينل فى نمه سوى ان شرق بهمه وغرق فى يمه ولم يثبت به فى قلب من سمعه من المحبة وزن حبه فقل يا بنى عبد الرحيم لذلك النمام الرجيم

الفلس لست تساوى * اذا عملت المساوى
بل انت للشيخ ابليس فى الفعال المساوى
فاحذر طريق المعاصى * فان فيها مهاوى
وكل من سار فيها * فانه ثم هاوى
وللهوى هوة من * هوى بها فهو ثاوى

فاتركه رأسا أخي لا * تركن اليه وتاوى
وكن لكل قبيح * معاديا ومناوى
وللجميل وفعل الصلاح باشهم ناوى

وهذه ابيات لزوميات أضرب بها وجوه القتات ويكفيه المسود الوجه بعد هذا القبح ماقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لايدخل الجنة قتات ولى فى هذا المعنى الاولى ياصاح ان الله ينفع بالصلاح

عصيت الهى فخفت الدواهى * وخنت ولم أطع الناصحا
فلو كنت برا لما خفت ضرا * ونلت المنى غاديا رائحا
وكان صلاحى وكان * يقينى يقينى لردى الفادحا
كذا سنة الله فى الخلق فاقرأ * وأما الجدار الى صالحا
تجد حفظ الابن من أجل صلاح أبيه فأصلح تكن رابحا
ولا حول للعبد فى ذاك الا بمولاه فاهتف به صائحا
الهى لى افتح طريق الصلاح فلاهم ان كنت لى فاتحا

وجاء فى التفسير فى قوله تعالى وكان أبوهما صالحا من قول ابن عباس رضى الله عنهما حفظا لصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاحا * وقال محمد بن المنكدر ان الله ليصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده ويحفظه فى دويرته والدويرات التى حوله مادام فيهم وقال خيثمة ان الله ليطرد بالرجل الواحد الشيطان من الأدور * وذكر ابن أبى الدنيا فى الكتاب المتقدم وقرأته بسنده الى أنس بن مالك رضى الله عنه قال عدت شابا من الانصار فما كان بأسرع من أن مات فأغمضناه ومددنا عليه الثوب فقال بعضنا لأمه احتسبيه قالت أوقد مات قلنا نعم قالت أحق ماتقولون قلنا نعم فمدت يدها الى الله تعالى وقالت اللهم انى آمنت بك وهاجرت الى رسولك فاذا نزلت بى شدة دعوتك ففرجتها عنى وأسألك اللهم أن لا تحمل على هذه المصيبة اليوم قال فكشف الثوب عن وجهه فما برحنا حتى أكلنا وأكل معنا * ومما جاء فى النمام فى بعض الآثار أن موسى عليه السلام خرج يستسقى ببنى اسرائيل ثلاث مرات فلم يسقوا فقال الهى عبادك فأوحى الله اليه انى لا أستجيب لك ولمن معك لان فيهم نماما قد أصر على النميمة فقال يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فقال ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما

قلت والكذاب شر من النمام الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم وقد سئل أيكون المؤمن كذابا قال لا وقيل له أيكون المؤمن بخيلا قال نعم قيل أفيكون جبانا قال نعم وقال في الكذاب لا وقال الله تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون وقال الشاعر

ان الهموم أغطي دونه خبري * وليس لي حيلة في مفتري الكذب

وقال آخر لي حيلة فيمن ينم * وليس في الكذاب حيله

من كان يكذب ما أراد فحيلتي فيه قليله

ذكر هذه الابيات ثابت رحمه الله وقال قال أبو زيد يقال منه رجل نم من قوم نمين وامرأة نمة من نساء نمات * يروى عن عبد الله بن حسين انه كان يقول لكل تاجر رأس مال ورأس مال صاحب الحديث الصدق وقد تقدم عن النسابة البكري يصف العلم حيث قال ان للعلم آفة وهجنة ونكدا ثم قال ونكده الكذب فيه وقال ابن المعتز لو تميزت الاشياء لكان الصدق مع الشجاعة والكذب مع الجبن والتعب مع الطمع والراحة مع اليأس والحرمان مع الحرص والذل مع الدين وهذا كلام جامع ولمن استعمله نافع وقال سليمان بن سعد لو صحبت رجلا فقال لي اشترط علي خصلة واحدة ولا تزد عليها لقلت له لا تكذب اقتدي هذا بقول النبي صلى الله عليه وسلم للرجل الذي جاءه وأسلم وقال له اني أستسر خلالا قال وما هي قال الزنا والكذب والسرقة وشرب الخمر فأيتهن تحب أن أدعها لك سرا تركتها قال له دع الكذب فلما خرج من عنده هم بالزنا ثم قال يسألني رسول الله صلى الله عليه وسلم فان جحدت كذبت ونقضت عهده وان أقررت لزمني الحد فتركه وقال مثل ذلك في السرقة وشرب الخمر فتركها جميعها ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال قد تركتها أجمع يا رسول الله * وقال أبو حنيفة لرجل وسمعه يقول ما كذبت كذبة قط فقال ابو حنيفة أما هذه فواحدة أشهد بها عليك * وقال الاصمعي لرجل كذاب أصدقت قط قال أكره ان أقول لا فأصدق وفي الصحيح ثلاث من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان * ويروى ان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وعد رجلا من قريش أن يزوجه ابنته فلما كان عند موته أرسل اليه وزوجه وقال كرهت ان ألقى الله بثلث النفاق والكذب كله حرام وقبيح ومنتن مفضح وهو في اللسان

لا في القلب

لا في القلب ومن قبحه وفضيحته ان اللسان يكذب فيكذبه القلب * وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول الكذب فجور والنميمة سحر فمن كذب فقد فجر ومن نم فقد سحر وقال النبي عليه الصلاة والسلام اذا كذب العبد تباعدت عنه الملك ميلا من نتن ماجاء به ولم يرخص في شئ منه الا في ثلاثة مواطن عند الحرب فانها خدعة والرجل يصلح بين اثنين فيقول خيرا و ينمي خيرا والرجل يرضي امرأته وفي هذا كله لا يقصد الكذب المحض ولكنه ورّى * وقد جاءات في المعاريض لمندوحة عن الكذب ومعنى مندوحة أي سعة وفسحة يقال ندحت الشئ ندحا وسعته يعني ان الرجل يتسع في المعاريض عن الكذب اذا اضطر الى ذلك والمعاريض ما اذا اضطر الانسان اليه ورّى بغيره وعرّض بسواه والتورية مثل ماجاء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد غزوة ورّى بغيرها وهذه مكيدة من مكايد الحرب وحيلة والحرب خدعة مثال ذلك ان يريد غزوة الشرق مثلا فيسأل في الظاهر عن طريق الغرب وكيف السفر في تلك الجهة وكيف الماء ومن أشياء من هذا النوع حتى يشيع في الناس انه يريد ذلك الوجه المخالف لمقصوده فتذهب بذلك الجواسيس فتأمن أهل الجهة التي يريد أن يقصدها فيلقى أهلها وهم قارّون مطمئنون فيأخذهم بغتة وهذا ضرب من السياسة مستحسن عند أهل الرياسة وبقي هنا شئ وهو اذا كان مصلحة العسكر في افشاء السر امالبعد الطريق واما لكثرة العدو فلا يسعه الا اظهار الوجه الذي يقصده كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وكما جاء في الحديث قلما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورّى بغيرها فلما أراد غزو الروم ورّى بتبوك واستقبل مفازات وسفرا بعيدا وغزو وعدد كثير جلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك صلى الله عليه وسلم يروى عن ابراهيم ان رجلا أتاه فقال له اني اعترضت على دابة وانها نفقت ولست أعطى عطائي الا ان أحلف انها الدابة التي اعترضت عليها فقال ابراهيم اذهب فخذ دابة فاعترض عليها بجسدك ثم احلف انها الدابة التي اعترضت عليها وأنت تعني اعتراضك بجسدك خرجه أبو عبيد رحمه الله وكما يروى ان أحد الفضلاء اضطره بعض الملوك الى أكل طعامه وكان لا يرضاه فقال له أصلحك الله الصائم لا يأكل صدق في قوله وأخفى فطره فيه وكان بعضهم يقول لاهله اذا طلبت في الدار فقولوا اطلبه في المسجد وربما قيل لبعض الناس هل عندك نار فيقول له مرّ للفرن

ولا يكذب وكان رجل له امرأتان فقالت له احداهما بحضرة الاخرى من تحب منا أكثر فقال لا أقول الكما الآن شيئا ثم اشترى رأسا وأكله مع احداهما وقال لها لا تعلمي بذلك ضرتك وفعل مع الأخرى مثل ذلك فلما اجتمعوا بعد ذلك قالت احداهما المقالة الاولى لمن تحب أكثر فقال للتي أكلت معها الرأس فسكتت كل واحدة منهما وقالت في نفسها أنا وقد صنع مثل هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عنه انه اجتمع عنده أزواجه ذات يوم وقلن يارسول الله أينا أحب اليك فوعدهن الغداة ثم أعطى لكل واحدة منهن خاتما من غير أن يعلم غيرها ثم قال لهن بالغداة اجتمعن فلما اجتمعن قال صاحبة الخاتم أحب الي ويروى عن شريح انه دخل على زياد في مرضه فلما خرج من عنده قيل له كيف تركت الامير قال تركته يأمر وينهى فقد كرذلك لمسروق فقال ان شريحا صاحب تعريض فاسألوه ما معناه فسئل قال تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء

* (فصل في السعاية وقلة الرعاية) * سعى بعض الناس الى بعض الولاة برجل فقال له من حدثك بذلك قال الثقة قال ان الثقة لا يبلغ وقال الشاعر

اذا الواشي سعى يوما صديقا * فلا تدع الصديق لقول واشي

أتى رجل الوليد بن عبد الملك وهو على دمشق لأبيه فقال للامير عندي نصيحة فقال ان كانت لنا فأظهرها وان كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها قال جار لي عصى من بعثته قال أما أنت فتخبرانك جار سوء فان شئت أرسلنا معك فان كنت صادقا أقصيناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت تاركناك قال بل تاركني قال قد فعلت * وسأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة فقال لاصحابه اذا شئتم فلما تهيأ الرجل للكلام قال له عبد الملك على رسلك اياك أن تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك أو تكذبني فانه لا رأى للكذوب أو تسعى بأحد الي وان شئت أقلتك قال أقلني قال قد فعلت * ووشى واش برجل الى الاسكندر فقال له أتحب أن أقبل منك ما قلت فيه على أن أقبل منه ما قال فيك قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك الشر وقال ذو الرياستين قبول السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شئ كمن قبل وأجاز فامقت الساعي على سعايته وان كان صادقا لؤمه في هتك العورة واضاعة الحرمة مبارزة لله عز وجل بقول البهتان والزور وقال بعض المحدثين

لعمرك ما سب الامير عدوه * ولكنما سب الامير المبلغ

تقدم من قول عبد الملك رحمه الله اذا شئتم وتلك علامة كانت بينه وبين أصحابه اذا أراد أن يقوموا عنه وكذلك قال أصحاب معاوية لمعاوية انا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهوتك فكنا نريد أن تجعل لنا علامة نعرف بها ذلك فقال علامة ذلك أن أقول اذا شئتم وقيل ذلك ليزيد فقال اذا قلت على بركة الله وقيل ذلك لآخر فقال اذا ألقيت الخيزرانة من يدي * رجع الكلام الى ذكر الحجاج

خرجت من ذكر سفاك لأفاك * ومنهما لقوم بالبرى شاكى
بالله أيهم شر الثلاثة قل * هم سواسية مافيهم زاكى
لكن نفسي للحجاج قالية * لانه شر قتال وفتاك
لولم يكن غير قتل ابن الزبير كفى * وبعده ابن جبير الخاشع الباكى
الى ألوف سوى هذين حكم في * رقابهم كل ماض الحد بتاك
جورا وظلما وعدوانا بكل فتى * بر تقى زكى غير شكاك
لكنني لا أقول النار منزله * فالله يغفر كلا غير الاشراك

اتفق العلماء على تفسيقه واختلفوا في تكفيره وذكروا له قبائح يشنع ذكرها فمن جراءته وظلمه ما خرج ابن قتيبة انه خطب يوما فقال في خطبته سوطي سيفي ونجاده في عنقي وقائمه في يدي وذبابه قلادة لمن اغتر بي فقال الحسن بؤسا لهذا ما أغره بالله وحلف رجل بالطلاق ان الحجاج في النار ثم أتى امرأته فمنعته نفسها فأتى ابن شبرمة يستفتيه فقال يا ابن أخي امض فكن مع أهلك فان الحجاج ان لم يكن في النار لم يضرك أن تزني وان كان في النار برت يمينك وهذا القول لا يغتر به وليس عليه العمل لانه أمر غيب وقد صرح ابن شبرمة ان الرجل على هذه الحالة زان لقوله لم يضرك أن تزني والله أعلم بمذهبه وأخبار الحجاج كثيرة مروية وانما أردت أن لا أخلي هذا الكتاب من فائدة ويقال آخر ما قال الحجاج اللهم اغفر لي فان هؤلاء يزعمون انك لا تفعل * تقدم في البيت ذكر ابن الزبير وهو أبو خبيب ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضوان الله عليه وهو أول مولود ولد في الاسلام وقيل أول مولود ولد في الاسلام الحسن بن علي ولد سنة اثنتين من الهجرة وأول طعام دخل في جوفه أعني ابن الزبير ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاش كما قال فيه عبد الله بن عمر رضي الله عنه حين وقف عليه مصلوبا فسلم وقال السلام عليك أبا خبيب السلام عليك أبا خبيب السلام عليك

ذكر ابن الزبير

أبا خبيب أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا أما والله ما علمتك الا صواما قواما وصولا للرحم أما والله لأمة انت شرها لأمة خير ثم نفذ عبد الله بن عمر فبلغ الحجاج موقف عبد الله وقوله فأرسل اليه فأنزله عن جذعه وألقى فى قبور اليهود ثم ارسل الى أمه أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما فأبت أن تأتيه فأعاد لها الرسول لتأتينى أو لأبعثن اليك من يسحبك بقرونك قال فأبت وقالت والله لا آتيك حتى تبعث الىّ من يسحبنى بقرونى قال فقال أرونى سبيبتى فأخذ نعليه ثم انطلق يتودّن حتى دخل عليها فقال كيف رأيتنى صنعت بعدوّ الله قالت رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك بلغنى انك تقول له يا ابن ذات النطاقين أنا والله ذات النطاقين أما أحدهما فكنت أرفع به طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبى بكر الصديق رضى الله عنه من الدواب وأما الآخر فنطاق المرأة التى لا تستغنى عنه أما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أن فى ثقيف كذابا ومبيرا فأما الكذاب فرأيناه وأما المبير فلا اخالك الا اياه قال فقام عنها ولم يراجعها هذا نص مسلم من قوله السلام عليك أبا خبيب الى هنا وكان ابن الزبير رحمه الله اذا قال له عدوّه يا ابن ذات النطاقين على جهة التعيير ينشد

* وتلك شكاة ظاهر عنك عارها * وصدر هذا البيت لابى ذؤيب الهذلى

وعيرنى الواشون انى أحبها * وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فان أعتذر منها فانى مكذب * وان تعتذر يردد على اعتذارها

ويروى فتلك شكاة نازح عنك عارها * وهذا بين وأما الرواية الأخرى فمعنى ظاهر أى عال عنك أى ليس يصيبك ولا يلحقك ومن هذا المعنى قول الله تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه أى يعلوا عليه وكذلك الحديث والشمس فى حجرتها قبل ان تظهر أى تعلو على السقف وفضائل ابن الزبير رضى الله عنه كثيرة روى ابن جريج عن ابن أبى مليكة قال ذكرت ابن الزبير عند عبد الله بن عباس فقال رضى الله عنه كان عفيفا فى الاسلام قارئا للقرآن والله لاحاسن نفسه محاسنة لن أحاسنها لابى بكر ولا لعمر أبوه الزبير وأمه أسماء وجده أبو بكر وعمته خديجة وجدته صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته عائشة رضى الله عنها وذكر حديثا طويلا رضى الله عنهم وكان سبب فتنته وقتله ان معاوية لما قدم مكة شرفها الله تعالى دعاه الى

البيعة ليزيد ابنه فأبى عليه وقال أكره أن أبايع لرجلين أيكما أطيع بعد أن أعطيكما العهود والمواثيق فان كنت مللت الامارة فبايع ليزيد فنحن نبايعه معك وفي رواية أخرى انه قال اخترمنا خصلة من ثلاث قال ان في ثلاث لمخرجا قال اما ان تفعل كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماذا قال لم يستخلف أحدا قال وماذا قال أو تفعل كما فعل أبو بكر رضي الله عنه قال فعل ماذا قال نظر الى رجل من عرض قريش فولاه قال وماذا قال أو تفعل كما فعل عمر قال فعل ماذا قال جعلها شورى في ستة من قريش قال ألا تسمعون اني قائم فقائل مقالا لئن صدقت فعلي صدقي وان كذبت فعلي كذبي والله لا ينطق احد منكم في مقالتي الا ضربت عنقه ثم قام خطيبا فقال ان فلانا وفلانا قد بايعوا فبايعوا ثم ركب نجائبه وانصرف الى الشأم فبايعه الناس فلما مات معاوية تثاقل ابن الزبير عن طاعة يزيد بن معاوية فبلغ ذلك يزيد فأقسم لا يؤتى به اليه الا مغلولا والا ارسل اليه فقيل لابن الزبير ألا نصنع لك غلا من فضة تلبس عليه الثوب وتبر قسمه فالصلح اجمل بك قال لا أبر والله قسمه ثم قال

ولا ألين لغير الحق أسأله * حتى يلين لضرس الماضغ الحجر

ثم قال والله لضربة بسيف في عز أحب الي من ضربة بسوط في ذل ثم دعا الى نفسه وأظهر الخلاف ليزيد فكان آخر أمره أن قتل رحمه الله في المسجد الحرام وجعلت الجيوش تدخل من ابواب المسجد فكلما دخل قوم من باب حمل عليهم حتى يخرجهم ويقول * لو كان قرني واحدا كفيته * وعلى ظهر المسجد من أعوانه من يرمي عدوه بالآجر فأصابته آجرة في مفرقه حتى فلقت رأسه فوقف قائما وهو يقول

ولسنا على الاعقاب تدمى كلومنا * ولكن على أعقابنا تقطر الدما

ثم سيراليه فأخذ رأسه ثم صلب منكوسا فجاءت امه وهي مكفوفة البصر فقالت للحجاج أما آن لهذا الراكب ان ينزل فقال الحجاج المنافق فقالت والله ما كان منافقا ان كان لصواما قواما برا فقال انصرفي يا عجوز فقد خرفت فقالت لا والله ماخرفت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في ثقيف كذاب ومبير فأما الكذاب فقد رأيناه واما المبير فأنت فلما أبى عليها قالت وددت أن لا أموت حتى يدفع الي فأغسله وأحنطه وأكفنه ثم أدفنه فلم يلبثوا أن جاء كتاب عبد الملك ان يدفع الى اهله فأتي به اسماء فغسلته ثم كفنته ثم دفنته وعاشت بعد ذلك ثلاثة أيام وكان سنها مائة سنة لم يسقط لها سن رضي الله عنهما * (فصل) * واما ابن

مقتل سعيد بن جبير

جبير ففضله ايضا مشهور وفي الدواوين مذكور * ذكر ابن قتيبة في الامامة والسياسة انه لما قدم على الحجاج سعيد بن جبير قال له ما اسمك قال أنا سعيد بن جبير فقال الحجاج بل انت شقي بن كسير قال سعيد أمي أعلم باسمي واسم أبي قال الحجاج شقيت وشقيت أمك قال سعيد العلم يعلمه غيرك قال لأوردنك حياض الموت قال سعيد أصابت أمي اذا اسمي قال الحجاج لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى قال سعيد لو أني اعلم ان ذلك بيدك لاتخذتك الها قال الحجاج فما قولك في محمد صلى الله عليه وسلم قال سعيد نبي الرحمة ورسول رب العالمين وامام المتقين وسيد المرسلين قال فما قولك في الخلفاء قال لست عليهم بوكيل قال اشتمهم أو امدحهم قال سعيد لا أقول مالا أعلم انما استحفظت أمر نفسي قال الحجاج أيهم أعجب اليك قال حالاتهم تفضل بعضهم على بعض قال الحجاج كيف قولك في علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفي الجنة هو أو في النار قال سعيد لو دخلت الجنة فرأيت أهلها علمت ولو رأيت من في النار من أهلها علمت فما سؤالك عن غيب قد حفظ وحجب عنك قال الحجاج فأي الرجلين انا يوم القيامة قال سعيد أنا أهون على الله من أن يطلعني على الغيب قال الحجاج أبيت أن تصدقني قال سعيد بل لم أحب ان أكذبك قال الحجاج دع عنك هذا كله أخبرني مالك لم تضحك قط قال لم أر شيئا يعجبني فكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ويوم القيامة حسابه وهو يصبح ويمسي وقد وصفت له النار قال الحجاج فأنا أضحك قال سعيد ليست القلوب كلها بالسواء قال الحجاج مارأيت من اللهو شيئا قال لا أعلمه فدعا الحجاج بالعود والناي فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى سعيد عند ذلك فقال الحجاج ومايبكيك قال ذكرتني ياحجاج أمرا عظيما والله لاشبعت ولا رويت ولا اكتسيت ولازلت حزينا لما رأيت قال الحجاج وما كنت رأيت هذا اللهو قال سعيد بل هذا والله الحزن ياحجاج أما هذه النفخة فقد ذكرتني النفخ في الصور وأما هذا المصران فمن نفس ستحشر معك يوم القيامة وأما هذا العود فنحت من عود قطع بغير حق قال الحجاج أنا قاتلك قال سعيد فرغ من سبب موتي قال الحجاج أنا أحب الى الله عز وجل منك قال سعيد الله أعلم بالغيب منك قال الحجاج كيف ترى مايجمع لامير المؤمنين قال لم أر منه شيئا فدعا الحجاج بالذهب والفضة والياقوت فوضع بين يديه فقال هذا لأمير المؤمنين كيف ترى ياسعيد قال ان تحملت له ياحجاج أن تشتري له بها الامن من الفزع الاكبر يوم القيامة فهو صالح

والا

والا فان كل مرضعة تذهل عما أرضعت ولا تنفع الاموال يوم القيامة الا ما طاب
منها قال الحجاج فنحن نرى جمعها طيبا قال برأيك جمعته قال أتحب انه لك قال
لا أحب مالا يحبه الله قال الحجاج ويلك يا سعيد قال الويل يا حجاج لمن زحزح عن
الجنة وأدخل النار قال اذهبوا به فاقتلوه قال أشهدك يا حجاج انه لا اله الا الله
وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله أستحفظكهن حتى ألقاك فلما أدبر به
ضحك قال ما يضحكك يا سعيد قال عجبت من جراءتك على الله وحلم الله عليك قال
اضربوا عنقه قال حتى أصلي ركعتين فاستقبل القبلة وهو يقول وجهت وجهي للذي
فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين فقال الحجاج اصرفوه عن القبلة
الى قبلة النصارى فصرف عن القبلة فقال سعيد فأينما تولوا فثم وجه الله فصلى
سعيد ثم قال اللهم لا تترك له ظلمي واطلبه بدمي ولا تبقه بعدي واجعلني آخر قتيل
يقتله قال فضربت عنقه فاقضى حتى خولط الحجاج وجعل يصيح قيودنا قيودنا
يعني القيود التي كانت في رجلي سعيد بن جبير متى كان الحجاج يسأل عن قيود
أو يعني بها ويروى انه قال اختر أي قتلة شئت فقال له ابن جبير بل اختر أنت
لنفسك فان القصاص أمامك انتهى كلامه رحمه الله * استجاب الله دعاء سعيد التقي
واستريح من الحجاج الشقي ويروى انه أخذه الكزاز على اثر قتل سعيد فما زال
مكزوزا حتى مات وكان يصيح في كزازه مالي ولسعيد بن جبير وقيل لما قتل سعيد
ابن جبير خرج منه دم كثير فهال الحجاج ذلك فأرسل الى طبيب فسأله فقال انك
قتلته وهو مستجمع ليس فيه من خوفك شئ * وتوفي الحجاج بواسط في آخر شهر

ذكر الحجاج ووفاته

رمضان سنة خمس وتسعين وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وكانت امرته على العراق
عشرين سنة وكان رجلا قصيرا اصغر العينين ناتئ الجبهة جهير الصوت كان صوته
يخرج من شدقيه وكان سعيد بن جبير رضي الله عنه عبدا اسود يكنى ابا عبد الله
لرجل من بني أسد بن خزيمة قد اشتراه سعيد بن العاص في مائة عبد فأعتقه وكان
مجاب الدعوة يروى انه كان له ديك في قفص يضعه عند رأسه فاذا صاح قام الى
الصلاة فاعتل ليلة الديك فلم يصح فنام سعيد فدعا عليه فقال قطع الله صوتك قال
فما صاح بعد ذلك وكانت أمه تقول له لا تدعون على شئ وكان قد فر الى مكة من أجل
الحجاج وترك امرأته حبلى فولدت غلاما فسمته عبد الله فلم يره سعيد حتى قدم عليه
مكة وقد اخضر شاربه ولقي سعيد وهب بن منبه رضي الله عنهما بمنى فشكى اليه

خروجه من وطنه وخوفه من الحجاج وقال له قد خرجت وتركت جنينا في بطن أمه فارأيته حتى اخضر شاربه خوفا من الحجاج فقال له وهب ان الصالحين كانوا قبلكم اذا سلك بهم سبيل البلاء فرحوا واذا سلك بهم سبيل الرخاء حزنوا فقالوا ماذا يريد بنا ربنا فسرى عن سعيد بن جبير وقال الاوزاعي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أحب الله عبدا سلط عليه من يظلمه وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه اذا أراد الله أن يتحف العبد سلط عليه من يظلمه وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ما أغبط رجلا لم يصبه في هذا الامر اذى (قلت) يعني عمر رضي الله عنه ما أصاب العلماء والفضلاء من المحن والفتن اذ كانوا يؤمرون بأن يقولوا القرآن مخلوق ويحملون على سب الصحابة وعلى البيعة لمن لا يرضون فمنهم من ضرب ومنهم من حلق رأسه ولحيته ومنهم من سجن ومنهم من اختفى وستره الله فممن ضرب سعيد بن المسيب رحمه الله جلد مائة سوط وحلق رأسه ولحيته وطيف به حتى ان كانت الدور بالمدينة لتغلق كراهية النظر اليه اعظاما له وما يسمع فيها الا بكاء بالنوبعد ذلك أمر به الى السجن وسبب ذلك انه لما جاءت بيعة سليمان مع بيعة الوليد بن عبد الملك ابن مروان كره أن يبايع لهما جميعا فأمر أن يفعل به ما تقدم ولما جاء الكتاب بذلك سألوا الوالي أن لا يعجل عليه وأن يخوفه بالقتل فعسى أن يجيب فأرسلوا مولى له وقالوا اذهب فأخفه فجاءه وهو في مسجده وهو يصلي فبكى المولى فقال له سعيد ما يبكيك ويحك قال مما يراد بك جاء كتاب فيك ان لم تبايع قتلت فجئتك لتتطهر وتلبس ثيابا طاهرة وتفرغ من عهدك قال ويحك قد وجدتني أصلي أفتراني كنت أصلي ولست بطاهر وثيابي غير طاهرة وأما ما ذكرت من العهد فاني أضل عن أرسلك ان كنت بت ليلة ولم أفرغ من عهدي فاني لم أكن لأبايع بيعتين في الاسلام بعد حديث سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كانت بيعتان فاقتلوا الحدثاء فحمل الى الوالي ففعل به ما ذكر ثم انه لما خلي سبيله اتى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فسمع المؤذن فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل له مالك يا أبا محمد قال ما سبقني اليه المؤذن منذ أربعين سنة وكان يسمى حمامة المسجد ويوم الحرة لم يبق في المسجد غيره وكان أعمى فكان اذا كان وقت الصلاة سمع أذانا من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم واقامة الصلاة فكلما سمع الاذان قام وصلى وحده وكان أهل الشام يدخلون عليه زمرا فيقولون انظروا الى هذا الشيخ المجنون

وسياتى

ذكر بعض ما اصاب العلماء من الفتن والمحن

وسيأتي طرف من فضائله في باب الواوات شاء الله تعالى وكذلك ممن ضرب
من أهل المدينة محمد بن المنكدر وربيعة بن عثمان التيمي وربيعة بن أبي عبد
الرحمن وحلق رأسه ولحيته وأقيم للناس وعثمان بن عبد الله بن رافع ومحمد بن
عمران بن طلحة ونفي من المدينة والضحاك بن عبد الله بن محمد بن عون وعبد الرحمن
ابن عبد الله الجهني وضرب الدراوردي وضرب مالك بن أنس فوق القميص مائة
سوط وخلعت كتفه فكان اذا مشى اتكأ على معن بن عيسى فكان يقال له عصية
مالك الطول مكثه معه وأصابه فتق في بطنه فكان يخرج منه الريح فلم يشهد جماعة
ولا جمعة سبع سنين وممن ضرب من أهل البصرة قتادة بن دعامة السدوسي وعبد
الله بن عوف وثابت البناني وأبو نصر ومن أهل الكوفة عبد الرحمن بن أبي ليلى
وعبد الرحمن بن الأسود وأبو حنيفة وسجن ومات في السجن وكان أريد على القضاء
فأبى فقيل له ان الوالي قد حلف ان لا يخرجك حتى تلي فقال لو سألني أن أعد له
أبواب المسجد لم أفعل وحلف ان لا يلي فقيل له قد حلف أمير المؤمنين فقال أمير
المؤمنين على كفارة أيمانه أقدر مني على كفارة أيماني فمات مسجونا وله سبعون سنة
وممن ضرب من أهل اليمن وهب بن منبه وضرب أحمد بن حنبل وغيرهم رضي الله
عنهم نقلت هذا كله من كتاب محمد بن شبل رحمه الله وممن توارى وفر امام الخلفاء
سفيان الثوري رضي الله عنه وكان فراره من أبي جعفر المنصور وفر الى مكة منه فدخل سفيان الثوري
ومنادي أبي جعفر ينادي ألا من آوى سفيان الثوري فقد برئت منه الذمة فقال
سفيان الى بعض أزقة مكة فرفع يديه نحو السماء وهو يقول يارب حرمك وأمنك يا من
فيه الطير والوحش وسفيان لا يأمن فيه فبينما هو يطوف بالبيت اذا به في الطواف
معه فقيل له يا أمير المؤمنين هذا الثوري الذي تجعل فيه الجعائل فلما حاذاه ضرب
على منكبه فحس به فقال له أتعرفني قال ما أعرفك ولكني أحسست في ضربتك
انها ضربة جبار فقال له ابو جعفر ما منعك ان ترفع الينا ظلامات الناس وتعظني فأفعل
وأفعل فقال له سفيان يا أمير المؤمنين علمت انك رجل تقرأ القرآن وكل من يقرأ
القرآن ولم يتعظ به لا يتعظ بشئ أبدا قال فكان مالك رحمه الله يعجبه هذا الكلام
من الثوري ويراه وجه العمل في ذلك قال أبو عمر بن عمر الشيباني ودخل سفيان
الثوري على المهدي فالتفت اليه الحاجب وقال له يرسل اليك أمير المؤمنين
وتأبى أن تأتيه ما أولاك كأنه يتهدده فقال اسكت يا هامان فقال يا أمير المؤمنين

ألا تسمع ما يستقبلني به عندك فقال له ويلك اسكت اذا أنت عنده هامان فما أنا عنده فجلس الثوري عنده ساعة ثم قال انى أردت البول فقال له المهدى على ان ترجع فقال له نعم فمضى الثوري ثم رجع فأخذ نعليه فاستبطأه المهدى فقال يا قوم أما تخشون أن تسقط السماء علينا كسفا يا قوم أما تخشون أن تنشق الارض من تحتنا فتذهب فيها سفالا قيل له ماهو يا أمير المؤمنين قال مثل الثوري يكذب فقيل له انه قد رجع فأخذ نعليه ومضى فقال خدعنا والله قال ومات الثوري متواريا عند حماد بن زيد بالبصرة فغسله حماد وأخرجه الى باب المسجد فقالوا جنازة الثوري فذهب به الى المقابر في نحو من عشرة أو خمسة عشر قال حماد فوالله ما بلغنا المقابر حتى صرنا في نحو من عشرة آلاف رقبة فأقام الرجال والنساء على قبره ثلاثة أيام يصلون عليه رضي الله عنه ومات رحمه الله وهو ابن أربع وستين سنة

أخبار الحجاج

وحدث أحمد بن عبيد في أخبار الحجاج انه لما حضره الموت قال أسندوني وأذن للناس فدخلوا عليه فذكر الموت وكربته واللحد ووحشته والدنيا وزوالها والآخرة واقبالها ثم أنشأ يقول

ان ذنبي وزن السموات والارض وظني بخالقي أن يحابي
فلئن من بالرضى فهو ظني * ولئن مر في الكتاب عذابي
لم يكن ذاك منه ظلما وهل يظلم رب يرجى لحسن المآب

ثم بكى وبكى جلساؤه ثم أمر بكتاب يكتب الى الوليد بن عبد الملك بن مروان أما بعد فقد كنت أرعى غنما أحوطها حياطة الناصح الشفيق فجاء الاسد فبطش بالراعي ومزق المرعى كل ممزق وقد نزل بمولاك مانزل بأيوب الصابر وأرجو أن يكون ذلك تكفيرا لما حصل من ذنوبه ثم كتب في آخر الكتاب

اذا ما لقيت الله عني راضيا * فان سرور النفس فيما هنالكا
فان مت فاذكرني بذكر محبب * فقد كان جما في رضائك سالكا
لقد ذاق هذا الموت من كان قبلنا * ونحن نذوق الموت من بعد ذلكا

في أبيات كثيرة ثم دخل عليه أبو يعلى بن مجالد المجاشعي فقال كيف ترى مابك يا حجاج من غمرات الموت وسكراته فقال يا أبا يعلى أرى ألما فظيعا ونزعا جريضا وسفرا طويلا وزادا قليلا فويلا وويلا ان لم يرحمني الجبار فقال له انما يرحم الله من عباده

الرحماء أولى الرحمة والتحنن والتعطف على عباده وأنت قتلت الصالحين وأفنيتهم وأطعت المخلوق فى معصية الخالق وضربت الابشار وسست سياسة متكبر جبار عززت بنى مروان وأذللت نفسك وعمرت دورهم وخربت دارك فاليوم لا ينجونك ولا يغنونك لقد كنت لهذه الامة اهتماما واغتماما وعناء وبلاء فالحمد لله الذى أراحها منك فكأنما قطع لسانه عنه فلم يحر جوابا وتنفس الصعداء وخنقته العبرة ثم قال

رب ان العباد قد آيسونى * ورجائى بك الغداة عظيم

ولما مات رؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال قتلنى بكل قتيل قتلته قتلة وقتلنى بسعيد بن جبير سبعين قتلة فقيل له فما تنتظر قال ما ينتظره الموحدون وقال على بن جدعان أخبر الحسن بموت الحجاج فسجد وقال اللهم عقيرك وأنت قتلته فاقطع سنته وأرحنا من سنته وأعماله الخبيثة * أحصى من قتل الحجاج بين يديه صبرا فبلغ مائة ألف وعشرين ألفا سوى من قتل بسببه فى الملاحم والحروب وأطلق سليمان بن عبد الملك من سجنه سبعين ألفا قد حبسهم للقتل وأمر أن يبتتوا معناه يكسوا بتا بتا وجمع البت بتوت والبتى الذى يعمله والبت ضرب من الطيالسة يسمى الساج مربع غليظ لونه أخضر كذا فسره ثابت قال وقد يجوز أن يكون معنى يبتة وايزودوا وأنشد على المعنى الأول قول الراجز

يارب بيضاء عليها بت * بت السويق لحمها واللت * كما بنى بخت العراق القت

واستشهد على القول الآخر بقول طرفة بن العبد

ويأتيك بالاخبار من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد

قال البتات هو من لم تستزد له زادا وكان الحجاج بلاء على الناس لا يبالى بما يقول ولا بمن يوقع وحسبك أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال فيه لو جاءت كل أمة بفرعونها وجئناهم بالحجاج لغلبناهم وقد كان سجن رجلا من اليمن وحبس معه ابراهيم التيمى فكان الحجاج اذا أراد أن ينام أتاه فى المنام آت يقول له أحرج اليمانى فلم يزل كذلك ليلته كلها حتى أصبح فلما أصبح دعاه فأخرجه وقال له اذهب بسلام ثم أتى اليمانى الى السجن ليودع ابراهيم التيمى فقال ادع الله لى فقال اليمانى ان أطعته لم يعصك أو لم يخالفك * خرج ثابت من حديثه ان الحجاج قال ماذكرت قول ابن عمر وأنا على المنبر كذبت الا ندمت أن لا أكون ضربت عنقه فقال له عبد الله بن عبد الله

ابن عمر لو فعلت لصعر الله رأسك فى جهنم ذكره ثابت فى الدلائل وسيأتى فى باب الواو بقية الخبر وذكره أبو عبيد وقال لكوسك الله فى النار رأسك اسفلك وذلك ان الحجاج قال وهو على المنبر ان ابن الزبير بدل كلام الله وغيره فقال له عبد الله بن عمر كذبت وكذلك قال لأنس بن مالك رضى الله عنه لأقلعنك قلع الصمغة ولأعصبنك عصب السلمة فقال أنس من يعنى الامير قال اياك أعنى وقال كلمة سبه بها أجل مولاى انساعن ذكرها رضى الله عن أنس خرج هذا ثابت ورأيت لغيره ان أنس بن مالك رضى الله عنه قال بينما الحجاج جالس وقد أمر باخراج خيله اذ التفت الى فقال أين هذه الخيل من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له أنس هيهات هيهات يا حجاج وأين هذه الخيل من خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم خيل رسول الله قد أعدها فى سبيل الله أرواثها وأبوالها ثقل فى الميزان ونور يوم القيامة وخيلك هذه أعددتها فى سبيل الشيطان أرواثها وأبوالها نقص فى الميزان وظلمة عليك يوم القيامة فالتفت الحجاج اليه فقال والله لقد هممت بقتلك فقال له أنس ما أنت على ذلك بقادر يا حجاج قال ولم ألست الامير عليك قال بلى ولكنى خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فعلمنى كلمات اذا أنا قلتها فى يومى وليلتى لم أخف شيطانا ماردا ولا سلطانا جائرا مع تيسير الحوائج وقضائها فقال له الحجاج هاتها فقال له أنس والله ما أراك لهن بأهل فلما حضرت الوفاة أنسا بعث الى أخ له من اخوانه فقال له اكتب ما علمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوالذى بعثه بالحق لولا ما حضرنى من الوفاة ما علمتكها قل اذا أصبحت وأمسيت الله أكبر الله أكبر الله أكبر بسم الله على نفسى ودينى بسم الله على كل شئ أعطانى ربى بسم الله على أهلى ومالى بسم الله خير الاسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء بسم الله افتتحت وعلى الله توكلت الله ربى ولا أشرك به شيئا اللهم انى أسألك من خيرك الذى لا يعطيه غيرك أللهم اجعلنى فى عياذك وجوارك وأعذنى من الشيطان الرجيم وأستجيرك من جميع ما خلقت وأعوذ بك منهم ثم اقرأ قل هو الله أحد قال عبد الملك بن حبيب وانا أحب للرجل أن يدعو بهذا الدعاء كلما أصبح وأمسى قلت واذ وقعنا فى الدعاء فلا نخلى هذا الكتاب من فائدة فيه حدثنى العثمانى رحمه الله بالاسكندرية بلفظه من الحديث المسلسل الى جعفر بن محمد رضى الله عنه كل شيخ فى السند يقول حدثنى فلان و يقول عن هذا الدعاء الذى يأتى ذكره

فيكتبه

فكتبته فجعلته في جيبي وذلك لعظمه عندهم لان الله أنقذ به راويه جعفر بن محمد من أمر عظيم والحمد لله انظره بسنده وحكايته في المسلسلات قال محمد بن جعفر حدثني أبي عن جدي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا حزبه أمر دعا بهذا الدعاء وكان يقول دعاء الفرج اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بكنفك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك علي" أنت ثقتي ورجائي فكم من نعمة أنعمت بها علي" قل لك بها شكري وكم بلية ابتليتني بها قل لك بها صبري فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني ويا من قل عند بلائه صبري فلم يخذلني ويا من رآني على الخطايا فلم يفضحني أسألك أن تصلي على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت وترحمت على ابراهيم انك حميد مجيد اللهم أعني على ديني بدنياي وعلى آخرتي بالتقوى واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني الى نفسي فيما حضرته يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالا يضرك واغفر لي مالا ينقصك يا الهي أسألك فرجا قريبا وصبرا جميلا وأسألك العافية من كل بلية وأسألك الشكر على العافية وأسألك دوام العافية وأسألك الغنى عن الناس ولا حول ولا قوة الا بالله * ورأيت في كتاب محمد بن شبل ولم أره انه لما دخل على ابي جعفر حرك شفتيه فلما رآه أبو جعفر نهض اليه فاعتنقه وأجلسه معه ثم عاتبه وقال له قد رفع الي" أن الاموال تجبى اليك بلا سوط ولا عصى ثم أمر بالرافع فأحضر فقال له أبو عبد الله أحق مارفعت الى أمير المؤمنين قال نعم قال فاستحلفه يا أمير المؤمنين قال أبو جعفر رد اليمين عليه فقال له أبو جعفر احلف فقال والله الذي لا اله الا هو فقال له أبو عبد الله رضي الله عنه ليس هكذا الأن العبد اذا مجد الله في يمينه أمهله بالعقوبة ولكن قل أنا بريء من الله والله بريء مني وأنا خارج من حول الله وقوته راجع الى حول نفسي وقوتها قال فحلف فوالله مارفع الاميتا فراع ذلك أبا جعفر وقال انصرف يا أبا عبد الله قلت أسألك بعدها عن شئ قال فسئل عن الذي حرك به شفتيه عند دخوله فقال قلت اللهم بك أستفتح وبك أستنجح وبنبيك محمد صلى الله عليه وسلم أتوجه اللهم ذلل لي حزونته وكل حزونة وسهل لي صعوبته وكل صعوبة اللهم أعطني من الخير فوق ما أرجو واصرف عني من الشر فوق ما أحذر فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم * وهذا دعاء آخر حسن أيضا اللهم ان استغفاري اياك مع كثرة ذنوبي للؤم وان تركي للاستغفار مع معرفتي بسعة رحمتك

لعجز الهى كم تتحبب الى برحمتك وأنت غنى عنى وكم أتبغض اليك بذنوبى وأنا فقير اليك سائلك عند بابك قد ذهبت أيامه وبقيت آثامه وانقطعت شهواته وبقيت تبعاته فارض عنه فان لم ترض عنه فاعف عنه فقد يعفو المولى عن عبده وهو عنه غير راض سبحان من اذا توعد عفا واذا وعد وفى لا اله الا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو على كل شئ قدير * رجع الكلام يروى ان الحجاج أتى بمانوى فأمر بقتلهم فلما وصل الى أحدهم قال له يا حجاج لا جزاك الله عن السنة خيرا فان الله عز وجل يقول فاذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى اذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فاما منا بعد واما فداء فهذا قول الله عز وجل فى كتابه وقد قال شاعركم

ومانقتل الاسرى ولكن نفكهم * اذا أثقل الاعناق حمل القلائد

فقال لهم الحجاج ويحكم أفعجزتم عن مثل هذا وأمسك عن الباقين وأمر بقتل آخر وجعل يسبه اقتلوا ابن الفاعلة فقال له بئس ما أدبتك به أمك يا حجاج أبعد الموت منزلة أصانعك عليها أما خشيت أن أرد عليك مثل الذى قلت لى فاستحيا منه وأمر باطلاقه * هذا الرجل هو عمران بن حطان كان ممن خرج على الحجاج فلما أطلقه قال له أصحابه والله ما أطلقك الا الله فارجع الى حربه فقال هيهات غل يدا مطلقها واسترق رقبة معتقها ثم قال

أأقاتل الحجاج عن سلطانه * بيد تقر بأنها مولاته
انى اذا لأخو الدناءة والذى * طهرت على أفعاله جهلاته
ماذا أقول اذا وقفت ازاءه * فى الصف واحتجت له فعلاته
وتحدث الأقوام أن صنائعا * غرست لدى فحنظلت نخلاته
أأقول جار على انى فيكم * لأحق من جارت عليه ولاته
تالله لا كدت الامير بآلة * وجوارحى وسلاحها آلاته

وأتى يوما بامرأة حرورية فقال لاصحابه ماتقولون فى هذه فقالوا اقتلها أصلح الله الامير ونكل بها ليعتبر غيرها قال فتبسمت الحرورية فقال لها لم تبسمت فقالت لقد كان وزراء أخيك فرعون خيرا من وزرائك يا حجاج قد استشارهم فى قتل موسى فقالوا أرجه وأخاه وهؤلاء يأمرونك بتعجيل قتلى فضحك الحجاج وأمر باطلاقها وكذلك يروى انه أمر بتقديم قوم للقتل فقام رجل من الأسرى فقال أيها الامير ان لى عندك يدا قال وماهى قال سمعت ابن الاشعث يسبك فرددت عليه قال ومن يشهد

لك

لك بذلك فقام الرجل فقال أنشد الله رجلا سمع مقالتي الا شهد لي فقام رجل من الأسرى فقال صدق فقال الحجاج أطلقوا هذا ثم أقبل على الآخر فقال ما منعك ان ترد عليه أنت كما رد عليه هذا قال لقديم بغضي فيك فقال وهذا أيضا أطلقوه لصدقه ويروى ان معن بن زائدة كان عزم على قتل جماعة من الاسرى وكان من الكرام كما تقدم فلما أمر باخراجهم للقتل ومثلوا بين يديه قام اليه أصغر القوم سنا وقال له يا معن أتقتل الاسرى وقد جاعوا وعطشوا فأمر لهم بطعام وشراب فلما أكلوا وشبعوا وارتووا قام اليه فقال له يا معن أتقتل أضيافك فخلى عنهم وخلى سبيلهم وتعجب من حيلة الفتى وأما سوء سيرة الحجاج وقبح سريرته فقد خرج ابن قتيبة في عيون الأخبار انه خطب الناس حين أراد الحج فقال أيها الناس اني أريد الحج وقد استخلفت عليكم ابني هذا وأوصيته بخلاف ما أوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانصار أوصى أن يقبل من محسنهم وأن يتجاوز عن مسيئهم واني أمرته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ألا وانكم ستقولون بعدي مقالة لا يمنعكم من اظهارها الا مخافتي ستقولون لا أحسن الله له الصحبة ألا واني معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة ثم نزل * قلت والشئ يذكر بضده ويعرف بضده أنظر هذا الكلام وهذه النية أين هي من نية عبد الرحمن بن الضحاك والي المدينة الذي تقدم قبل وأين هذا وهذا من نية أحد الأمراء الذي أصيب في سمعه فتأسف لذلك وقال والله ما أسفي على سمعي وانما أسفي على اني لا أسمع نداء المظلوم ثم قال لا جرم ان كان ذهب سمعي فقد بقي بصري لا يلبس ثوبا أحمر الا المظلوم ثم جعل يطوف في البلد يتفقد المظلومين قلت والكلام أيضا في هذا الفن طويل عريض وفي الناس الصحيح والمريض

دع عنك تذكار حجاج وسيرته * كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا
واذكر حديث فتى ما ان أراق دما * أيام دولته هذا بما فعلا

حدث عن أحد الولاة المتأخرين انه أقام في رعيته مدة ما أراق فيها لأحد محجمة دم الا رجلا واحدا أخذ في جريرة فسجنه مدة ثم ألح عليه فيه فاستفتى فيه فقهاء ذلك الموضع فأفتوا بقتله وصلبه فأمر به فقتل وصلب فكان يركب فيقف عليه ويقول الله يعلم أيها الانسان اني برئ من دمك * وأغرب من هذا ما خرج أبو عمر في كتاب الصحابة رضي الله عنهم عن ابراهيم بن ميسرة قال ما بلغني ان عمر بن عبد العزيز

جلد سوطا في خلافته الا رجلا شتم معاوية عنده فجلده ثلاثة أسواط قلت كذلك ضرب الظهور وسفك الدماء شديد وقد جاء فيه أشد الوعيد اللهم الا في اقامة الحدود فانها تعفر فيها الحدود وتقام على الآباء والجدود والحديث الجامع في هذا المعنى كما تكونوا يول عليكم وقال عليه الصلاة والسلام خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وتصلون عليهم ويصلون عليكم وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم ويلعنونكم وقال عليه الصلاة والسلام ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة لم يجد رائحة الجنة وذكر البخاري من وصية لصفوان ان أول ما ينتن من الانسان بطنه فمن استطاع أن لا يأكل الا طيبا فليفعل ومن استطاع أن لا يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم اهراقه فليفعل ولا بد للناس من سلطان به يستقيم أمرهم وبه صلاحهم فالدعاء اذا لهم مهم كما قال بعض الصالحين لو كانت لي دعوة مستجابة لجعلتها في السلطان ولي في هذا المعنى من قطعة مطوّلة في وصايا

الدعاء للولاة الامور

وأخلص في الدعا للخلق طرّا * وخص به القضاة مع الولاة

فان صلحوا فيصلح من سواهم * فما المرعى الا بالرعاة

وقال عمر بن الفضل سألت أبا العلاء والحجاج في غيابه فقلت يا أبا العلاء أسب الحجاج قال ادع الله له بالصلاح فان صلاحه خير لك من فساده وكذلك قال الحسن رضي الله عنه أيها الناس تعلمن والله ما سلط الحجاج عليكم الا عقوبة من الله فلا تعارضوا عقوبة الله بالحمية والسيوف ولكن عليكم بالذلة والاستكانة والتضرع والدعاء والتوبة وكان يتلو هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وكان يقول اني لأعجب ممن خف عليك كيف خف مع هذه الآية وتمت كلمة ربك الحسنى * وقد روي ان مالك بن دينار قال وجدت في بعض الكتب يقول الله عز وجل أنا مالك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن أطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك ولكن توبوا الي أعطفهم عليكم وكذلك قال الرشيد لعلي بن عتيق في جملة ما وصاه به أطع الله يعطفني عليك وقال سهل رحمه الله أطيعوا السلطان في سبعة ضرب الدراهم والدنانير والمكاييل والاوزان والاحكام والحج والجمعة والجهاد ولا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء فاذا استخفوا بهذين فسدت دنياهم وأخراهم

وقال

وقال آخر من لم ير طاعة السلطان على نفسه فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجبه فهو مبتدع ومن يأتيه من غير دعوة فهو جاهل فان كان السلطان عادلا فقد تمت النعمة وان كان جائرا فالصبر عليه خير من القيام عليه واعتزاله سلامة وقال سحنون اذا أتى الرجل مجلس القاضى ثلاثة أيام متوالية بلا حاجة فينبغى أن لا تقبل شهادته وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد أن يكرم دينه فلا يدخل على السلطان الجائر وقال ابن عباس رضى الله عنهما للرجل الذى سأله آمر اماهى قال ان كان فيما بينك و بينه فان خفت أن يقتلك فلا وقال الفضيل ليس الآمر والناهى من دخل عليهم فأمرهم ونهاهم انما الآمر والناهى من اعتزلهم وللفقيه ابى عمران الميرتلى رحمه الله

تباعد عن السلطان لا تغش بابه * فتسلب دينا أو تصاب بفاقره

فليس بناج من ألم ببابه * وان هو أغناه وسدّ مفاقره

وما هو الا النار يحرق من دنا * اليه فلا تقرب به واخش بوادره

وقال ابن المبارك من اعتزلهم فقد أمرهم ونهاهم قلت هذا كله فى غشيانهم واتيانهم فكيف بمن أكل من حلوائهم وانخط فى أهوائهم فكأنه لم يسمع ما قيل فيمن أخذ منهم الدراهم فضلا عن المثاقيل المتلبس بمال السلطان كالسفينة فى البحر ان أدخلت بعضه فى جوفها أدخل جميعه ما فى جوفه وما أقبح بالعالم أن يزور العامل ولذلك قال الاوزاعى ماشئ أبغض على الله من عالم يزور عاملا * وقال مكحول الدمشقى من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صاحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما فى يديه خاض فى بحار جهنم بعدد خطاه * وقال سعيد بن المسيب اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فهو لص * وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب * وقال الفضيل بن عياض لو كان للعلماء صبر ما تمندل هؤلاء بهم وقال أيضا واسوأتاه من أن يقال فلان القارئ قدم حاجا فى نفقة فلان الفاجر والكلام الجامع فى هذا المعنى من اقترب من السلطان افتتن ومن ابتلى بالدخول عليهم والقرب منهم فليسكت كما فعل الاحنف عند معاوية رضى الله عنهما روى الحسن قال ذكروا شيئا عند معاوية فتكلموا فيه والاحنف ساكت فقال معاوية يا أبا بحر مالك لا تتكلم فقال أخشى الله ان كذبت وأخشاكم ان صدقت ومثله ما حدث سفيان قال قدم الحجاج على عبد الملك وافدا ومعه معاوية بن قرة فسأل عبد الملك معاوية عن الحجاج فقال

ان صدقنا كم قتلتمونا وان كذبنا كم خشينا الله فنظر اليه الحجاج فقال له عبد الملك لا تتعرض له فنفاه الحجاج الى السند وأقوى من هؤلاء ما قال بعض العلماء من ابتلى بالدخول عليهم فعليه أن يقول الحق ولا يداهن ولا يبالى و يصبر على الاذاية فى الله ولا تأخذه فى الله لومة لائم وعليه ان يقول الحق وان كان مرّا ويتق الله سرا وجهرا فيحب فى الله البعيد و يبغض فى الله القريب كما قال ابن عباس رضى الله عنهما أحب لله وابغض لله وعاد فى الله ووال فى الله فانه لا تنال ولاية الله الا بذلك ولا يجد رجل طعم الايمان وان كثرت صلاته وصيامه حتى يكون كذلك و يروى عن عيسى عليه السلام انه قال يامعشر الحواريين تحببوا الى الله ببغضكم أهل المعاصى وتقربوا الى الله بما يباعدكم منهم والتمسوا رضاه بسخطهم وتمام الخبر قالوا ياروح الله فمن نجالس قال من تذكركم بالله رؤيته ومن يزيد فى علمكم منطقه ومن يرغبكم فى الآخرة عمله وقول الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر فيه تصديق لما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخاف أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم فكان ذلك كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام بسطت عليهم الدنيا كما روى عبد الله بن حوالة الازدى رضى الله عنه قال شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفقر والعرى وقلة الشئ فقال أبشروا فوالله لأنا بكثرة الشئ أخوفنى عليكم من قلته والله لا يزال هذا الامر حتى تفتح لكم أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جند بالشأم وجند بالعراق وجند باليمن وحتى يعطى الرجل منكم مائة دينار فيسخطها قال ابن حوالة فقلت يارسول الله ومن يطيق الشأم وبها الروم ذات القرون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستخلفنكم الله فيها حتى تظل العصابة منهم البيض قمصهم المحلقة أقفاؤهم قياما على رؤس الاسود منكم المحلوق ما أمرهم به من أمر فعلوه وان بها اليوم رجالا لأنتم أهون فى عيونهم من القردان فى أعجاز الابل قال ابن حوالة فقلت يارسول الله خر لى ان أدركنى ذلك قال أختار لك الشأم فانها صفوة الله من بلاده واليها يجبى صفوته من عباده يا أهل الاسلام فعليكم بالشأم فمن أبى فليلحق بيمنه فان الله قد توكل لى بالشأم وأهله قال عبد الرحمن بن جبير فعرف أصحاب النبى صلى الله عليه

وسلم

وسلم نعت هذا الحديث فى جزء بن سهل السلمى وكان ولى الاعاجم وكان أويدم قصيرا فكانوا يمرون به وتلك الاعاجم حوله قياما يأمرهم بأمره ويبتدرون اليه فيتعجبون من نعت هذا الحديث خرجه ثابت فى الدلائل وفسره فما فسره منه قوله أخوفنى قال هى لغة بمعنى أخوف منى عليكم قال وفيه لغة أخرى أخوفى عليكم بياء الاضافة وقال القمع جمع قمعة وهى من البعير السنام فأراد عليه الصلاة والسلام بقمعهم بيض ألوانهم وذكر القمع وهو مغرز العنق كما يقولون بيض السوالف وبيض الطلى لا يريدونها خاصة انما يدلون بها على بياض جميع الجسد وقال فى صفوة ثلاث لغات صفوة وصفوة وصفوة فاذا نزعوا الهاء قالوا صفو لا غير وخرج فى حديث آخران رجلا قام اليه فقال يارسول الله تخرقت عنا الخنف وأحرق بطوننا التمر قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا كأنكه وجل طعامنا البرير وانا قدمنا المدينة على اخواننا وانما جل طعامهم التمر فأسوناقيه وانى لو قدرت لكم على الخبز واللحم لاطعمتكم منه وعسى أن يبقى منكم بقية حتى يغدى عليه بجفنة ويراح عليه بأخرى قال فقالوا يارسول الله أنحن اليوم خير أم ذلك اليوم قال بل أنتم اليوم خير أنتم اليوم متحابون وأنتم يومئذ يضرب بعضكم رقاب بعض أراه قال متباغضون * البرير ثمر الأراك واحدته بريرة وبه سميت بريرة وهو أسود وقد يقال له أيضا البريم واحدته بريمة ومنه قولهم حته الله حت البريمة ومعنى أحرق أسهل وأوهى وقال صاحب العين الخنيف ثوب أبيض غليظ وقد طوّل الكلام على هذا البيت وليته لو طال ليت لأن فيه زائدا عن العلم ذكر فضائل أهل الكرم والحلم وما أجلها من اخلاق يرضى بها الملك الخلاق ولا ينكرها الا من ليس له فى الادب من خلاق وقد سقت هنا حكاية ظريفة عن امرأة من الاعراب ظريفة أختم لك بها هذا الفصل فاستعملها فهى نعم الاصل يروى ان امرأة من الاعراب وقفت على جماعة فقالت لهم ما الكرم يرحمكم الله قالوا بذل المعروف والايثار على النفس قالت هذا فى الدنيا فما هو فى الدين قالوا طاعة الله سبحانه وتعالى وبذل المجهود فى عبادته واجتناب محارمه والوقوف عند حدوده طيبة بذلك نفوسنا قالت لهم أتريدون بذلك أجرا قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله وعدنا بالحسنة عشر أمثالها قالت سبحان الله فاذا أعطيتم واحدة وأخذتم عشرة فأين الكرم قالوا فما هو يرحمك الله قالت هو أن يعبد الله حق عبادته ولا يراد على ذلك جزاء حتى

يفعل بكم مولاكم مايشاء ألا تستحيون من الله أن يطلع على قلوبكم فيعلم منها انكم تريدون شيئا بشئ * قيل لرابعة العدوية رضى الله عنها هل عملت عملا قط ترينه قبل منك قالت ان كان فخوفى أن يرده على * ولى أيها الاخ المعظم فى هذا الكلام منظم وهو

الجود والكرم * والحفظ للحرم * والرعى للذمم * من أرفع الهمم
وبارئ النسم * مولاك قد قسم * بين الورى القسم * فى كلها الامم
فأبؤس تغم * وأنعم تدم * فاسمع أيا ابن عم * قولى وقل نعم
أشكر على النعم * واصبر على النقم * وارض الذى حكم * العادل الحكم
وهذه حكم * تضم لا تذم * نظمتها ابن أم * فاقصد لها وأم
ودن بها ودم * وانهض بها وقم * فانها شيم * ماان لها قيم

خرجت من شئ الى غيره * ولم أقف ها أنا ذا أخرج
لكن من علم الى مثله * أنت له من غيره أحوج

معكوس البيت

وحاء وخاء وحاء وحا * وجاء وجاء وحل وجل

أما الحاء فحرف هجاء يمد ويقصر وقد تقدم ان اسمها اسم صورتها وانها من حروف الحلق وكذلك الخاء والحاء تشبه الهاء فى النطق حتى تجعل احداهما مكان الأخرى قال رؤبة * لله در الغانيات المره * يريد المرح ويروى المزه يريد المزح وجاء فى الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الثمرة حتى تشقح وفى لفظ آخر حتى تشقه بالهاء ثم فسرا جميعا بمعنى واحد قلت وماتشقح والآخر وماتشقه قال تحمار وتصفار ويؤكل منها وتقول العرب هذا الامر مهم لى ومحم وقالوا أنه يأنه فهو آنه من قوم أنه فى معنى أنح يأنح فهو آنح من قوم أنح وقد تقدم هقهوق فى السير وحقحوق والأبه مثل الأبح والأجله مثل الأجلح وفى الشعر المتقدم

لله در الغانيات المره * سبحن واسترجعن من تأله

أى من تعبد وتنسك وقبل هذا يروى * براق أصلاد الجبين الأجله * ومن الأبه البوهة وهى البومة الصغيرة ويشبه بها الرجل الاحمق ومنه * ياهند لاتنكحى بوهة * وقال النعمان بن المنذر لرجل ذكر عنده رجلا بأمر أراد به شينه فكان ذلك زينه أردت أن تذيمه فدهته يريد مدحته * قوله أردت أن تذيمه أراد

تذمه

تذمه يقال ذمه يذمه ذمافهو مذموم وذامه يذيمه ذيما فهو مذيم وذأمه يذأمه ذأما فهو مذؤم وقال الله تعالى اخرج منها مذؤما مدحورا ومن الذام المثل لا تعدم الحسناء ذاما وربما أبدلت الحاء من العين في مثل معهم في لغة من سكن العين فتقول محهم ولكن لا بد من التثقيل حكى ذلك عن بعض العرب وقالوا بعثرت الشئ وبحثرته كشفته واستخرجته وقالوا دح في قفاه يدح في دع يدع بمعنى دفع وقد تقدم وقال الخليل لولا بحة في الحاء لأشبهت العين ولذلك لم يأتلفا في كلمة واحدة وكذلك الهاء ولكنهما يجتمعان في كلمتين لكل واحدة معنى على حدة نحو قولك حي هل وكما قال هيهاؤه وحيهله في معناه هلم وهلا جئتنا ومنه اذا ذكر الصالحون فحيهلا بعمر وسيأتي الكلام عليه بأكثر من هذا ان شاء الله تعالى تقدم قول الخليل في العين والحاء وانهما لم يأتلفا في كلمة واحدة ومن قوله أخذ المعري بيته الذي يقول فيه

بعض الأقارب مكروه تقاربهم * وان أتو لذوي قربى وأرحام
كالعين والحاء تأبى أن تقاربها * في لفظة قد حماها قربها حام

قال ابن السيد في شرحه لشعر المعري لا يوجد في كلام العرب عح ولا حع وكذلك الحروف التي مخارجها من الحلق أكثرها لا تتجاور في التأليف فلا يوجد في الكلام حاء تجاورها خاء مقدمة عليها ولا مؤخرة عنها وكذلك العين والغين فأما العين غير المعجمة فانها تجاور الخاء المعجمة في التأليف اذا تقدمت الخاء كقولهم النخع ولا تتقدم العين عليها وأما الهمزة فتجاور الهاء متقدمة وكذلك العين تجاور الهاء في التأليف اذا تقدمت العين نحو عهد وعهن ولا تتقدم الهاء عليها وأما الهمزة فتجاور الهاء متقدمة ومتأخرة كقولك أهأت وهأهأت بالابل وتجاور جميع حروف الحلق اذا تقدمت عليها فاذا تقدمت هي قبل الهمزة فمنها ما تجاورها ومنها ما لا تجاورها ومما جاء مزجا في الكلام قولهم ابن المائة لا حاء ولا ساء أي لا محسن ولا مسيء ويقال معناه لا يستطيع أن يقول حاء وهو أمر التيس بالسفاد ولا ساء وهو دعاء للحمار وجاء في الحديث بيرحاء وهو اسم حائط أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه الذي تصدق به فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح يروى بيرحاء وبيرحاء بفتح الراء وضمها والهمز والمد وأحسنها بيرحا بفتح الراء وقصر الألف على انه اسم مركب كبعلبك ورامهرمز والله أعلم وكان الاصيلي يقيدها بيرحاء بالمد وضم الراء وغيره يقول فيها بيرحا

بفتح الباء والقصر ويقال انما سميت بيرحا بزجر الابل عنها وذلك ان الابل يقال
لها اذا زجرت عن الماء حاحا وحاء حي من مذحج قال الشاعر
طلبت الثار من حكم وحاء * وبنو حاء من حاء بن سعد وحاء موضع بالشأم وقوله
في الحديث رابح بالباء من الربح ورائح بالهمز بمعنى الرواح أي يروح عليك
بخير أو رائح الى الله تعالى يعني انه متقبل والله أعلم والحائط عند العرب النخل
المجتمع وان لم يكن عليه بناء وان كان محوطا بالحيطان فهو حديقة وبستان
(وأما حاء) فاسم فاعل من حاء واما وحافالوا وأصلية والوحا مقصور بمعنى السرعة ومنه حاء
قولهم الوحا الوحا أي العجلة العجلة ومنه قول أبي بكر الصديق رضي الله تعالى
عنه أين الوضاة وجوههم والمعجبون بشبابهم أين الذين بنوا المدائن وحصنوها
بالحيطان أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب تضعضع بهم الدهر
فأصبحوا في ظلمات القبور فالوحا ثم الوحا ثم النجاء ثم النجا خرجه الثقفي في
الاربعين وقرأته على الحافظ رحمه الله ومنه اشتقاق الوحي أي انه يجيء بسرعة
وقد جاء الوحا في الشعر ممدودا ذكره ابن دريد رحمه الله في قصيدته التي جمع فيها بين
المقصور والممدود فقال

واذا سمعت وحا الزمان فلا تقصر في الوحاء

وفسر الممدود بالسرعة والمقصور بالصوت وقال يقال سمعت وحا القوم أي صوتهم
والفعل من هذا ثلاثي قال الراجز * وحى لها القرار فاستقرت * يعني الارض
أمرها بالقرار فقرت ويقال حذرها وأوحى بالالف فيتصرف على وجوه منها
الارسال كما قال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح ومنها الالهام كما قال تعالى
وأوحى ربك الى النحل أي ألهمها ويكون للاشارة كما قال الله تعالى فأوحى اليهم
ان سبحوا بكرة وعشيا ويكون للاعلام في المنام كما قال تعالى وما كان لبشر أن يكلمه
الله الا وحيا الآية ويقال وحى يحي وحيا اذا كتب وأوحى لغة فيه أيضا قال العجاج
* بقدر كان وحاه الواحي * وفي مقصورة ابن دريد

لابد أن يلقى امرؤ ما خطه * ذو العرش مما هو لاق ووحا

ويقال سمعت وحاة الرعد وهو صوته الممدود الخفي قال الراجز
يحدو بها كل فتى هيات * تلقاه بعد الوهن ذا وحات * وهن نحو البيت عامدات *
نصب عامدات على الحال والوحي السيد ومعكوس شكل هذه اللفظة اذا كتبتها

وجاء بالالف احو يقال احواحو للكبش اذا أمر بالسفاد ومقلوبها حوى الشئ يحويه حيا وحواية اذا ملكه أجمع والحوية مركب يهيأ للمرأة وفي الحديث فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحوى لها حوية خلفه يعني صفية رضي الله عنها والحوية أيضا واحدة الحوايا وهي المباعر ويقال الحوايا ما تحوّى في البطن أي استدار ويقال الحوايا بنات اللبن وهي متحوّية أي مستديرة وواحدتها أيضا حاوية وحاية وجمعها حاويات والحاوي صاحب الحيات واشتقاقه من الحية وقيل من التحوّي وهو الاستدارة والاول أحسن لانا نقول في تحقيرها حيية قال الجوهري الحاوي ليس من الحية وانما هو من كونه يحويها في أوعيته وكذلك الحوي والحية تكون للذكر والانثى وانما دخلتها الهاء لانها واحد من جنسه كبطة ودجاجة على انه قد روي عن العرب رأيت حيا على حية أي ذكرا على أنثى وفلان حية ذكر والنسبة الى حية حيوي والحيوت ذكر الحيات وأنشد لرؤبة

وتأكل الحية والحيوتا *

وقد تقدم ومن التحوّي ما شرح الخطابي رحمه الله من حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أتاني جبريل ليلة أسري بي بالبراق فقال اركب يا محمد فدنوت منه لاركب فأنكرني فتحيا مني قال قوله فتحيا مني انما هو تحوّى أبدل الواو ياء والتحوّي أن يلتوي ويستدير ويقال انما سميت الحية لتلويها يقال حويت الحية تحوي حويا اذا استدارت ويقال بل سميت حية لطول حياتها وهي فيما يقال طويلة الحياة ويقال انها من أطول الحيوان زمانا وسيأتي في آخر هذا الباب الحواء والاحواء والحوّ ان شاء الله تعالى ويقال للرامي اذا أخطأ أحي واذا أصاب قيل له برحي ومجموع الوحي كل شئ دللت به من كلام أو كتاب أو اشارة أو رسالة وأصله كله السرعة ومنه وحي الحاجبين والشفتين والعينين والله أعلم وجمع الوحي وحي كحلي وحلي ومن شكل الوحي الوخي بالخاء المعجمة ومعناه القصد تقول العرب جزى الله الوخي خيرا أي العجلة وأما

جاء

جاء فهو فعل ماض تقول منه جاء يجيء جيئة ومجيئا والجيئة أيضا قطعة نعل ترقع بها نعل أخرى ويقال أجئ هذا النعل بجيئة والجئة بكسر الجيم مجتمع ماء في بسطة والجئوة بسكون الهمزة وبالواو سير يخالط به والجياءة بالمدوعاء توضع فيه القدر وجمعها اجاء مثل جراحة وجراح ويقال فيها أيضا جياء هذا قول الاصمعي وقال أبو عمرو الجياء والجواء يعني بذلك الوعاء وقال الآخر مثله وفي حديث علي رضوان

الله عليه لأن أطلى بجواء قدر أحب الىّ من ان أطلى بزعفران وأما الخرقة التى ينزل بها القدر عن الاثافى فهى الجعال فان قدمت الهمزة من جاء فقلت جأى فمعناه عض يقال جأى عليه جأيا اذا عضه ويقال فلان لا يجأى مرفه أى لا يحبس لعابه وسقاء لا يجأى شيئا أى لا يمسكه وأما وجاء فصدر اعرابه فى البيت فاعل يجاء والواو أصلية من وجأته وجأ والوجء فى الفصل أن ترض انثياه لينقطع ضرابه يقال منه وجئ وجاء فهو موجوء فاذا انزعت انثياه نزعا فهو الخصاء يقال منه خصيته خصاء فهو خصى وجاء منه فى الحديث أخصيته اخصاء وسترا بعد فاذا اشتدت الانثيان حتى تندرا يقال عصبته عصبا فهو معصوب فاذا اقطع جميع ماهنالك فهو مجبوب وقد تقدم فى الحديث فعليه بالصوم فانه له وجاء وبقى من الباب مالا يتزن والواو أصلية وجا مقصور انوع من الضرب فيه عض و رض يقال منه وجأ يجأ ومنه فى الحديث فقام أبو بكر رضى الله تعالى عنه الى عائشة رضى الله عنها يجأ فى عنقها وقام عمر الى حفصة يجأ فى عنقها رضى الله عنهم كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس عنده وكن سألنه النفقة وجاء فى الحديث أيضا ومن قتل نفسه بحديدة فحديدته فى يده يجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا نعوذ بالله من سخطه وفى الحديث أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد سقيما فوصف له الوجيئة وأمره أن يأتى الحارث بن كلدة أخا ثقيف وأنه يتطبب فلما أخذ سبع تمرات من عجوة المدينة فليجأهن ثم ليدلك بهن ذكره الخطابى وقال الوجيئة التمر يبل بلبن أو سمن حتى يلزم بعضه بعضا ويؤكل والوجيئة أيضا الجراد يدق ثم يلت بسمن أو بزيت ويقال التمر يخرج نواه ثم يبل بلبن أو سمن ومن شكل هذه اللفظة وجا وهو الحفا مقصور يكتب بالياء يقال منه وجى الفرس بالكسر وهو ان يجد وجعا فى حافره فهو وج وأوجيته انا وانه ليتوجى ووجيت الدابة وجى فهى وجية ووجآى اذا حفيت وأوجيت الرجل زجرته وسألنى فأوجيت عليه اذا منعته ومن مضاعف جاء جأجأ تقول جأجأت بالابل اذا دعوتها الشرب فقلت لها جئ جئ والاسم الجيء وهأهأت بها اذا دعوتها للعلف ثم قد تستعمل فى غير الابل قال الشاعر

وما كان على الجيء * ولا الهيء امتداحيكا

الجيء الشراب أو الجيء الطعام ومن مقلوبها جوى فهو جو والجوى الماء المنتن قال الشاعر

قوله اذا عضه الذى فى القاموس وتاج العروس وجأى حأوا غطى يقال أجئ عليك هذا أى غطه اهـ

ثم

ثم كان المزاج ماء سحاب * لا جو آجن ولا مطروق
فالجوى المتغير المنتن ومنه حديث يأجوج ومأجوج انهم ليموتون فتجوى الارض منهم أى تنتن والآجن المتغير وهو دون الجوى في النتن وهو الذى يروى فيه الحديث عن الحسن وابن سيرين رخص فيه الحسن وكرهه ابن سيرين وأما المطروق فهو الماء الذى خوضته الابل وبالت فيه فهو مطروق و يقال فيه أيضا طرق والطرق في غير هذا الضرب بالحصى وهو ضرب من الزجر ومنه الحديث الطيرة والعيافة والطرق من الجبت قال لبيد

لعمرك ما تدرى الطوارق بالحصى * ولا زاجرات الطير ما الله صانع

واجتويت الطعام واستجويته كرهته واجتويت الارض اذا لم توافقك وفي الحديث من هذا في العرنيين الذين اجتووا المدينة فأمرهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا الى البادية وأن يشربوا من ألبان الابل وأبوالها الحديث والجوى موضع و يقال الجواء ايضا والجياء بالياء موضع توضع فيه القدر ومن شكل الجواء الحواء بالحاء المهملة أخبية يدانى بعضها بعضا والجمع أحوية والحواء أيضا ما يجعل على كفل البعير من كساء أو حلس مطوى ملوى شبه الكعكة يرفد به الراكب وجاء منه في الحديث في شأن احدى نسوة النبى صلى الله عليه وسلم قال الراوى فرأيته يحوى لها خلفه ومنه قول المرأة التى نازعها زوجها في ولدها فقالت ابنى يارسول الله كان له بطنى وعاء وثدى سقاء وحجرى حواء الحديث والحو جمع أحوى وفي الحديث من قول النبى صلى الله عليه وسلم خير الخيل الحو والأحوى أهون سوادا من الجون وهو من أحمد الالوان قال الفرزدق * أغر من الحو اللهاميم اذجرى * البيت وسيأتى ان شاء الله تعالى والحو بالفتح مصدر حوى ومنه قولهم فلان لا يعرف الحو من اللو أى ما حوى مما لوى وربما قالوا في هذا لا يعرف الحى من اللى يضرب مثلا للرجل الجاهل بالامور وأصلها حيو وليو اجتمعت واو وياء فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء كما قالوا طويت طيا وشويت شيا والقياس ان تبدل الياء من حوى واوا وتدغم في الواو التى قبلها اتباعا للوى كما قالوا انى لآتيه بالغدايا والعشايا وسيأتى الكلام عليه ان شاء الله تعالى والحوة لون يضرب الى السواد ومنه قيل شفة حواء وامرأة حواء الشفة ورجل أحوى اذا كان كذلك وقال الشاعر

لمياء في شفتيها حوة لعس * وفي اللثات وفي أنيابها شنب

وفي القرآن العزيز فجعله غثاء أحوى قيل ان أحوى من نعت المرعى تقديره أخرج المرعى أحوى أي اخضر فجعله غضا يضرب الى السواد من نعومته وخضرته ويجوز أن يكون حالا من مرعى وقيل هو من نعت الغثاء أي يابسا أحوى أي أسود من قدمه والغثاء مايقذف به السيل على جانبي الوادي من الحشيش ومن شكل أحوى أخوى بالخاء المنقوطة يقال أخوى النجم وخوى اذا سقط ولم يكن معه مطر على ما كانت العرب تستعمله في كلامها وسيأتي ان شاء الله تعالى

خرجت من شئ الى غيره * ولم ألحق ياصاح ان أسكتا

ومن يكن يعلم علما فلا * يصلح اذ يعلم أن يصمتا

(فصل من الفوائد) تقدم قول النعمان أردت أن تذيعه فدهته مثل هذا قول الشاعر ان الذي تكرهون مني * ذاك الذي يشتهيه قلبي

وكما قال ابن شرف .

وربما عابه مايفخرون به * يثني من الخصر مايروي من الكفل

وهذا البيت من قصيدة له يمدح بها أبا الحسن علي بن أبي الرجا الشيباني وهي من أحسن ماقال رحمه الله وفيها بيت عجيب وهو الذي أخبرتك عنه في أول الكتاب ان القاضي أبا الفضل عياض بن موسى رحمه الله استشهد به في بعض تآليفه في ضرب من البلاغة ولعمر الله انه لغريب وهو قوله

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والأفواه والمقل

فانظر كيف بنى هذا البيت على ثلاثة ألفاظ وهي سل وانطق وانظر ثم أتى بالجواب في ثلاثة ألفاظ تطابق كل لفظة مقابلتها على التوالي بلا تقديم ولا تأخير فان ملء المسامع مقابل لسل والافواه لانطق والمقل مطابقة لانظر ويكفي ابن شرف من الشرف ان استشهد به القاضي أبو الفضل وتلك غاية الفضل وقد رأيت ان أثبت لك هنا من هذه القصيدة ما أحفظه فانها من غرر القصائد وحسنها للالباب صائد أولها

رسم الشجي البكا في الرسم والطلل * والدمع حيلة أهل الفقد الحيل

أفنى دموعي وجسمي طول هجركم * حتى جرت دمعتي طلا على طلل

أبكي فلا جسدي أبقى ولا جلدي * مالو أصيب به جسم البلى لبلي

وحسن

وحسن صبري فلا يغررك عن ضرر * مثل الملاحة في أجفان ذي السبل

وهذا البيت أيضا غارة في المعنى وذلك ان السبل داء ويكسب العين ملاحة وجمالا يقول فلا تغتر بحسن صبري فانه يؤدي آخرا الى الهلاك ثم قال من مديحها

جاور علياً ولا تحفل بحادثة * اذا ادرعت فلا تسأل عن الأسل

اسم حكاه المسمى في الفعال فقد * حاز العليين من قول ومن عمل

فالسيد الماجد الحر الكريم له * كالنعت والعطف والتوكيد والبدل

زان العلى وسواه شانها وكذا * للشمس حالان في الميزان والحمل

وربما عابه البيت وبعده سل عنه البيت أيضا * وتقدم بيرحاء اسم حائط أبي طلحة الانصاري رضي الله عنه حين تصدق به فأنزل الله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وكان أحب أمواله اليه ولما نزلت أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان الله تبارك وتعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وان أحب أموالي الي بيرحاء وانها صدقة لله تعالى أرجو برها وذكرها عند الله فضعها يارسول الله حيث شئت قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ ذلك مال رابح ذلك مال رابح وقد سمعت ما قلت فيه واني أرى أن تجعله في الاقربين فقال أبو طلحة أفعل يارسول الله فقسمها أبو طلحة رضي الله عنه في أقاربه وبني عمه ومن فضائل أبي طلحة وامرأته الرميصاء وهي المكناة أم سليم رضي الله عنهما وكان سبب اسلامه على يديها خطبها فقالت يا أبا طلحة مثلك لا يرد ولكنك امرؤ كافر وأنا امرأة مسلمة لا يصلح لي أن أتزوجك وفي رواية يا أبا طلحة ألست تعلم ان الهك الذي تعبد خشبة تنبت من الارض نجرها حبشي بني فلان قال بلى قالت أفلا تستحي أن تعبد خشبة من نبات الارض نجرها حبشي بني فلان ان أنت أسلمت لم أرد منك من الصداق غيره فقال حتى أنظر في أمري فذهب ثم جاء فقال أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قالت يا أنس زوج أبا طلحة وكان أنس هذا ابنها وفي رواية قالت وما مهري قال الصفراء والبيضاء قالت فاني لا أريد صفراء ولا بيضاء أريد منك الاسلام قال فمن لي بذلك قالت لك بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق أبو طلحة يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه فلما رآه قد جاء قال قد جاءكم أبو طلحة غرة الاسلام بين عينيه فجاء فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بما قالت أم سليم فتزوجها

على ذلك وكانت امرأة مليحة العينين فيهما صغر ثم قضى أن ولد له منها ولد فعاش ماشاء الله ثم اشتكى فاشتد شكواه ثم توفي وأبو طلحة عند النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف من عنده حين صلى المغرب وقد لقيته أم سليم فجعلته في ناحية من بيتها فأهوى اليه أبو طلحة فقالت عزمت عليك بحقي أن لا تقربه فانه لم يكن ينام منذ اشتكى خيرا منه الليلة فقربت اليه فطره فأفطر ثم أخذت طيبا فأصابته ثم دنت الى أبي طلحة فأصابها فلما كان في السحر قالت يا أبا طلحة لو رأيت جيرانا أعاروا جيرانا لهم عارية حتى ظنوا أن قد تركوها لهم فلما طلبوها منهم وجدوا في أنفسهم قال بئسما صنعوا قالت فان الله تعالى أعارك فلانا ثم قبضه منك وهو أحق به فغدا الى النبي صلى الله عليه وسلم حين أصبح فأخبره الخبر فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما فحملت بعبد الله بن أبي طلحة رضي الله عنه قال الراوي فلقد رأيت لهم بعد ذلك في المسجد سبعة كلهم قد قرؤا القرآن * (فصل) * وقد فعل مثل فعل أبي طلحة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في انفاق ما يحب اشترى له أبو موسى جارية بثمانمائة درهم فبعث بها اليه فوقعت منه موقعا فسماها زينب فدخلت عليه يوما تقرأ هذه الآية لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فقال اللهم انك تعلم اني أحب زينب وانها حرة ثم تبعتها نفسه فأراد أن يتزوجها فقال له ابنه عبد الله أتحدث العرب انك تزوجت هذه العلجة فوالله لئن تزوجتها لأمشين بين وصليها فخاف عمر بعض هنات عبد الله وبلغ الناس ما قال فيها فخطبها أشراف قريش والعرب فجعل يردهم عنها حتى خطبها مودن لعمر فقال يا زينب هل لك في هذا وهو خير لك منهم ان أولئك كانوا يتخذونك أمة وانك تتخذين هذا عبدا قالت نعم فزوجها اياه خرجه ثابت رحمه الله وفسر قوله وصليها فقال أحد الوصلين موصل ما بين عجز البعير وفخذه وهما الوركان والوصل الآخر موصل الظهر في العنق قال ذو الرمة

اذا ابن أبي موسى بلالا بلغته * فقام بفأس بين وصليك جازر

وقد أخذ على ذي الرمة في هذا وشبه معنى البيت الحديث الذي يروى أن امرأة أخذت أسيرة مع لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت على ناقة من اللقاح حتى قدمت المدينة ثم قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني نذرت ان نجاني الله عليها أن أنحرها فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بئسما جزيتها أن نجاك الله عليها ثم تنحريها الحديث وأحسن من قول ذي الرمة ومن قول المرأة قول عبد الله

ابن

ابن رواحة رضي الله عنه

اذا أدنيتي وحملت رحلي * مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعم وخلاك ذم * فلا أرجع الى أهلي ورائي

يقول هذا وهو يسير في الغزو الى مؤتة حيث قتل هو وزيد وجعفر رضي الله عنهم وقوله وخلاك ذم أي فارقك الذم فلست له بأهل وقد أحسن رضي الله عنه في هذا المعنى وأحسن من اتبعه في ذلك كقول أبي نواس

واذا المطي بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الرجال حرام

وقول الآخر

عوفيت من حل ومن رحلة * يا ناق ان قربتني من قثم
انك ان أوصلتنيه غدا * أحيي لي اليسر ومات العدم

وقد عيب قول الشماخ أيضا

اذا بلغتني وحملت رحلي * عرابة فاشرقي بدم الوتين

ذكر عن الحسن بن هانئ انه كان يشنؤه اذا ذكر هذا البيت وكان أبو تمام يشينه من أجل ذلك وتقدم الوحي والوحي الذي أوحي الى نبينا صلى الله عليه وسلم كان على سبع صور أولها ما يراه عليه السلام من الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الاجاءت مثل فلق الصبح ورؤيا الانبياء عليهم الصلاة والسلام وحي وقد قال ابراهيم عليه السلام يا بني اني أرى في المنام أني أذبحك فقال له ابنه افعل ما تؤمر فدل هذا على أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كان الوحي يأتيهم في النوم كما يأتيهم في اليقظة ويحتمل أن يكون جبريل عليه الصلاة والسلام جاء نبينا صلى الله عليه وسلم في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به لان أمر النبوة عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف وثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل عليه الصلاة والسلام فكان يتراآى له ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشئ ثم وكل به جبريل عليه الصلاة والسلام فجاءه بالقرآن والوحي فهاتان صورتان والثالثة ان ينفث في روعه الكلام نفثا كما قال عليه الصلاة والسلام ان روح القدس نفث في روعي ان نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب وقال مجاهد وأكثر المفسرين في قوله تعالى وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا قال هو أن ينفث في

أقسام الوحي

روعه بالوحى والرابعة أن يأتيه الوحى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وقيل ان ذلك ليستجمع به قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع وألقن لما يلقى والخامسة أن يتمثل له الملك رجلا فقد كان يأتيه فى صورة دحية بن خليفة وكان لفرط جماله اذا قدم المدينة لم تبق معصر الا خرجت تنظر اليه وقال ابن سلام فى قوله تعالى تجارة أو لهوا قال كان اللهو نظرهم الى وجه دحية بفتح الدال وكسرها والسادسة أن يتراآى له جبريل عليه الصلاة والسلام فى صورته التى خلقه الله تعالى فيها له ستمائة جناح ينتثر منها اللؤلؤ والياقوت والسابعة ان يكلمه الله تعالى من وراء حجاب اما فى اليقظة كما كلمه فى ليلة الاسراء واما فى النوم كما قال فى حديث معاذ الذى رواه الترمذى قال أتانى ربى فى أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا أدرى فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثندوتى وتجلى لى علم كل شئ وقال لى يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت فى الكفارات فقال وماهن قلت الوضوء عند الكريهات ونقل الاقدام الى الحسنات وانتظار الصلاة بعد الصلاة فمن فعل ذلك عاش حميدا ومات حميدا وكان من ذنوبه كيوم ولدته أمه وذكر هذا الحديث نقلت هذا من كلام الاستاذ رحمه الله على معناه مخلصا ملخصا وتقدم الوجاء ومنه حديث ابن مظعون انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله انى رجل تشق على هذه العزوبة فى المغازى أفتأذن لى فى الخصاء قال لا ولكن عليك يا ابن مظعون بالصيام فانه مخفر وقد تقدم انه يقطع شهوة النكاح والله أعلم وكرهت طائفة من العلماء هذا الفعل بالبهائم واحتجوا بما رواه البزار عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن صبر ذى الروح وعن خصاء البهائم نهيا شديدا وبأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يكرهه ويقول فيه اتلاف الخلق وقد جاء فى تفسير قوله تعالى ولآمرنهم فليغيرن خلق الله قال هو الخصاء وهو من أمر الشيطان وكذلك الوسم وأما مالك رحمه الله فقال لا بأس بخصاء الانعام فيه صلاح للحومها وأكره خصاء الخيل وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحى بكبشين أملحين موجئين هذا كله فى الحيوان وأما فى بنى آدم فحرام ومن فعله بعبده أعتق عليه وكان ولاؤه له وعند غيره لبيت مال المسلمين وحجة من قال بهذا ما خرج أبو داود فى المملوك الذى جب سيده مذاكيره وشكى ذلك العبد سيده الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله

المعصر الجارية أول ما تحيض لانعصار رحمها وانما خص المعصر بالذكر للمبالغة فى خروج غيرها من النساء اه نهاية

عليه وسلم اذهب فأنت حرفقال يارسول الله على من نصرتى قال على كل مؤمن أوقال مسلم وذكر البزار من طريق ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال من مثل بمملوكه فهو حروهو مولى الله ورسوله وخرج الامام أبو حفص عمر بن شاهين رحمه الله فى الناسخ والمنسوخ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قتل عبده قتلناه ومن جدعه جدعناه ثم قال ألفيت الخلاف فى ذلك وذكر حديثا عن ابن عباس رضى الله عنه انه قال جاءت جارية الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت ان سيدى اتهمنى وأقعدنى على النار حتى احترق فرجى فقال لها عمر بن الخطاب رضى الله عنه هل رأى ذلك عليك فقالت لا قال فاعترفت له قالت لا قال عمر على به فأتى به فلما رأى عمر الرجل قال أتعذب بعذاب الله عزوجل قال يا أمير المؤمنين اتهمتها فى نفسها فقال أرأيت ذلك عليها فقال الرجل لا قال فاعترفت لك به قال لا قال والذى نفسى بيده لولم أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يقاد مملوك من مالكه ولا مولود من والده لأقدتك بها فعزره فضربه مائة سوط ثم قال لها اذهبى فأنت حرة لوجه الله تعالى وأنت مولاة لله تعالى ورسوله أشهد أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من حرق بالنار ومثل به فهو حروهو مولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم * وذكر ثابت فى الدلائل ان أول من اتخذ الخصيان من بنى أمية هشام بن عبد الملك فأقبل مسلمة ليدخل على هشام فقام اليه فتى هشام فدفعه فى صدره وقال له لا تدخل على أمير المؤمنين بغير اذن فلما توصل مسلمة الى هشام قال يا أمير المؤمنين علام يحول هذا فى قصرك فوالله لقيلة من هذا أحب الىّ من عصدمنا قال فأخرجه هشام * فسر ثابت العصد بالجماع قال وهو العصد والعزد والعسد بالسين والزاى والصاد ويقال خصيان وخصية * يروى ان معاوية رضى الله عنه دخل على ميسون بنت بحدل الكلبية ومعه خديج الخصى فاستترت منه فقال لها معاوية رضى الله عنه ان هذا بمنزلة المرأة فعلام تستترين منه فقالت له كأنك ترى المثلة التى به أحلت له ما حرم الله رضى الله عنها * رجع الكلام الى الذين يعذبون الناس بالخصاء وقد حدثنى بعض من أثق به من اخوانى الصالحين عمن حدثه ممن يثق به انه رأى فى النوم أحد الولاة الذين كانوا يعذبون الناس فى الدنيا وكان هذا الوالى ربما بنى الانسان فى الحائط وتركه حتى يموت جوعا وعطشا وربما نخسه بالكبير فى دبره حتى ينشق

أول من اتخذ الخصيان

فرآه فى النوم فقال له مافعل الله بك فأنشده

من سره العيث فى الدنيا بخلقته * يصور الخلق فى الأرحام كيف يشا
فليحزن اليوم خزنى عند سخطته * معذبا بمتط جمر الغضا فرشا

* رجع * ومعنى صبر ذى الروح أن تنصب الدجاجة أو الشاة أو مافيه الروح فترمى بالسهام حتى تموت ومعنى أملحين قال (ع) الملحة والملح بياض يشوبه شئ من سواد وكبش أملح منه وعنب ملاحى فى حبه طول يقال ملاحى بالتخفيف وشاهده

ومن تعاجيب خلق الله غاطية * يعصر منها ملاحى وغربيب

ويقال أيضا ملاحى بالتشديد كما قال الآخر * كعنقود ملاحية حين نورا * قال أبو حنيفة رحمه الله من قال الملاحية بالتشديد شبهه بالملاح وهو ثمر الأراك وفيه ملوحية قال والغربيب اسم لنوع من العنب والغربيب اذا أطلق لفظه ولم يقيد بذكر شئ موصوف به فانما يفهم منه العنب الذى هذا اسمه خاصة انتهى كلامه قال الاستاذ رحمه الله ولك أن تفهم من هذا معنى قوله تعالى وغرابيب سود فسود على هذا بدل وليس بنعت قال غيره ومن شأن العرب أن تنعت الالوان اذا ذكرتها تقول أسود حالك وأسود غربيب وأحمر قان وأصفر فاقع وأبيض يقق وقوله فى البيت الاول غاطية معناه مرتفعة يريد الحبلة وهى شجرة العنب يصفها بالارتفاع من الارض كأنها عريش والله أعلم ومن غطى بمعنى ارتفع قول حسان رضى الله عنه

رب حلم أضاعه عدم المال * وجهل غطى عليه النعيم

وقال الاستاذ رحمه الله غطى بتخفيف الطاء انشده يونس بن حبيب قال ومعناه ارتفع وعلا كما تقدم * رجع * ويقال ملح الرجل ملاحة صار مليحا وأملح جاء بملحة وهى الكلمة المليحة وملحت الشئ وأملحته جعلت فيه من الملح بقدر مايصلحه وملحته أفسدته وملحت بمعنى أرضعت وقد تقدم الملح والملح الرضاع وفى الحديث قول الرجل من بنى سعد بن بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ غنم سبى هوازن يوم حنين لو كنا ملحنا للحارث بن أبى شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل منزلك هذا لحفظ ذلك لنا وأنت خير المكفولين فاحفظ ذلك ثم قوله ملحنا بمعنى أرضعنا وانما قال ذلك لانه عليه الصلاة والسلام كان مسترضعا فى بنى سعد والملاح صاحب السفينة والملاح بالضم من نبات الحمض والمالحة المواكلة * تقدم كبش أملح وفى الحديث منه اذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت كأنه كبش أملح فيذبح على

الصراط ويقال خلود فلا موت وجاء في التفسير في قوله تعالى وأنذرهم يوم الحسرة يعني به ذبح الموت اذ يؤتى به في صورة كبش أملح وينادي أهل الجنة وأهل النار بالخلود وقيل يوم الحسرة يوم يرث أهل الجنة منازل أهل النار التي كانت لهم في الجنة لو أطاعوا لانه ليس من نفس الا ولها منزل في الجنة ومنزل في النار فمن أطاع حصل له منزله من الجنة ومنزل الكافر من الجنة أيضا وحصل للكافر منزله من النار ومنزل المؤمن من النار أيضا والملاح المليح وفي حديث جويرية ان عائشة رضي الله عنها قالت دخلت على فما هو الا أن رأيتها فكرهت مكانها لأنها كانت حلوة ملاحة ذكره ثابت وقال يقال مليح وملاح وذكر أبو حاتم عن أبي زيد يقال امرأة حسانة في نسوة حسانات وأنشد رحمه الله

دار الفتاة التي كنا نقول لها * يا ظبية عطلا حسانة الجيد

ويقال رجل جسام في رجال جسامين وكذلك الناقة والنوق وهو العظيم الطويل ورجل كرام من قوم كرامين من نسوة كرامات وهم الكرام قال الخطابي رحمه الله وذكر المرأة الملاحة وسماها جويرية بنت الحارث وفسرها الموصوفة بالملاحة وقال أبو عبيدة العرب تحول لفظ فعيل الى فعال ليكون أشد مبالغة في النعت وقال غيره فاذا أرادوا التأكيد شددوا فقالوا رجل أمان أي أمين قال الاعشى

ولقد شهدت التاجر الامان موروداً شراؤه

ورجل قراء للقارئ قال الشاعر

بيضاء تصطاد الغوي وتستبي * بالحسن قلب المسلم القراء

وقالوا وضاءة من الوضاءة وهو الحسن قال

والمرء يلحقه بفتيان الندا * خلق الكريم وليس بالوضاء

قلت وفي القرآن العزيز من هذا ومكروا مكرا كبارا فسروه كبيرا قال الاستاذ رحمه الله الملاح أبلغ من المليح في كلام العرب وكذلك الوضاء والكبار كذلك مع الكبير غير انه لا يوصف الباري سبحانه وتعالى بهذا اللفظ فيقال فيه كبار بمعنى كبير لانه على بنية الجمع نحو ضراب وشهاد فلفظ كبير أبعد من الاشتراك وأدل على الوحدانية وأما الملاح فأصح ما فيه انه مستعار من قولهم طعام مليح اذا كان فيه من الملح بقدر ما يصلحه وكذلك اذا بالغوا في المدح قالوا مليح قزيح أي مطيب بالافاويه وهي الاقزاح ويدلك على بعد معنى البياض من الملاح قولهم في الأسود مليح وفي العينين

اذا اشتد سوادهما وجاء في التفسير في قوله تعالى وألقيت عليك محبة مني قيل ملاحة في العينين قال الاصمعي الحسن في العينين والجمال في الانف والملاحة في الفم وقالت امرأة خالد بن صفوان لبعلها انك لجميل يا أبا صفوان فقال كيف وليس عندي رداء الجمال ولا برنسه ولا عموده يريد الطول وسواد الشعر والبياض ولكن قولي انك مليح ظريف

خرجت من شئ الى غيره * ولم أطق يا صاح ان أسكتا
ومن يكن يعلم علما فلا * يصلح اذ يعلم أن يصمتا

مقلوب البيت حرف بين ألفين

وأجا وأحا وأخا وآخا * وواخا اخاء وجل وحل

آجا وأحا مصدران منصوبان من الباب الذي قبله من أج وأح وأخا كذلك مثقل أخ وآخا من قولك آخيت بين الرجلين أي جعلت كل واحد منهما لصاحبه أخا وفي الحديث آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه وواخى مثله يقال آخيته وواخيته مواخاة واخاء * فرغ البيت على أن فيه واوا زائدة على الشكل في واخا وناقصة من اخاء بحسب الضرورة وبقي من هذا الشكل مالم يترب أجاء زيد والالف للاستفهام وأجا مقصور مهموز اسم جبل وله يقول عبد الله ابن رواحة رضي الله عنه

جلبنا الخيل من أجأ وسلمى * تخب ترائعا خبب الركاب

وبقي من هذا الباب أجاء بمعنى ألجأ قال الله تعالى فأجاءها المخاض الى جذع النخلة قال ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما ألجأها ويقال معناه جاء بها وأصل الكلمة من المجيء يقال جاءت بي الحاجة اليك وأجاءتني الحاجة اليك قال زهير

وجار جار معتمدا عليكم * أجاءته المخافة والرجاء

وفي مثل شر ما يجيئك الى مخة عرقوب يعني بحوجك ومن هذا الباب أجأى يقال بعير أجأى بين الجؤوة والجأى وهو سواد في غبرة وحمرة قال زهير * أسك مصلم الأذنين اجنى * ويروى أجأى من الجؤوة المذكورة وسيأتي البيت بكماله وتفسيره في آخر بيت ان شاء الله تعالى ويقال من هذا اللون كتيبة جأوى أي سوداء والجو جو السماء وسوا الهواء وجو البيت وهو داخله لغة شامية ... يقول بعضهم لامرأته اكفيني جوا أكفك برا يعني اكفيني شغل داخل البيت أكفك

خارجه ولذلك يقولون الجوانى والبرانى وربما كنوا بذلك عن أعمال القلوب وأعمال الجوارح وقال سلمان الفارسى رضى الله عنه لكل امرئ جوانى وبرانى فمن يصلح جوانيه اصلح الله برانيه ومن يفسد جوانيه يفسد الله برانيه وكانت العرب تسمى اليمامة جوا قال الشاعر

فاستنزلوا أهل جو من منازلهم * وهدموا شاخص البنيان فاتضعا

ومن معكوس جو وج وهى ارض الطائف وقد تقدم فى أول الباب * ومن مضاعف هذا الحرف الجؤجؤ يهمز ولا يهمز وهو الصدر وجمعه جآجئ قال الشاعر * بادجآجئ صدرها ولها غنى * (فصل من الفوائد تقدم) * فى الحديث آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه حين قدموا المدينة فجعل مع أنصارى مهاجريا فائتلفوا أحسن ائتلاف ولم يكن بينهم اختلاف رضى الله عنهم ونفعهم وحشرنا معهم وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال هذا أخى وكان حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين وكانوا يتوارثون فى أول الاسلام بتلك الاخوة حتى أنزل الله الفرائض والمواريث ثم انظر كيف كان فعلهم رضى الله عنهم ورضاهم بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم وسخاؤهم وكرم طباعهم خرج البخارى فى جامعه لما آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع قال لعبد الرحمن انى أكثر الانصار مالا فاقسم مالى نصفين ولى امرأتان فانظر أعجبهما اليك فسمها لى أطلقها فاذا انقضت عدتها فتزوجها قال بارك الله لك فى أهلك ومالك أين سوقكم فدلوه على سوق بنى قينقاع فما انقلب الا ومعه فضل من أقط وسمن ثم ذكر باقى الحديث فانظر هممهم مع فقرهم الذى مدحهم الله تعالى به فقال الله تعالى للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا رضى الله عنهم ثم قالت الانصار للنبى صلى الله عليه وسلم اقسم بيننا وبينهم النخل قال لا قالوا يكفوننا المؤنة ويشركوننا فى التمر قالوا سمعنا وأطعنا ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم بنى النضير قال للانصار ان شئتم قسمت بنى النضير بينكم وبين المهاجرين وأنتم على مواساتكم فى ثماركم وان شئتم أعطيتها المهاجرين دونكم وقطعتم عنهم ما كنتم تعطونهم من ثماركم فقالوا بل تعطيهم دوننا ونمسك ثمارنا فأعطاها

رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرين فاستغنوا بما أخذوا واستغنى الانصار بما رجع إليهم من ثمارهم * وتقدم في البيت أجأ وهو اسم جبل وفي الحديث في غزوة تبوك أن رجلا ألقته الريح بجبلي طيء وهما أجأ وسلمى عرف أجأ بأجأ بن عبد الحي كان صلب في ذلك الجبل لما فجر بسلمى بنت حام أو هم بذلك وصلبت سلمى بالجبل الآخر فسمي بها وصلبت العوجاء معهما أيضا وهي امرأة كانت تحضن سلمى وكانت السفير بينهما فيما ذكر فصلبت بجبل ثالث قريب منهما فسمي الجبل بالعوجاء والله أعلم * وتقدم فأجاءها المخاض والمخاض دنو الولادة قال ابن عباس رضي الله عنهما حملت به وولدته في ساعة وقال مجاهد حملت به في ستة أشهر وقيل ثمانية وذلك آية لانه لا يولد مولود لثمانية أشهر فيعيش وكذلك أيضا لستة أشهر لا يعيش وقد تقدم * وجذع النخلة يروى انه كان جذعا يابسا بغير رأس وكان شتاء فأنبت الله له رأسا وجعل فيه رطبا جنيا وهو ما أخذ من الثمرة طريا فسبحان اللطيف الخبير الذي هو على كل شيء قدير * (مقلوبه أيضا الف بين حرفين) *

وجاح وجاح وحاج وخاج * وحاح وخاج وخل وخل

يقال جاحتهم السنة تجوحهم جوحا وجياحة ومنه الجائحة جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو بعت من أخيك تمرا وأصابته جائحة فلا يحل لك أن تأخذ منه شيئا لم تأخذ مال أخيك بغير حق واجتاحهم العدو أتى عليهم وفي الحديث من هذا فصبحهم الجيش فاجتاحوهم نعوذ بالله من سخطه * وخرج أبو داود ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان لي مالا وولدا وان والدي يجتاح مالي قال أنت ومالك لوالدك ان أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من كسب أولادكم ويقال وج الطريق اتضح وأوجحت النار وأوجحت غرة الفرس اتضحت والوجاح الستر ويقال فيه الاجاح والهمزة مبدلة كما قالوا اكاف ووكاف وقد تقدم (وأما حاج) فجمع حاجة وحاجات كما يقال ساعة وساعات ويقال باع منه الشيء مباوعة كما يقال مساومة والحوج الحاجات وكذلك الحوائج وحاجة حائجة وقد أحوج الرجل اذا احتاج وأحوجه الله والتحوج طلب الحاجة وأصل حوائج حواجي ثم قلب قال المطرز حائجة وحوائج هذا أصله والحاج ضرب من الشوك ومنه الحديث الذي يروى أن ابن آدم لما قتل أخاه غضب الله على الارض فأنبتت الحاج والشوك خرجه ثابت في الدلائل قال والحاج

ضرب من الشوك وخرج أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل جاءه يشكو الحاجة انطلق فاحتطب ولا تحقرن شوكا ولا حاجا ففعل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم هذا خير من أن تأتي يوم القيامة وفي وجهك نكتة المسألة وقال عليه الصلاة والسلام للرجل الذي باع له القدح والحلس فمن يزيد انطلق الى هذا الوادي فلا تدع حاجا ولا حطبا ولا تأتني خمسة عشر يوما ذكره الخطابي وقال الحاج ضرب من الشوك قال الشاعر * من حسك التلعة أو من حاجها * ويقال في الحاجة حوجاء ولكن توصل بلوجاء يقال أصابته حوجاء ولوجاء وتصغيرها حويجاء ولويجاء تقول مالي في أمرك حويجاء ولا لويجاء وهي بمعنى الضر والفاقة لاتصالها بلوجاء من الالتجاء والحاجة والفقر والمسكنة والضراعة الى الناس كما أنشدني الفقيه أبو محمد عبد الحق لنفسه من قطعة يقول فيها

والمرء لا يصغر مقداره * الا اذا احتاج الى الناس

ويقال حاج يحوج حوجا اذا احتاج والتجأ والحاجة أيضا من حوائج البيت وهو قريب من الاول لانها انما سميت بذلك للافتقار اليها والحاجة أيضا الامر يعرض في النفس كما قال تعالى الا حاجة في نفس يعقوب قضاها قيل في التفسير خاف عليهم العين اذا دخلوا من باب واحد وقيل خاف أن يستراب بهم اذا دخلوا مجتمعين والحاجة أيضا الحسد من قوله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا يعني الانصار مما أوتي المهاجرون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاهم غنائم بني النضير ولم يعط الانصار منها شيئا حاشا رجلين منهم كانا فقيرين وهما سهل بن حنيف وأبو دجانة وقد ذكر ان الحارث بن الصمة كان ثالثهما فلم يحسدهم الانصار على ذلك فدحهم الله تعالى على ذلك فقال ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا أي حسدا والله أعلم ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وهي الحاجة التي يختل بها الحال وأصله من الاختصاص وهو الانفراد بالامر فالخصاصة انفراد بالحاجة ومقلوب هذه اللفظة جحا والجحا العقل ويقال حاجيته فحجوته اذا ألقيت عليه كلمة محجية مخالفة لمعنى اللفظ وجاء في الدلائل انه لحجي به ان يفعل كذا أي حري به وما أحجاه كذلك وقال غيره انه لحج بكذا كما تقول حر وحري أي حقيق ومثله قمن وقمين وقد قالوا احر وحري وحرى كله بمعنى وقالوا في مثله عس قال المعري * فان مثلي بهجران القريض عسي * وتقول أحج بهذا الامر أي أحر به جحا

وما أحراه وكذلك يقولون في مثل هذا انه لحري ان يفعل وحر وفي الحديث من هذا انه لحري ان خطب أن لا ينكح وان شفع ان لا يشفع ومثل هذه الالفاظ جدير وخليق وقمن ويقال في هذا قمن بالفتح وقمين بالياء بمعنى حقيق بكذا ومنه قولهم بالحرى أن يكون كذا كما يقولون هو يتحرى بمعنى يقصد والحجوى هي المحاجاة وتصغيرها الحجيا وهي الأحجية والأحجوة ويقال حجيا لئما كذا والحجا أيضا ما يبنى على السطوح من حاجز يمنع من التردي وهو الاجار أيضا وقال الشاعر

لا تمنع المرء أحجاء البلاد ولا * تبنى له في السموات السلاليم

وجاء في الحديث من بات على ظهر بيت ليس عليه حجا فقد برئت منه الذمة أو قال فلا يلومن الا نفسه ومن ركب البحر اذا التج أو ارتج فقد برئت منه الذمة قال بعض العلماء يريد ذمة الشهادة والله أعلم ومثله الحديث الذي يروى عن أبي أيوب الانصاري رضي الله عنه انه أراد أن يبيت على سطح أجلح ثم قال كدت أبيت ولا ذمة لي خرجه ثابت وقال الأجلح الذي ليس له بناء يرد الرجل ويقال له أيضا الحواط وقد روي في هذا الحديث فرشنا له على سطح ليس له حواط فقال كنت أبيت ولا ذمة لي وهو مشتق من المنع مثل العقل يعقل صاحبه ويمنعه من أن يقع في هوة الجهل والحجا مفتوح مقصور الحصن وجمعه أحجاء والحجاء بالمد والكمر زمزمة المجوس والفحل يحجو الشول اذا هدر بها فانصرفت اليه والحجاة فقاعة ترتفع فوق الماء والجمع حجوات والحجوة الحدقة وحجأت بالشيء حجأ فرحت به وكنت مولعا به ضنينا يهمز ولا يهمز قال الشاعر

فاني بالجموح وأم بكر * ودولاف [illegible] حجئ [illegible]

ومن شكل حجا خجا بتقديم الخاء المنقوطة على الجيم ومعناه نكح قاله يعقوب (وأما حاج) فاسم الفاعل من حج يحج وربما قالوا في اسم الفاعل منه حجاج للمبالغة كما يقولون في المخاصم بالحاح المبالغ في ذلك حجاج [illegible] ومن [illegible] الحج قول الشعبي وقد سئل عن الاسود بن يزيد النخعي فقال كان صواما قواما حجاجا ومعنى الحج القصد قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت أي قصده للعبادة وحج علينا فلان أي قدم قال الشاعر [illegible] المزعفرا * والسب العمامة وكانت السادات يصبغون عمائمهم بالزعفران وقد يقال أيضا لجماعة الحجاج حجيج وحاج يقال قدم الحاج والحاج العام كثير ومن شكل حجة

حجة التى يحتج بها الانسان كانه يوضح عن نفسه ومنه المحجة التى هى الطريق الواضح والحجة السنة وجمعها حجج قال الله تعالى على ان تأجرنى ثمانى حجج والحجة واحدة الحجات وقد تقدم والحجة أيضا شحمة الاذن التى يعلق فيها القرط وأنشدوا * برضن صعاب الدر فى كل حجة * البيت قاله ابن دريد قال والحجة أيضا خرزة أو لؤلؤة تعلق فى الاذن وبها سميت حاجة بالتشديد والحجة واحدة الحج وحجج الرجل اذا نكص وحججت البيت الحرام وحججت الشجة أى أدخلت الميل فيها لتقيسها والميل المرود ومنه الحديث ان الشمس تدنو من الخلائق حتى تكون منهم بمقدار ميل قال الراوى فما أدرى ما أراد بالميل أمسافة الارض أو الميل الذى تكحل به العين والحجيج جماعة الحاج كما تقدم والحجيج أيضا المشجوج الذى عولج والشجة حاجة ويقال الحجيج الذى اختلط الدم بدماغه فيصب عليه السمن المغلى حتى يظهر الدم والحاج والحجاج العظم المستدير حول العين والجمع أحجة ومنه حديث أبى عبيدة فى الدابة التى وجدوها على ساحل البحر قال وجلس فى حجاج عينها نفر والحجيج أيضا المحاج عن القوم والمخاصم عنهم وهو من حاج وهى اللفظة التى فى البيت مأخوذة من حج يحج اذا غلب خصمه بالحجة ومنه الحديث فحج آدم موسى عليهما السلام وحاج زيد عمرا ومنه قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه وقال تعالى وحاجه قومه والحجاج فعال من هذا ومقلوب حاج أجح يقال أجحت الكلبة والسبعة اذا أثقلت فهى مجح والجمع مجاح وفى الحديث من هذا مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة مجح فسأل عنها فقالوا هذه أمة فلان قال أيلم بها قالوا نعم قال لقد هممت أن ألعنه لعنا يدخل معه فى قبره كيف يستخدمه وهو لا يحل له أم كيف يورثه وهو لا يحل له قال أبو عبيدة المجح الحامل المقرب والجحجاح السيد وجمعه جحاجح قال الفرزدق

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر فى الحدثان عالا

قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

ويأتى من مقلوبه أيضا جحا وهو المضروب به المثل عند العامة ومعكوس حج جح تقول جح الشئ يجحه جحا اذا سحبه لغة يمانية وكل شجر انبسط على وجه الارض نحو الحنظل والبطيخ فهو عندهم الجح وكأنهم يريدون انجح على الارض اذا انسحب ومن مضاعفه حجحج نكص ومصدره كذلك اذا أراد ان يقول ما فى

نفسه فأمسك ومن شكله أيضا جخ تقول جخ الرجل اذا تحول من مكان الى مكان والجخاج من الرجال الذى ليس لكلامه جهة قاله ابن السكيت وجخجخ اذا صاح ونادى قاله ع وقال وجخ برجله وجخى بها اذا نسف بها التراب فى مشيه وربما قالوا اجخ بها وجخابها ويقال جخ ببوله اذا رمى به حتى يخد به الارض (وأما حاح) فلقب وهو عندنا مشهور فى رجل يعرف بالحاحى وكأنه مأخوذ من صوت زاجر الطير فانه يصيح عليها فى ابان الزراعة وعند مايصير الحب فى السنبل حاح حاح ويرميها بالحجارة ووقع فى التعاليق على كتاب سيبويه لابى على الحسن بن على بن أحمد النسوى مايدل على ان العرب تستعمل هذه اللفظة قال أبو على رحمه الله الالف فى حاحيت بدل من ياء كان أصله حيحيت وليست هذه الالف بألف فاعلت نحو راميت والدليل على ذلك قولهم فى مصدره الحيحاء والحيحاة على مثال الزلزال والزلزلة ووقع فى كتاب العين حاحيت بالكبش وحاحأت وأنكر ذلك الزبيدى وقال انما هو حاحيت لاغير وكذلك قال (ع) حوحأت بالعنز اذ زجرتها فقلت لها حوو وأنكر ذلك (ز) وقال الصواب حوحيت ويقال حاح بضأنك وحاى وقال أبو زيد خاى بكذا كذا رأيته بالخاء المنقوطة وقال معناه أعجل جعله صوتا مبنيا على الكسر يستوى فيه الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث وأنشد للكميت

اذا ما شحطن الحاديين سمعتهم * بخاءبك الحق يهتفون وحيهل

وقال ابن سلمة معناه خبت وهو دعاء منك عليه تقول بخاءبك أى بأمرك الذى خاب وخسر كذا رأيته فى كتاب تاج اللغة بخاءبك متصلا (وأما خاخ) فموضع معروف بين مكة والمدينة يقال له روضة خاخ ومنه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان فيها امرأة معها صحيفة الحديث قال البخارى بعد ذكر هذا الحديث قال ابو عوانة خاخ وحاج تصحيف وخاخ أصح وهو موضع وهشيم يقول خاخ ويروى فى هذا الحديث خاخ منونا وخاخ مسكنا * بقى من هذا الشكل جاخ فانظر فلم يحضرك من ألفاظ البيت فاجعل هذا عوضا منه قد نطقت به العرب رأيت فى طرة كتاب الجمهرة جاخ الوادى السيل يجوخه جوخا وباخت النار تبوخ بوخا وقد تقدم جخ الرجل قبل هذا وكذلك جخجخ بتقديم الجيم على الخاء وبقى ماهو بتقديم الخاء على الجيم تقول خجت الريح تخج فى هبوبها اذا التوت وهى

الجحوج والجخجخة سرعة الاناخة والحلول والجخجخة أيضا الانقباض فى موضع خفى واختبع الجمل فى سيره اذالم يستقم * وقال صاحب العين الجخاجة الرجل الاحمق وقال الجوهرى والهلباجة الاحمق قال الاحمر لقيت أعرابيا فسألته ما الهلباجة قال الاحمق الاكول الضخم الفدم الذى جمع كل شر ومن خاخ أحد شعراء ابن عباد رحمه الله * تفسير القوافى * دامت لنا ولكم العوافى جل وجل أوّل ما أبدأ به من الكلام على الجيم هى من الحروف المجهورة ومن الحروف الشديدة ومخرجها من اللهاة واختها الشين فى المخرج ولذلك تجد كلمات كثيرة ينطق بها تارة وبهذه أخرى لاسيما فى لسان العجم وأكثر ما يوجد ذلك فى أنسابهم مثل البرجانى وابن أبرج رجل من المحدثين لما قرأته على الحافظ رحمه الله قال لى الفظ به بين الجيم والشين فسألته عنه فقال هو اصحاب بلغتهم وربما كتبوا الحرف جيما وكتبوا عليه شيئا حرصا على البيان ليعلموا كيف النطق بهذا الحرف وأما العامة فعندهم من ذلك كثير مثل بخيه وأصلها من القش وكذلك بلج للذى يغلق به الباب وكذلك فورجة وفجة وغير ذلك مما لا يحتاج الى ذكره ولذلك لاتجتمع الطاء والجيم فى لسان العرب ولذلك قالوا الطاجن والطيجن معرب عربته العرب وهو الطاجن يقلى عليه ذكر هذا الجوهرى فى تاج اللغة ومن شكل جيم ختم بالخاء المنقوطة والتاء وهو معلوم من ختم أى طبع وحتم بالحاء المهملة وهو الواجب وسيأتى ومن شكله أيضا خيم بالخاء والياء جمع خيمة وخيم بكسر الخاء وفتح الياء بعدها وهو موضع قال طفيل

لمن طلل بذى خيم قديم * يلوح كأن باقيه رسوم

ولجرير الرجز المشهور

أقبلن من نهيان أو وادى خيم * قد طويت بطونها طى الادم

اذا قطعن علما بدا علم * حتى أنخناها الى باب الحكم

وأما الكلام على تصريف حروف الجيم فان حذفت ياءه جاء منه جم ومستقبله يجم تقول جم الشئ واستجم كثر والجمة البئر الكثيرة الماء ويروى انه وضع لعبد الملك ابن مروان غداؤه فقال لآذنه ادع لى خالد بن يزيد بن معاوية قال مات يا أمير المؤمنين قال ادع لى روح بن زنباع الجذامى قال مات يا أمير المؤمنين قال ادع لى عبد الله بن

خالد بن أسيد قال مات يا أمير المؤمنين قال ارفع ويحك نغصت علينا ثم أنشأ يقول

ذهبت لداتي وانقضت آجالهم * وغبرت بعدهم ولست بغابر
وغبرت بعدهم فأسكن مرة * بطن العقيق ومرة بالظاهر
العيش منقطع وان أحببته * والموت موردة الهيوب النافر
ماء بمنقطع الموارد كلها * فالبر وارد حوضها كالفاجر
ولقد علمت لأشربن بجمة * يوما ولست اذا وردت بصادر

والجمة البئر الواسعة الكثيرة الماء كما تقدم وهذا من الدلائل واللدات جمع لدة وهو الذي يولد معك في وقت واحد أو قريب منه ويجمع أيضا لدون وكان العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه لدة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما يستحسن في اللدة قول ابن قيس الرقيات في امرأة

لم تلتفت للداتها * ومضت على غلوائها

اي سبقت نظراءها وأقرانها وقوله مضت على غلوائها يقال كان ذلك في غلوائه أي حين يغلو فيطول وغلا النبت يغلو غلوا اذا طال وكذلك غلا الصبي اذا شب ويقال للجارية اذا شبت شبابا حسنا وجاوزت لداتها قد غلا بها عظم قال الشاعر

خمصانة قلق موشحها * رود الشباب غلا بها عظم

رود الشباب ناعمة الشباب ومثله

حتى اذا غلا بني واحتجن * وزانه الشحم والشحم زين

أراد زين ففتح الياء للاتباع كما كسر الجيم والراء الآخر في قوله

علمنا اخواننا بنو عجل * شرب النبيذ واصطفاقا بالرجل

والجمة الشعر الكثير وهي أكثر من اللمة والجمع جمم وجمام وتصغيرها جميمة وفي الحديث من هذا وكان للنبي صلى الله عليه وسلم شعر فوق الجمة ودون الوفرة وقول عائشة رضي الله عنها فوفى شعري جميمة والجمة القوم يسألون في الدية قال الشاعر

وجمة تسألني أعطيت * وسائل عن خبري لويت * فقلت لا أدري وقد دريت *

ومن الجم الذي هو الكثيرة واسم الجم الغفير اي المجتمعون ويقال جاؤا جماء غفيرا بالهمز والمد وجما غفيرا والجماء هي بيضة الحديد تعرف بالجماء والصلعاء فاذا جعل معها المغفر فهي غفير هذا أصله ومعناه الاجتماع والاحاطة وشاة جماء

لاقرن لها والذكر أجم ومن أمثالهم عند النطاح يغلب الكبش الاجم يضرب مثلا للرجل الذى لا سلاح له لانه يقال له أجم ومنه قول امية بن أبى الصلت

ان تغفر اللهم تغفر جما * وأى عبد لك لا ألما

أى لم يلم بمعصية وكذلك فسر فى التنزيل ويحبون المال حبا جما والله أعلم وجمع الاجم جم وهو من هذا الباب قال الاعشى

وان معاوية الاكرمين * حسان الوجوه طوال الامم
متى تدعهم للقاء الحروب * تأتك خيل لهم غير جم
وأما اذا ركبوا فالوجوه * فى الروع من صدأ البيض حم

معاوية قبيلة ويستشهد بقافية البيت الأول فى باب أمة التى هى القامة وجمعها امم كما رأيت وبقافية البيت الثانى على هذا الباب وأما الثالث من صدأ البيض حم فى الفصل بعد هذا الاحم الادهم وجمعه حم خرج البيت الثانى أبو عبيد رحمه الله وأنشده * متى تدعهم لقراع الكماة * واستشهد به على قول ابن عباس رضى الله عنهما أمرنا أن نبنى المساجد جما والمدائن شرفا وفسره بنحو مما تقدم من قولهم شاة جماء اذا لم يكن لها قرن وكذلك الرجل الذى لا سلاح معه وكذلك البناء اذا لم يكن له شرف فهو أجم وجمعه جم ويقال جم الفرس يجم جما ويجم أيضا اذا عفا من التعب وقال أبو زيد جم وأجم وأجمه أنا كذلك جمامة اذا ترك الضراب ويقال أعطنى جمام فرسك وجمت البئر تجم وتجم جموما اذا تراجع ماؤها وضم الجيم فى البئر أكثر من كسرها فى المستقبل وفى الحديث من أحب أن يستجم له الرجال قياما وجبت له النار أى يستجمعون له قائمين وجمة الركى معظم مائها والجمع جمام قال الشاعر * جمام الركايا أنكرتها المواتح * ويقال أجمت الحاجة حانت والجميم النبات الكثير والجمام الكيل الى رأس المكيال * ومن مضاعفه جمجم فى صدره شيئا اذا أخفاه ولم يبده والمصدر الجمجمة ويكون ذلك من غير عى والجمجمة القحف وهو مستقر الدماغ وجماجم العرب القبائل التى تجمع البطون فينسب اليها دونهم اذا قلت كلبى استغنيت أن تنسب الى شئ من بطونه وهم السادة

مج أيضا ومعكوس جم مج التراب من فيه والماء يمجه مجا رمى به وهو المجاج ومجاج العنب شرابه ومجاج المزن مطره ومجاج النحل عسله وللجراد مجاج ومن الرواة محمود بن الربيع وكان صغيرا ولكنه عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم

وعقل مجة مجها في وجهه من دلو في بئرهم فعد بذلك من رواة الصحابة رضي الله عنهم وهذا من النبي صلى الله عليه وسلم من حسن خلقه ومما زحته لأصحابه حتى للصبيان وقد نضح في وجه زينب بنت أم سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما فيها وأتى بدلو من ماء زمزم فمج فيه فصار أطيب من المسك صلى الله عليه وسلم والمج حب كالعدس والمج بضم الميم والمج فرخ الحمام قال ابن دريد ولا أعرف ما صحته والمأج الاحمق وقد تقدم ومن مضاعفه المجمجة تخليط الكتاب اذا ضربت عليه بالقلم أو غيره فهو مجمج * ومن شكل جم حم تقول حم الله له كذا وكذا اذا قضاه وأحمه أيضا وينشد * وليس لشئ حمه الله دافع * وينشد على أحم بالالف * أحم الله ذلك من لقاه * أي قضاه وفرس أحم بين الحمة وهي بين الدهمة والكمتة والحم الشحم المذاب فما بقي منه فهو حمة قال الشاعر يصف المطر وانسكابه

كأنه لما وهي سقاؤه * وانهل من كل غمام ماؤه * حم اذا أحمشه قلاؤه *

يروى أحمشه بالحاء المهملة وبالخاء المنقوطة أي أحرقه من قولهم سنة حموش اذا أحرقت النبت * ومن الحم قول مسلمة بن عبد الملك رحمه الله أقل الناس في الدنيا هما أقلهم في الآخرة هما خرجه ثابت وقال الحم المال وأصله الشحم ضرب مثلا للمال كما يقال فلان ما به طرق اذا كان ضعيفا وأصل الطرق الشحم ويقال الحم ما أذبت من اهالته والواحدة حمة وأنشد ابن الاعرابي * يهم فيه القوم هم الحم * قال هم الرجل الشحم يهمه هما اذا أذابه ويقال همك ما أحملك أي أذاب جسمك هذا الحديث الذي يقلقك وأما الحمة مخففة فهي حدة السم ومنه الحديث لا رقية الا من عين أو حمة وحم الرجل من الحمى فهو محموم ويقال أحمه الله أيضا وحمم الفرخ اذا نبت زغبه وكذلك الرأس اذا حلق ثم نبت شعره والحمام قضاء الموت وحممت وجه الرجل اذا سودته بالحمم وهو الفحم واحدته حممه ومنه حديث اليهودي الذي رجمه النبي صلى الله عليه وسلم حين سأل اليهود عن فعلهم بالزاني قالوا نحممهم ويفضحون واليحموم الدخان * ومن شكل حم حم اسم السورة وقد تقدم الكلام فيه في أول الكتاب عند فواتح السور وفي الحديث منه كان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق حم لا ينصرون وقال الشاعر

يذكرني حم والرمح شاجر * فهلا تلا حم قبل التقدم

* ومن شكل حم أيضا حم وهو قريب المرأة كابن العم ونحوه وفيه لغات حم كما تقدم وحما مثل قفا وحمو وحم ء وفي الحديث من هذا وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دخول الرجال على النساء فنهى عن ذلك فقيل يا رسول الله أرأيت الحمو قال الحمو الموت وتقدم أحم ومعكوسه محا يقال محوت أمحو ومحيت أمحي وفي حديث علي رضي الله عنه ما أنا بالذي أمحاه يعني اسم النبي صلى الله عليه وسلم ومن مضاعفه الحمحمة صوت الخيل حمحم الفرس حمحمة اذ ردد الصوت ولم يصهل كالمتنحنح وأسود حمحم وحماحم شديد السواد * ومعكوسه مح تقول مح الثوب وأمح يمح ويمح محوحا اذا أخلق فهو مح وخرج مسلم عن الربيع بن سبرة في حديث متعة النساء ان أباه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في فتح مكة قال فأقمنا بها خمسة عشر ثلاثين بين ليلة ويوم فأذن لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في متعة النساء فخرجت أنا ورجل من قومي ولي عليه فضل في الجمال وهو قريب من الدمامة مع كل واحد منا برد فبردي خلق وأما برد ابن عمي فبرد جديد غض وذكر الحديث بطوله وكيف تلقتهما المرأة وقالت لاحدهما ان برد هذا خلق وفي رواية ان برد هذا خلق مح * والمح صفرة البيض وخالص كل شئ محه ورجل محاح للذي يرضى بالكلام بلا فعل ومن مضاعفه رجل محمح قالوا خفيف نزق وقالوا ضيق بخيل وقد قيل في هذا رجل محامح يوصف به البخيل وقد تقدم المحاح ومن شكل حم خم تقول خم اللحم يخم ويخم وأخم خما وخموما واخما ما اذا تغيرت رائحته وأكثر ما يستعمل في المطبوخ فأما النيء فيقال صل وأصل وسيأتي في باب الصاد ان شاء الله تعالى قال الشاعر

وثمة من شارف مزكوم * قد خم أو زاد على الخموم

ويروى * وقبلة من شارف معكوم * الشارف الشيخ والناقة المسنة ولا يقال للمذكر انما يقال عود وتقول خممت البيت أخمه خما اذا كسحته والخمة المكسحة والخمامة الكساحة وكذلك القمامة والكناسة والقمة والمخمة المكنسة ورجل مخموم القلب اذا كان نقيا من الغل وغدير خم معروف وقد تقدم انه على ثلاثة أميال من الجحفة يسرة على الطريق وخم أيضا بئر بمكة شرفها الله تعالى حفرته بنو كلاب ومنه قول الشاعر * ولا تسقى الا بخم أو الحفر * والحفر بئر أيضا قال الشاعر

وسقيت بالماء النمير ولم * أبرد الاطم حماة الحفر

خرجه ثابت وفسره قال قال قطرب الماء النمير الذي يسمى عليه المال مطلقا كان
أو عذبا وقال الاصمعي ماء نمير اذا كان مريئا وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه ان
رجلا صنع له طعاما فدعاه فلما فرغ قال الحمد لله الذي أطعمنا الخمير وألبسنا الحبير
وسقانا النمير قال والحبير الحبرة وأما النقاخ فهو الماء العذب وفي الحديث ان النبي
صلى الله عليه وسلم لما شرب من دومة قال هذا النقاخ فسره الخطابي بأنه العذب كما
تقدم قال وسمي نقاخا لانه ينكسر العطش والنقخ الكسر وأنشد

فان شئت حرمت النساء عليكم * وان شئت لم أشرب نقاخا ولا بردا

قال والمسوس في العذوبة دون النقاخ والفرات أعذب العذب * ومن معكوس خم
مخ مخ وهو ما أخرج من عظم وسيأتي الكلام عليه في باب الراء ان شاء الله تعالى ومن
مضاعفه المخمخة تقول تمخمخت ما في العظم وتمخمخته وسيأتي فان حذفت الميم
جي من لفظ جيم بقي جي وجي بلد معروف بأصبهان قاله لي الحافظ رحمه الله وأنشد
لنفسه من قطعة مطولة

سقيا لأيام بجي قد مضت * لي بين أهل الفضل من خلان
أهل الفصاحة والبراعة معشر * فاقوا الشيوخ وهم من الشبان

انظرها بكمالها في التكميل وهو بلد سلمان الفارسي رضي الله عنه جاء عنه انه
قال كنت رجلا من أهل جي وقال ابن دريد الجي غير مهموز جفان تملأ الماء
الواحدة جية وجئ بالهمز أمر من جاء وجيء مبني لما لم يسم فاعله قال الله عز وجل
وجيء يومئذ بجهنم أعاذنا الله منها ومن شره حي ضد ميت والحي من أحياء
حي العرب وبنو حي بطن من العرب ومن أسماء رجال الحديث حي وكنيته أبو حية والحي
الحياة قال الشاعر * وقد نرى أن الحياة حي * وحي على كذا وكذا أي عجل
وحيهل كذا وكذا أي عجله قال الشاعر * بحيهلا يزجون كل مطية * وقال أبو الخطاب
فان أول الأذان حيهل الصلاة نصبوا الصلاة والفلاح على الاغراء والتحضيض
ثم ان بعضهم ألغى هل وأتى مكانها على وذلك على اظهار المعنى فجروا الصلاة
والفلاح وقال الاصمعي قال بعضهم حي على الثريد أي عجلوا على الثريد وجاء في
الحديث اذا ذكر الصالحون فحيهل بعمر أي عجل بذكر عمر ويقال حيهلا وحيهل وحي هل
بعمر من كتاب ابن السكيت وقد يقولون حي من غير أن يقولوا هل من ذلك قولهم
في الأذان حي على الصلاة حي على الفلاح وانما هو دعاء الى الصلاة والفلاح قال

ابن

ابن أحمر أنشأت أسأله ما بال رفقته * حى الحمول فان الركب قد ذهبا
قال أنشأ يسأل غلامه كيف أخذ الركب وحكى سيبويه عن أبى الخطاب ان بعض العرب يقول حى هل الصلاة يصل بها كما يوصل بعلى فيقال حى هل الصلاة ومعناه ائتوا الى الصلاة واقربوا من الصلاة وهلموا الى الصلاة وقد حيعل المؤذن كما يقال حوقل وتعبشم مركب من كلمتين قال الشاعر

ألا رب طيف منك بات معانقى * الى أن دعا داعى الصلاة فحيعلا

وربما ألحقوا به الكاف فقالوا حيهلك كما يقال رويدك والكاف للخطاب فقط ولا موضع لها من الاعراب لانها ليست باسم قال ابو عبيد وسمع أبو مهدية الاعرابى رجلا يدعو بالفارسية رجلا يقول زوذ زود فسأل أبو مهدية عنها فقيل له يقول عجل عجل فقال هلا يقول حيهلك أى هلم وتعال وقول الشاعر * هيهاؤه وحيهله * فانما جعله اسما ولم يأمر به أحدا وسيأتى طرف من هذا المعنى فى باب الهاء ان شاء الله تعالى * فرغ الجيم * بقيت القوافى قافية أول بيت وجل وجل أما جل الشئ فمعناه عظم فهو جلال وجليل ومنه قول الناس جل الله عظم ملكه وشأنه والجلل العظيم والجلل الصغير وهو من الاضداد ويستشهد على الجلل الصغير بقول المرأة من الانصار التى قتل أبوها وزوجها وأخوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فلما نعوا لها قالت مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت أرونيه حتى أنظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وجل الرجل اذا كبر من السن وروى قوم بيت جميل * وجن اللواتى قلن عزة جلت * أى كبرت والرواية المشهورة جنت ويقال جلت الهاجن عن الولد أى صغرت والهاجن الصبية الصغيرة تزوج قبل بلوغها وكذلك الصغيرة من البهائم يقال لها أيضا هاجن يقال جلت العلبة عن الهاجن أى كبرت العلبة والعلبة اناء يحلب فيه وهو اناء كبير وقد تقدم وجل كل شئ عظمه والجل نقيض الدق ومنه الحديث اللهم اغفر لى ذنبى كله دقه وجله والجل سوق الزرع المحصود ومنه حديث عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه قال يحيى بن يحيى الغسانى كتبت اليه أسأله عن رجل أحرق جلا فى براح فطارت شرارة فأحرقت شيئا لجاره فكتب الى عمر بن عبد العزيز ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العجماء جبار وأرى ان النار جبار خرجه ثابت وقال الجل سوق الزرع اذا حصد عنه السنبل قال وقد روى أيضا

جل

حديث مرفوع فى النار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال العجماء جرحها جبار والمعدن جبار والنار جبار وفى الركاز الخمس قال وكانت العرب تسمى السيل جبارا أى لا يودى ما قتل ولا يقوّم ما أفسد والجلة وعاء من خوص ور بما جعل فيها التمر وجمعها جلل قال الشاعر * وعندهم البرنى فى جلل ثجل * الأثجل العظيم البطن ومنه قول الشاعر

بتنا وجلتنا الصهباء بينهم * كأن أظفارهم فيها السكاكين

فأصبحوا والنوى عالى معرسهم * وليس كل النوى يلقى المساكين

والجلة البعر والابل الجلالة التى تأكل العذرة ومنه الحديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لبن الجلالة وفى حديث آخر عن أكل الجلالة وألبانها وزاد الدارقطنى رحمه الله فى هذا الحديث وأن لا تركب حتى تعلف أربعين ليلة وذكر ضعف الحديث وأما الجل فمعروف جل الدابة وحكى جل بالفتح لغة تميمية وجلال كل شئ غطاؤه ومنه جلال البدن وجل موضع بالعراق وجل بالفتح وجلان حى من العرب والجل أيضا بالضم الورد فارسى معرب قال الاعشى

وشاهدنا الجل والياسمين * والمسمعات بقصابها

يعنى المزامير ويروى بأقصابها جمع قصب وهى الأمعاء ومنه يجر قصبه فى النار وسيأتى والمجلة الصحيفة وكذلك يروى بيت النابغة * مجلتهم ذات الاله ودينهم * يريد الصحيفة كأنهم كانوا نصارى فأراد الانجيل وفى الحديث فى الذى قال عندى مجلة لقمان والجليل يقع على الجلة ويعنى به السيد الكبير ويعنى بالسيد أيضا الجليل الكبير خرج ثابت أن النبى صلى الله عليه وسلم قال الجذع من الضأن خير من السيد من المعز قال داود بن قيس السيد الجليل قال غيره وكذلك هو عندنا ألم تسمع قول الاعشى

قد حملوه حديث السن ما حملت * ساداتهم فأطاق الحمل فاضطلعا

أى اضطلع وهو صغير السن بما لا يضطلع به الا الجلة الأكابر وفى الحديث فقالت امرأة جليلة كأنها من نساء مضر والجليل أيضا الثمام واحدته ثمامة يعرف ذلك بلال بن حمامة وقد تقدم قوله وهو عليل * وحولى اذخر وجليل * مع قول أبى بكر مولاه فى مرضه رضى الله عنهم ومن أحسن ما رأيت فى هذه اللفظة

بطل تناول فارسين بطعنة * فرأيتموه أتى بذاك جليلا

هذا يقوله بكر بن النطاح والجلجل معروف ودارة جلجل مكان يعرفه امرؤ القيس
لا كان اذ ينشد القوم ولا سيما يوم قال الكلبي دارة جلجل عين كندة وسمى
الجلجل جلجلا لشدة صوته يقال جلجل الجرو الرعد ورجل مجلجل شديد الصوت
وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها ودخل عليها بجارية وعليها جلاجل
يصوتن فقالت لا تدخلنها على الا أن تقطعن جلاجلها وقالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس وقال في حديث آخر
لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس وقال في حديث آخر الجرس من أمر
الشيطان خرج هذا والذى قبله مسلم رحمه الله والجلجلان ثمر الكزبرة * وبقى من
جل هذا الشكل جل أمر من جال يجول جولة وجولا نا وجولات في الارض وفي الحديث
فكانت للمسلمين جولة أى زوال عن مواضع القتال والجولان التراب تجول
به الريح والجول معقول القلب والجول والجال جانبا البئر * ومن معكوس جل لج
لج يلج ويلج لجاجا اذا ألح ويقال لجاجة ومنه الخبر الخير عادة والشر لجاجة وقد
تقدم بسنده وفي الصحيح لأن يلج أحدكم في يمينه آثم له عند الله من أن يعطى
الكفارة التى أوجب الله عليها أو كما جاء ولجج القوم دخلوا لجة البحر وجمع لجة لجج
ولجج وفي حديث ابن الزبير رضي الله عنهما لو وضعوا اللج على قفى قالوا يعنى السيف
شبهه بريقه بلجة البحر ويقال التج الظلام والتجت الاصوات اختلطت ولم تفهم
وسمعت لجة القوم أى أصواتهم * وخرج البخارى في الجهر بالتأمين أمن ابن
الزبير ومن وراءه حتى ان للمسجد للجة وفيه أيضا رجة بالراء وجاء في حديث
التكبير بمنى حتى ترتج منى تكبيرا * وخرج في حديث عذاب القبر ضج المؤمنون
ضجة والجلجلة كلام غير بين وتجلجلت اللقمة في الفم اذا لم يسغها آكلها كما قال زهير
* يجلجل مضغة فيها أنيض * وسيأتى البيت في باب الضاد ان شاء الله تعالى واللج
من أسماء السيف وقد تقدم وتجلجل بالشئ تبادر به وتقول العرب الحق أبلج
والباطل لجلج وهو المختلط الذى ليس بمستقيم والأبلج المضيء المستقيم وقيل
لاعرابى ما البرد قال اذا دمعت العينان وقطر المنخران ولجلج اللسان خرجه ثابت
ومن اللجلجة حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال ليس يهودى يموت حتى
يؤمن بعيسى فقيل لابن عباس أرأيت ان ضربت عنق أحدهم قال يلجلج لسانه
وقال الشاعر فلجلج بالتوحيد من غير نية * مخافة أن تلقى علاوته صبرا

وسيأتى تفسير العلاوة واليلنجج والبلنجوج والالنجوج عود طيب الريح وبقى من
هذا الشكل لج أمر من ولج يلج وسيأتى ان شاء الله تعالى * وأما قافية البيت
الثانى وحل وجل فكلام فى معنى الكلام قبله لانه وحاء وجاء وحل وجل فيكون حل
وجل فاعل بحل أى نزل فزع وخوف فالكلام أولا فى حل يقال حل بالمكان يحل
حلولا اذا نزل به وحل العقدة يحلها حلا وحل الدين محلا أى وجب وفى التنزيل
ثم محلها الى البيت العتيق والهدى معكوفا أن يبلغ محله وأحل من احرامه احلالا
فهو حلال ومحل والمحل الذى لا عهد له ويسمى القرآن الحال المرتحل سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم أى الاعمال أفضل قال الحال المرتحل قيل ما الحال المرتحل
قال الخاتم المفتتح حينئذ والمحل الذى لا يرى حرمة الشهر الحرام ولا البلد الحرام
وأنشد فقلت لها مرحبا مرحبا * بوجه المحلة أخت المحل
وتقول حل من احرامه أيضا فهو حلال وفعل ذلك فى حله وحرمه أى وقت احلاله
واحرامه وقرئ وحرم على قرية وحرام أى واجب على قرية أهلكناها انهم
لا يرجعون أى لا يتوبون يقال حرم وحرام كما يقال حل وحلال وأحل أيضا معناه
حلق وفى الحديث الذى ذكر فيه اعتمار النبى صلى الله عليه وسلم من الجعرانة مع
محرش بن عبد الله وفيه وأحله محرش يعنى حلقه وجاء فى الحديث أيضا من قوله
عليه الصلاة والسلام أحلوا الله يغفر لكم فسره ثابت قال يعنى أسلموا قال وفى
موضع آخر الاحلال الحلق وهو شبيه بقوله عليه الصلاة والسلام يرحم الله المحلقين
والله أعلم * والحل خلاف الحرم والحل الحلال ومنه قولهم هذا لك حل وبل وقد
تقدم القول فى بل انه اتباع وأنه مباح وقال الله تعالى للنبى عليه الصلاة والسلام
وأنت حل بهذا البلد وهذه الجملة فى موضع الحال والمعنى أقسم به محلولا أنت فيه
ولم يكن يوم فتح مكة حلا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده قاله ابن زيد ومن
الحل الذى هو ضد الحرام قول عبد الله بن عبد المطلب والد رسول الله صلى الله
عليه وسلم حين مر برقيقة بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل وهو مع أبيه عبد المطلب يوم
فدى بالابل فدعته الى نفسها ورأت فى وجهه نور النبوة وأحبت أن تحمل منه فتلد
هذا النبى المبارك صلى الله عليه وسلم فقال لها عبد الله

أما الحرام فالممات دونه * والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

ثم دخل على آمنة فحملت به صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ويشبه هذا قول بعضهم * أما الحرام فلست أركب محرما * والحل بفتح الحاء دهن السمسم ومحلة القوم ومحلهم موضع حلولهم وقد تقدم بيت النابغة مجلتهم ويروى محلتهم ذات الاله يريد الشأم والارض المقدسة والمحلة القوم النزول ومكان محلال يكثر فيه الحلول ويجمع الحال على حلال وحلل وحلول * وتحلة اليمين تحليلها وفى القرآن العظيم قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم وفى الحديث لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار الا تحلة القسم قالوا فيه قوله تعالى وان منكم الا واردها أى الا داخلها فيجعلها الله على المؤمنين بردا وسلاما كما جعلها الله على ابراهيم عليه الصلاة والسلام ويقال ضربه ضربا تحليلا أى غير بالغ ومنه قول زهير بن أبى سلمى * تجانب وقعهن الارض تحليل * وكذلك قول امرئ القيس * غذاها نمير الماء غير المحلل * يقول ليس بيسير ويحتمل أن يريد غير منزول عليه فيكدر ويفسد والحليل والحليلة الزوج والمرأة والحلال مركب من مراكب النساء والمحلل فى غير هذا الذى يتزوج المرأة فيحلها لزوجها الذى طلقها ويسميه الناس التيس المعار وهذه التسمية صحيحة خرج الدارقطنى عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا بلى قال هو المحلل ثم قال لعن الله المحلل والمحلل له وجاء عن عمر رضى الله عنه انه ما أتى بمحال ولا محلل له الا رجمهما ذكره أبو عبيد رحمه الله وقال يقال رجل حال اذا كان محفوظا وهو من أحللت المرأة لزوجها وانما الكلام أن يقال محل انتهى كلامه والحلال متاع الرجل والحلال جماعات بيوت الناس والبيوت أربعة ما كان من مدر فهو بيت وما كان من صوف أو وبر فهو خباء وما كان من جلود فهو طراف وما كان من حجارة فهو أقنة والحلال أيضا متاع الرجل قال الاعشى

وكأنها لم تلق ستة أشهر * ضرا اذا وضعت اليك حلالها

قال الاصمعى هو كذبان لو أراد فى ستة أشهر الصين لأتاه وقال يعقوب يقال رجل كذبان وكيذبان وقال غيره وقد صرف لفظة كذب ويقال كذب يكذب كذبا وكذبا فهو كاذب وكذاب وكذوب وكيذبان ومكذبان ومكذبانة وكذبة مثل همزة وكذبذب مخففا ويقال مشددا قال

واذا أتاك بأننى قد بعتها * بوصال غانية فقل كذبذب

والكذب جمع كاذب كراكع وركع والكذب جمع كاذب مثل صابر وصبر وقد قرأ

بعضهم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب نعتا للالسنة وقالوا في قوله تعالى بدم كذب طرى (رجع) والحلان الجدى ويقال فيه أيضا حلام بالميم وسيأتى والحلة موضع حزن وصخور والحلة ازار ورداء لا يقال حلة لثوب واحد والحلة بقلة شائكة وجمعها حلل قاله ابن دريد والاحليل مخرج البول من الذكر ومخرج اللبن من طبى الفرس وخلف الناقة وأحلت الشاة فهى محل اذا نزل اللبن فى ضرعها بلا نتاج * ومن مضاعفه حلحل يقال حلحلت الشاة وحلحلت بالشاة اذا قلت لها

حلحل حل حل وفى الحديث من هذه اللفظة وستأتى فى باب العين ان شاء الله تعالى والحلاحل السيد الشجاع وحلحل موضع ذكره ابن دريد وحلحلة اسم رجل وهو حلحلة

لح ابن قيس سيد فزارة ومعكوس حل لح تقول لحت عينه ولحت لحا ولححا اذا التصقت أجفانها لكثرة الدمع وتراكم أشفارها وغلظت ومنه قولهم ابن عمه لحا اذا ألصق نسبه بنسبه وألح فلان فى الشئ الحاحا اذا كثر سؤاله اياه كاللاصق به وفى الحديث من هذا ان الله يحب الملحين فى الدعاء وفى آخر ألحت على ربك يقوله أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر ويقال رجل ملحاح اذا كثر ذلك منه ورجل ملحاح وكذلك السرج والقتب اذا الصق بالظهر وعضه وتلحلح القوم أقاموا بمكانهم وجاء فى الحديث ان ناقة النبى صلى الله عليه وسلم لما انتهت به الى المدينة بركت موضع مسجده وفيه وتحلحلت ورزمت وألقت بجرانها أى بعنقها كذا قال بتقديم الحاء وكذا وقع فى السيرة وفسره ابن قتيبة على تلحلح بتقديم اللام أى لزم مكانه ولم يبرح قال الاستاذ وهذا معناه ومعنى رزمت أقامت من الكلال وأما أرزمت بالالف فمعناه رغت ورجعت فى رغائها (وأما وجل) فالواو فيه أصلية وهو الفزع والخوف كما تقدم تقول وجل يوجل فهو وجل كما قال تعالى انا منكم وجلون قالوا لا توجل ويقال أيضا وجل يجل وييجل فهو واجل اذا أقام وقد تقدم * ومن

جلو مقلوبه جلو تقول جلوت السيف جلاء صقلته وجليت عن الشئ أظهرته وجلوت العروس جلوة وجلوة أبرزتها وتجليته نظرت اليه وفى التنزيل فلما تجلى ربه للجبل أى ظهر وأظهر من أمره ما شاء من تجلى القدرة على ما يليق ان يوصف به تعالى وتقول جلى الغيم انكشف وأجلوا عن قتيل أفرجوا عنه وأجليت عنه الهم فرجته ورجل أجلى وقد جلى اذا ذهب الشعر من مقدم رأسه وجبهة جلواء واسعة وجلى القوم عن المسكن جلاء تركوه وفى التنزيل ولولا ان كتب الله عليهم الجلاء

والجلاء

والجلاء الاثمد لانه يجلو البصر قال الشاعر

وأكحلك بالصاب أو بالجلا * ففتح لكحلك أو غمض

وما أقت الاجلاء يوم أى بياضه * ومن مقلوبه أيضا جول تقول جول فى الارض جولانا وجال الرجل يجول جولة وفى الحديث كانت للمسلمين جولة أى زوال عن موضع حربهم وقد تقدم والمجول درع تجول به الجارية والجول معقول القلب يقال ماله جول ولا مغفر والجول والجال جانبا البئر * ومقلوبه ولج فى الشئ ولوجا دخل قال الله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل أى يدخل ما نقص من أحدهما فى الآخر والوليجة بطانة الرجل من الناس وفى كتاب الله تعالى ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة أصله من الولوج وهو ان يتخذ رجل من المسلمين دخيلا من المشركين خليطا والتولج كناس الظبي وقد أولجه وأتلجه وشرتالج وولج والتاء هنا مبدلة من واو * ومن شكل وحل وحل يقال وحل يوحل وحلا وقع فى الوحل والجمع أوحال ووحول وقد استوحل المكان ولى مقطوعة لزومية فيها ذكر الاوحال أنظرها فى التكميل * ومقلوبه لوح وهو معروف وفى القرآن العزيز فى لوح محفوظ وسيأتى ان شاء الله تعالى وألواح الجسد عظامه العريضة والملواح العظيم الالواح ولحته ببصرى لوحا وكذلك لوحت به اذا رأيت لوحه ولاح الشئ لوحا ولؤوحا اذا استبان وألاح البرق أضاء واللوح الهواء واللوح العطش والتاح الرجل اذا عطش والملواح المعطاش وفى التنزيل لواحة للبشر أى مغيرة من لاحه اذا غيره وقيل المعنى تلوح لأهلها مسيرة خمسمائة عام نعوذ بالله من غضبه ومعكوسه حول عام تقول حال حولا وحؤولا وأحال الشئ أتى عليه حول وأحول أيضا لغة واستحال الشئ وحال حولا وحؤولا اذا تغير وتحول عن حاله وفى التنزيل لا يبغون عنها حولا أى تحويلا ويقال أرض محوالة تركت أحوالا لم تزرع والحول والمحالة والحيلة سواء وفى التنزيل شديد المحال قال ابن عباس رضى الله عنهما أى الحول وقال قتادة الحيلة وقال الحسن المكر والهلاك وسيأتى تفسير المكر الذى يليق بجلال الله تعالى وقال أبو عبيدة هو من المحل وهو الشدة فمن جعله من الحول فوزنه مفعل ومن جعله من محل فوزنه فعال قال أبو علي تكون الميم فى المحال زائدة لانه لو كان كذلك لم تعل العين كما لم تعل فى نحو المقول والمعول ونظائره ولم نعلم شيئا من هذا جاء معتلا وأيضا فان المصدر يكون على مفعل وتقول رجل حول ذو حيل

جول

ولج

وحل

لوح

حول

وحوالى أيضا ورجل محوال كثير المحال والمحالة أيضا البكرة وجاء منه فى الحديث
العصفور أحد عيدان القتب — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى المدينة قد حرمتها الا العصفور رقتب أو مسد محالة والحولاء كالعنباء مشيمة الناقة والحوال مابين الشيئين وحالت الناقة حيالا اذا لم تحمل عامها فهى حائل والجمع حيال وحوّل وحول وكذلك الشجرة وحال فى متن الفرس حؤولا اذا وثب وأحلت الغريم حوالة وحولت عينه حولا واحولت واحوالت واحتوله القوم اذا صار واحوله وحواليه والحال حال
حال — الانسان والحال الوقت الذى انت فيه والحال التراب اللين وفى الحديث ان جبريل عليه الصلاة والسلام كان يدس فى فى فرعون من حال البحر أى من طين البحر لئلا يؤمن عقوبة له على عظيم ما صنع * ومن مقلوبه الوليجة النخم الواسع من الجوالق والجمع الوايج * ومن مقلوبه حلو ضد المرّ حلا يحلو حلوا وحلوانا واحلولى وحليت السويق وقال فى موضع آخر وحلأت السويق مهموز على غير قياس وأما حلأت الابل اذا حبستها عن الورد فمهموز وقال الشاعر

حلأ — لحائم حام حتى لا حوام به * محلأ عن سبيل الماء مطرود

وقال الآخر وأعجبنى مشى الحزقة خالد * كمشى أتان حلئت عن مناهل

وحلأت فلانا مخفف حلا اذا كحلته بالحلاءة وهى حكاكة حجرين يكتحل بها ويقال له أيضا حلوء قال الشاعر كأنما أغضى على مضاض

من الحلوء صادق الامضاض * فى العين لا يذهب بالترحاض

الترحاض الغسل يقال رحضت الشئ غسلته وحلاوة القفا وسطه وفى الحديث بينما موسى عليه السلام فى قومه يذكرهم بأيام الله وأيام الله نعماؤه وبلاؤه وهذا فى الحديث فاذا هو بالخضر مسجى بثوب مستلقيا على القفا أو على حلاوة القفا والحلاوى نبت واحدته حلاوية والحلوى اسم لما يؤكل حلوا ويقال أيضا حلواء يمد ويقصر وجاء فى الحديث يا دنيا مرى على أوليائى لا تحلولى لهم فتفتنهم فالماضى من هذا الفعل احلولى ولم يجئ على هذا المثال غير اعرورى الفرس اذا صار عريا والحلوى ضد المرى يقال خذ الحلوى وأعطه المرى قالت امرأة فى بناتها غراهن مراهن ويقال تحالت المرأة اذا أظهرت حلاوة وعجبا قال الشاعر * اذا امتحالى مثلها الا أطورها * وفى الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحب الحلوى والعسل وتقول حلوت الرجل أحلوه

حلوانا اذا أعطيته شيئا كالرشوة وحلوان الكاهن منه وفى الحديث من هذه اللفظة قال عليه الصلاة والسلام وحلوان الكاهن حرام والحلوان ما أخذ الرجل أيضا لنفسه من مهر ابنته قال الشاعر * ونأخذ الحلوان من بناتنا * ومن شكل ما تقدم مقلوبا خول وهم العبيد وغيرهم من الحاشية ويقال الراعى يخول خولا اذا حفظ والخولى والخائل الراعى وخول اللجام أصل فأسه وتخولت الرجل تعهدته وفى الحديث من هذا قول عبد الله بن عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا وتقول أخول الرجل اذا كان ذا أخوال كرام واسم الفاعل منه مخول قال الشاعر * مخول فى عشيرته معم * وقد تقدم وتخولت خالا * ومن معكوسه ولخ الولخ من العشب الطويل يقال ائتلخ العشب اذا طال وامتد وأرض مؤتلخة * ومن مقلوبه لخو مصدر لخا واللخا السعط تقول لخوت الصبى واللخونعت للقبل المضطرب الكثير تقول لخا الرجل لخاء اذا أكثر الكلام فى الباطل ورجل ألخى وامرأة لخواء * ومن مقلوبه خلو رجل خلو لاهم له والجمع أخلاء وكذلك خلى والجمع أخلياء ومنه قولهم ياويح الشجى من الخلى ومنه قول الموثقين عند كتب صداق المرأة خلو من الزوج والعدة ومنه قولهم فى الطلاق هى خلية اذا قاله الرجل لامرأته بنت منه والخلية ناقة خلت عن ولدها ورئمت غيره والخلية السفينة دون ملاح قال الشاعر * خلايا سفين بالنواصف من دد * والخلية واحدة الخلايا وهى الاجباح وسيأتى ذكرها وخلا الشئ يخلو اذا مضى وخليته أرسلته والسيف يختلى الأيدى والارجل اذا أبانها وخلى الطريق وغيره خلاء وأرض خلاء لاشئ فيها والخلاء موضع قضاء الحاجة مشتق منه والخلاء البثور وقد خليت شفتى أى بثرت وهى قروح تخرج فى الشفاه اثر الحمى (ج ه) وفلان يخلو فلانا اذا خادعه وخلا استثناء جاءنى القوم خلا أخاك وما خلا أخاك * والخلى الحشيش واحدته خلاة والمخلاة منه وخليت الحشيش واختليته وفى الحديث فى المدينة لا يختلى خلاها ويقال خلأت الناقة تخلأ خلاء اذا لم تبرح * وفى الحديث حين بركت ناقة النبى صلى الله عليه وسلم به قالوا خلأت القصوى وقال عليه الصلاة والسلام ما خلأت وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل وتقول خلا الانسان يخلو اذا لم يتزوج فهو خال قال امرؤ القيس * وأمنع عرسى أن يزن بها الخالى *

خول
ولخ
لخو
خلو

وفى المثل خلاؤك أقنى لحيائك أى منزلك اذا خلوت فيه ألزم لحيائك و يقال عبد وخلى فى يديه * وأما قافية البيت الثالث وحل وجل فلا كلام فيه لأنه مثل قافية البيت قبله وقد تقدم الكلام فيه وأما الرابع وخل وخل فأفردت فيه الخاء أما الخل فالصاحب تقول خاللت الرجل خلة وخلالا فهو لى خل وخلة وخليل والجمع خلان والخل بالفتح من عصير العنب وغيره معروف وقد جاء فى الحديث نعم الأدم الخل و فى الحديث أيضا ما أقفر بيت فيه خل أى لم يخل من أدم من قولهم خبز قفار اى غير مأدوم فسمى الخل اداما والخل الطريق بين الرمال يقال حية خل كما يقال أفعى صريمة والخل عرق يتصل بالرأس قال ابن دريد هو عرق فى العنق وأنشد * ثم الى صلب شديد الخل * والخل واد من أودية مذحج والخل موضع قبل سلع وسلع متصل بالمدينة قال الشاعر

سكن الخل والصفاح ومران وسلعا وتارة نجديا

والخل مصدر خللت الشئ أخله خلا اذا جمعت أطرافه بخلال وخللت الخباء أخله خلا اذا جمعت سجوفه والخل الفصيل والخل الثوب البالى والخل المهزول من الرجال وقال ابن دريد الخل الرجل الخفيف الجسم النحيف وأنشد * ان جسمى من بعد خالى لخل * ويقال ثوب خل اذا أخذ منه البلاء وبعث أحد الولاة رجلا على الصدقة فجاء بفصيل مخلول أو محلول فسره سئ الحال مهزول أى بادى الضر والهزال وخللت الرجل بالرمح واختللته أى طعنته واختللت لسان الفصيل شددت عليه خلالا لئلا يرضع والفصيل مخلول والخلل الفرجة بين الشيئين والجمع خلال قال الشاعر * ينظرن من خلل الستور بأعين * البيت وفى التنزيل وفجرنا خلالهما نهرا وتفجر الانهار خلالها تفجيرا أى بين ما تقدم ذكره والخلل الوهن فى الأمر والخليل الفقير المحتاج وعلى ذلك فسر بيت زهير

وان أتاه خليل يوم مسألة * يقول لا غائب مالى ولا حرم

والخلة الحاجة وفى مثل الخلة تدعو الى المسألة والرجل أخل ومختل و يقال اختل الرجل الى الرجل اذا احتاج اليه * وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم فان أحدكم لا يدرى متى يختل اليه أى متى يحتاج الى ما عنده وفى بعض كتب السلف الصدقات للأخل الأقرب والخلة الخصلة يقال فى فلان خلة حسنة أى خصلة والجمع خلال والخلة من النبت ماليس بحمض واذا رعت الابل الخلة فأهلها مخلون

قوله عبد وخلى فى يده خلى تصغير خلى وهو النبات الرطب كما فى تاج العروس وانظر الصحاح و به تعلم ما وقع من الخطأ فى تصحيح أمثال الميدانى

قال الراجز * جاؤا مخلين فلاقوا حمضا * وقال الآخر * وخلة داويت بالاحماض *
ومثل لهم اذا جاء الرجل متهددا أنت مختل فتحمض وسيأتي هذا في باب النون
ان شاء الله تعالى مستوفى وأخللت بالشئ قصرت به وكذلك أخللت بالرجل اذا
خذلته وقت حاجته والخلل والخلال ما يبقى بين الاسنان من الطعام ومنه قول امرأة
انه لأ كلة تكلة يلم كل من جشعه خلله أى ما بين اسنانه يستكثر بذلك والخلالة
والخلالة والخلالة بالفتح والضم والكسر الصداقة والمودة قال الجعدى

وكيف تواصل من أصبحت * خلالته كأبى مرحب

وأبو مرحب كنية الظل وقيل كنية عرقوب والخلال البلح واحدته خلالة والخلة
بالكسر جفن السيف والخلة كل جلد منقوش وقال ابن دريد الخلة بطائن كانت
تغشى بها أجفان السيوف وتنقش بالذهب وجمعها خلل وأنشد

لابنة الجنى بالجو طلل * دارس الآيات عاف كالخلل

وقد تقدم الجواسم اليمامة والخلخال معروف والمخلخل موضعه وخلخل لغة
فى الخلخال أو يكون مقصورا منه قال الشاعر * براقة الجيد صموت الخلخل *
ويقال خل كساءه وثوبه يخله خلا اذا شكه بالخلال وعم فلان وخل وخلل
ايضا والمخلل الذى يخص وأنشد

قد عم فى دعائه وخلا * وخط كاتباه واستهلا

وقال أبو عبيد ما فلان بخل ولا خمر أى لا خير فيه ولا شر ولبعض الكتاب ان لم يكن خمر
فخل وان لم يصبها وابل فطل ويقال اختل جسم فلان اذا انتقص وهزل ومنه الحديث
ان مصعب بن عمير رضى الله عنه كانت تترفه أمه وكان لا يبيت الا وضعت عند
رأسه الحيس فلما أسلم مصعب اختل جسمه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رآه بكى قال أبو عبيد يقال فصيل خل أى مهزول وفصيل خل أى سمين وهو من
الاضداد ومن الخل الذى هو موضع قول الشاعر * أقبلتها الخل من سودان
صادرة * وهذا البيت يقوله أبو شجرة بن عبد العزى السلمى خرجه ثابت وقال
أقبلتها تقول أقبلت الابل طريق كذا وكذا اذا استقبلت بها الابل بسوقك
وأقبلت الأباعر الماء * ومعكوس خل لخ تقول لخت عينه تلخ لخا اذا كثر دمعها لخ
وغلظت أجفانها وأنشد

لا خير فى الشيخ اذا ما اجلخا * وسال غرب عينه ولخا

والتوت الرجل فصارت فخا * وكان أكلا دائما وشخا
تحت رواق البيت يغشى الدخا

معنى شخ بال والدخ لغة فى الدخان وفى حديث ابن صياد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبأ له فى نفسه فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين وقال له قد خبأت لك خبأ فقال له ابن صياد هو الدخ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اخسأ فلن تعدو قدرك وهذا تفسير الراوى وقال غيره قبض من دخان مرّبه بيده والدخن أيضا لغة فيه وأما الدخن المذكور فى الحديث هدنة على دخن فانما هو فساد فى القلب عن باقى عداوة ذكر هذا البكرى ورد على أبى عبيد رحمه الله قوله فيه انما هو من الدخان المعلوم والله أعلم * وقد تقدم معنى الجلخ وات معناه أتى بنفسه ولم يكن منه حراك والغرب مسيل الدمع قال ابن دريد وربما يقال لخت عينه مثل لخت سواء واللخلخة ضرب من الطيب واللخلخانية العجمة ورجل لخلخانى اذا كان غير فصيح وقد تقدم ان الخاء من حروف الحلق والفخ مقصور كثرة الكلام فى الباطل يقال رجل ألخى وامرأة لخواء واللخاء بكسر اللام والمد الغذاء للصبى سوى الرضاع والصبى يلتخى اذا أكل الخبز المبلول وألخيته ولخيته أوجرته الدواء والملاخاة الوشى تقول لاخيت به أى وشيت * فرغ الكلام فى الخاء

خرجت من شئ الى غيره * كذلك العالم اذ ينسخ
يكتب هذا ثم هذا وذا * لعله فى قلبه يرسخ

(فصل من الفوائد) تقدم الخلة الحاجة ومن أحسن ما رأيت فى ذلك ما كان يدعو به الربيع بن خيثم رحمه الله كان يقول فى مناجاته أشكو اليك حاجة لا يحسن بثها الا اليك وأستغفرك منها وأتوب اليك وسيأتى ذكر الايثار وما فى ذلك من الآثار فى باب الهاء ان شاء الله تعالى وتقدم ذكر الحسد وفى تركه بقاء الجسد حدثنى الحافظ رحمه الله قراءة عليه من فوائد أبى القاسم الادريسى قال بسنده الى أبى العباس يعنى ثعلبا قال قيل لاعرابى وقد أتى عليه مائة وعشرون سنة ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا الحسود لا يسود قال سفيان بلغنى ان الله تعالى يقول الحاسد عدو نعمتى غير راض بقسمتى التى قسمت بين عبادى وفى الحديث ان الحسد ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقد أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الحاسد فقال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وانشد بعضهم رحمه الله

ألا قل لمن كان لي حاسدا * أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله * اذا أنت لم ترض لي ماوهب
جزاؤك منه الزيادة لي * وأن لا ينتم لك المطلب

وقد تقدم ذكر الأسود بن يزيد كان من المجتهدين في العبادة وكان قد حج ثمانين حجة وعمرة وكان يقوم الليل ويصوم النهار انما كان نومه بين المغرب والعشاء وكان رضي الله عنه يصوم حتى يخضر جسمه ويصفر لونه وكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب هذا الجسد فيقول راحة هذا الجسد أريد فلما احتضر بكى فقيل له ماهذا الجزع فقال مالي لا أجزع ومن أحق بالجزع مني والله لو أتيت بالمغفرة من الله عز وجل لهمني الحياء منه مما قد صنعت ان الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحييا منه * وعلقمة المذكور قيل كان أيضا من العباد العلماء القراء وكان حسن الصوت وكان عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يرسل اليه فيقرأ عليه القرآن قال فكنت اذا فرغت من قراءتي قال زدنا من هذا وقرأ عليه مرة فقال له رجل فداك أبي وأمي فانه زين القرآن وقيل لعلقمة لو جلست فأقرأت الناس القرآن وحدثتهم قال أكره ان يوطأ عقبي وان يقال هذا علقمة هذا علقمة ولما احتضر قال لا تنعوني كنعي أهل الجاهلية ولا تؤذنوا بي أحدا وأغلقوا على الباب ولا تتبعني امرأة ولا تتبعوني بنار وان استطعتم أن يكون آخر كلامي لا اله الا الله وقال لامرأته ياصبية خير تزيني واقعدي عند رأسي لعل الله يرزقك بعض عوادي وماترك اذ مات الا داره وبرذونا ومصحفه وأوصى به لمولى له كان يقوم عليه في مرضه وكان يحسن علم الفرائض روى الاعمش عن ابراهيم رحمه الله أنه قال له علمني الفرائض قال أمت جيرانك * وتقدم الحاج قال مجاهد قلت لابن عمر وقد دخلت القوافل ما أكثر الحاج فقال ما أقلهم ولكن قل ما أكثر الركب قال ذلك رحمه الله حين نظر الى ما أحدث الناس في الحج من الزي والرفاهية والتنعم وكذلك كان العلماء قديما اذا نظروا الى المترفهين قد خرجوا الى مكة يقولون لا تقولوا خرج فلان حاجا ولكن قولوا خرج فلان مسافرا ويقولون حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة قيمته أربعة دراهم وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال خذوا عني مناسككم وكان يقول لبيك اللهم لبيك حجا لا رياء فيه ولا سمعة * قلت هذه المحامل مما أحدث الحجاج

في السفر للحجاج تجعل على ظهور الجمال للفخر والجمال فتنعم بها الركاب ويستنضر
بها الركاب * وقال ابن مسعود رضي الله عنه انما هو رحل وسرج فرحل الى بيت
الله الحرام وسرج في سبيل الله فسره أبو عبيد رحمه الله أراد أن البيت انما يزار على
الرحال كأنه كره المحمل لانه مما أحدث الناس كما تقدم وفي حديث ابن عمر رضي الله
عنهما اذا حططتم الرحال فشدوا السروج والحج أحد الاركان الخمسة التي بني
الاسلام عليها وفي الخبر من أمكنه الحج فمات ولم يحج فلا يبالي أمات يهوديا
أو نصرانيا وعن عمر رضي الله عنه لقد هممت أن أكتب في الامصار بضرب
الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وفي رواية والله ما هم بمسلمين والله ما هم
بمسلمين * وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه لو مات لي جار موسر ولم يحج لم أصل عليه
وكذلك قال الاسود بن يزيد لغلامه لو مت ولم تحج لم أصل عليك وقال الله عز وجل ولله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال لابراهيم عليه السلام وأذن في
الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق أي بعيد وفي الخبر
ان ابراهيم عليه السلام قال وما يبلغ صوتي فقال له الله تعالى أذن وعلي البلاغ أو كما
قال هذا معناه قال مجاهد فقام على المقام فتطاول المقام بابراهيم عليه السلام حتى
كان كأطول جبل على ظهر الارض فنادى عباد الله أجيبوا الله عباد الله أطيعوا
الله قال فأسمع من تحت الارض السابعة فقالوا لبيك أجبنا لبيك أطعنا فمن حج
الى يوم القيامة فهو ممن أجاب دعوة ابراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام
و يشهد لذلك قوله تعالى يأتوك رجالا ولم يقل يأتوني وقد فسر رسول الله صلى الله عليه
وسلم الاستطاعة الزاد والراحلة ذكره أبو طالب في القوت وقال اذا وجد العبد زادا
وراحلة لزمه فرض الحج فان أخره بعد وجود ذلك كان مكروها له فان مات ولم يحج أو
مات عن عدم الامكان بعد وجوده كان عاصيا لله من حين أمكنه الى يوم موته ولم يكن
كامل الايمان لان الله تعالى أكمل الاسلام بالحج لما أنزل هذه الآية في الحج يوم عرفة
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ومن كان ذا قوة على المشي أو ممن
يصلح له أن يؤاجر نفسه وأمن التهلكة في خروجه فحج على ذلك كان فاضلا في فعله
وللحاج الماشي بكل قدم يخطوها سبعمائة حسنة وللراكب بكل خطوة تخطوها
دابته سبعون حسنة والقوة من الاستطاعة ولو لم يكن الحج فرضا لكان القصد
الى بيت الله والطواف به من أفضل القربات لانه ليس على وجه الارض اليوم عمل

أفضل من الطواف بالبيت لانه يستوعب بطواف أسبوع مائة وعشرين رحمة تكون
كل رحمة ماشاء الله لانه سبحانه وتعالى يختص برحمته من يشاء وأقل ماله بكل رحمة
عشر حسنات لانه فى حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل على
هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين
وعشرون للناظرين وأعظم لذة عندى فى الدنيا تقبيل الحجر الأسود لان كل شئ قد
تغير عن حاله الا الحجر قد قبله جبريل وميكائيل وجميع الملائكة وآدم ومحمد وما
بينهما من النبيين وجميع عباد الله الاولياء والصالحين صلى الله على جميعهم ورضى
الله عنهم كلهم * يقال انه ما يرسل ملك من السماء فى حاجة الى الارض الابدأ بالبيت
فطاف به وحينئذ يمضى لما أمر به فانظر عظيم فضله جعلنا الله من أهله بمنه وكرمه وذو
الحجة شهر الحج وقال الله تعالى الحج أشهر معلومات وهى ثلاثة شوال وذو القعدة وذو
الحجة كله وقيل عشر منه وقال تعالى واذكروا الله فى أيام معدودات وقال تعالى
ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات فالايام المعدودات أيام التشريق يوم النحر
ويومان بعده وقيل لها أيام التشريق لان اللحم يشرق فيها أى يقطع ويقدد وقال
الأصمعى التشريق صلاة العيد وانما أخذه من شروق الشمس لان ذلك وقتها
ومنه حديث على رضى الله عنه لا جمعة ولا تشريق الا فى مصر جامع وقال أبو عبيد
وقولهم أيام التشريق هى تبع ليوم النحر وقيل لتشريق اللحم فيها كما تقدم والايام
المعلومات عشر ذى الحجة قاله ابن عباس رضى الله عنهما وروى نافع عن ابن عمر أن
الايام المعدودات والايام المعلومات يجمعهن أربعة أيام يوم النحر وثلاثة أيام
بعده فاليوم الاول معلوم غير معدود واليومان اللذان بعده معلومان معدودان
والرابع معدود غير معلوم وهو مذهب مالك وغيره وحج رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلاث حجات حجتين قبل الهجرة ثم حجة الوداع واعتمر من المدينة أربع عمر
كلهن فى ذى القعدة الا التى مع حجته فانه ابتدأها فى ذى القعدة وفرغ منها فى ذى
الحجة أولها عمرة الحديبية اذ صده المشركون فى ذى القعدة وعمرة القضاء بعدها
فى العام المقبل فى ذى القعدة وعمرة من الجعرانة سنة الفتح فى ذى القعدة بعد
ماقسم عليهم غنائم حنين وعمرة مع حجته وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع
عشرة غزوة خرجه مسلم رضى الله عنه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام
الفتح سنة تسع لعشر مضين من رمضان وصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر ودخل مكة

لعشرين بقين من الشهر ولم يحج في هذا العام لان الحج كان منقولا عن وقته كان
المشركون ينقلونه على حساب الشهور الشمسية ويؤخرونه كل سنة أحد عشر يوما
وكان فيهم من يطوف عريانا فلما انمحى أمر الشرك وعاد زمان الحج الى وقته
الذي فرضه عز وجل فيه ولم يطف بالبيت عريان حج رسول الله صلى الله عليه وسلم
سنة عشر حجة الوداع وأعلم الناس برجوع الحج الى وقته فقال ان الزمان قد استدار
كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم
ذو القعدة وذو الحجة والمحرم هذه متصلة ورجب منفرد وكان قبل حجته قد وجه
أبابكر رضي الله عنه سنة تسع فأقام للناس الحج وأمره أن ينادي بسورة براءة لينبذ
الى كل ذي عهد عهده من المشركين ثم أردفه بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه
فرجع أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله هل أنزل في قرآن
قال لا ولكن أردت أن لا يؤدي عني الا من هو من أهل بيتي قال أبو هريرة فأمرني
علي أن أطوف على المنازل بمنى بسورة براءة فكنت أصيح حتى صحل حلقي فقيل له بم
كنت تنادي فقال بأربع أن لا يدخل الجنة الا مؤمن وان لا يحج بعد العام مشرك
ولا يطوف بالبيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له وقيل في
قوله تعالى فاذا انسلخ الاشهر الحرم أراد ذا الحجة والمحرم من ذلك العام وذلك أجل
من لا عهد له من المشركين ومن كان له عهد فالى انقضاء أربعة أشهر أولها يوم النحر
وبعد هذا حج رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة عشر خرج من المدينة لخمس بقين من
ذي القعدة وقدم مكة صبح رابعة من ذي الحجة فطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة
بدأ بالصفا والاسلام قد صفا وأثر الجاهلية قد عفا ولما اعتدل الحج على أثبت قاعدة
أنزل الله تعالى هذه الآية من سورة المائدة اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت
عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه نزلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة في يوم جمعة والحمد لله على نعمه
التي لا تعد ومننه التي لا تحد * وقد تقدم في حديث أبي عبيدة في جماعة عينها وكان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه أميرا في ثلثمائة راكب يرصدون عيرا
لقريش قال فأقمنا في الساحل نصف شهر فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط
فسمي جيش الخبط وألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر فأكلنا منها نصف شهر
وادهنا من ودكها حتى ثابت أجسامنا قال فأخذ أبو عبيدة ضلعا من أضلاعها

فنصبها

فنصبها ثم نظر الى أطول رجل فى الجيش وأطول جمل فحمل عليه فرّ تحته قال وجلس فى حجاج عينها نفر وفى رواية أخرى أخذ منا أبو عبيدة ثلاثة عشر رجلا فأقعدهم فى وقب عينها قال فأخرجنا من عينها كذا وكذا قلة ودك قال وكان معنا جراب من تمر فكان أبو عبيدة يعطى كل رجل منا قبضة قبضة ثم أعطانا تمرة تمرة فلما فنى وجدنا لفقده خرجه مسلم ووقع فى تفسير ابن سلام ان النفر كانوا يتداولون التمرة بينهم يمصها هذا ثم يشرب عليها من الماء ثم يمصها الآخر وذلك فى غزوة تبوك وتقدم فى قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه جاء فى التفسير عن قتادة انه نمروذ وهو أول ملك تجبر فى الارض وهو صاحب الصرح ببابل قال قتادة رضى الله عنه ذكر لنا انه دعا برجلين فقتل أحدهما واستحيى الآخر فقال أنا أحيي وأميت أى أستحيي من شئت وأقتل من شئت قال ابراهيم عليه الصلاة والسلام فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر أى انقطعت حجته وفى التنزيل أيضا فى قصة ابراهيم عليه السلام وحاجه قومه وقد جمعت شكل حجة فى أبيات سببها انه استشفع بى رجل اسمه على لصاحب لى اسمه محمد فى كتاب صداقه فكتبت اليه ولم أمش اليه

أخى محمد مالى * فى ترك قصدك حجه
لكن فؤادى قد حج ذا الكلام فحجه
وقال حظك يغنيك عن ركوب المحجه
فابعث عليا سريعى * صلاته ثم حجه
واكتب له المهر يكتب * لكم به ألف حجه
وهاك شكرى جزاء * لو عشت ألفين حجه

وكتبت له أيضا فى شأنه سيدى وفقت لفعل صالح على هذا أبو الحسن على رجل فيه عفه وفى ماله خفه وهو على هذه الخلقه ماعنده مايسدّ به حلقه ولا يملك أستغفر الله سوى ابرة وخلقه وكانت عادته لافراط ايمانه يحلف باسقاط ايمانه فهفا ذات مرة بوساطة الشيخ أبى مرة فجعل أيمانه لازمه وله نفس حازمه ولكن لابدّ للطرف من عثره ولو بلغ الطرف والنثره ومن الذى ليس عليه للشيطان سلطان وها هو بعد أن طلق عرسه علق بالرجوع نفسه وتاب وندم وعليكم قدم فأذهبوا روعته واكتبوا رجعته واعتاضوا منه اجرا ثوابه وأحرى والمرأة قد نكحت وآمت ثم

حلت وصلت وسامت والله سبحانه يغنيك ويعينك ويقيك غوائل الهفات رافيا
من الفان ولو أنه ألفان يا قدحي المعلى * بحرمة الصداقه
اذا أتى عـلى * فاكتب له صداقه
واجعل له أخي * من عندك البطاقه
وكل ذاك منكم * بالفضل لا بطاقه
قد جاءه كساء * يمد فيه ساقه
وانه شكور * لله حين ساقه
هذه الملح من الكتابه لي بها صبابه في وقعت في رياضها رتعت وتمتعت ومتى
دفعت عنها ومنعت تقنعت فقنعت لكن لتفسير اللغة أرجع وان تكعكعت
وجمعت وتقدم قول الفرزدق
ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الامر في الحدثان عالا
قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا
يعني سعيد بن العاص بن أمية ويقال ان مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق
ينشد هذا البيت حسده عليه فقال قل قعودا ينظرون الى سعيد يا أبا فراس فقال
لا والله يا أبا عبد الملك الا قياما على الاقدام وسعيد بن العاص هذا قد تقدم
في الاجواد ومن أحسن ما قيل في نظر الهلال
للناس في الشهر هلال ولي * من وجهها في كل يوم هلال
وقبل هذا البيت
تمت وتم الحسن في وجهها * فكل حسن ما عداها محال

بعض أخبار جحا

وتقدم جحا وقد سألت عنه فقيل لي انما هو جحا بتقديم الحاء وهو العاقل فيحدثه
الناس ولقد رأيت في أخباره جزءا كبيرا انما ألفه بعض الادباء لبعض الخلفاء وفيه
حكاية تدل على عقله عند نفسه وحمقه عند الناس قال دخل ذات يوم جحا في دار
الرحا فجعل يأخذ من قمح الناس ويجعله في قفته فقيل له لأي شئ تصنع هذا فقال
لاني أحمق فقيل له فلم لا تجعل شيئا من قمحك في قفاف الناس فقال كنت أكون اذا
أحمقين * وأما الاصبهاني فقد ذكره في كتاب الامثال له فقال أحمق من جحا وقال كان
رجلا من بني فزارة وكان يكنى أبا الغصن فمن حمقه أن عيسى بن موسى الهاشمي
مر به وهو يحفر بظهر الكوفة موضعا فقال له مالك يا أبا الغصن فقال اني دفنت

في هذه

فى هذه الصحراء دراهم ولست أهتدى الى مكانها فقال عيسى كان يجب أن تجعل عليها علامة قال قد فعلت قال ماذا قال سحابة كانت فى السماء تظلها ولست أرى العلامة أيضا وذكر له أشياء مثل هذه وأنت يا ذا المعقول وقارئ هذا المنقول أراك تضحك من هذه الحكايات محدثا انها احدى السخافات

كم من كلام مبك قد قرأت بهذا السفر لم تبك منه للمضافات
فلا أقل من ان تبكى لموعظة * كما ضحكت اذا تتلوا الخرافات
عساك من شر ذا تنجو بصالح ذا * رأسا برأس فتحظى بالمعافاة
وبعد ذلك قل يارب عاقبة * حسنى وعافية من كل الآفات

وتقدم الحاجى وكان من الصالحين وجار عليه بعض العمال فكلمته فيه فتشاغل عنه ونسى اسمه وأنكره فكتبت اليه

ان الذى أنكرت يا صاح * ذلكم المدعو بالحاجى
فاصنع به ما أنت أهل له * ولا تضيع فيه الحاجى

وقد أنشد فى بعض الاصحاب فى هذا المعنى ولم يسم قائله

نصبت الفخ ثم قعدت عنه * بعيدا كى أرى فيه فلاحا
اذا قرد مقيم عند فخى * يقول لمقبلات الطير حاحا

وقلت لعلك أن تقول أرى ابن شيخ * يجئ بلفظ حاح فى الكتاب
وبالحاجى وبعد يقول لى اقرأ * كأنى جاهل قصد الصواب
فان تك قلت ذا فاسمع جوابا * يردك للمتاب من العتاب
كتابى ذا كروض فيه لب اللباب يضاف للعجب العجاب
ينشط قارئا ويفيد علما * وأرجو فيه مدخور الثواب
خشيت تصيبه عين فعلقت فيه جاجا قل من كلاب
أنا طبعى أقول الشعر سهلا * بغير تكلف ملأى عباب
ومهما قلت سوأ قلت غفرا * الهى أعطنى حسن المآب
تقول يردنى لا والذى لا * اله سواه ماهذا جوابى
الها اغفر لقارئ ذا الكتاب * وجد للكل منا بالمتاب

واذ وقع ذكر الجاجم فاسمع فيها حديثا أيها الواجم وقع فى بعض التراجم خرج أبو داود فى المراسيل له عن على بن عمر بن على عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال يا معشر قريش انكم تحبون الماشية

نأقلوا منها فانكم بأقل الارض مطرا واحترثوا فان الحرث مبارك وأكثروا فيه من الجماجم وقال عمر بن علي بن حسين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما أمر بذلك من أجل العين وخرج البزار عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بالجماجم أن تنصب في الزرع قال أحد رواته من أجل العين وسيأتي حديث في فضل الزرع والغرس في حرف الزاي ان شاء الله تعالى وتقدم روضة خاخ والى ذلك المكان نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هيتا المخنث حين سمعه يقول اذا فتح الله عليكم الطائف الحديث فقيل انه يموت بها جوعا فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة واليه أيضا بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب والزبير بن العوام وأبا مرثد الغنوي ويروى المقداد عوض أبي مرثد فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان فيها امرأة معها صحيفة من حاطب بن أبي بلتعة الى المشركين فأتوني بها قال علي رضي الله عنه فانطلقنا على أفراسنا حتى أدركناها حيث قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسير على بعير لها وقد كان كتب الى أهل مكة بمسير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا أين الكتاب الذي معك فقالت ما معي كتاب فأنخنا بها بعيرها فابتغينا في رحلها فما وجدنا شيئا فقال صاحباي ما نرى معها كتابا قال فقلت لقد علمنا ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حلف علي والذي يحلف به لتخرجن الكتاب أو لأجردنك فأهوت الى حجزتها وهي محتجزة بكساء فأخرجت الصحيفة فأتوا بها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر يارسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني أضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا حاطب ما حملك على ما صنعت قال يارسول الله مالي أن لا أكون مؤمنا بالله ورسوله ولكني أردت أن يكون لي عند القوم يد أدفع بها عن أهلي ومالي وليس من أصحابك أحد الا له هنالك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله قال صدق ولا تقولوا له الا خيرا قال فقام عمر فقال يارسول الله قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني أضرب عنقه قال أوليس من أهل بدر وما يدريك لعل الله اطلع عليهم فقال اعملوا ما شئتم فقد أوجبت لكم الجنة فاغرورقت عيناه وقال الله ورسوله أعلم قال بعض العلماء وذكر هذا الحديث ان في هذا الخبر معجزتين احداهما الكتاب مع الظعينة والثانية الظعينة في المكان المسمى قلت وفيه معجزة ثالثة انه من حاطب وأخرى انه الى أناس من

المشركين

المشركين وكان في الكتاب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه اليكم بجيش كالليل يسير كالسيل وأقسم بالله لو سار اليكم وحده لنصره الله عليكم فانه منجز له ما وعده وقول عمر رضي الله عنه دعني يارسول الله أضرب عنقه دليل على قتل الجاسوس وفي مسند الحارث ان حاطبا قال يارسول الله كنت عزيزا في قريش وكانت أمي بين ظهرانيهم فأردت أن يحفظوني فيها أو نحو هذا ثم فسر العزيز وقال هو الغريب وفي حاطب نزل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وفي هذه السورة عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة قيل هي مصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي سفيان بن حرب ومن حديث أبي سفيان هذا في أول اسلامه انه كان يوما في المسجد فخرج عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال في نفسه ليت شعري بأي شئ غلبتني فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضرب بيده بين كتفيه وقال بالله غلبتك يا أبا سفيان ويروى ان أبا سفيان قال لزوجته هند ذات ليلة لم أعطي محمد النبوة وانا أكثر منه مالا فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم غداة تلك الليلة فقال يا أبا سفيان ما الذي قلت لامرأتك هند في حديث النبوة أما علمت ان النبوة سماوية لا أرضية وهو يعطى من يشاء ويمنع من يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء فقال أبو سفيان في نفسه اذا عدت اليها لأطلقنها لما أفشت سري فعلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فقال يا أبا سفيان لا تطلق هندا فلئن أخبرتني هند بحديث البارحة فمن أخبرني الساعة بتفكرك في انك تطلقها اذا عدت هذا اعلام سماوي لا أرضي هذا اعلام الهي وكان أبو سفيان كما تقدم كثير المال كثير الجاه شيخ قريش وعزيزها في الجاهلية فلما أسلم ذل للحق وانقاد له وكان عمر بن الخطاب شديدا عليه في الجاهلية في الحق والاسلام بلغ من شدته عليه ما خرج بعض أهل التواريخ ان رجلا من بني مخزوم استعدى عمر بن الخطاب على أبي سفيان بن حرب رضي الله عنهما وذكر انه ظلمه حدا في موضع كذا وكذا فقال عمر اني لأعلم الناس بذلك وربما لعبت أنا وأنت فيه ونحن غلمان فاذا قدمت مكة فأتني بأبي سفيان فلما قدم مكة أتاه المخزومي بأبي سفيان فقال له عمر يا أبا سفيان انهض بنا الى موضع كذا وكذا فنهضوا ونظر عمر رضي الله عنه فقال يا أبا سفيان خذ هذا الحجر من ههنا فضعه ههنا فقال والله لا أفعل فقال عمر والله لتفعلن فقال لا أفعل فعلاه عمر بالدرة وقال

خذه لا أم لك فضعه ها هنا فانك ما علمت قديم الظلم فأخذ أبو سفيان الحجر ووضعه حيث قال عمر ثم ان عمر استقبل القبلة فقال اللهم لك الحمد اذ لم تمتني حتى غلبت أبا سفيان على رأيه وأذللته بالاسلام فاستقبل أبو سفيان القبلة وقال اللهم لك الحمد اذ لم تمتني حتى جعلت في قلبي من الاسلام ما ذللت به لعمر وخرج الترمذي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن الحارث بن هشام وأبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية فأنزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم الآية قال فتابوا بعد وحسن اسلامهم وهاجر الحارث بن هشام الى الشام فلم يزل بها مجاهدا مجاهدا حتى استشهد هنالك رضي الله عنه والعذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في لعنه القوم المذكورين ان الله علم منهم ما لم يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نهاه انتهى وأيضا فانه عليه الصلاة والسلام قال اني اشترطت على ربي عز وجل فقلت انما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر وأغضب كما يغضب البشر فأيما أحد دعوت عليه من أمتي بدعوة ليس لها بأهل أن يجعلها له طهورا وزكاة وقربة يقربه بها منه يوم القيامة وفي حديث آخر فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة ورحمة والحارث بن هشام هذا هو الذي اعتذر من فراره يوم بدر وقال

القوم أعلم ما تركت قتالهم * حتى علوا فرسي بأشقر مزبد
وعرفت اني ان أقاتل واحدا * أقتل ولا ينكي عدوي مشهدي
فصددت عنهم والأحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

يقال انه لم يقل في الفرار أحسن من هذا وأنشد ذلك بعض الاكاسرة فلما فسر له قال قاتل الله العرب حسنوا بشعرهم كل شئ حتى الفرار أو كما قال وممن اعتذر من فراره أيضا هبيرة بن أبي وهب زوج أم هانئ أخت علي بن أبي طالب رضي الله عنهما هرب يوم فتح مكة الى نجران وقال

لعمري ما وليت ظهري محمدا * وأصحابه جبنا ولا خيفة القتل
ولكنني قدمت أمري فلم أجد * لسيفي غناء ان ضربت ولا نبلي
وقفت فلما خفت ضيعة موقفي * رجعت لعود كالهزبر أبي الشبل

قال خلف الاحمر ان أبيات هبيرة خير في الاعتذار من قول الحارث بن هشام وقال الاصمعي قول الحارث أحسن (رجع) وأذكر لك حديثا في سنده رجل اسمه خالج

أخبرنا أبو الطاهر السلفي رضي الله عنه اجازة قال كتب الى أبو سعيد عبد الجليل ابن محمد بن الحسن الساوي من بغداد قال أنبأنا أبو عبد الله القضاعي قال انبأنا عمرو بن عثمان قال حدثنا الوليد بن مسلم عن مروان بن خاخ عن يونس بن ميسرة ابن حابس سمعت معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخير عادة والشر لجاجة وتقدم جاخ وكان محسنا وهو الذي يقول

أهديت من شعري اليك قصيدة * يبلى الزمان وذكرها متمادي
من شاعر لم يطلع أدبا ولا * خطت يداه صحيفة ببداد

وكان يدعي انه أمي كاتري ولا أدري كيف هذا وهو الذي يقول

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على صحن خد ندى

شبه انعطاف الصدغ على الخد بالعقارب تدب وهو مقلوب البراقع وهذا لا يعلمه الا كاتب ولعله أعلم بذلك فقاله والله أعلم وهذا البيت من قصيدة له منها

ولما وقفنا غداة الفراق * وقد أسقط البين ما في يدي
رأيت الظعائن فيها البدور * عليها براقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها * تدب على صحن خد ندى
تسالم من وطئت خده * وتلسع قلب الشجي الأبعد
تحامى عن الورد أن يجتنى * فقد أمن الورد من معتد

من قصيدة حسنة هذا ذوقها لم يمكن سوقها فاقنعوا مني أيها الاقارب بما حضر وكونوا من تلكم العقارب على حذر * وتقدم قول سلمان الفارسي رضي الله عنه كنت رجلا من أهل جي قال كاون أهل قريتي يعبدون الخيل البلق فكنت أعرف أنهم ليسوا على شئ فقيل لى ان الدين الذى تطلب انما هو قبل العرب فلم يزل يطلب ذلك الدين من بلد الى بلد حتى بيع وتداولته بضعة عشر رجلا كلهم يرسله من واحد الى آخر وكان آخر أمره ان انتهى الى طيبة مدينة الاسلام وصحب النبي عليه الصلاة والسلام وكان له بها أعلام ومشاهد كرام انظر حديثه في السيرة التي اختصر ابن هشام وكان سلمان مواخيا لابي الدرداء رضي الله عنهما وبلغه ان سلمان اشترى خادما فكتب اليه يا أخي انى حدثت انك اشتريت خادما واني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال العبد من الله وهو منه مالم يخدم فاذا خدم وجب عليه الحساب وان أم الدرداء سألتني خادما وانا يومئذ موسر فكرهت ذلك لما سمعت

من الحساب ويا أخي من لي ومن لك بأن توافي يوم القيامة ولا تخاف حسابا وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول لا يزال العبد يزداد من الله بعدا كلما مشي خلفه قلت سلمان هذا رضي الله عنه وعظ فاتعظ وحفظ فحفظ عهد اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون بلاغ أحدهم من الدنيا كزاد الراكب حدثني الحافظ رحمه الله بسنده الى مورق العجلي ان سعد بن مالك وعبد الله بن مسعود دخلا على سلمان يعودانه وهو يبكي فقالا ما يبكيك يا أبا عبد الله قال عهد عهده الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحفظه أحد منا قال ليكن بلاغ أحدكم من الدنيا كزاد الراكب قال مورق فنظروا في بيته فاذا اكاف وقرطاط قيمته عشرون درهما القرطاط للسرج بمنزلة الولية للرحل وقد كره اكتساب الخادم أيضا أبو مسلم الخولاني جاءت امرأة الى زوجته فقالت لها زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية يخدمه ويعطيه عشتم فلما جاء الى امرأته قالت له أنت لك منزلة من معاوية وليس لنا خادم فلو سألته لأخدمنا وأعطانا فقال اللهم من أفسد على امرأتي فأعم بصره فبينما المرأة التي وصلت امرأته جالسة في بيتها اذ أنكرت بصرها فقالت ما لسراجكم طفئ فقالوا لا فعرفت ذنبها فأقبلت الى امرأة أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله عز وجل أن يرد بصرها اليها قال فرحمها أبو مسلم ودعا الله عز وجل فرد بصرها عليها والذي يقتدى به في هذا الشان سيد الاولين والآخرين رسول رب العالمين شكت سيدة النساء فاطمة ابنته رضي الله عنها ما تلقى من الشقاء وكانت قد طحنت بالرحى حتى أثر في يدها وكنست البيت حتى دنست ثيابها وسألته من يكفيها ذلك فلم يشكها خرج أبو نعيم الحافظ رحمه الله تعالى في كتاب الحلية عن علي رضي الله عنه ان فاطمة كانت حاملا وكانت اذا خبزت صادف حرف التنور بطنها فأتت النبي صلى الله عليه وسلم تسأله خادما فقال لا أعطيها وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع ألا أدلك على خير من ذلك اذا آويت الى فراشك تسبحين الله ثلاثا وثلاثين وتحمدينه ثلاثا وثلاثين وتكبرينه ثلاثا وثلاثين وذكر تمام الخبر وتقدم قول بكر بن النطاح

بطل تناول فارسين بطعنة * فرأيتموه أتى بذاك جليلا

يقوله في أبي دلف القاسم بن عيسى العجلي وذلك انه لقي أكرادا قطعوا الطريق في عمله وقد ارتدف منهم فارس رفيقا له فطعنهما جميعا فانتظمهما بطعنة فقال بكر

البيت المتقدم وبعده

لا تعجبوا لو كان طول قناته * ميلا اذا نظم الفوارس ميلا

وتقدم قوله تعالى وأنت حل بهذا البلد قال ابن عباس رضى الله عنهما أحل الله له فيه القتل ولم يحله لأحد من الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقتل بها أحدا ولذلك قال عليه الصلاة والسلام انما أحلت لى ساعة من نهار ثم عادت حرمتها كما كانت الى يوم القيامة أو كما قال عليه الصلاة والسلام وأمر بقتل ابن خطل وان وجد متعلقا بأستار الكعبة فقتل وقينتاه وكان قد أمّن أهل مكة الا نفرا سماهم هذا أحدهم والثانى مقيس بن صبابة قتل بالسوق والثالث عكرمة بن أبى جهل هرب من مكة ثم جاء وأسلم وحسن اسلامه والرابع عبد الله بن أبى سرح يكنى أبا يحيى كان يكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فارتد ولحق بالمشركين فلما كان يوم الفتح اختبأ حتى استؤمن له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه وأسلم وحسن اسلامه وعرف مكانه وجهاده مع عمرو بن العاص حين افتتح مصر وعبد الله هذا افتتح افريقية سنة سبع وعشرين وغزا الأساود وهادنهم الهدنة الباقية الى اليوم ولما قام الناس على عثمان بن عفان رضى الله عنه اعتزل الفتنة ودعا الله عز وجل ان يقبضه ويجعل وفاته بأثر صلاة الصبح فصلى بالناس يوما الصبح وكان يسلم تسليمتين فلما سلم الاولى عن يمينه وذهب يسلم الاخرى قبضت نفسه رضى الله عنه وذلك بعسقلان وممن توفى ساجدا أبو ثعلبة الخشنى رضى الله عنه كان يقول انى لأرجو أن لا يخنقنى الله بالموت كما يخنقكم قال الراوى لهذا الحديث فسألت كيف مات فقيل لى بينما هو فى صرحة داره سحرا وقال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى مسجد بيته فخر ساجدا حتى قبض رحمه الله ذكر ذلك ثابت وفيه صرحة الدار قال يقال ساحة الدار وباحة الدار وصرحة الدار كله واحد وروى بهز بن حكيم قال صلى زرارة بن أوفى الغداة فقرأ فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير فخر مغشيا عليه فحملناه ميتا * وتقدم حل وجاء منه فى الحديث ان رجلا قال لبعيره حل فقال صاحب الحسنات ماهى حسنة فأكتبها وقال صاحب السيئات ماهى سيئة فأكتبها فأوحى الله الى صاحب الشمال ما ترك صاحب اليمين ما كتبه ذكره مكى فى الهداية وقال عمرو بن الحارث بلغنى ان الرجل اذا عمل سيئة قال كاتب اليمين لصاحب الشمال اكتب فيقول لا بل أنت اكتب فيمتنعان فينادى مناد

لصاحب الشمال اكتب ماترك صاحب اليمين ذكر هذا فى تفسير قوله تعالى اذ يتلقى
المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد قال مجاهد الذى عن اليمين يكتب الحسنات
والذى عن الشمال يكتب السيئات قال سفيان بلغنى ان كاتب الحسنات أمين على
كاتب السيئات فاذا أذنب قال له لا تعجل لعله يستغفر وفى رواية ان الله جل ذكره
جعل لصاحب اليمين على صاحب الشمال سلطانا يطيعه فاذا كان الليل قال صاحب
اليمين لصاحب الشمال تعال ألا اقلك أطرح أنا حسنة واطرح أنت عشر سيئات
حتى يصعد صاحب السيئات لا سيئات معه * وتقدم ذكر حلحلة بن قيس سيد فزارة
وهو القائل حين قتل صبرا فى حديث طويل لما قدم ليقتل قال له قائل صبرا يا حلحل
فقال اى والله أصبر من ذى ضاغط عركرك * ألقى بوانى زوره للمبرك
ذكره ابن يزيد فى الكامل وذكر ان عبد الملك أحضره ليقاد منه وكان قد قتل
الاسود الكلبى فى خبر طويل ثم قال حلحلة لابن الاسود أجد الضربة فانى والله
ضربت أباك ضربة أسلحته فعددت النجوم فى سلحته وقال عبد الملك أيضا لسعيد
ابن أبان بن عيينة بن حصن وقد أحضره أيضا كذلك صبرا سعيد وقال
أصبر من عود بجنبيه جلب * قد أثر البطان فيه والحقب
تقدم قوله تعالى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل أى يدخل ماانتقص من
أحدهما فى الآخر والليل والنهار كل واحد منهما اثنا عشر ساعة فاذا كمل الليل
طالت ساعاته وقصرت ساعات النهار وكذلك العمل فى النهار ذلك تقدير العزيز
العليم وذكر أبو طالب أن الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة وان الساعة
ثلاثون شعيرة ويأخذ كل واحد منهما من صاحبه فى كل يوم شعيرة حتى تستكمل
الساعة فى شهر وبين أول الشهر وآخره ثلاثون درجة الشهر كل يوم فى درجة قال
وتفسير ذلك انه اذا مضى من أيلول وهو شينير بالعجمية سبعة عشر يوما استوى
الليل والنهار ثم يأخذ الليل من النهار من ذلك الشهر فى كل يوم شعيرة حتى
يستكمل ثلاثين يوما فتزيد ساعة حتى يمضى سبعة عشر يوما من كانون الأول فينتهى
طول الليل وقصر النهار فكانت تلك الليلة أطول ليلة فى السنة وهى خمس عشرة
ساعة وكان ذلك اليوم أقصر يوم فى السنة وهو تسع ساعات ثم يأخذ النهار من
الليل كل يوم شعيرة حتى اذا مضت سبع عشرة ليلة من أذاروه ومرس استوى الليل
والنهار وكان كل واحد منهما اثنى عشر ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم

شعيرة حتى اذا مضى سبعة عشر يوما من حزيران وهو يونية بالعجمية كان نهاية طول النهار وقصر الليل فيكون النهار يومئذ خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ثم ينقص من النهار كل يوم شعيرة حتى اذا مضت تسع عشرة ليلة من أيلول استوى الليل والنهار ثم يعود الحساب على ذلك والقول الاول أدخل فى الشرع لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى يوم الجمعة من راح فى الساعة الأولى فكانما قرب بدنة ومن راح فى الساعة الثانية فكذا ومن راح فى الساعة الثالثة فكذا على تجزئة ست ساعات فى النهار فلو كان على هذا الحساب الاخير لامتد وقت الجمعة الى قرب العصر ويمكن الجمع بين المذهب الاول والآخر بأن يكون هذا على تقدير اليوم القصير من اليوم الطويل واليوم الطويل من القصير قاله بعض الناس والله أعلم وذلك لبعد الشمس عن بعض البلدان وقربها من بعض وارتفاع بعض الارض على غيرها ألا تراها فى البلاد التى هى فى خط الاستواء كيف يستوى فيها الليل والنهار أبدا لا يختلف فى شتاء ولا صيف كل يوم اثنتا عشرة ساعة والليل كذلك وذلك فى مثل أرين وسرنديب وخط الاستواء آخذ من البحر المحيط على وسط بلاد السودان وبلاد النوبة الى جزائر الهند الى أقصى المشرق حيث تطلع الشمس والله أعلم فسبحان المقدر العظيم * وقد ذكر الحافظ أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن اسحاق الاصبهانى رحمه الله فى كتاب الحلية عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ان ربكم ليس عنده ليل ولا نهار نور السموات والارض من نور وجهه كان مقدار كل يوم من أيامكم هذه عنده ثنتا عشرة ساعة فتعرض عليه أعمالكم بالامس أول النهار فينظر فيها ثلاث ساعات ويسبحه ويسجد حملة العرش وسرادقات العرش والملائكة المقربون وسائر الملائكة ثم ينفخ جبريل عليه السلام بالقرن فلا يبقى شئ الا سمع صوته فيسبحون الرحمن ثلاث ساعات حتى يمتلئ الرحمن رحمة فتلك ست ساعات ثم يؤتى بالارحام فينظر فيها ثلاث ساعات وهو قوله تعالى هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور أو يزوجهم ذكرانا واناثا ويجعل من يشاء عقيما الآية فتلك تسع ساعات ثم يؤتى بالارزاق فينظر فيها ثلاث ساعات وهو قوله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر كل يوم هو فى شان قال هذا من شأنكم وشأن ربكم عز وجل وقد اختلف العلماء أيضا فى الساعات المذكورة يوم الجمعة فذهب مالك وغيره ان الساعات التى ذكرت فى الحديث انها أجزاء

في الساعة الرابعة من ساعات النهار وهو أدخل في كلام العرب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم راح والرواح لا يكون في السحر ولا في أول النهار على اختلاف في ذلك أيضا ويحتج له بقوله عليه الصلاة والسلام مثل المهجر كالذي يهدي بدنة والتهجير لا يكون أول النهار لأنه مأخوذ من الهجير وهي القائلة والله أعلم ومنهم من رآها ساعات النهار المعلومة وهو مذهب جماعة من العلماء وتمسك قائل هذا بذكر تسمية الساعات وتجوز في لفظ التهجير والرواح حتى كان بعضهم يبيت ليلة الجمعة في الجامع لأجل صلاة الجمعة وربما بات أيضا ليلة السبت وذلك والله أعلم من أجل الحديث الآخر لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي ولا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام وهذا أيضا قد اختلف فيه فأجزت ذلك طائفة وكرهته طائفة ومن الناس من كان يصلي الصبح يوم الجمعة في الجامع ويقعد فينتظر صلاة الجمعة وعامة المؤمنين كانوا ينصرفون من صلاة الغداة من مساجدهم فيتوجهون الى جوامعهم ويقال أول بدعة حدثت في الاسلام ترك البكور الى الجوامع قال وكنت ترى يوم الجمعة سحرا وبعد صلاة الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون فيها الى الجامع كما ترون اليوم في الأعياد وروي أن ابن مسعود رضي الله عنه بكر يوما الى الجمعة فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فوجم لذلك وجعل يقول رابع أربعة يعني نفسه وما رابع أربعة ببعيد وكذلك كانوا يفعلون في الاغتسال للجمعة حتى جعله بعضهم واجبا وجوب الفرائض حتى رأى بعض الصحابة ابنه يغتسل يوم الجمعة فقال ألجمعة غسلك هذا قال لا بل من جنابة فقال أعد غسلك ثانيا فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول واجب على كل مسلم أن يغتسل يوم الجمعة قال وكان أهل المدينة يتسابون فيما بينهم فيقولون لأنت شر ممن لا يغتسل يوم الجمعة وهذا أيضا قد اختلف فيه فجعل بعضهم قوله عليه الصلاة والسلام واجب كغسل الجنابة يعني في الصفة وحمل الوجوب على وجوب السنن وحجتهم قول عمر بن الخطاب لعثمان بن عفان رضي الله عنهما الوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأمر بالغسل فالغسل عندهم على الندب ولولا ذلك لما ساغ لعمر أن يترك عثمان حتى يرده فيغتسل ولما ساغ لعثمان أيضا أن يترك الغسل والله أعلم وتقدم أيضا الخل الصاحب والخليل فوق الحبيب والخلة مأخوذة من تخلل الأسرار بين الحبيبين ومعهما يكون حقيقة الحب والايثار

فكل خليل حبيب وليس كل حبيب خليلا وقد رفع الله نبيه صلى الله عليه وسلم فى مقام المحبة فأعطاه الخلة ليلحقه بمقام ابراهيم عليهما الصلاة والسلام أبيه اذ يقول الله فيه واتخذ الله ابراهيم خليلا فكانت الخلة مزيد المحبة وجاء فى الحديث ان النبى صلى الله عليه وسلم صعد المنبر مستبشرا فقال ألا ان الله قد اتخذنى خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلا فأنا حبيب الله وأنا خليل الله وقال لو كنت متخذا من الخلق خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله وفى رواية أخرى ولكن أخى وصاحبى وفى رواية أخرى ولكن أخوة الاسلام فلما اتخذه الله خليلا لم يصلح أن يشرك فى خلة الخالق خلة خلق ثم قال ولكن أخوة الاسلام فأوقفه مع الاخوة كما فعل بعلى رضى الله عنه اذ قال على منى بمنزلة هارون من موسى الا النبوة فأقامه مقام الاخاء وعدل به عن النبوة وكذلك فعل بأبى بكر رضى الله عنه منعه ايثار التوحيد وقيام شهادة الوحدانية ومقتضى صفة الربوبية والغيرة على خليله وهو ربه تبارك وتعالى من أن يشرك معه أحدا فى هذه التسمية وجاء مفسرا فى حديث آخر لو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا وفى حديث آخر وان صاحبكم خليل الله وفى حديث آخر وقد اتخذ الله صاحبكم خليلا وفى القرآن واتخذ الله ابراهيم خليلا واختلف العلماء فى اشتقاق هذه اللفظة فقال قوم الخليل المنقطع الى الله تعالى الذى ليس فى انقطاعه اليه ومحبته له اختلال وقال آخرون هو مأخوذ من الخلة وهى الحاجة فسمى بها ابراهيم عليه السلام لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه ولم يجعلها قبل غيره اذ جاءه جبريل عليه السلام وهو فى المنجنيق ليرمى به فى النار فقال ألك حاجة قال أما اليك فلا وقال قوم الخلة مشتقة من صفاء المودة التى توجب الاختصاص لتخلل الاسرار وقال بعضهم أصل الخلة المحبة ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك فى كتابه تعالى بقوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم فأوجب للمحبوب أن لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا القائل والخلة أقوى من البنوة لأن البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى ان من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم ولا تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية محمد وابراهيم عليهما الصلاة والسلام بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه والانقطاع عمن دونه والاضراب عن الوسائط

والأسباب أولزيادة الاختصاص منه تعالى لهما وخفى ألطافه عندهما باستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى لم يخالطهما حب لغيره وحب الله تعالى للعبد هو تمكينه من سعادته وعصمته وترفيعه وتوفيقه وتهيئة أسباب القرب وافاضة رحمته عليه وقد تقدم نوع من هذا الكلام في باب تاب وقد ذكرت فيه مقطوعة من شعري في صفة المحبة والحمد لله وكفى شرفا لنبينا عليه أفضل الصلاة والسلام قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وكفى بنا عزا أن هذه صفة نبينا عليه الصلاة والسلام فالحمد لله الذى جعلنا من أمته ثبتنا الله على محبته وحشرنا في زمرته برحمته وقال بعض العلماء هذه الآية أمدح آية لمحمد عليه أفضل الصلاة والسلام لانه قال انما يبايعون الله بل جرده من ذلك كله فقال يبايعون الله فهذه غاية الشرف ونهاية الترفيع صلى الله عليه وسلم وقال غيره ومن ترفيع مدحه قوله تعالى ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك أى اذا ذكرت ذكرت معي وذلك ان الايمان لا يتم الا بقول لا اله الا الله محمد رسول الله وكذلك قرن مع اسمه في الأذان وفي التشهد وفي كثير من الاذكار وليس ذلك لغيره وقال ثابت رحمه الله في قوله تعالى أنقض ظهرك أى أثقله حتى سمع نقيضه تقول أنقضت بالرجل وبالحمار اذا ألصقت طرف لسانك بالغار الأعلى ثم تصوت بجانبه من غير أن ترفع طرفه عن موضعه وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى يهود بنى قينقاع نتدارسهم فرآى رجلا متخلقا فأنتض أو قال فتنض به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لعله عروس قل وان كان فاذهب فاغسله ثم انهكه ثم اغسله ثم انهكه والنهك المبالغة ويقال انما سمى ابراهيم صلى الله عليه وسلم خليلا للفظة فالها وذلك أنه أصاب أهل ناحيته جدب فارتحل الى خليل له بالموصل وقيل هو من أهل مصر يمتار طعاما منه لأهله فلم يصب عنده حاجته فرجع فلما قرب من أهله مر بمفازة فيها رمل فقال لو ملأت غرائري من هذا الرمل لئلا أغم أهلى بدخولى اليهم بغير ميرة وليظنوا أنى قد أتيتهم بما يحبون ففعل ذلك فتحول الله تعالى مافي غرائره من الرمل دقيقا فعجنوا منه وخبزوا واستيقظ فسألهم عن الدقيق الذى خبزوا من أين هو فقالوا من الدقيق الذى جئت به من عند خليلك فعلم ماصنع الله له فقال نعم من عند خليلى فسماه الله بذلك خليلا * وتقدم في الحديث

ما أقفر بيت فيه خل فسمى الخل اداما قال أبو عبيد من حلف أن لا يأكل اداما فأكل بعض ما يصنع مثل الخل والزيت والاري واللبن فهو حانث وعن طلحة بن نافع انه سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى حديث فيه طول ان الخل نعم الادام قال جابر فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من نبينا صلى الله عليه وسلم قال طلحة فما زلت أحب الخل منذ سمعتها من جابر خرجه مسلم وفى بعض طرقه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل به بعض حجر نسائه ثم قال هل من غداء فقالوا نعم فأتى بثلاثة أقرصة فوضعت على بتى ويروى على بنى فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرصا فوضعه بين يديه وأخذ قرصا آخر فوضعه بين يدى ثم أخذ الثالث فكسره باثنين فجعل نصفه بين يديه ونصفه الآخر بين يدى ثم قال هل من ادام قالوا الا شئ من خل قال هاتوه فنعم الادام هو كذا وقع فى هذا الحديث بتى وعليه مكتوب نبى وفى الطرة فى مسند ابن أبى شيبة فوضعن على بتى وفسره ابن وضاح طبق من خوص وقال أيضا مائدة من حلفاء اذ تهت الطرة وقد تقدم والبت كساء غليظ وقد تقدم أيضا وأنشد

من يك ذا بت فهذا بتى ✽ مقيظ مصيف مشتى
تخذته من نعجات ست ✽ سود دعاج من نعاج الدست

وخرج مسلم أيضا عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الخمر يتخذ خلا فقال لا وسئل مالك رحمه الله عن تخليل الخمر فكرهه فان تخللت من غير فعل أحد فهى حلال ✽ وبقى هنا نكتة حسنة ان كان فى اناء قلة أو خابية فلا يستقى من أعلاها لان جوانبها نجسة فتى تحرك الخل بالاستقاء مس فى الجوانب فتنجس ولكن يثقب فى أسفل الخابية برفق ويستخرج منه قال مالك ولا بأس بما خلله النصرانى من الخمر فان فعله مسلم ففيها قولان والأحوط تركه وللحريرى رحمه الله فى رجوع الخمر خلا شعر لغز يستحلى ولا ينبغى أن يخلى قال

وما شئ اذا فسدا ✽ تحول غيه رشدا
وان هو رق أوصافا ✽ أثار الشر حين بدا
زكى الأصل والده ✽ ولكن بئسما ولدا

وتقدم ان لم يكن خمر فخل وأنشدنى الحافظ رحمه الله بالاسكندرية لبعضهم

أوسع دارى لمن قد نزل ✽ وزادى مباح لمن قد أكل

أقدم حاضر ما عندنا * وان لم يكن غير زيت وخل
وليس قراى كما قلته * ولكنما هو ضرب المثل

ولى فى لفظة خل أبيات لزوميات كان أحد اصحابى قد ارسل الى بقلات ثمانية فاحتجتها بغرستها وكتبت اليه بعد كلام

ثمانية الأبقال انى غرستها * فبارك لنا فى تلك يا أيها الخل
ولا تعقب الاحسان منك اساءة * فيغنى لذيذ الشهد خالطه خل
فالك لى حل لانك لى خل * صحيح وبعض الناس فى وده خل
وأنت امرؤ قد رام شأوك معشر * وشدوا فلم يترك سبيل ولا خل
ففتهم حتى يقول أشدهم * أيا قومنا خلوا الطريق له خلوا
فتى يمتطى من أكرم النجب بازلا * تريدون أن تلفوا ومركوبكم خل

الخل ابن مخاض وقد تقدم وتقدم ذكر مصعب بن عمير رضى الله عنه وهو الذى قتل يوم أحد فلم يوجد له ثوب يكفن فيه الا نمرة اذا غطى بها رأسه بدت رجلاه واذا غطيت رجلاه بدا رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غطوا بها رأسه واجعلوا على رجليه من الاذخر ولى فيه من الشعر الطويل

ومصعب مات لم يوجد لديه * من الأكفان بال أو جديد
سوى ثوب ولم يستره حتى * كسوه باذخرلهم خضيد

وتقدم قول ابى شجرة * أقبلتها الخل من شوذان صادرة * وكان سبب قوله ذلك أنه جاء الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه وهو يقسم على الناس فقال يا أمير المؤمنين أعطنى فانى ابن سبيل قال فمن أنت قال أبو شجرة قال يا عدو الله ألست القائل

ورويت رمحى من كتيبة خالد * وانى لأرجو بعدها أن أعمرا

ثم علاه بالدرة حتى سبقه عدوا فأتى راحلته فركبها راجعا الى بلاده وهو يقول

قد ضن عنا أبو حفص بنائله * وكل مختبط يوما له ورق
مازال يضربنى حتى خذيت له * وحال من دون بعض الرغبة الشفق
ثم ارعويت اليها وهى جانحة * مثل الرتاج اذا ما ارهالغلق
أقبلتها الخل من شوذان صادرة * انى لأزرى عليها وهى تنطلق
وكدت أترك أثوابى وراحلتى * والشيخ يضرب احيانا فيمحق

خرجه ثابت رحمه الله * أذكرتنى هذه الحكاية من فعله رضى الله عنه بضبيع كان

ضبيع رجلا اتهم برأى أهل الاهواء وكان يسأل عن آى من كتاب الله عز وجل مثل والذاريات والمرسلات والنازعات وما أشبههن من القرآن وكان يأمر الناس بالتفقه فى ذلك وانه قدم على عمرو بن العاص رضى الله عنه بمصر فسأله عن ذلك فقال له عمرو أنا أدلك على من يفتيك فى مسائلك هذه أنا أكتب لك الى أمير المؤمنين فكتب له الى عمر وأرسل معه رسولا بالكتاب وسار ضبيع مع الرسول فدخل الرسول على عمر رضى الله عنه فلما اقرأ الكتاب أوعده ان فاته فخرج الرسول فأتاه به فقال ما الذى تسأل عنه فسأله عن والذاريات والنازعات والمرسلات فضربه بجرائد النخل حتى أوبر جسده ثم حبسه حتى اذا كاد أن يبرأ أخرجه أيضا ثم ضربه ثم سجنه ففعل به ذلك مرارا فقال له ضبيع عند آخر ذلك يا أمير المؤمنين ان كان تريد قتلى فقتل جميل وان كنت تريد دوائى فقد بلغنى الدواء قال فأطلقه عمر ونفاه الى العراق وكتب الى أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه أن لا يجالسه أحد قال فكان ضبيع يدور فى المسجد ويجلس فيه ولا يجلس اليه أحد قال ثم كتب أبو موسى الى عمر انه قد حسنت توبته فأمره عمر فخلى بينه و بين الناس

خرجت من شئ الى غيره * لكن من العلم فلن أخرجا
ما أملح العلم اذا كنت فى * ضيق تراه عنك قد فرجا
ومن يكن واسع علم متى * يخطئ يجد من قوله مخرجا

الى هنا تم الجزء الاول من الف با و يليه الجزء الثانى وأوله

(باب الالف مع الدال وأختها)

قد تم بعون الله وعنايته هذا القسم الثاني وهو تمام الجزء الاول من كتاب ألف با
ويليه ان شاء الله الجزء الثاني منه وقد بلغ ما انتهى طبعه وصرف الى أربابه من
الكتب التي تطبع الآن على ذمة جمعية المعارف غير هذا القسم عشرة أقسام وهي
جزآن من تاريخ ابن الوردي وأربعة أقسام من أسد الغابة وقسم من شرح تاريخ
العتبي وقسم من ألف با وقسمان من تاج العروس على التوالي وتم الآن نحو خمسه
على غير التوالي وعند اتصال طبع أجزائه بعون الله سبحانه يوزع على أربابه
ولا يخفى انه من صعوبة التصحيح والتشغيل بمكان لا ينكر الا انه جار فيه مزيد الهمة
كغيره من كتب الجمعية لاسيما ومما يزيد في همة هذه الجمعية ويشد أزرها
ويعلي قدرها ان حضرة الوزير المفخم والمشير المعظم المجبول على حب
المعارف وجلائل الشيم صاحب الرشد والاصابه والدولة والنجابه محمد توفيق
باشا أكبر انجال الحضرة الداورية وولي عهد الخديوية المصريه قد شرفها
بحمايته الجليلة وكفايته الجميلة وقد توجه الى مقره الكريم حضرة الامير الكبير
ذي الفضل الشهير عارف باشا وكيل الجمعية وجماعة من أكابر أعضائها النبلاء
لاداء ما يجب لذلك من الشكر والدعاء فقابلهم جناب المشير المشار اليه بما
فوق المأمول من الاقبال والقبول وأبدى لهم مزيد الابتهاج والحبور والانس
والسرور بهذه الجمعية وأنه يكون معهم في التعاون على ما يفيدها دوام
حسن الحال والترقي في درجات الكمال في ظل الحضرة العلية وهمة حضرات
أعضائها وأثنى على حسن مقاصدهم وجميل سعيهم وأدام الله الجناب
الخديوي محفوفا بتوفيقه ممتعا بنيل مقاصده الكريمة مسرورا بأنجاله الكرام
وبقاء دولته على مدى الايام